لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر
إلا في الشيء المستغرب كقوله: فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته. ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة
على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم وقرئ لأذهب بأسماعهم
بزيادة الباء كقوله: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب سمعهم
وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى
وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير كالتصريح
به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى
كما قال: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده
فهو موجود في الجملة وعليه قوله: إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية
والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم
الممتنع أيضاً لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز
عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك
قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران
وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى لأنه شيء وكل شيء مقدور والظاهر أن التمثيلين من جملة
التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت
شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإنه تشبيه حال اليهود
في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من
الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقاده في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن
تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى: وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس: كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب
والحشف البالي بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد
النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم وإفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب
السرمد بإطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط

بالكفر والخداع بالصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعاً في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد
نفعه ضرراً ونفاقهم حذراً عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع في
الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدر الله شيئاً ولا يخلص مما يريد بهم من المضار
وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع
خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل
شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة
الأرض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله: والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما
أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم
ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها
إلى الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم
بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم فإنه على ما يشاء قدير. يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر
خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزاً للسامع وتنشيطاً له
واهتماماً بأمر العبادة وتفخيماً لشأنها وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه
من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة
مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع
بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له
والتزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه أي من الإضافة
وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده
من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق
بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء
منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعاً
ذائعاً فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام
أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة

والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا
يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة
فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار
بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية ○ الذي خلقكم ○ صفة جرت عليه للتعظيم
والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة
التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس ○ والذين من قبلكم ○ متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير
المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ والذين
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم
تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه ○ لعلكم تتقون ○ حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين
ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر
بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او
من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع
اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل
تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقون كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت
في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل ○ الذي جعل لكم الارض فراشا ○ صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله
فقد جعلت قلوص بني سهيل ○ من الاكوار مرتعها قريب ○ وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل
تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من
الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لان يقعدوا او ينا

عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا
تأبى الافتراش عليها ○ والسماء بناء ○ قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد
كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته
لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ○ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
○ عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او
ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء
كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع
وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء
اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما
دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد
سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء
ورزقا كأنه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع
اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة هنا جماعة
الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور
بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام
خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كأنه قال رزقا اياكم
○ فلا تجعلوا لله اندادا ○ متعلق بالامر اعني اعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له
او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء
الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استأنفت به على
انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى
ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوئ قال جرير
أتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا
وما زعموا انه يساويه في ذاته وصفاته ولا انه تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها
آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم

بروا الله بهم من خير فنهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل: أربا واحدا أم ألف رب، أدين إذا تقسمت الأمور، تركت اللات و
العزى جميعا، كذلك يفعل الرجل البصير ﴿وأنتم تعلمون﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح
أي وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات
متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوي وهو أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله
كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم
وقصره عليه فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة
الله والنهي عن الإشراك به والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضي وبيانه أنه رتب الأمر بالعبادة على
صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون
إليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول
والمشروب ثم لما كانت هذه الأمور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي
عن الإشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الإشارة إلى
تفصيل خلق الإنسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالأرض والنفس بالسماء
والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس و
ازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية
المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فإن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ﴿وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة﴾ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه
ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وإفحامه
من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة
وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرّف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه النبي
وإنما قال مما نزلنا لأن نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما
حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على
هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاما للحجة وأضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه و
قرئ عبادنا يريد محمدا عليه السلام وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات
وهي إن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو
محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب
وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لأن السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أو لها مراتب

في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية
والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال وتجاوب النظم و
تنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فإنه إذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر إذا علم أنه قطع
ميلا أو طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة
بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد ﴿من مثله﴾ صفة سورة أي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة
وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم
العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر
آيات التحدي ولأن الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولأن مخاطبة
الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت بنحو ما أتى به هذا
آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله
﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام وكأنه سمي به لأنه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الأمور إذ التركيب
للحضور إما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه أو الملائكة حضروه
ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ودونك هذا أي
خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية: يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا
تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم
وجنكم وآلهتكم غير الله فإنه لا يقدر على أن يأتي بمثله إلا الله أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن
ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة أو بشهدائكم الذين اتخذتموهم
من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله على
زعمكم من قول الأعشى: تريك القذى من دونها وهي دونه، إذا ذاقها من ذاقها يتمطق، ليعينوكم وفي أمرهم
أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله أي من دون أولياء
الله يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله فإن العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة
ما اتضح فساده وبان اختلاله ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله

الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم
انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه
وهم ما كانوا عالمين به ﴿فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾
لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم
اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب
فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا
ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع
الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن
شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان
العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل
ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في
احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود
بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت
النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر
ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع
حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا
في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة
في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا
النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض
تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح
هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت
الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح
تعريف النار ووقوع الجملة صلة بازائها فانها يجب ان تكون قصة معلومة ﴿اعدت للكافرين﴾
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار
قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته صلة للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة

من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق
الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار
عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض
فتدحض حجته وقوله تعالى اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن ﴿وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ان لهم جنات﴾ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف
ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي
فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول
عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة
تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على
اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال
من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما
تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او
الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة
مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح
كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان
اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه
او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر
سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل
سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد

وجنة المأوى ودار السلام وعليين وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الأعمال والعمّال واللام تدل على استحقاقهم إياها لأجل ما ترتب عليه من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته فإنه
لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن أن يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا
على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله
لم يقيد ها هنا استغناء بها ⦿ تجري من تحتها الأنهار ⦿ أي من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشجار
النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان
بستان فيه الماء الجاري أو للعهد والمعهود هو الأنهار المذكورة في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على
الإضمار أو على المجاز أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها ⦿
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا ⦿ صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة
كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أن ثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب
على الظرف ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام وحينا كل حين
رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه
من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا
تقدم كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فإنك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى
هذا مثل الذي رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ⦿ من قبل ⦿
أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف
متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة
لأن طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى
فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روي أنه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده
إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها على
الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا
والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة
⦿ وأتوا به متشابها ⦿ اعتراض يقرر ذلك والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه
بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير

وعلى الثاني إلى الرزق فإن قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس
ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار
والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه هذا وإن للآية محملا آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا
في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسبها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا
أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ⦿ ولهم فيها أزواج مطهرة ⦿ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملّت
فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة ومطّهّرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس هو إلا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في
الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد
وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية
في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها ⦿ وهم فيها خالدون ⦿ دائمون والخلد والخلود في الأصل
الثبات المديد دام أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الإنسان على
حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها أبدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع
للأعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
لكن المراد به ها هنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء
متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت
إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى
شيء منها على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وإن قياس
ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها
ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوت بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور ⦿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة ⦿ لما كانت الآيات السابقة متضمنة

ثم التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة
التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصرف
إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب
الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان المثل
أعظم من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير
وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل
الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وأيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد
ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي
أن يتمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي
الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار
يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه
وإذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه إن الله حيي كريم يستحيي
إذا رفع العبد يديه إليه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن
المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف إبلا
إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل
والمبالغة ويحتمل الآية خاصة أن تكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من
ضرب الخاتم وأصله وقع الشيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار من منصوب بإفضاء الفعل
إليه بعد حذفها عند سيبويه وما إبهامية تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني
كتابا ما أي أي كتاب كان أو مزيدة للتأكيد كالتي في قوله فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن القرآن
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وإنما وضعت لأن تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو
زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لأنه
نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر أن تكون
موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده ما بعوضة

فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينارا
ودينارين والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش
فما فوقها عطف على بعوضة أو ما إن جعلته اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت
كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى
الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين
أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الألم كالخرور
أو ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما صدر
به ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
فهو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط
فأدخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد
بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره
يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب
محقق محكم النسج وأما الذين كفروا فيقولون كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا أراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته
والمجموع خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله
والأحسن في جوابه الرفع على الأول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والإرادة نزوع النفس
وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين
غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره
ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه
الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب
هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز أو
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا أي إضلال كثير و
إهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل
بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق

كل واحد من الفريقين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل
الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين
باعتبار الفضل والشرف كما قال. قليل اذا عدوا كثير اذا اشتدوا. وقال. ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ﴿وما يضل به الا الفاسقين﴾ اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان
المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة. فواسقا عن قصدها جوائرا. والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع
ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن
لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي
المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل
على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم
فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع ﴿الذين ينقضون عهد الله﴾
صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد
من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا
للمجاز واذا ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين
كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته
والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى
بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على
توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ
بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم
يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله
ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه ﴿من بعد ميثاقه﴾ الضمير للعهد والميثاق
اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به

من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
﴿ويقطعون ما امر الله به ان يوصل﴾ يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه
رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده
وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ﴿ويفسدون في الارض﴾
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه ﴿اولئك هم الخاسرون﴾
﴿الذين خسروا﴾ باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في
الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على
الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون وادخل في التعجب والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم
بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون ﴿وكنتم امواتا﴾ اي اجساما لا حيوة لها
عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿فاحياكم﴾ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه
بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ﴿ثم يميتكم﴾ عند تقضي آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾
بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ﴿ثم اليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون
اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا
انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما
وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق
ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه تعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان
واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان
كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم
بها لا كل واحد من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة

تنوير الله عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف تتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا
في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها
وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن ﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا﴾ بيان نعمة اخرى مرتبة
على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل
انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها
ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا ان
الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسموات جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ﴿ثم استوى الى
السماء﴾ قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي
على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه
لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام
العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى
ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه
يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا
لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف
الظاهر ﴿فسواهن﴾ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام
لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا ﴿سبع سموات﴾ بدل او تفسير فان
قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي
الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ فيه تعليل كأنه قال
ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله

على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تبددت وتفتتت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار
الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها
يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عز وجل عالم بها
وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها فاشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب
صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال
مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن
نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهي تشبيها له بعضد ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الارض خليفة﴾ تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم
بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا
للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى
واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل
عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة
وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك
من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم
في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع

الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقيل لملائكة الارض وقيل لابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى
اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال و
جاعل من جعل الذي له مفعولان وجاعل في الارض خليفة عمل فيها لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله
في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا
صلوات الله عليه وسلامه ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من
التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله
او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما
استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما
فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر
كثير الى غير ذلك ﴿قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد و
الغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا
طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس
لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن
وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء
فيهم ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
القديم والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما
رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول
خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية
تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين

لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات و
استنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى بقوله ﴿قال اني اعلم ما لا تعلمون﴾ والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض
والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك
في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد
التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند
قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام
مزيدة ﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾ اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح
ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ و
اشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما
يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى
سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن با
حد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث
الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ
التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان
السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او
مسمياتها ﴿فقال انبؤني باسماء هؤلاء﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
في الموجودات واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما
﴿ان كنتم صادقين﴾ في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق

بالحكم وهو وان لم يعتبر جوابه لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزمه مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا﴾ اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين ﴿انك انت العليم﴾ الذي لا يخفى عليه خافية ﴿الحكيم﴾ المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان ﴿قال يا آدم انبئهم باسمائهم﴾ اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما ﴿فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف

عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذ طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق ﴿فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر﴾ امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع ﴿وكان من الكافرين﴾ اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة فكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي

قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي
نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوائد
الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان
الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال
مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري ۝ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
۝ السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما
تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن
زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لآدم وحمل
الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله اهبطوا مصرا ۝ وكلا منها رغدا ۝ واسعا رافها صفة
مصدر محذوف ۝ حيث شئتما ۝ اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول
من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ۝ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۝ فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب
من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي
ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث
والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر
التاء وهذي بالياء ۝ فازلهما الشيطان عنها ۝ اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن
هذه في قوله وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان
في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف
في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج
منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى ۝ فاخرجهما مما كانا فيه ۝ اي من الكرامة والنعيم

۝ وقلنا اهبطوا ۝ خطاب لآدم عليه السلام وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء
۝ بعضكم لبعض عدو ۝ حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ۝ ولكم في الارض
مستقر ۝ موضع استقرار او استقرار ۝ ومتاع ۝ تمتع ۝ الى حين ۝ يريد به وقت الموت او القيامة ۝ فتلقى آدم من
ربه كلمات ۝ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم
تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحة ۝ فتاب عليه ۝ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء
في اكثر القرآن والسنن ۝ انه هو التواب ۝ الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة
حزب
۝ الرحيم ۝ المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو ۝ قلنا اهبطوا منها
جميعا ۝ كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما
وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما
ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤوا جميعا ۝ فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ الشرط الثاني مع
جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى
ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه
محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه
وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح ۝ والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝
عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا

بحالها فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بالفصل واشتقاقها
من أي لانها تبين أيا من أي او من أوى اليه واصلها أية او أوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او
أيية او أوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او
ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه الاول ان آدم
كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى
الا لعنة الله على الظالمين الثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى الرابع انه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله تعالى
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه
ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي
ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه
وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قال للملائكة قبل خلقه
والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكن عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان
حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا
يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس
فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله
الطبع عليه الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى
تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا
بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وحل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده
وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه تعالى
لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب
السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها
على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب
اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا

اول من آمن بمحمد عليه السلام وما انزل عليه يا بني اسرائيل اي يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه
مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة
ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور
حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم
الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وقرئ اذكروا والاصل
اذتكروا ونعمتي باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها
واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى
الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم
اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان
والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله
ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض
العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد
دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه
مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء
الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب
بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا
اول من آمن به لانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به

جزاء ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان
قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته
واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ۝ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ۝
ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت
عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان وقيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا
رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه ۝ وإياي فاتقون ۝
بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بالاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي
مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى التي هو منتهاه ۝ ولا تلبسوا الحق بالباطل
۝ عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تأويله ۝ وتكتموا الحق ۝ جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمع او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس
لما يصحبه من كتمان الحق ۝ وانتم تعلمون ۝ عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر ۝
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع
الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها
يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل ۝ واركعوا مع الراكعين ۝ اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما
يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه ۝ اتأمرون الناس
بالبر ۝ تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر
ثلثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب ۝ وتنسون انفسكم ۝ وتتركونها من البر
كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه
وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ۝ وانتم تتلون الكتاب ۝ تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون

التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول والعمل ۝ افلا تعقلون ۝ قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه
عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا
يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه
شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ
فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر ۝ واستعينوا بالصبر والصلوة ۝ متصل
بما قبله كأنهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر
الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية و
البدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع
بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف
النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب وروي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء ۝ وانها ۝ اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير
لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها ۝ لكبيرة ۝ لثقيلة شاقة كقوله كبر
على المشركين ما تدعوهم اليه ۝ الا على الخاشعين ۝ اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب ۝ الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون ۝ اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم
ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع
قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم
فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه
السلام جعلت قرة عيني في الصلوة ۝ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ۝ كرره للتأكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها ۝ واني فضلتكم ۝ عطف على
نعمتي ۝ على العالمين ۝ اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك
وهو ضعيف ۝ واتقوا يوما ۝ اي ما فيه من الحساب والعذاب ۝ لا تجزي نفس عن نفس شيئا ۝ لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان
يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف

تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول
ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا ﴿ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل﴾ اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه
اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له
والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي
به الفدية لانها سويت بالمفدى ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة اخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها
مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت
ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم ﴿واذ نجيناكم من آل فرعون﴾ تفصيل لما اجمله في قوله
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم ونجيتكم
واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن
ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون
موسى مصعب بن الريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعماية
سنة ﴿يسومونكم﴾ يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء ﴿سوء
العذاب﴾ افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سايره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ﴿يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم﴾ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك
لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكك فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا
﴿وفي ذلكم بلاء﴾ محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما
كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد به الامتحان الشايع بينهما ﴿من ربكم﴾ بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما ﴿عظيم﴾ صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى
فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين ﴿واذ فرقنا بكم البحر﴾
فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم
او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت

اثني عشر بعدد الاسباط ﴿فانجيناكم واغرقنا آل فرعون﴾ اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم
للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
عن ذكر اتباعه ﴿وانتم تنظرون﴾ ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة
او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله
فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين فاعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات
الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد عليه السلام
مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضايل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوته
عليه السلام دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره ﴿واذ وعدنا
موسى اربعين ليلة﴾ لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده تعالى موسى المجيء للميقات الى الطور ﴿ثم اتخذتم العجل﴾
الها ومعبودا ﴿من بعده﴾ من بعد موسى او مضيه ﴿وانتم ظالمون﴾ باشراككم ﴿ثم عفونا عنكم﴾
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس ﴿من بعد ذلك﴾ اي الاتخاذ ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا
عفوه ﴿واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق
والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر
﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات ﴿واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم﴾ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا
بعضكم عن بعض بصور وهيات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برا الله آدم من الطين ﴿فتوبوا
فاقتلوا انفسكم﴾ تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها
لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة وروي ان رجلا كان
يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا

يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة
وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ من حيث أنه
طهرة من الشرك ووصلة إلى الحيوة الأبدية والبهجة السرمدية ﴿فتاب عليكم﴾ متعلق بمحذوف إن جعلته
من كلام موسى لهم تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على محذوف إن جعلته خطابا من الله
تعالى لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه
إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة
وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب ﴿إنه هو التواب
الرحيم﴾ الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم ﴿وإذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك﴾ لأجل قولك أو لن نقر لك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ عيانا وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة
على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات
وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلمك أو إنك نبي ﴿فأخذتكم
الصاعقة﴾ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته رؤية الأجسام
في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة
وللأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا فقيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة ﴿وأنتم تنظرون﴾ ما أصابكم بنفسه أو أثره ﴿ثم بعثناكم من
بعد موتكم﴾ بسبب الصاعقة وقيد البعث لأنه قد يكون عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم ﴿لعلكم تشكرون﴾
نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ سخر الله لهم السحاب يظلهم
من الشمس حين كانوا في التيه ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل
الثلج من الفجر إلى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ على إرادة القول ﴿وما ظلمونا﴾ فيه اختصار وأصله فظلموا بأن
كفروا هذه النعم وما ظلمونا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره ﴿وإذ قلنا ادخلوا
هذه القرية﴾ يعني بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ واسعا
ونصبه على المصدر أو الحال من الواو ﴿وادخلوا الباب﴾ أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها
فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام ﴿سجدا﴾ متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على إخراجهم
من التيه ﴿وقولوا حطة﴾ أي مسألتنا أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية

ونقيم بها ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا
أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه أنه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان فأبدلت
الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بها ما ذكر ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه
عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله وأنه تعالى يفعله لا محالة
﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض
الدنيا ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير
المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها ﴿رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون﴾ عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم
وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفا ﴿وإذ استسقى
موسى لقومه﴾ لما عطشوا في التيه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان
حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة
ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا أو الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة فأشار إليه جبريل بحمله أو للجنس وهذا
أظهر في الحجة قيل لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل
حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه بها إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى
عصاه متنا من العطش فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام
ذراعا في ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ﴿فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا﴾ متعلق بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه ﴿قد علم كل أناس﴾ كل سبط ﴿مشربهم﴾ عينهم التي يشربون
منها ﴿كلوا واشربوا﴾ على تقدير القول ﴿من رزق الله﴾ يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل ما ينبت به ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ لا تعتدوا
حال إفسادكم وإنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة
الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حسا ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب
صنعه فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله
حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته
أنه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه ولذلك أجموا أو
ضرب واحد لأنهما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم واشتهوا ما ألفوه فادع لنا
ربك سله لنا بدعائك إياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فإن دعوته سبب الإجابة
مما تنبت الأرض من الإسناد المجازي وإقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر
والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال أي الله أو موسى أتستبدلون الذي هو أدنى أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ أدنأ من
الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي
اهبطوا مصرا انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه إذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر
البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون
في مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرائيم فعرب فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة أحيطت بهم
إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب
الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به
أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به وأصل البوء المساواة ذلك
إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر وإظلال الغمام وإنزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالإنجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام في التوراة وقتلهم
الأنبياء فإنهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وإنما
حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار إليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي جرهم
العصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات وقتل النبيين فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى ارتكاب
كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كرر الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر
والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وإنما
جوزت الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة
يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك أن تثنية المضمرات و
المبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع إن الذين آمنوا بألسنتهم

يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة
والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا
بذلك لما تابوا عن عبادة العجل وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري لأن الأصل أحمر ونصر
سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من
اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربيا فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه
خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل أن نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في الإسلام دخولا صادقا فلهم أجرهم
عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل
من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث
إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق
روي أن موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل
بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف
أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد عليه الصلاة والسلام يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه
لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل
لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل
محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام فيه موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود
إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن
داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان

يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد ۞ فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين ۞ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم
عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء
وخاسين بغير همزة ۞ فجعلناها ۞ اي المسخة او العقوبة ۞ نكالا ۞ عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل
۞ لما بين يديها وما خلفها ۞ لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم
في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها ۞ وموعظة للمتقين ۞ من قومهم او لكل متق سمعها ۞
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ۞ اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال
وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على
باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ۞
قالوا اتتخذنا هزوا ۞ مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به
وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا ۞ قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين ۞ لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الا
ستعاذة استفظاعا له ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ۞ اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او
كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم
يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ۞ قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ۞ لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة ۞
عوان ۞ نصف قال نواعم بين ابكار وعون ۞ بين ذلك ۞ اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه
بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد
بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم
انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله ۞ فافعلوا ما تؤمرون ۞ اي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا

ما لونها ۞ قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها ۞ الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال
اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل
صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى
تلك خيلي منه وتلك ركابي ۞ هن صفر اولادها كالزبيب ۞ ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان
سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع ۞ تسر الناظرين ۞ اي
تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي ۞ تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ۞ ان البقر تشابه علينا ۞ اعتذار عنه اي ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة ۞ وانا ان شاء الله لمهتدون ۞
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على
حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق ۞ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا
تسقي الحرث ۞ اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى ۞ مسلمة ۞ سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له ۞ لا شية فيها ۞ لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر
وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ۞ قالوا الآن جئت بالحق ۞ اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها
الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ۞ فذبحوها ۞ فيه اختصار والتقدير
البقرة المنعوتة فذبحوها ۞ وما كادوا يفعلون ۞ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى
يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الا
ثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف
وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
۞ واذ قتلتم نفسا ۞ خطاب الجمع لوجود القتل فيهم ۞ فادارأتم فيها ۞ اختصمتم في شأنها اذ
المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال

ل همزة الوصل (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهره لا محالة وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما أعمل باسط
ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس
والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل (ببعضها) أي بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل
بالأذن وقيل بالعجب (كذلك يحيي الله الموتى) يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من
حضر حيوة القتيل أو نزول الآية (ويريكم آياته) دلائله على كمال قدرته (لعلكم تعقلون) لكي يكمل عقلكم
وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملون على قضيته ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء و
شرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد
وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة
بثلث مائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف
أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها
شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها
لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فتحيى حياة طيبة وتعرب عما ينكشف به الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والنزاع (ثم قست قلوبكم) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة
القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة (من بعد ذلك) يعني إحياء القتيل أو جميع
ما عدد من الآيات فإنها مما يوجب لين القلب (فهي كالحجارة) في قسوتها (أو أشد قسوة) منها والمعنى
أنها في القسوة مثل الحجارة أو زائدة عليها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وإنما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة
أو بما هو أقسى منها (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما
يهبط من خشية الله) تعليل للتفضيل والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل فإن منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه
الأنهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل والتفجر
التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على أنها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها
وبين النافية ويهبط بالضم (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف
وأبو بكر وحماد بالياء ضما إلى ما بعده والباقون بالتاء (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله عليه السلام
والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم يعني اليهود (وقد كان
فريق منهم) طائفة من أسلافهم (يسمعون كلام الله) يعني التوراة (ثم يحرفونه) كنعت محمد عليه السلام
وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى

بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا
(من بعد ما عقلوه) أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة (وهم يعلمون) أنهم مفترون مبطلون
ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وأنهم إن كفروا
وحرفوا فلهم سابقة في ذلك (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني منافقيهم (قالوا آمنا) بأنكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التوراة (وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا) أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين
على من نافق (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من نعت محمد عليه السلام أو الذين نافقوا
لأعقابهم إظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الأول تقريع وعلى الثاني إنكار ونهي (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه جاء في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بما عند
ربكم أو بين يدي رسول الله وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر إذ الإخفاء لا يدفعه (أفلا تعقلون) إما من تمام
اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون
والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم (أولا يعلمون) يعني هؤلاء المنافقين أو اللائمين
أو كليهما أو إياهم والمحرفين (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) ومن جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم
الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب) جهلة
لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها أو التوراة (إلا أماني) استثناء منقطع والأماني
جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى
وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن
الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبره من قوله تمنى كتاب الله أول ليله ... تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بأنهم أميون
(وإن هم إلا يظنون) ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير
قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة (فويل) أي تحسر وهلك ومن قال إنه واد
أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الأصل مصدر
لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء (للذين يكتبون الكتاب) يعني المحرف ولعله أراد به ما كتبوه
من التأويلات الزائغة (بأيديهم) تأكيد كقولك كتبته بيميني (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا) كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه وإن جل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم
(فويل لهم مما كتبت أيديهم) يعني المحرف (وويل لهم مما يكسبون) يريد به الرشى (وقالوا لن تمسنا
النار) المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده

الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما
وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما ○ قل اتخذتم عند الله عهدا
خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه ○ فلن يخلف الله
عهده ○ جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره
محال ○ ام تقولون على الله ما لا تعلمون ○ ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع ○ بلى ○ اثبات لما نفوه من مساس النار
لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي ○ من كسب
سيئة ○ قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانه من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ○ واحاطت به
خطيئته ○ اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في
شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف
بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر
منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها
مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله
وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما ○ فاولئك اصحاب النار ○ ملازموها في
الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا ○ هم فيها خالدون ○ دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها ○ والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ○ جرت عادته تعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل
على الايمان يدل على خروجه من مسماه ○ واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ○ اخبار في معنى النهي
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر
عنه وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف
ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون
بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ
نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب ○
وبالوالدين احسانا ○ متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا ○ وذي القربى واليتامى والمساكين ○
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه
○ وقولوا للناس حسنا ○ اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا

وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
○ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ○ يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ○ ثم توليتم ○ على طريقة الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
○ الا قليلا منكم ○ يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم ○ وانتم معرضون ○ قوم
عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض ○ واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ○ على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا
بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية
فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ○ ثم اقررتم ○ بالميثاق واعترفتم
بلزومه ○ وانتم تشهدون ○ توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ○ ثم انتم هؤلاء ○ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار
والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل
الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى
غيبا وقوله ○ تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ○ اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او
بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على
التكثير ○ تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ○ حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون
وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون
○ وان يأتوكم اسارى تفادوهم ○ روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم
انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى
جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابن عامر تفدوهم ○ وهو محرم عليكم اخراجهم ○ متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما
اعتراض والضمير للشأن او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد
او بيان ○ افتؤمنون ببعض الكتاب ○ يعني الفداء ○ وتكفرون ببعض ○ يعني حرمة المقاتلة والاجلاء ○
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ○ كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية
عليهم واصل الخزي ذل يستحيا منه ولذلك يستعمل في كل منهما ○ ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ○

لان عصيانهم اشد ۞ وما الله بغافل عما تعملون ۞ تأكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن
افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب يعملون
على ان الضمير لمن ۞ اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة ۞ الذين آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة
۞ فلا يخفف عنهم العذاب ۞ بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ۞ ولا هم ينصرون ۞ بدفعهما عنهم
۞ ولقد آتينا موسى الكتاب ۞ اي التورية ۞ وقفينا من بعده بالرسل ۞ اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم
ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب ۞ وآتينا عيسى ابن
مريم البينات ۞ المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل ۞ وايدناه ۞ قويناه وقرئ آيدناه ۞ بروح القدس ۞
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها بالطهارة
عن مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالسكون في جميع القرآن ۞ افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم ۞ بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط
ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون
استينافا والفاء للعطف على مقدر ۞ استكبرتم ۞ عن الايمان واتباع الرسل ۞ ففريقا كذبتم ۞ كموسى وعيسى
والفاء للسببية او للتفصيل ۞ وفريقا تقتلون ۞ كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول
قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة ۞ وقالوا قلوبنا غلف ۞
مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها
عن غيره ۞ بل لعنهم الله بكفرهم ۞ رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن
خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال
فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ۞ فقليلا
ما يؤمنون ۞ فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة
العدم ۞ ولما جاءهم كتاب من عند الله ۞ يعني القرآن ۞ مصدق لما معهم ۞ من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية ۞ وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا ۞ يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية

يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل
يسأل ذلك عن نفسه ۞ فلما جاءهم ما عرفوا ۞ من الحق ۞ كفروا به ۞ حسدا وخوفا على الرياسة ۞ فلعنة الله
على الكافرين ۞ اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم ۞ بئسما اشتروا به انفسهم ۞ ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل
بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا
۞ ان يكفروا بما انزل الله ۞ هو المخصوص بالذم ۞ بغيا ۞ طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون
اشتروا للفصل ۞ ان ينزل الله ۞ لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف ۞ من فضله
يعني الوحي ۞ على من يشاء من عباده ۞ على من اختاره للرسالة ۞ فباءوا بغضب على غضب ۞ للكفر والحسد على
من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله ۞ وللكافرين عذاب مهين ۞
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه ۞ واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله ۞ يعم الكتب
المنزلة باسرها ۞ قالوا نؤمن بما انزل علينا ۞ اي بالتورية ۞ ويكفرون بما وراءه ۞ حال من الضمير في قالوا
ووراء في الاصل جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل ويراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول
فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد ۞ وهو الحق ۞ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن
۞ مصدقا لما معهم ۞ حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ۞ قل
فلم تقتلون انبياء الله ۞ وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا في جميع القرآن ۞ من قبل ان كنتم مؤمنين ۞
اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسند اليهم لانه فعل
آبائهم فانهم راضون به عازمون عليه ۞ ولقد جاءكم موسى بالبينات ۞ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ۞ ثم اتخذتم العجل ۞ اي الها ۞ من بعده ۞ بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور
۞ وانتم ظالمون ۞ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقة اسلافهم مع
لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها ۞ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
۞ اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة ۞ قالوا سمعنا ۞ قولك ۞ وعصينا ۞ امرك
۞ واشربوا في قلوبهم العجل ۞ تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ۞ بكفرهم ۞
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
۞ قل بئسما يأمركم به ايمانكم ۞ اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم
المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ۞ ان كنتم مؤمنين ۞ تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية

وتقريره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح المعدودة ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين
بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذاً
لستم بمؤمنين ۞ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة ۞ خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا ونصبها على الحال من الدار ۞ من دون الناس ۞ سائرهم او المسلمين واللام
للعهد ۞ فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ۞ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها
من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين
الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء الحبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم
انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ۞ ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم ۞ من موجبات النار كالكفر بمحمد
والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر
منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل
واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ۞ والله عليم بالظالمين
۞ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ۞ ولتجدنهم احرص الناس
على حياة ۞ من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حياة لانه اراد بها فردا من افرادها
وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ۞ ومن الذين اشركوا ۞ محمول على المعنى فانه معنى احرص من الناس
الذين اشركوا افرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في
التوبيخ فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته
۞ يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو
على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ۞ لو يعمر الف سنة ۞ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت
وكان اصله لو أعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ۞ وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر ۞ الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان
يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد ۞ والله بصير بما يعملون ۞ فيجازيهم ۞ قل من كان عدوا
لجبريل ۞ نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله عليه السلام عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا
عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم

عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام
فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام
لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون
واربع في الشواذ جبرائل جبرائيل جبرايل جبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ۞ فانه نزله
۞ البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى
سبق ذكره ۞ على قلبك ۞ فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله
كأنه قال قل ما تكلمت به ۞ باذن الله ۞ بامره او تيسيره حال من فاعل نزل ۞ مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
۞ احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او
كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته
مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما
قال الله تعالى ۞ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين ۞ اراد بعداوة الله مخالفته عنادا
او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين
بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله
وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت
فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع
ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكائل وميكئيل وميكائيل ۞ ولقد انزلنا
اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ۞ اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من
المعاصي دل على اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله عليه السلام ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من آية فنتبعك ۞ او كلما عاهدوا عهدا ۞ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا
بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا
وعهدوا ۞ نبذه فريق منهم ۞ نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق منهم لان بعضهم
لم ينقض ۞ بل اكثرهم لا يؤمنون ۞ رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به
خفاء ۞ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ۞ كعيسى ومحمد عليهما السلام ۞ نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله ۞ يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل
المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن ۞ وراء ظهورهم ۞ مثل لاعراضهم عنه رأسا بالكلية

بما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه ◎ كأنهم لا يعلمون ◎ انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين و
لكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها
كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله واكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي
حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم
الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون ◎ واتبعوا ما تتلو
الشياطين ◎ عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس
او منهما ◎ على ملك سليمان ◎ اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان
ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له ◎ وما كفر سليمان ◎ تكذيب لمن زعم ذلك
وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ◎ ولكن الشياطين كفروا ◎ باستعماله
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين ◎ يعلمون الناس السحر ◎ اغواء واضلالا
والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا
يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز
الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه ◎ وما انزل على الملكين
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة
فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود
ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ◎ ببابل ◎ ظرف او حال من الملكين او
الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة ◎ هاروت وماروت ◎ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت ◎ وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر ◎ فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر
ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه
غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا ◎ فيتعلمون
منهما ◎ الضمير لما دل عليه من احد ◎ ما يفرقون به بين المرء وزوجه ◎ اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما ◎

وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ◎ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره و
جعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ◎ ويتعلمون ما يضرهم
◎ لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ◎ ولا ينفعهم ◎ اذ مجرد العلم به غير مقصود و
لا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ◎ ولقد علموا ◎ اي اليهود ◎ لمن اشتراه ◎ اي استبدل ما
تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ◎ ما له في الآخرة
من خلاق ◎ نصيب ◎ ولبئس ما شروا به انفسهم ◎ يحتمل المعنيين على ما مر ◎ لو كانوا يعلمون ◎ يتفكرون فيه
او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم
يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ◎ ولو انهم آمنوا ◎ بالرسول عليه السلام والكتاب ◎ واتقوا ◎ بترك المعاصي
كنبذ كتاب الله واتباع السحر ◎ لمثوبة من عند الله خير ◎ جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به
انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ
وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه ◎ لو كانوا يعلمون ◎ ان ثواب
الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم ◎ يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ◎
الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله عليه السلام راعنا اي راقبنا وتأن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي
كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه
قولهم راعينا وتسبب للسب ◎ واسمعوا ◎ واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه ◎ وللكافرين عذاب
اليم ◎ يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ◎ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ◎
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة
الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
◎ ان ينزل عليكم من خير من ربكم ◎ مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير
بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك
◎ والله يختص برحمته من يشاء ◎ يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق

والله ذو الفضل العظيم إشعار بأن النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله
بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته. ما ننسخ من آية أو ننسها نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون
إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه. والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في غيره كنسخ
الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الأثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية
بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا وإنساؤها إذهابها عن القلوب وما شرطية
جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما نُنسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها
منسوخة وابن كثير وأبو عمرو ننسأها أي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها أي ننس أحدا إياها وتنسها
وتُنسها على البناء للمفعول وننسكها بإظهار المفعولين. نأت بخير منها أو مثلها أي بما هو خير للعباد في النفع
وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ
وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ إذ الأصل اختصاص إن وما يتضمنها بالأمور المحتملة وتأخير الإنزال
وإن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف
الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في عصر غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل أو ببدل
أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فإن الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف إذ قد يكون
عدم الحكم أو الأثقل أصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما أتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك
في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فإن التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة
بالمعنى القائم بالذات القديم. ألم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وأمته لقوله وما لكم وإنما أفرده
لأنه أعلمهم ومبدأ علمهم. أن الله له ملك السموات والأرض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على
قوله إن الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف. وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير وإنما هو الذي يملك أموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه. أم تريدون أن
تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادر
على الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى أو منقطعة والمراد
أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم
كتابا من السماء [illegible] ومن يتبدل الكفر
بالإيمان [illegible] فقد ضل سواء السبيل [illegible] بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها [illegible]
[illegible] سواء السبيل [illegible]
[illegible]

أن يردوكم فإن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ. من بعد إيمانكم كفارا مرتدين وهو حال
من ضمير المخاطبين. حسدا علة ود. من عند أنفسهم يجوز أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم
وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أي حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم. من بعد ما
تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة. فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب
والصفح ترك تثريبه. حتى يأتي الله بأمره الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة
وإجلاء بني النضير وعن ابن عباس أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق. إن الله على كل شيء
قدير فيقدر على الانتقام منهم. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر
والمخالفة والالتجاء إلى الله بالعبادة والبر. وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة أو صدقة وقرئ
تقدموا من أقدم. تجدوه عند الله أي ثوابه. إن الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ
بالياء فيكون وعيدا. وقالوا عطف على ود والضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا أو
نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ
والمعنى. تلك أمانيهم إشارة إلى الأماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم
كفارا وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو إلى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم والجملة اعتراض
والأمنية أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة. قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة.
إن كنتم صادقين في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت. بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة.
من أسلم وجهه لله أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو. وهو محسن في عمله. فله أجره
الذي وعد له على عمله. عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية
وخبرها إن كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه
ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم. ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة.
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء أي على أمر يعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب.
كذلك مثل ذلك. قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه
بالجهال فإن قيل لم وبخهم وقد صدقوا فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد
كل فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل.
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب

وفيه حكم بينهم ان يكذبهم و يدخلهم النار ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله﴾ عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او
المشركين لما منعوا رسول الله عليه السلام ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ﴿ان يذكر فيها اسمه﴾ ثاني مفعولي
منع ﴿وسعى في خرابها﴾ بالهدم او التعطيل ﴿اولئك﴾ اي المانعون ﴿ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين﴾
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها
الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا
للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد
واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره ﴿لهم في الدنيا
خزي﴾ اي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ﴿ولهم في الاخرة عذاب عظيم﴾ بكفرهم وظلمهم ﴿ولله المشرق
والمغرب﴾ يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا
في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا ﴿فاينما تولوا﴾ اي ففي اي مكان فعلتم التولية شطر
القبلة ﴿فثم وجه الله﴾ اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع
بما يفعل فيه ﴿ان الله واسع﴾ باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده ﴿عليم﴾ بمصالحهم واعمالهم
كلها وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا﴾ نزلت لما قالت اليهود عزير
ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع
او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء
الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد
اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا ﴿بل له ما في السموات والارض﴾ رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿كل له قانتون﴾ منقادون لا
يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من
حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا
لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء
على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما ﴿بديع السموات
والارض﴾ مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع او بديع سماواته

وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله
سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا
عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي
زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح ﴿واذا قضى امرا﴾
اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات
واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ من كان
بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهي ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان
ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب
الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا
ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ اي جهلة المشركين
او المتجاهلون من اهل الكتاب ﴿لولا يكلمنا الله﴾ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله
﴿او تأتينا آية﴾ حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات استهانة به وعنادا
﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ من الامم الماضية ﴿مثل قولهم﴾ فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء ﴿تشابهت قلوبهم﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ
بتشديد الشين ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه
عتوا وعنادا ﴿انا ارسلناك بالحق﴾ ملتبسا مؤيدا به ﴿بشيرا ونذيرا﴾ فلا عليك ان اصروا
وكابروا ﴿ولا تسأل عن اصحاب الجحيم﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل
على انه نهي الرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر
ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ﴿ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ مبالغة في اقناط الرسول من اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى
يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال ﴿قل﴾ تعليما للجواب ﴿ان هدى الله هو الهدى﴾
اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ﴿ولئن اتبعت اهواءهم﴾ آراءهم
الزائغة والهوى رأي يتبع الشهوة ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ اي الوحي او الدين المعلوم صحته

ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن. الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني أهل الكتاب. يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب.
أولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين. ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالإيمان. يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن إضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك
وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وإيذانا بأنه فذلكة القضية والمقصود من القصة. وإذ ابتلى إبراهيم ربه
بكلمات كلفه بأوامر ونواه والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار
بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لإبراهيم وحسن لتقدمه لفظا وإن تأخر رتبة لأن
الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة
في قوله التائبون العابدون وقوله إن المسلمين إلى آخر الآيتين وقد أفلح المؤمنون إلى قوله أولئك
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشرة التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ
إبراهيم ربه على أنه دعا بكلمات مثل أرني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر
ابراهام بالألف. فأتمهن فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وإبراهيم الذي وفى وفي قراءة
الآخرة الضمير لربه أي أعطاه جميع ما دعاه. قال إني جاعلك للناس إماما استئناف إن أضمرت
إذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الإمامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام وإن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل
الذي له مفعولان والإمام اسم من يؤتم به وإمامته عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأمورا
باتباعه. قال ومن ذريتي عطف على الكاف أي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق أو فعولة
أو فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهو لغة. قال لا ينال عهدي الظالمين
إجابة إلى ملتمسه وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لا ينالون الإمامة لأنها أمانة من الله تعالى وعهد
والظالم لا يصلح لها وإنما ينالها البررة الأتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق
لا يصلح للإمامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد إذ كل ما نالك فقد نلته. وإذ جعلنا البيت أي الكعبة
غلب عليها كالنجم على الثريا. مثابة للناس مرجعا يثوب إليه أعيان الزوار أو أمثالهم أو موضع

ثواب يثوبون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لأنه مثابة كل أحد. وأمنا وموضع أمن لا يتعرض
لأهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله
أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ إليه حتى يخرج وهو مذهب أبي حنيفة. واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
على إرادة القول أو عطف على المقدر عاملا لإذ أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا إليه واتخذوا
على أن الخطاب لأمة محمد عليه السلام وهو أمر استحباب ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدمه أو الموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي أنه عليه السلام أخذ بيد عمر
فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به
الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى
فيها ويتقرب إلى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس مقامه
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون إليها. وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أمرناهما. أن طهرا بيتي
بأن طهرا ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به
للطائفين حوله. والعاكفين المقيمين عنده أو المعتكفين فيه. والركع السجود أي المصلين
جمع راكع وساجد. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا يريد البلد أو المكان. بلدا آمنا ذا أمن كعيشة
راضية أو آمنا أهله كقولك ليل نائم. وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر أبدل من آمن
من أهله بدل البعض للتخصيص. قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس إبراهيم الرزق على الإمامة
فنبه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الإمامة والتقدم في الدين أو مبتدأ تضمن معنى
الشرط. فأمتعه قليلا خبره والكفر وإن لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب لتقليله بأن يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا
غير متوسل به إلى نيل الثواب ولذلك عطف عليه. ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألجئه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه
ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أو الظرف وقرئ بلفظ الأمر فيهما على أنه من دعاء إبراهيم وفي قال ضمير
وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره
بإدغام الضاد وهو ضعيف لأن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس. وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها فإنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع ويحتمل أن يراد بها ساقات البناء فإن كل ساف قاعدة لما يوضع
فوقه ورفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته وإظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس إلى حجه وفي إبهام القواعد
وتبيينها تفخيم لشأنها. وإسماعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان

في طريق أو على التناوب (ربنا تقبل منا) أي يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما
(إنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك من أسلم وجهه
أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه وقرئ
على أن المراد أنفسهما وهاجر أو أن التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض ذريتنا
وإنما خصا الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما
ظلمة وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله تعالى فإنه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام ويجوز أن يكون من للتبيين كقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن
(وأرنا) من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين (مناسكنا) متعبداتنا في الحج أو مذابحنا
والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي ويعقوب
أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن أبي عمرو
بالاختلاس (وتب علينا) استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لأنفسهما وإرشادا
لذريتهما (إنك أنت التواب الرحيم) لمن تاب (ربنا وابعث فيهم) في الأمة المسلمة (رسولا منهم)
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا
أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب)
القرآن (والحكمة) ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام (ويزكيهم) عن الشرك والمعاصي (إنك أنت
العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) المحكم له (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) استبعاد
وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته (إلا من سفه نفسه) إلا من استمهنها
وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق
وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير
ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في
محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي (ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن
الصالحين) حجة وبيان لذلك فإن من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر (إذ قال له ربه أسلم
قال أسلمت لرب العالمين) ظرف لاصطفيناه أو تعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك
الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص
السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام وروي أنها نزلت لما دعا عبد الله ابن سلام

ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر (ووصى بها إبراهيم بنيه) التوصية هي
التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن
الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع
وابن عامر وأوصى والأول أبلغ (ويعقوب) عطف على إبراهيم أي ووصى هو أيضا بها بنيه وقرئ
بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم (يا بني) على إضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين
لأنه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو إبراهيم كانوا أربعة إسماعيل
وإسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوي
ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودان ونفتولي وكاد وآشر وبنيامين ويوسف (إن الله اصطفى
لكم الدين) دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ظاهره النهي
عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود هو النهي عن أن لا يكونوا على تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات
على الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه
وأن حقه أن لا يحل فيهم ونظيره في الأمر مت وأنت شهيد وروي أن اليهود قالوا لرسول الله عليه السلام
ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت)
أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون
اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم
ذلك وإنما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر (إذ قال لبنيه) بدل من إذ حضر (ما تعبدون من
بعدي) أي شيء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به
عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم
طبيب (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق) المتفق على وجوده وألوهيته
ووجوب عبادته وعد إسمعيل من آبائه تغليبا للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو
أبيه وكما قال في العباس هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك على أنه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين
أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان (إلها واحدا) بدل من إله آبائك
كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر
العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو مفعوله
أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا (تلك أمة قد خلت) يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما والأمة في الأصل
المقصود وسمي بها الجماعة لأن الفرق تؤمها (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم
إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس

ولا تثابون بحسناتكم ⊙ ولا تسألون عما كانوا يعملون ⊙ ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
⊙ وقالوا كونوا هودا او نصارى ⊙ الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم
احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ⊙ تهتدوا ⊙
جواب الامر ⊙ قل بل ملة ابرهيم ⊙ اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته ⊙ حنيفا ⊙ مائلا عن الباطل الى الحق حال
المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا ⊙ وما كان من المشركين ⊙
تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون ⊙ قولوا آمنا بالله ⊙ الخطاب للمؤمنين
لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ⊙ وما انزل الينا ⊙ القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب
للايمان بغيره ⊙ وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ⊙ الصحف وهي وان نزلت على
ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق ⊙
وما اوتي موسى وعيسى ⊙ التوراة والانجيل افردهما بالحكم لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما
سبق والنزاع وقع فيهما ⊙ وما اوتي النبيون ⊙ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ⊙ من ربهم ⊙
منزلا عليهم من ربهم ⊙ لا نفرق بين احد منهم ⊙ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق
النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ⊙ ونحن له ⊙ اي لله ⊙ مسلمون ⊙ مذعنون مخلصون ⊙
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ⊙ من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما
آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصود لا تأبى تعدد الطرق او مزيد للتأكيد كقوله جزاء سيئة
بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به ⊙ وان تولوا فانما هم في شقاق ⊙
اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناوأة والمخالفة فان
كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر ⊙ فسيكفيكهم الله ⊙ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ
والنصر على من ناواهم وخالفهم ⊙ وهو السميع العليم ⊙ اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ⊙
صبغة الله ⊙ اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره
عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا

يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها
انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ⊙ ومن احسن
من الله صبغة ⊙ لا صبغة احسن من صبغته ⊙ ونحن له عابدون ⊙ تعريض بهم اي لا نشرك به كشركهم
وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل
ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم
وسوء الترتيب ⊙ قل اتحاجوننا ⊙ اتجادلوننا ⊙ في الله ⊙ في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دون
روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ⊙ وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ⊙ ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ⊙ فلا يبعد
ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله
على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ⊙ ونحن له مخلصون ⊙ موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ⊙ ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ⊙ ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة
للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء ⊙ قل ءانتم اعلم
ام الله ⊙ وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة
والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ⊙ ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله ⊙ يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل
الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة
في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله ⊙ وما الله بغافل عما تعملون ⊙ وعيد لهم وقرئ بالياء
⊙ تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ⊙ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر
عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى ⊙ سيقول السفهاء من الناس
⊙ الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ⊙ ما ولاهم ⊙ ما صرفهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها ⊙ يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلاة ⊙ قل لله المشرق والمغرب ⊙ لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية
تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان ⊙ يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ⊙

وهو ما يرشد إليه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى. وكذلك إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة، أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم، أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل، جعلناكم أمة وسطا أي خياراً أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل. وهو في الأصل اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، ثم أطلق على المتصف بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها. واستدل به على أن الإجماع حجة، إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم. لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل، أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم، بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا، ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والإعراض عن الآيات، فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم أو بعدكم. روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون، فيقول الأمم من أين عرفتم، فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم. وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدي بعلى، وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم يكون الرسول شهيداً عليهم. وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها، وهي الكعبة، فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة، ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود. أو الصخرة لقول ابن عباس: كانت قبلته بمكة بيت المقدس، إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه. فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ، وعلى الثاني المنسوخ. والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وما جعلنا قبلتك بيت المقدس. إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتد عن دينك إلفاً لقبلة آبائه، أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وما كان لعارض يزول بزواله. وعلى الأول معناه ما رددناك إلى التي كنت عليها إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه. فإن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالماً، قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء، والمعنى ليتعلق علمنا به موجوداً. وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون، لكنه أسند إلى نفسه لأنهم خواصه، أو لنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب، فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه. ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول. والعلم إما بمعنى المعرفة، أو معلق لما في من من معنى الاستفهام، أو مفعوله الثاني ممن ينقلب، أي لنعلم من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب. وإن كانت لكبيرة إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفاصلة. وقال الكوفيون هي النافية، واللام بمعنى إلا. والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو الردة أو التحويلة أو القبلة. وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة. إلا على الذين هدى الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع. وما كان الله ليضيع إيمانكم

أي ثباتكم على الإيمان، وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو صلاتكم إليها، لما روي أنه عليه السلام لما وجه إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت. إن الله بالناس لرؤوف رحيم فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم، ولعله قدم الرؤوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل. وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد، والباقون بالقصر. قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعاً للوحي، وكان رسول الله يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل. فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها، من قولك وليته كذا إذا صيرته والياً له، أو فلنجعلنك تلي جهتها. ترضاها تحبها وتتشوق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته. فول وجهك اصرف وجهك. شطر المسجد الحرام نحوه. وقيل الشطر في الأصل لما انفصل عن الشيء، من شطر إذا انفصل، ودار شطور أي منفصلة عن الدور، ثم استعمل لجانبه وإن لم ينفصل كالقطر. والحرام المحرم أي محرم فيه القتال، أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوه. وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه السلام كان في المدينة، والبعيد يكفيه مراعاة الجهة، فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب. روي أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين، وقد صلى عليه السلام بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وتبادل الرجال والنساء صفوفهم، فسمي المسجد مسجد القبلتين. وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم وتأكيداً لأمر القبلة وتحضيضاً للأمة على المتابعة. وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة، وتفصيلاً لتضمن كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين. والضمير للتحويل أو التوجه. وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين. ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على أن الكعبة قبلة، واللام موطئة للقسم. ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر، والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط. والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة، وإنما خالفوك مكابرة وعناداً. وما أنت بتابع قبلتهم قطع لأطماعهم، فإنهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريراً له وطمعاً في رجوعه. وقبلتهم وإن تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق. وما بعضهم بتابع قبلة بعض فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس، لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه. ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير، أي ولئن اتبعتهم مثلاً بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي. إنك إذا لمن الظالمين وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه تعظيماً للحق المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستفظاعاً لصدور الذنب عن الأنبياء. الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم. يعرفونه الضمير لرسول الله عليه السلام وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه. وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل.

كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ وخبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم جميعا ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اى ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس عليكم

حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشئ من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شئ او الخوف وعن الشافعى الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم

فيقول اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ۞ وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون ۞ الخطاب للرسول او لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من
مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان فقط بل بالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ۞ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ۞ الصلاة في
الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ۞
واولئك هم المهتدون ۞ للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ۞ ان الصفا والمروة
هما علما جبلين بمكة ۞ من شعائر الله ۞ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة ۞ فمن حج البيت او
اعتمر ۞ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين ۞
فلا جناح عليه ان يطوف بهما ۞ كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في
الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم
منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب
يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ۞ ومن تطوع
خيرا ۞ اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او تطوع بالسعي ان قلنا انه
سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه
معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف ۞ فان الله شاكر عليم ۞
مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ۞ ان الذين يكتمون ۞ كاحبار اليهود ۞ ما انزلنا من البينات ۞ كالآيات الشاهدة
على امر محمد عليه السلام ۞ والهدى ۞ وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به ۞ من بعد ما بيناه للناس
لخصناه ۞ في الكتاب ۞ في التوراة ۞ اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ۞ اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم
من الملائكة والثقلين ۞ الا الذين تابوا ۞ عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه ۞ واصلحوا ۞ ما افسدوا
۞ وبينوا ۞ ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم
اضرابهم ۞ فاولئك اتوب عليهم ۞ بالقبول والمغفرة ۞ وانا التواب الرحيم ۞ المبالغ في قبول التوبة
وافاضة الرحمة ۞ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ۞ اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات ۞ اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين ۞ استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء

وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك
اعجبني من ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة ۞ خالدين فيها ۞ اي في اللعنة او في
النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها ۞ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون ۞ اي لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة ۞ والهكم اله واحد ۞
خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها ۞ لا اله الا هو ۞ تقرير
للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة ۞ الرحمن الرحيم ۞
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة
احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمع المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ۞ ان في خلق السموات والارض ۞ وانما جمع السموات وافرد
الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة في الحقيقة بخلاف الارضين ۞ واختلاف الليل والنهار ۞
تعاقبهما كقوله وجعل الليل والنهار خلفة ۞ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ۞ اي بنفعهم
او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة
وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين ۞ وما انزل الله من السماء
من ماء ۞ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ۞ فاحيا به الارض
بعد موتها ۞ بالنبات ۞ وبث فيها من كل دابة ۞ عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكوين النبات
به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث
النشر والتفريق ۞ وتصريف الرياح ۞ في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد ۞ والسحاب
المسخر بين السماء والارض ۞ لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح
في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ۞ لآيات لقوم يعقلون ۞ يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات
على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها
بوجه مخصوص من وجوه مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان
تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه
لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا
عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم
اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت

لزم التمانع والتطارد وكان اشارة اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف
علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ۝ ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ۝ من
الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد
اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم ۝ يعظمونهم ويطيعونهم ۝ كحب الله ۝ كتعظيمه والميل الى طاعته اي
يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ۝ والذين آمنوا اشد حبا لله ۝ لانه لا ينقطع محبتهم لله تعالى
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم
الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ۝ ولو يرى الذين ظلموا ۝ ولو يعلم هؤلاء
الذين ظلموا باتخاذ الانداد ۝ اذ يرون العذاب ۝ اذ عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي
لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ۝ ان القوة لله جميعا ۝ ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو
يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان
والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر
ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ
يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا ۝ وان الله شديد العذاب ۝ على الاستئناف او
اضمار القول ۝ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ۝ بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ
بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ۝ ورأوا العذاب ۝ اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على
تبرأ ۝ وتقطعت بهم الاسباب ۝ يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول ۝ وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم ۝ لو للتمني
ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم ۝ كما تبرءوا منا ۝ كذلك ۝ مثل ذلك الاراء الفظيع
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ۝ ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال ۝
وما هم بخارجين من النار ۝ اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط من
الرجوع الى الدنيا ۝ يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا ۝ نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في
الارض ۝ طيبا ۝ يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ۝ ولا تتبعوا
خطوات الشيطان ۝ لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة

والبزي وابو بكر خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو ۝
انه لكم عدو مبين ۝ ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك
سماه وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت ۝ انما يأمركم بالسوء والفحشاء ۝ بيان لعداوته ووجوب
التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه
اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه الحد ۝ وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ۝ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي
والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية ۝ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ۝ الضمير للناس
وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
۝ قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ۝ ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر
ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا
تدعو الى الاسلام ۝ اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ۝ الواو للعطف او للحال والهمزة
للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق
كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ۝ ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ۝ على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او
مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم
ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء
ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا
تساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب ۝ صم بكم عمي ۝
بالرفع على الذم ۝ فهم لا يعقلون ۝ اي بالفعل للاخلال بالنظر ۝ يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
۝ لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات
ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال ۝ واشكروا لله ۝ على ما رزقكم واحل لكم ۝ ان كنتم اياه تعبدون ۝

فان عبادته لا تتم الا بالشكر فان المعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه
السلام يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ۝ انما حرم
عليكم الميتة ۝ اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك
والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناه الشرع عنها والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها
مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ ۝ والدم ولحم الخنزير ۝ وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم
ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له ۝ وما اهل به لغير الله ۝ اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمي
اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره ۝ فمن اضطر غير باغ ۝ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم
وابو عمرو وحمزة بكسر النون ۝ ولا عاد ۝ سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد ۝ فلا اثم عليه ۝ في تناوله ۝ ان الله غفور
لما فعل ۝ رحيم ۝ بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة
على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها ۝ ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ۝ عوضا حقيرا ۝ اولئك ما
يأكلون في بطونهم الا النار ۝ اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنهم اكلوا النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة
الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ولا يكلمهم الله يوم القيمة ۝ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى
۝ ولا يزكيهم ۝ ولا يثني عليهم ۝ ولهم عذاب اليم ۝ مؤلم ۝ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ۝
في الدنيا ۝ والعذاب بالمغفرة ۝ في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية ۝ فما اصبرهم على النار ۝
تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم
شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ۝ ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق ۝ اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان ۝ وان الذين
اختلفوا في الكتاب ۝ اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن النهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها
واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين ۝ لفي شقاق بعيد ۝ لفي
خلاف بعيد عن الحق ۝ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ۝ البر كل فعل مرضي والخطاب
لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم

فقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا
بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ۝
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ۝ اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر
من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر ۝ وآتى المال على حبه ۝ اي على حب المال كما قال عليه السلام
لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر
والجار والمجرور في موضع الحال ۝ ذوي القربى واليتامى ۝ يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم
ذوي القربى لان ايتاءهم احق كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة
وصلة ۝ والمساكين ۝ جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر ۝ وابن السبيل
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به ۝ والسائلين ۝
اي الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه ۝ وفي الرقاب ۝ وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها ۝ واقام الصلوة ۝ المفروضة ۝ وآتى الزكوة ۝
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني
اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي
الحديث نسخت الزكوة كل صدقة ۝ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ۝ عطف على من آمن ۝ والصابرين
في البأساء والضراء ۝ نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في
الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض ۝ وحين البأس ۝ وقت مجاهدة العدو ۝ اولئك الذين
صدقوا ۝ في الدين واتباع الحق وطلب البر ۝ واولئك هم المتقون ۝ عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما
ترى جامعة للكمالات الانسانية دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى
المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا
الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى باعتبار معاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الايمان ۝ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى ۝ كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عليه السلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا
تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض
سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره

وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلا قتل عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه قال من السنة أن لا
يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس
على الأطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله أن النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ
ما في القرآن واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه
أنه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل
بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن ۞ فمن عفي له من أخيه شيء ۞ أي شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته
الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو
إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن
جهة أخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الأخوة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ليرق له ويعطف عليه
۞ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ۞ أي فليكن اتباع أو فالأمر اتباع والمراد به وصية العافي بأن يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بأن يؤديها بالإحسان وهو أن لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية أحد
العمد وإلا لما رتب الأمر بأدائها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة قولان ۞ ذلك ۞ أي الحكم المذكور في العفو و
۞ تخفيف من ربكم ورحمة ۞ لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو
وخيرت هذه الأمة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم ۞ فمن اعتدى بعد ذلك ۞ قتل
العفو وأخذ الدية ۞ فله عذاب أليم ۞ في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا أعافي
قتل بعد أخذ الدية ۞ ولكم في القصاص حياة ۞ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده
وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لأن العلم به
القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الأول فيه إضمار وتقديره ولكم في
شرع القصاص حياة وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الأخروية فإن القاتل إذا اقتص
في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل أن يكونا خبرين لحياة وأن يكون أحدهما خبرا والآخر
صلة له أو حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن
حياة للقلوب ۞ يا أولي الألباب ۞ ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء
الأرواح وحفظ النفوس ۞ لعلكم تتقون ۞ في المحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له أو عن القصاص
فتكفوا عن القتل ۞ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ۞ أي حضر أسبابه وظهر أماراته ۞ إن ترك خيرا ۞
مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى

إن ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف
فقالت كم عيالك فقال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وإن هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك ۞
الوصية للوالدين والأقربين ۞ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل أن يوصي أو الإيصاء ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في إذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين
جواب الشرط بإضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بأنه إن صح فمن
ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام إن الله أعطى كل ذي حق حقه
ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقا
والحديث من الآحاد وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث
الوالدين والأقربين بقوله يوصيكم الله أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى الله به عليهم ۞ بالمعروف ۞ بالعدل
فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث ۞ حقا على المتقين ۞ مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا ۞ فمن بدله ۞ غيره من الأوصياء
والشهود ۞ بعد ما سمعه ۞ وصل إليه وتحقق عنده ۞ فإنما إثمه على الذين يبدلونه ۞ فما إثم الإيصاء المغير أو
التبديل إلا على مبدليه لأنه هو الذي خان وخالف الشرع ۞ إن الله سميع عليم ۞ وعيد للمبدل بغير حق
۞ فمن خاف من موص ۞ أي توقع وعلم من قولهم أخاف أن ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر
موص ۞ جنفا ۞ ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية ۞ أو إثما ۞ تعمدا للحيف ۞ فأصلح بينهم ۞ بين الموصى لهم
على نهج الشرع ۞ فلا إثم عليه ۞ في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول ۞ إن الله غفور رحيم
۞ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم ۞ يا أيها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ۞ يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على
الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الإمساك عما تنازع إليه النفس وفي الشرع الإمساك عن
المفطرات فإنها معظم ما تشتهيه الأنفس ۞ لعلكم تتقون ۞ المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال
فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو الإخلال بأدائه لأصالته وقدمه ۞ أياما معدودات ۞ موقتات
معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل
بإضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة
أيام من كل شهر أو بما كتب على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في
عدد الأيام لما روي أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه
عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ۞ فمن كان منكم مريضا ۞ مرضا يضره الصوم
ويعسر معه ۞ أو على سفر ۞ أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر ۞ فعدة من أيام أخر ۞
أي فعليه صوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر إن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها

وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ وعلى المطيقين للصيام ان افطروا ﴿فدية طعام مسكين﴾
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول
الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة فدية الى
الطعام وجمع المساكين وقرأ هشام مساكين بغير اضافة فدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين
وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او
يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ﴿فمن تطوع
خيرا﴾ فزاد في الفدية ﴿فهو﴾ فالتطوع او الخير ﴿خير له وان تصوموا﴾ ايها المطيقون او المطوقون و
جهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿خير لكم﴾ من الفدية او تطوع الخير او
منهما ومن التأخير للقضاء ﴿ان كنتم تعلمون﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك
﴿شهر رمضان﴾ مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والرمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان
فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض
الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿الذي انزل فيه القرآن﴾
اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ
او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
بوجوب الصوم ﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس
بالاعجاز وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿فمن شهد منكم
الشهر فليصمه﴾ فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر
موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم

هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ﴿ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر﴾ مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك
اباح الفطر في السفر والمرض ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ علل لفعل محذوف
دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة
الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعل او معطوفة على
علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل
التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد ﴿واذا سألك
عبادي عني فاني قريب﴾ اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله عليه السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد
فنناديه فنزلت ﴿اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة ﴿فليستجيبوا
لي﴾ اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم ﴿وليؤمنوا بي﴾ امر بالثبات والمداومة عليه
﴿لعلهم يرشدون﴾ راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما
امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على
انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
﴿احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾ روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام
واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما
والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى
الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث ﴿هن لباس لكم وانتم
لباس لهن﴾ استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة
وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما
الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور ﴿علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب
من الكسب ﴿فتاب عليكم﴾ لما تبتم مما اقترفتموه ﴿وعفا عنكم﴾ ومحا عنكم اثره ﴿فالآن باشروهن﴾

في نسخ ... وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان
يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير
المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز
ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض
واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير
البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة
الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج
الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث
في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن
ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده
لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله
محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبينكم نصب
على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما
شهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية
مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله عليه السلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي
لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار يسألونك عن الاهلة سأله
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود

كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج اي انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله
ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر
من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله
~~[illegible]~~ انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم
~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ وان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل
حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم
يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا
الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله
جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة
المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي
ان المشركين صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع
لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال
او بقتال المعاهد او المفاجأة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ان الله لا
يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف
الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم
ولا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم

ولو ○ فان انتهوا عن القتال والكفر ○ فان الله غفور رحيم ○ يغفر لهم ما قد سلف ○ وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ○ شرك ○ ويكون الدين لله ○ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب ○ فان انتهوا
عن الشرك ○ فلا عدوان الا على الظالمين ○ اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا
من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء ○
الشهر الحرام بالشهر الحرام ○ قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه
فكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ○ والحرمات قصاص ○ احتجاج
اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال ○ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ○ وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله ○ فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم ○ واعلموا ان الله مع المتقين ○ فيحرسهم ويصلح
شانهم ○ وانفقوا فى سبيل الله ○ ولا تمسكوا كل الامساك ○ ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ○ بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوى العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب
المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشيء فى الفساد والالقاء طرح الشيء وعدى
بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهى مصدر كالتضرة
والتسرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول ○ واحسنوا ○ اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ○ ان الله يحب المحسنين ○ واتموا الحج
والعمرة لله ○ ائتوا بهما تامين مستجمعى المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ
واقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لكم
معارض بما روى ان رجلا قال لعمر انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال
على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او
ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجردهما لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى او ان تكون النفقة حلالا ○ فان احصرتم ○ منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك
والشافعى لقوله فاذا امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو
او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة لما روى عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول
بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى

فما استيسر من الهدى ○ فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان
احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه
ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ○ ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ○ اى لا تحلوا حتى تعلموا ان
المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه
فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر
يطلق للمكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية ○
فمن كان منكم مريضا ○ مرضا يحوجه الى الحلق ○ او به اذى من رأسه ○ كجراحة وقمل ○ ففدية ○ اى فعليه فدية
ان حلق ○ من صيام او صدقة او نسك ○ بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه السلام قال
لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على
ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع ○ فاذا امنتم ○ الاحصار او كنتم فى حال امن وسعة
○ فمن تمتع بالعمرة الى الحج ○ فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل
فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج ○ فما استيسر من الهدى ○ فعليه دم
استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد ○ اى الهدى ○ فصيام ثلاثة ايام فى الحج ○ فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة
فى اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عند الاكثر ○ وسبعة اذا رجعتم ○ الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى
ومذهب ابى حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام ○ تلك عشرة ○ فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبع العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما ○ كاملة ○ صفة مؤكدة تفيد
المبالغة فى محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها او
مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ○ ذلك ○ اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى حنيفة اذ لا متعة ولا قران
لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية ○ لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ○ وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده
واهل الحل عند طاوس وغير المكى عند مالك ○ واتقوا الله ○ فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا
فى الحج ○ واعلموا ان الله شديد العقاب ○ لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان ○ الحج اشهر ○ اى وقته
كقولك البرد شهران ○ معلومات ○ معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا

والعشر عند ابي حنيفة رحمه الله وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت
اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة
وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام
الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام
﴿فلا رفث﴾ فلا جماع او فلا فحش من الكلام ﴿ولا فسوق﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات
وارتكاب المحظورات ﴿ولا جدال﴾ ولا مراء مع الخدم والرفقة ﴿في الحج﴾ في ايامه نفى الثلاثة على قصد
النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير
في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن
كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان
امروا بان يقفوا ايضا بعرفة ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل
مكانه ﴿وتزودوا فان خير الزاد التقوى﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل
اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا
ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس ﴿واتقون يا اولي الالباب﴾ فان قضية اللب خشية الله
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل
المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولو الالباب بهذا الخطاب ﴿ليس عليكم جناح ان تبتغوا﴾ في ان تبتغوا
تطلبوا ﴿فضلا من ربكم﴾ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت ﴿فاذا افضتم من
عرفات﴾ دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت
من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة
لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس
كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة
في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها

لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ﴿ثم افيضوا﴾ او مقدمة للذكر المأمور به وفيه
نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا مطلق حتى تجب مقدمته
والامر به غير مطلق ﴿فاذكروا الله﴾ بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين ﴿عند
المشعر الحرام﴾ جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول
ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام
ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ﴿واذكروه كما هداكم﴾ كما
علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
﴿وان كنتم من قبله﴾ اي الهدى ﴿لمن الضالين﴾ اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ﴿ثم افيضوا من حيث افاض
الناس﴾ اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة
ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن
الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة
شرع قديم فلا تغيروه ﴿واستغفروا الله﴾ من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ﴿ان الله غفور رحيم﴾
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه ﴿فاذا قضيتم مناسككم﴾ فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
﴿فاذكروا الله كذكركم اباءكم﴾ فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا
قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم ﴿او اشد ذكرا﴾
اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا
من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا منكم لابائكم ﴿فمن الناس من يقول﴾ تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر
يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ﴿ربنا اتنا في الدنيا حسنة﴾ اجعل ايتاءنا
ومنحتنا في الدنيا ﴿وما له في الاخرة من خلاق﴾ اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب
خلاق ﴿ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة﴾ يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير
﴿وفي الاخرة حسنة﴾ يعني الثواب والرحمة ﴿وقنا عذاب النار﴾ بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم

اختلف في معنى كونه تعالى محاسبا للعباد على وجوه أحدها أن معنى الحساب أنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم بمعنى أنه يخلق علوما ضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها ومقادير ما لهم من الثواب والعقاب [illegible]

والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار أمثلة
للمراد بها ⊙ أولئك ⊙ إشارة إلى الفريق الثاني وقيل إليهما ⊙ لهم نصيب مما كسبوا ⊙ أي من جنسه وهو جزاؤه
أو من أجله كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال
⊙ والله سريع الحساب ⊙ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة أو يوشك أن يقيم القيامة
ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات ⊙ واذكروا الله في أيام معدودات ⊙ كبروه في
أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في أيام التشريق ⊙ فمن تعجل ⊙ فمن استعجل النفر ⊙
في يومين ⊙ يوم القر والذي بعده أي فمن نفر في ثاني أيام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر
⊙ فلا إثم عليه ⊙ باستعجاله ⊙ ومن تأخر فلا إثم عليه ⊙ ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال أبو حنيفة
يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الإثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فإن منهم من أثّم
المتعجل ومنهم من أثّم المتأخر ⊙ لمن اتقى ⊙ أي الذي ذكر من التخيير أو من الأحكام لمن اتقى لأنه الحاج على الحقيقة و
المنتفع به أو لأجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما ⊙ واتقوا الله ⊙ في مجامع أموركم ليعبأ بكم ⊙ واعلموا أنكم إليه
تحشرون ⊙ للجزاء بعد الإحياء وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق ⊙ ومن الناس من يعجبك قوله ⊙ يروقك و
يعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الإنسان لجهله بسبب المتعجب منه ⊙ في الحياة الدنيا ⊙ متعلق بالقول أي ما
يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان أو بيعجبك
أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أو لأنه لا يؤذن له
في الكلام ⊙ ويشهد الله على ما في قلبه ⊙ يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه ⊙ وهو ألد الخصام
⊙ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد
الخصوم خصومة وقيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله
ويدعي الإسلام وقيل في المنافقين كلهم ⊙ وإذا تولى ⊙ أدبر وانصرف عنك وقيل إذا غلب وصار
واليا ⊙ سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ⊙ كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم
⊙ وأهلك ⊙ مواشيهم أو كما فعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك
الحرث والنسل ⊙ والله لا يحب الفساد ⊙ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه ⊙ وإذا قيل له اتق الله أخذته
العزة بالإثم ⊙ حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه
وألزمته إياه ⊙ فحسبه جهنم ⊙ كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهي في الأصل مرادف للنار وقيل
معرب ⊙ ولبئس المهاد ⊙ جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل
ما يوطأ للجنب ⊙ ومن الناس من يشري نفسه ⊙ يبيعها أي يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ⊙ ابتغاء مرضات الله ⊙ طلبا لرضاه وقيل إنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه

المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني
وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه وأتى المدينة ⊙ والله رؤوف بالعباد ⊙ حيث أرشدهم إلى مثل
هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ⊙ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
كافة ⊙ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والإسلام فتحه ابن كثير ونافع
والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لأنها تكف الأجزاء عن التفرق حال من الضمير أو السلم
لأنها تؤنث كالحرب قال الشاعر: السلم تأخذ منها ما رضيت به ⁂ والحرب يكفيك من أنفاسها جرع والمعنى استسلموا
لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب
لمؤمني أهل الكتاب فإنهم بعد إسلامهم عظموا السبت وحرموا الإبل وألبانها أو في شرائع الله كلها
بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعا والخطاب لأهل الكتاب أو في شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب
للمسلمين ⊙ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ⊙ بالتفرق والتفريق ⊙ إنه لكم عدو مبين ⊙ ظاهر العداوة
⊙ فإن زللتم ⊙ عن الدخول في السلم ⊙ من بعد ما جاءتكم البينات ⊙ الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق
⊙ فاعلموا أن الله عزيز ⊙ لا يعجزه الانتقام ⊙ حكيم ⊙ لا ينتقم إلا بالحق ⊙ هل ينظرون ⊙ استفهام في معنى النفي
ولذلك جاء بعده ⊙ إلا أن يأتيهم الله ⊙ أي يأتيهم أمره أو بأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا
أو يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله إن الله عزيز حكيم ⊙ في ظلل ⊙ جمع ظلة كقلة وقلل
وهي ما أظلك وقرئ ظلال كقلال ⊙ من الغمام ⊙ السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لأنه مظنة الرحمة
فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف إذا جاء من حيث
يحتسب الخير ⊙ والملائكة ⊙ فإنهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على
ظلل أو الغمام ⊙ وقضي الأمر ⊙ أي أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن
وقوعه وقرئ وقضاء الأمر عطفا على الملائكة ⊙ وإلى الله ترجع الأمور ⊙ قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم
على أنه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع وقرئ أيضا
بالتذكير وبناء المفعول ⊙ سل بني إسرائيل ⊙ أمر للرسول عليه السلام أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
⊙ كم آتيناهم من آية بينة ⊙ معجزة ظاهرة أو آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدي الأنبياء
وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر
وآية مميزها ومن للفصل ⊙ ومن يبدل نعمة الله ⊙ أي آيات الله فإنها سبب الهدى الذي هو أجل النعم
يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ ⊙ من بعد ما جاءته ⊙
من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بأنهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل ⊙ فإن الله شديد العقاب ⊙ فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أشد جريمة ⊙

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
وأعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله إذ ما من شيء إلا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على
البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهية والأشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أي يسترذلونهم
ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين وهم في أسفل السافلين أو لأنهم في كرامة وهم في
مذلة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وإنما قال والذين اتقوا بعد قوله
الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى كان الناس أمة واحدة
متفقين على الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة
إدريس أو نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين أي فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف
لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وأنزل معهم الكتاب يريد به الجنس
لا يريد به أنه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب
من قبلهم بالحق حال من الكتاب أي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس أي الله أو النبي المبعوث
أو كتابه فيما اختلفوا فيه أي في الحق الذي اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم وما اختلف فيه
في الحق أو الكتاب إلا الذين أوتوه أي الكتاب المنزل لإزالة الخلاف أي عكسوا الأمر فجعلوا
ما أنزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
من الحق بيان لما اختلفوا فيه بإذنه بأمره أو بإرادته ولطفه والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة خاطب به النبي عليه السلام والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وأم منقطعة ومعنى
الهمزة فيها للإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد
مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء
بيان له على الاستئناف وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر
وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك مرض فلان حتى لا يرجونه متى نصر الله

استبطاء له لتأخره ألا إن نصر الله قريب استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافا
لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وفيه إشارة إلى أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنه أن عمرو بن الجموح الأنصاري كان هما
ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير فللوالدين
والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد
النفقة باعتباره ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما أنفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فإن الله به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيرا فإن الله يعلم
كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه
كالضعف والضعف أو بمعنى الإكراه على المجاز فإنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته أمه
كرها ووضعته كرها وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو
مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه
وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها
والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة
وإن لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته
على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة
معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم
وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عليه السلام العير والأسارى
وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة وهو أول غنيمة في الإسلام والسائلون هم
المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال
بتكرير العامل قل قتال فيه كبير أي ذنب كبير والأكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والأولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام
فإن قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد عن سبيل الله أي الإسلام أو ما يوصل
العبد إلى الله تعالى من الطاعات وكفر به أي بالله والمسجد الحرام على إرادة المضاف أي وصد المسجد الحرام
كقول أبي دؤاد أكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لأن عطف قوله

وكفر به عطف على صد ومنه مانع منه وان لا يتقدم العطف على الموصول في العطف على الصلة وكلاهما على الاوجه فانما
العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه السلام
والمؤمنون اكبر عند الله فاعلة السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل
كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق
بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي واعلم انهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفات
بالاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم
انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة
والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء
دون القطع موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط
رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا يا
رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها قوم ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد
سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله عليه السلام وقال عمر اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه
وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب
ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب
يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي
الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة

الفتيان وتوفير المال وتشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن
الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض
السهلة وهو ان ينفق ما تيسر بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا
اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال
هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف
في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل
القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح
والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى
لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم
فذكر لرسول الله عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من
مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط
الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد
واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما
يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم على ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من
المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان
تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها
وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات
وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة
المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر

المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم ○ والله ○ أي أولياؤه يعني المؤمنين حذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم ○ يدعو إلى الجنة والمغفرة ○ أي الاعتقاد والعمل الموصلين
إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة ○ بإذنه ○ بتوفيق الله وتيسيره أو بقضائه وإرادته ○ ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون ○ لكي يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى
○ ويسألونك عن المحيض ○ روي أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس
واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت
ولعله سبحانه إنما ذكره بغير واو ثلاثاً ثم بها ثلاثاً لأن السؤالات الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاث
الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع ○ قل هو أذى ○ أي الحيض شيء مستقذر مؤذ
من يقربه نفرة منه ○ فاعتزلوا النساء في المحيض ○ فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام إنما أمرتم أن تعتزلوا
مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط
النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعاراً
بأنه العلة ○ ولا تقربوهن حتى يطهرن ○ تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
صريحاً قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر يطّهّرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاماً قوله ○
فإذا تطهرن فأتوهن ○ فإنه يقتضي تأخر جواز الإتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة إن طهرت لأكثر الحيض جاز
قربانها قبل الغسل ○ من حيث أمركم الله ○ أي المأتى الذي أمركم به وحلله لكم ○ إن الله يحب التوابين ○ من الذنوب
○ ويحب المتطهرين ○ المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتى ○ نساؤكم حرث
لكم ○ مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور ○ فأتوا حرثكم ○ فأتوهن كما
تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله ○ أنى شئتم ○ من أي جهة شئتم روي أن اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فنزلت
تكذيباً لهم ○ وقدموا لأنفسكم ○ ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء ○
واتقوا الله ○ بالاجتناب عن معاصيه ○ واعلموا أنكم ملاقوه ○ فتزودوا ما لا تفتضحون به ○ وبشر المؤمنين
○ الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول عليه السلام أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
أمره منهم ○ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ○ نزلت في الصديق لما حلف أن لا
ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها أو في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية
على الأول لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور المحلوف عليها كقوله
عليه السلام لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع

صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون للتعليل ويتعلق أن
بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضاً لأيمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة النهي أي أنهاكم
عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون براً
متقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين ○ والله سميع ○ لأيمانكم ○ عليم ○ بنياتكم ○ لا يؤاخذكم الله
باللغو في أيمانكم ○ اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
أو تكلم به جاهلاً بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ○ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
○ والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان
وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا
يؤاخذكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم الكذب فيها ○ والله غفور ○ حيث لم يؤاخذكم
باللغو ○ حليم ○ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً للتوبة ○ للذين يؤلون من نسائهم ○ أي يحلفون
أن لا يجامعوهن والإيلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن ○ تربص
أربعة أشهر ○ مبتدأ ما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف أضيف إلى
الظرف على الاتساع أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا إيلاء
إلا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده ○ فإن فاءوا ○ رجعوا في اليمين بالحنث ○ فإن الله غفور رحيم ○ للمولي إثم
حنثه إذا كفر أو ما توخى بالإيلاء من إضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة ○ وإن عزموا الطلاق
وإن صمموا قصده ○ فإن الله سميع ○ لطلاقهم ○ عليم ○ بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الإيلاء في أربعة أشهر
فما فوقها وحكمه أن المولي إن فاء في المدة بالوطء إن قدر وبالوعد إن عجز صح الفيء ولزم الواطئ أن يكفر وإلا
بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه الحاكم ○ والمطلقات
○ يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن ○ خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله فكأن
المخاطب قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد ○
بأنفسهن ○ تهييج وبعث لهن على التربص فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها و
يحملنها على التربص ○ ثلاثة قروء ○ نصب على الظرفية أو المفعول به أي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء
يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الأعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به في الآية لأنه الدال على
براءة الرحم لا الحيض كما قال أبو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع

لا يكون في الحيض وقوله عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه
الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن
شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله تعالى بها أن تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر
بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر
ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ﴿ولا يحل لهن أن
يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ من الولد والحيض استعجالا في العدة وإبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على
أن قولها مقبول في ذلك ﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهن بل
التنبيه على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل ﴿وبعولتهن﴾ أي أزواج المطلقات
﴿أحق بردهن﴾ إلى النكاح والرجعة إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير أخص من
المرجوع إليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة
والخؤولة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به وأقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن
وأفعل ههنا بمعنى الفاعل ﴿في ذلك﴾ في زمان التربص ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ بالرجعة لا إضرار المرأة وليس
المراد منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾
أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
﴿وللرجال عليهن درجة﴾ زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والإنفاق ﴿والله عزيز﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام ﴿حكيم﴾ يشرعها لحكم
ومصالح ﴿الطلاق مرتان﴾ أي التطليق الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام سئل أين الثالثة فقال
أو تسريح بإحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة وكذا قال أبو حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلث
بدعة ﴿فإمساك بمعروف﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الأول ﴿أو تسريح بإحسان﴾
بالطلقة الثالثة أو بأن لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق
﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾ أي من الصدقات روي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عليه السلام وقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه
شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء
فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة
أصدقها والخطاب مع الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل إنه خطاب
للأزواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿إلا أن يخافا﴾ أي الزوجان

وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ بترك إقامة أحكامه من مواجب
الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ
تخافا وتقيما بتاء الخطاب ﴿فإن خفتم﴾ أيها الحكام ﴿ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾
على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت منه وعلى المرأة في إعطائه ﴿تلك حدود الله﴾ إشارة
إلى ما حد من الأحكام ﴿فلا تعتدوها﴾ فلا تتعدوها بالمخالفة ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾
تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة و
شقاق ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام أيما امرأة سألت
زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي أنه عليه السلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته
فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه السلام أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فإن المنع
عن العقد لا يدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه تعالى سماه افتداء واختلف في أنه إذا جرى بغير
لفظ الطلاق فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله ﴿فإن طلقها﴾ فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين
يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والأظهر أنه طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله أو تسريح بإحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين ﴿فلا تحل له من بعد﴾ من بعد ذلك الطلاق
﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن
المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله عليه السلام إن رفاعة
طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإن ما معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام أتريدين
أن ترجعي إلى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة
ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة
مع الكراهة وقد لعن رسول الله عليه السلام المحلل والمحلل له ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما أن
يتراجعا﴾ أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾
إن كان في ظنهما أنهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد
لأن عواقب الأمور غيب تظن ولا تعلم ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة للتوقع وهو
ينافي العلم ﴿وتلك حدود الله﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿يبينها لقوم يعلمون﴾ يفهمون ويعملون بمقتضى
العلم ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ آخر عدتهن والأجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الإنسان
وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد

بطال لا توقعه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه ﴿فأمسكوهن بمعروف أو
سرحوهن بمعروف﴾ اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن او خلوهن حتى تنقضي
عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام ﴿ولا تمسكوهن ضرارا﴾ ولا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها
فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين ﴿لتعتدوا﴾
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ﴿ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها للعقاب ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾ بالاعراض عنها
والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كأنه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده
وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت لاعبا فنزلت وعنه عليه السلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ التي من جملتها الهداية وبعثة
محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها ﴿وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنة افردهما
بالذكر اظهارا لشرفهما ﴿يعظكم به﴾ بما انزل عليكم ﴿واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم﴾
تأكيد وتهديد ﴿واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن﴾ اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين ﴿فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن﴾ المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت
في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون ذلك دليلا
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه
بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج ﴿اذا تراضوا بينهم﴾ اي الخطاب والنساء
وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن ﴿بالمعروف﴾ بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال من
الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفء غير منهي عنه ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كل
واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
عليه السلام على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد ﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ لانه المتعظ به والمنتفع ﴿ذلكم﴾ اي العمل
بمقتضى ما ذكر ﴿ازكى لكم﴾ انفع ﴿واطهر﴾ من دنس الآثام ﴿والله يعلم﴾ ما فيه من النفع والصلاح

﴿وانتم لا تعلمون﴾ لقصور علمكم ﴿والوالدات يرضعن اولادهن﴾ امر عبر عنه بالخبر للمبالغة
ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن
الاستئجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن ﴿حولين كاملين﴾
اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه ﴿لمن اراد ان يتم الرضاعة﴾ بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له اي للاب كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده وهو دليل على ان اقصى مدة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه ﴿وعلى المولود له﴾ اي الذي يولد له يعني
الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه ﴿رزقهن وكسوتهن﴾ اجرة لهن واختلف في استئجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح ﴿بالمعروف﴾ حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه
﴿لا تكلف نفس الا وسعها﴾ تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد
بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ تفصيل له وتقرير اي
لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل والفتح على
البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط
في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه
حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه ﴿وعلى الوارث
مثل ذلك﴾ عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد
بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي
من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل
وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة ﴿فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور﴾
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور وربما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة
والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته ﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك وانما اعتبر
تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض ﴿وان اردتم ان

تسترضعوا أولادكم أي تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها
إياه كقولك أنجح الله حاجتي واستنجحته إياها فحذف المفعول الأول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم
وإطلاقه يدل على أن للزوج أن يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الإرضاع إذا سلمتم إلى المراضع
ما آتيتم ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة وقرأ ابن كثير ما أتيتم من أتى إليه إحساناً
إذا فعله وقرئ أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة بالمعروف صلة سلمتم أي بالوجه
المتعارف المستحسن شرعاً وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الأولى والأصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال
والمراضع واعلموا أن الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً أي وأزواج الذين أو والذين يتوفون منكم
ويذرون أزواجاً يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون
آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط
ذهاباً إلى الأيام حتى إنهم يقولون صمت عشراً ويشهد له قوله إن لبثتم إلا عشراً ثم إن لبثتم إلا يوماً ولعل
المقتضي لهذا التقدير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أنثى
فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهاراً إذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم
اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي والحرة والأمة كما قاله الأصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للأمة والإجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن
أن يضعن حملهن وعن علي وابن عباس أنها تعتد بأقصى الأجلين احتياطاً فإذا بلغن أجلهن
انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة أو المسلمون جميعاً فيما فعلن في أنفسهن من
التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه
أنهن لو فعلن ما ينكره فعليهم أن يكفوهن فإن قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير
فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح إيهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتك لأسلم عليك والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة
غير أن المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض
خطبتها أن يقول لها إنك جميلة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك أو أكننتم في أنفسكم
أو أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف علم الله أنكم ستذكرونهن ولا تصبرون على
السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سراً استدراك

عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحاً أو جماعاً عبر بالسر
عن الوطء لأنه مما يسر ثم عن العقد لأنه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن نكاحاً أو جماعاً في السر على
أن المعنى بالمواعدة بالسر المواعدة بما يستهجن إلا أن تقولوا قولاً معروفاً وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف أي لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة أو إلا
مواعدة بقول معروف وقيل إنه استثناء منقطع من سراً وهو ضعيف لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن
إلا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها إن كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والأظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح
ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا
عقدة النكاح فإن أصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب أجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا
أن الله يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا أن الله
غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم
لا تبعة من مهر وقيل من وزر لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عليه السلام
يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه حرجاً فنفي إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أي تجامعوهن
أو تفرضوا لهن فريضة إلا أن تفرضوا أو حتى تفرضوا أو وتفرضوا والفرض تسمية المهر
وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية ويحتمل
المصدر والمعنى أنه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهراً إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها
نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الأولى ومفهومها يقتضي الوجوب على
الجملة في الأخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب
المتعة جبر إيحاش الطلاق وتقديرها مفوض إلى رأي الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره أي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به
ويدل عليه قوله عليه السلام لأنصاري طلق امرأته المفوضة قبل أن يمسها متعها ولو بقلنسوتك
وقال أبو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال إلا أن يقل مهر مثلها عن ذلك فلها
نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج
وألحق بها الشافعي في أحد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم
متاعاً تمتيعاً بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقاً صفة لمتاعاً
أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً على المحسنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال

اولى المطلقات بالتمتيع وتسماهم محسنين للمشاكلة ترغيباً وتحريضاً ۝ وان طلقتموهن من
قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ۝ لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان
المتعة مع التشطير لا تجب لقسيمتها ۝ الا ان يعفون ۝ اى المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل
التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل
والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه ۝ او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح ۝ اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها
كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي ۝ وان تعفوا
اقرب للتقوى ۝ يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند
التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فان لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن
مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ۝
ولا تنسوا الفضل بينكم ۝ اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ۝ ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع تفضلكم واحسانكم ۝ حافظوا على الصلوات ۝ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها ۝
والصلوة الوسطى ۝ اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة
اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان اشق الصلوات
عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد
ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي النهار وعن عائشة انه عليه السلام
كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها
بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص ۝ وقوموا لله ۝ في الصلوة ۝ قانتين ۝ ذاكرين له في قيامكم
والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح ۝
فان خفتم ۝ من عدو او غيره ۝ فرجالا او ركبانا ۝ فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل
وقيل معناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي

وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف ۝ فاذا امنتم ۝ وزال الخوف
۝ فاذكروا الله ۝ صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن ۝ كما علمكم ۝ ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع
وكيفية الصلوة حالتي الامن والخوف او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ۝ ما لم تكونوا تعلمون
۝ مفعول علمكم ۝ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم ۝ وقرأ ابو عمرو وابن
عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او
كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم
متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها ۝ متاعا الى الحول ۝
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ بدل وصية لانه بمعنى التمتيع
۝ غير اخراج ۝ بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي
غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان
كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة
عندنا خلافا لابي حنيفة ره ۝ فان خرجن ۝ عن منزل الازواج ۝ فلا جناح عليكم ۝ ايها الائمة فيما فعلن
في انفسهن ۝ كالتطيب وترك الحداد ۝ من معروف ۝ مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن
يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين
الخروج وتركها ۝ والله عزيز ۝ ينتقم ممن خالفه منهم ۝ حكيم ۝ يراعي مصالحهم ۝ وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين ۝ اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن
بالحكم بالحقيقة الا انا خصصنا بتخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره
بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد
والتكرير للتاكيد ۝ كذلك ۝ اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة ۝ يبين الله لكم آياته
۝ وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا ۝ لعلكم تعقلون ۝
لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها ۝ الم تر ۝ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب
التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب ۝ الى الذين خرجوا من ديارهم
۝ يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم
ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم ۝ وهم الوف ۝ اى الوف كثيرة قيل عشرة

وقيل ثمانون وقيل سبعون وقيل متآلفون جمع ألف أو آلف كقاعد وقعود والواو للحال
حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى
أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وإنما أسند إلى الله
تخويفا وتهويلا ثم أحياهم بل مر حزقيل على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
أوصالهم فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه ناد فيهم أن قوموا بأمر الله فنادى فقاموا يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وفائدة القصة تشجيع المؤمنين على الجهاد والتعرض
للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء إن الله لذو فضل على الناس حيث
أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن أكثر الناس لا يشكرون كما
ينبغي ويجوز أن يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله
لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص وأن المقدر لا محالة واقع أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم
ففي سبيل الله وإلا فالنصر والثواب واعلموا أن الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق
عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهام مرفوع
الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب
قرضا حسنا إقراضا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض
الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله تعالى فيضاعفه له فيضاعف جزاءه أخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فإن من ذا الذي يقرض الله في معنى
أيقرض الله أحد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب أضعافا كثيرة
لا يقدرها إلا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير
المنصوب أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا
عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم ألم تر إلى الملإ من بني
إسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى
من بعد وفاته ومن للابتداء إذ قالوا لنبي لهم هو يوشع أو شمعون أو اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله أقم لنا أميرا ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم فأدخل هل على الفعل المتوقع

مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا أو تثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما
لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي أي غرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الإخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد وذلك أن جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني إسرائيل
فأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين فلما
كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت
ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه وروي أن نبيهم لما دعا
أن يملكهم أتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قالوا أنى يكون له الملك
علينا من أين يكون ذلك ويستأهل ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال أنا
أحق بالملك وراثة ومكنة وأنه فقير لا مال له يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن طالوت كان فقيرا راعيا
أو سقاء أو دباغا من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وإنما كانت النبوة في أولاد
يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم
أولا بأن العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بأن
الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم
خطرا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده
فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه
من يشاء ورابعا بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره
وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على أنه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم إن آية ملكه
أن يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فإنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وليس
بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للإتيان أي في إتيانه
سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة وكان موسى إذا
قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم

بنبوة . ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار
بعد ان لم يكن ○ وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون ○ رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء
عمهما ○ تحمله الملائكة ○ قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع
انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ○ ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ○ يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون
ابتداء خطاب من الله تعالى ○ فلما فصل طالوت بالجنود ○ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله
فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم
نهرا ○ قال ان الله مبتليكم بنهر ○ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ○ فمن شرب منه فليس مني ○
فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ○ ومن لم يطعمه فانه مني ○ اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه
ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم طالوت ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام ○ الا من اغترف غرفة بيده ○ استثناء من قوله فمن شرب
منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير ○ فشربوا منه الا قليلا منهم ○ فكرعوا فيه
اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب
الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل منهم كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ○ فلما
جاوزه هو والذين آمنوا معه ○ اي القليل الذين لم يخالفوه ○ قالوا ○ اي بعضهم لبعض ○ لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده ○ لكثرتهم وقوتهم ○ قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله ○ قال الخلص منهم الذين
تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل
والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل فكانهم تقاولوا
به والنهر بينهما ○ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ○ بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام
والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع

جمعت الآية على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان محمدا عليه السلام افضل ...

فوزنها فعة او فلة ○ والله مع الصابرين ○ بالنصر والاثابة ○ ولما برزوا لجالوت وجنوده
○ اي ظهروا لهم ودنوا منهم ○ قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين ○ التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب
عليهما غالبا ○ فهزموهم باذن الله ○ فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اجابة لدعائهم
○ وقتل داود جالوت ○ قيل كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه
طالوت بنته ○ وآتاه الله الملك ○ اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك
○ والحكمة ○ النبوة ○ وعلمه مما يشاء ○ كالسرد وكلام الدواب والطير ○ ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ○ ولولا انه تعالى يدفع
بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت
بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله ○ تلك آيات الله ○ اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت ○ نتلوها عليك بالحق
○ بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ ○ وانك لمن المرسلين
○ لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع ○ تلك الرسل ○ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في
السورة او المعلومة للرسول عليه السلام او جماعة الرسل واللام للاستغراق ○ فضلنا بعضهم على
بعض ○ بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره ○ منهم من كلم الله ○ تفصيل له وهو موسى وقيل موسى
ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى
وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم
الله بمعنى مكالمه ○ ورفع بعضهم درجات ○ بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة
وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا
الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل ○ وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس ○ خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته
سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ○ ولو شاء الله ○ هدى الناس

ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الأنبياء تفضلا عليه ومنهم من كفر لإعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الأنبياء متفاوتة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا إيمانا كان أو كفرا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ما أوجبت عليكم إنفاقه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وإيذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بأمره إذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فإن من أخذه نعاس أو نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له ملك السموات والأرض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عنادا أو مناصبة يعلم ما بين أيديهم

وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموا وعطفه على ما قبله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والأرض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد فكأنه منسوب إلى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج حفظهما أي حفظ السموات والأرض فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول وهو العلي المتعالي عن الأشباه والأنداد العظيم المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الإلهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له العالم وحده بالأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح أن يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله لا إكراه في الدين إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه لكن قد تبين الرشد من الغي تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلبا للفوز والنجاة ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء وقيل

في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم
قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن
عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ﴿ويؤمن بالله﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل
﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم ﴿لا انفصام لها﴾ لا انقطاع لها
يقال فصمته فانفصم اذا كسرته ﴿والله سميع﴾ بالاقوال ﴿عليم﴾ بالنيات ولعله تهديد على النفاق
﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
﴿يخرجهم﴾ بهدايته وتوفيقه ﴿من الظلمات﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس
والشبه المؤدية الى الكفر ﴿الى النور﴾ الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال
المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية ﴿والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت﴾ اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما ﴿يخرجونهم
من النور الى الظلمات﴾ من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته وارادته به
﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين
تعظيم لشأنهم ﴿الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه﴾ تعجيب من محاجة نمرود وحماقته
﴿ان آتاه الله الملك﴾ اي لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا
على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو
حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة ﴿اذ قال ابراهيم﴾ ظرف لحاج او بدل
من ان آتاه الله على الوجه الثاني ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ بخلق الحياة والموت في الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء ﴿قال انا احيي واميت﴾ بالعفو عن القتل والقتل ﴿قال ابراهيم
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن
مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك

وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له
من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه ﴿فبهت الذي كفر﴾ فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب
ابراهيم الكافر ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول
الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة ﴿او كالذي
مر على قرية﴾ تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة
وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي
حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي
فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود
والقرية هي بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما
واشتقاقها من القري وهو الجمع ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
﴿قال انى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف ﴿فاماته الله مائة عام﴾ فألبثه ميتا مائة عام او اماته الله
فلبث ميتا مائة عام ﴿ثم بعثه﴾ بالاحياء ﴿قال كم لبثت﴾ القائل هو الله وساغ ان
يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي ﴿قال
لبثت يوما او بعض يوم﴾ كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب
﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم
يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان
الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل
على حاله ﴿وانظر الى حمارك﴾ كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه
بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده
﴿ولنجعلك آية للناس﴾ اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية للناس روي انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة

وانظر إلى العظام يعني عظام الحمار أو الأموات الذين تعجب من إحيائهم كيف
ننشزها كيف نحييها أو نرفع بعضها إلى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال
من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها من أنشر الله
الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره
ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما يفسره ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الأمر والآمر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت وإذ قال إبراهيم
رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ أنا أحيي وأميت
قال إن إحياء الله برد الروح إلى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل
إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم
تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أعرق الناس
في الإيمان ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت
ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي والاستدلال قال فخذ
أربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه إيماء إلى
أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
إلى الهوى الموسوم بها الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان والطير
مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها
لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن أطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية
وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك
رؤوسها ويخلط سائر أجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى
صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية
فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه

مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم عليه السلام
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر
الوجوه وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام واعلم أن الله عزيز لا يعجز عما يريده
حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أنبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء
على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة
مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه
وتعبه ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به
من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا
يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى نزلت في عثمان فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي عليه السلام بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد
بإحسانه على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين
الإنفاق وترك المن والأذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل
الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاما بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم
إذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة أو نيل مغفرة من الله
بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما
صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن الإنفاق بمن وإيذاء حليم عن معاجلة
من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى لا تحبطوا
أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كإبطال
المنافق الذي يرائي بإنفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف
في محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر
أي إنفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في إنفاقه كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا
لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس
أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير

تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها
﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم﴾ وتثبيتا بعض أنفسهم
على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال ﴿كمثل جنة بربوة﴾ أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء
كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة
بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها ﴿أصابها وابل﴾ مطر عظيم القطر ﴿فآتت أكلها﴾
ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ﴿ضعفين﴾ مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله
ونصبه على الحال أي مضاعفا ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي فيصيبها أو فالذي يصيبها طل أو فطل
يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى أن نفقات هؤلاء
زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحوال ويجوز أن
التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل
والطل ﴿والله بما تعملون بصير﴾ تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص ﴿أيود أحدكم﴾
الهمزة فيه للإنكار ﴿أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات﴾
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها
كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع
﴿وأصابه الكبر﴾ أي كبر السن فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف حملا
على المعنى وكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ صغار
لا قدرة لهم على الكسب ﴿فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ عطف على أصابه أو تكون باعتبار المعنى
والإعصار ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل
الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرياء وإيذاء في الحسرة والأسف فإذا كان يوم القيامة
واشتدت حاجته إليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت
وترقى بفكره إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الحق
وجعل سعيه هباء منثورا ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ أي تتفكرون فيها
فتعتبرون بها ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ من حلاله أو جياده
﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ أي ومن طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف

روي عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال خرج علينا رسول الله عليه السلام وفي المسجد وبيده عصا وقد علق رجل منا قنو حشف فجعل رسول الله عليه السلام يطعن القنو بعصاه ويقول لو أن صاحب هذا لو شاء تصدق بأطيب من هذا ثم قال إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة فمن ابتغى وجه الله في تصدقه فلا ينبغي أن يتصدق بردائة ماله — شيخ زاده

المضاف لتقدم ذكره ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ ولا تقصدوا الرديء ﴿منه﴾ أي من المال أو
مما أخرجنا وتخصيصه بذلك لأن التفاوت فيه أكثر وقرئ ولا تأمموا ومن لا تيمموا بضم التاء
﴿تنفقون﴾ حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز أن يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة
حالا منه ﴿ولستم بآخذيه﴾ أي وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾
إلا أن تتسامحوا فيه مجاز من أغمض بصره إذا غضه وقرئ تغمضوا أي تحملوا على الإغماض
أو توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم ﴿حميد﴾ بقبوله وإثابته
﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ في الإنفاق والوعد في الأصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر
بضم الفاء والسكون وبضمتين وفتحتين ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ ويغريكم على البخل والعرب تسمي
البخيل فاحشا وقيل المعاصي ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ أي يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم
﴿وفضلا﴾ خلفا أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة ﴿والله واسع﴾ أي واسع الفضل
لمن أنفق ﴿عليم﴾ بإنفاقه ﴿يؤتي الحكمة﴾ تحقيق العلم وإتقان العمل ﴿من يشاء﴾ مفعول
أول أخر للاهتمام بالمفعول الثاني ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ بناؤه للمفعول لأنه المقصود وقرأ
يعقوب بالكسر أي ومن يؤته الله ﴿فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ أي أي خير كثير إذ حيز له خير الدارين
﴿وما يذكر﴾ وما يتعظ بما قص من الآيات أو وما يتفكر فإن المتفكر كالمتذكر لما أودع الله في قلبه
من العلوم بالقوة ﴿إلا أولو الألباب﴾ ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
إلى متابعة الهوى ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قليلة أو كثيرة سرا أو علانية في حق أو باطل
﴿أو نذرتم من نذر﴾ بشرط أو بغير شرط في طاعة أو معصية ﴿فإن الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه
﴿وما للظالمين﴾ الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور
﴿من أنصار﴾ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾
فنعم شيئا إبداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الأصل
﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ أي تعطوها مع الإخفاء ﴿فهو خير لكم﴾ فالإخفاء خير لكم
وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن إبداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهمة عن ابن عباس
صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص
بالياء أي والله يكفر أو الإخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش
ويعقوب بالنون مرفوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أي

نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات ۝ والله بما تعملون خبير ۝ ترغيب في الإسرار ۝ ليس عليك هداهم
لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وإنما عليك الإرشاد والحث على المحاسن والنهي عن
القبائح كالمن والأذى وإنفاق الخبيث ۝ ولكن الله يهدي من يشاء ۝ صريح بأن الهداية
من الله وبمشيئته وأنها تخص بقوم دون قوم ۝ وما تنفقوا من خير ۝ من نفقة معروفة ۝ فلأنفسكم
۝ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث ۝ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ۝
حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم غير منفقين إلا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه أو عطف
على ما قبله أي وليس نفقتكم إلا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي
۝ وما تنفقوا من خير يوف إليكم ۝ ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو ما يخلف
للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي أن ناسا من المسلمين كانت
لهم أصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفقوهم فنزلت وهذا في
غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكافر ۝ وأنتم لا تظلمون ۝ أي لا تنقصون ثواب نفقتكم
۝ للفقراء ۝ متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء ۝
الذين أحصروا في سبيل الله ۝ أحصرهم الجهاد ۝ لا يستطيعون ۝ لاشتغالهم به ۝ ضربا في الأرض
۝ ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة
المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله عليه السلام
۝ يحسبهم الجاهل ۝ بحالهم ۝ أغنياء من التعفف ۝ من أجل تعففهم عن السؤال ۝ تعرفهم بسيماهم
۝ من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد ۝ لا يسألون الناس
إلحافا ۝ إلحاحا وهو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من
فضل ما عنده والمعنى أنهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للأمرين
على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فإنه كنوع من السؤال أو على الحال ۝ وما تنفقوا
من خير فإن الله به عليم ۝ ترغيب في الإنفاق وخصوصا على هؤلاء ۝ الذين ينفقون أموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية ۝ أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير نزلت في أبي بكر الصديق
تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية
وقيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا
ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها ۝ فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف و

والخبر محذوف أي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية ۝ الذين يأكلون الربا
۝ أي الآخذون له وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المطعومات
وهو زيادة في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى أجل أو في العوض بأن يباع أحدهما
بأكثر منه من جنسه وإنما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو
الجمع ۝ لا يقومون ۝ أي إذا بعثوا من قبورهم ۝ إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ۝ إلا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط ضرب على غير
اتساق كخبط عشواء ۝ من المس ۝ أي الجنون وهذا أيضا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله
ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكل الربا
أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لأن الله أربى
في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم ۝ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ۝ أي ذلك العقاب بسبب
أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الأصل إنما الربا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فإن من
أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس
الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن ۝ وأحل الله البيع وحرم الربا ۝ إنكار
لتسويتهم وإبطال للقياس لمعارضته النص ۝ فمن جاءه موعظة من ربه ۝ فمن بلغه وعظ من الله
وزجر كالنهي عن الربا ۝ فانتهى ۝ فاتعظ وتبع النهي ۝ فله ما سلف ۝ تقدم أخذه التحريم ولا يسترد
منه وما في موضع الرفع بالظرف إن جعلت من موصولة وبالابتداء إن جعلت شرطية على رأي سيبويه
إذ الظرف غير معتمد على ما قبله ۝ وأمره إلى الله ۝ يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ۝ ومن عاد ۝ إلى تحليل الربا إذ الكلام
فيه ۝ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝ لأنهم كفروا به ۝ يمحق الله الربا
۝ يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ۝ ويربي الصدقات ۝ يضاعف ثوابها
ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه السلام إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم
مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط ۝ والله لا يحب ۝ لا يرتضي ولا يحب محبته
للتوابين ۝ كل كفار ۝ مصر على تحليل المحرمات ۝ أثيم ۝ منهمك في ارتكابه ۝ إن الذين آمنوا
۝ بالله ورسله وبما جاءهم منه ۝ وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ۝
عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال ۝ لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ۝
من آت ۝ ولا هم يحزنون ۝ على فائت ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربو

وذروا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به. روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به، وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم من الإذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم، وتنكير حرب للتعظيم، وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره. روي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله ﴿وإن تبتم﴾ من الارتباء واعتقاد حله ﴿فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون﴾ بأخذ الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بالمطل والنقصان، ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رؤس مالهم وهو سديد على ما قلناه إذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ وإن وقع غريم ذو عسرة، وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة ﴿فنظرة﴾ فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الإنظار، وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب، وفناظره على الأمر أي فسامحه بالنظرة ﴿إلى ميسرة﴾ يسار، وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة، وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله: وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا ﴿وأن تصدقوا﴾ بالإبراء، وقرأ عاصم بتخفيف الصاد ﴿خير لكم﴾ أكثر ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه، وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ يوم القيمة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم إليه، وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب. وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول الله عليه السلام بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلث ساعات ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ أي إذا داين بعضكم بعضا، تقول داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا، وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه ﴿إلى أجل مسمى﴾ معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج ﴿فاكتبوه﴾ لأنه أوثق وأدفع للنزاع، والجمهور على أنه استحباب، وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا أباح السلف ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾

من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص، وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ﴿ولا يأب كاتب﴾ ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أن يكتب كما علمه الله﴾ مثل ما علمه من كتبة الوثائق، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك ﴿فليكتب﴾ تلك الكتابة المعلمة، أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا، ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾ وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه، والإملال والإملاء واحد ﴿وليتق الله ربه﴾ أي المملي والكاتب ﴿ولا يبخس﴾ ولا ينقص ﴿منه شيئا﴾ أي من الحق أو مما أملى عليه ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها﴾ ناقص العقل مبذرا ﴿أو ضعيفا﴾ صبيا أو شيخا مختلا ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس أو جهل باللغة ﴿فليملل وليه بالعدل﴾ أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم إن كان صبيا أو مختل عقل أو وكيل أو مترجم إن كان غير مستطيع، وهو دليل جريان النيابة في الإقرار، ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل ﴿واستشهدوا شهيدين﴾ واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان ﴿من رجالكم﴾ من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود، وإليه ذهب عامة العلماء، وقال أبو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ فإن لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ فليشهد أو فالمستشهد رجل وامرأتان، وهذا مخصوص بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ لعلمكم بعدالتهم ﴿أن تضل إحديهما فتذكر إحديهما الأخرى﴾ علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحديهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى، والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته ونظيره قولهم أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه، وكأنه قيل إرادة أن تذكر إحديهما الأخرى إن ضلت، وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن، وقرأ حمزة إن تضل على الشرط فتذكر بالرفع، وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الإذكار ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ لأداء الشهادة أو التحمل، وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع، وما مزيدة ﴿ولا تسأموا﴾ ولا تملوا من كثرة مدايناتكم ﴿أن تكتبوه﴾ الدين أو الحق أو الكتاب، وقيل كنى بالسأم عن الكسل لأنه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت ﴿صغيرا أو كبيرا﴾ صغيرا كان الحق أو كبيرا، أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا ﴿إلى أجله﴾ إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى أن تكتبوه ﴿أقسط عند الله﴾ أكثر قسطا ﴿وأقوم﴾

فشهادة ﴿و﴾ أثبت لها وأعون على إقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير قياس
أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده ﴿و
أدنى ألا ترتابوا﴾ وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود
ونحو ذلك ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾
استثناء عن الأمر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين وإدارتها بينهم تعاطيهم
إياها يدا بيد أي إلا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا ورفعها الباقون على أنها
الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ هذا التبايع أو مطلقا
لأنه أحوط والأوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الأئمة وقيل إنها للوجوب ثم اختلف
في إحكامها ونسخها ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ يحتمل البناءين ويدل عليه أنه قرئ
ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة
أو النهي عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله
والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وإن تفعلوا﴾ الضرار أو ما نهيتم عنه ﴿فإنه فسوق بكم﴾
خروج عن الطاعة لاحق بكم ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ أحكامه
المتضمنة لمصالحكم ﴿والله بكل شيء عليم﴾ كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فإن
الأولى حث على التقوى والثانية وعد بإنعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولأنه أدخل في التعظيم
من الكناية ﴿وإن كنتم على سفر﴾ أي مسافرين ﴿ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾
فالذي يستوثق به رهان أو فعليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في
الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين
صاعا من شعير أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي
هو مظنة إعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن
كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بإسكان الهاء على التخفيف ﴿فإن أمن
بعضكم بعضا﴾ أي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان
﴿فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ أي دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ
الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزة
في حكمها فلا تدغم ﴿وليتق الله ربه﴾ في الخيانة وإنكار الحق وفيه مبالغات ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾

أيها الشهود والمديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾
أي يأثم قلبه أو قلبه يأثم والجملة خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان يقترفه و
نظيره العين زانية والأذن زانية أو للمبالغة فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال
وكأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب
كحسن وجهه ﴿والله بما تعملون عليم﴾ تهديد ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾
خلقا وملكا ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعذاب عليه ﴿يحاسبكم به الله﴾ يوم القيامة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة
والروافض ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ مغفرته ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب
التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا
على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها بدلا عنه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وإدغام الراء في اللام لحن إذ الراء لا تدغم
إلا في مثلها ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الإحياء والمحاسبة ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه
من ربه﴾ شهادة وتنصيص من الله على صحة إيمانه والاعتداد به وأنه جازم في أمره غير شاك فيه
﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا إلى الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير
للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه أو
لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن
أو الجنس والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل
الكتاب أكثر من الكتب ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ أي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب
لا يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل أتوه داخرين وأحد
في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين
والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب ﴿وقالوا سمعنا﴾ أجبنا ﴿وأطعنا﴾ أمرك
﴿غفرانك ربنا﴾ اغفر غفرانك أو نطلب غفرانك ﴿وإليك المصير﴾ المرجع بعد الموت
وهو إقرار منهم بالبعث ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ إلا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة
أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيها طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو
يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه ﴿لها ما كسبت﴾ من خير ﴿وعليها
ما اكتسبت﴾ من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب

بالشر لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه فكانت أجدّ في
تحصيله وأعمل بخلاف الخير ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ أي لا تؤاخذنا بما
أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة أو بأنفسهما إذ لا تمتنع المؤاخذة بهما
عقلاً فإن الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدّي إلى الهلاك وإن كان خطأ فتعاطي
الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة
وفضلاً فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة واعتداداً بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم
قوله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ عبئاً ثقيلاً يأصر صاحبه
أي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة ﴿كما حملته على
الذين من قبلنا﴾ حملاً مثل حملك إياه من قبلنا أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصراً والمراد
به ما كلّف بنو إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا
به﴾ من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بالإيطاق وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول
ثانٍ ﴿واعف عنا﴾ وامح ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ واستر عيوبنا ولا تفضحنا
بالمؤاخذة ﴿وارحمنا﴾ وتعطف بنا وتفضل علينا ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا
﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ فإن من حق المولى أن ينصر مواليه على الأعداء أو المراد به
عامة الكفرة روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه
السلام أنزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ
الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة
البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام البقرة
سنام القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

ما البطلة قال السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم الله لا إله إلا هو﴾ إنما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن
يوقف كغيرها واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فإنه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم
يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الأصل ﴿الحي القيوم﴾ روي أنه عليه السلام قال إن اسم الله الأعظم

في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي
طه وعنت الوجوه للحي القيوم ﴿نزل عليك الكتاب﴾ أي القرآن نجوماً ﴿بالحق﴾ بالعدل أو
بالصدق في أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من الكتب
﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل
تعسف لأنهما أعجميان ويؤيد ذلك أنه قرئ الأنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية
﴿من قبل﴾ من قبل تنزيل القرآن ﴿هدى للناس﴾ على العموم إن قلنا إنا متعبدون بشرائع
من قبلنا وإلا فالمراد به قومهما ﴿وأنزل الفرقان﴾ يريد به جنس الكتب الإلهية فإنها فارقة
بين الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً وإظهاراً للفضل
من حيث إنه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً ويتميز بأنه معجز يفرق بين الحق والباطل أو المعجزات
﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ من كتبه المنزلة وغيرها ﴿لهم عذاب شديد﴾ بسبب كفرهم
﴿والله عزيز﴾ غالب لا يمنع من التعذيب ﴿ذو انتقام﴾ لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة
المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة
في إثبات النبوة تعظيماً للأمر وزجراً عن الإعراض عنه ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا
في السماء﴾ أي شيء كائن في العالم كلياً كان أو جزئياً إيماناً أو كفراً فعبر عنه بالسماء والأرض إذ
الحس لا يتجاوزهما وإنما قدم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى ولأن المقصود بالذكر ما اقترف فيها
وهو كالدليل على كونه حياً وقوله ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ أي من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه عالم بإتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوّركم أي صوركم لنفسه وعبادته ﴿لا إله إلا هو﴾ إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل
ما يفعله ﴿العزيز الحكيم﴾ إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى
كان رباً فإن وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة من أولها إلى نيف وثمانين
آية تقريراً لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ أحكمت
عبارتها بأن حفظت من الاحتمال ﴿هن أم الكتاب﴾ أصله يرد إليها غيرها والقياس أمهات
فأفرد على تأويل كل واحدة أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة ﴿وأخر متشابهات﴾ محتملات لا يتضح مقصودها
لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها
وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات وأما قوله الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من
فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتاباً متشابهاً فمعناه أنه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ

واُخَر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرّف ولم يعرّف لا انه في معنى المعرّف او عن آخر من ﴿فاما الذين في قلوبهم
زيغ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ فيتعلقون بظاهره او بتأويل
باطل ﴿ابتغاء الفتنة﴾ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه ﴿وابتغاء تأويله﴾ وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي
الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني
يلائم الجاهل ﴿وما يعلم تأويله﴾ الذي يجب ان يحمل عليه ﴿الا الله والراسخون في العلم﴾ الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد ﴿يقولون آمنا به﴾ استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر
ان جعلته مبتدأ ﴿كل من عند ربنا﴾ اي كل من المتشابه والمحكم من عنده ﴿وما يذكر الا اولوا
الالباب﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح
بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو
اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه مصوره في الرحم و
المصور لا يكون اب المصوَّر ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا
تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه وقال عليه السلام قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿بعد اذ هديتنا﴾ الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ
في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب ﴿انك انت الوهاب﴾ لكل سؤل
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء
﴿ربنا انك جامع الناس ليوم﴾ لحساب يوم او لجزائه ﴿لا ريب فيه﴾ في وقوع اليوم وما فيه
من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل
﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب و
استدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما

هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ﴿ان الذين كفروا﴾ عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او
اليهود او مشركو العرب ﴿لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا﴾ اي من رحمته
او طاعته على معنى البدلية او من عذابه ﴿واولئك هم وقود النار﴾ حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل
وقودها ﴿كدأب آل فرعون﴾ متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل على الخبرية وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في
الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن
﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على آل فرعون وقيل استئناف ﴿كذبوا بآياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم﴾ حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من
قبلهم ﴿والله شديد العقاب﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة ﴿قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم﴾ اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر
وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد يوم بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل
بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن
الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي
لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿وبئس المهاد﴾ تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره
بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم ﴿قد كان لكم آية﴾ الخطاب لقريش او اليهود وقيل
للمؤمنين ﴿في فئتين التقتا﴾ يوم بدر ﴿فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم﴾ يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او
مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم
وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون
المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله تعالى
في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء
للمفعول اي يريهم الله اياهم او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على
الاختصاص او الحال من فاعل التقتا ﴿رأي العين﴾ رؤية ظاهرة معاينة ﴿والله يؤيد بنصره
من يشاء﴾ نصره كما ايد اهل بدر ﴿ان في ذلك﴾ اي التقليل والتكثير او غلبة القليل العديم
العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا لحملها وتحمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول
عليه السلام ﴿لعبرة لاولي الابصار﴾ لعظة لاولي البصائر وقيل لمن ابصرهم ﴿زين للناس حب﴾

الشهوات ⊙ اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا
شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه
ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب
التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم ⊙
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
⊙ بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف
في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من
السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ⊙
ذلك متاع الحياة الدنيا ⊙ اشارة الى ما ذكر ⊙ والله عنده حسن المآب ⊙ اي المرجع
وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية ⊙ قل
اؤنبئكم بخير من ذلكم ⊙ يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا ⊙ للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ⊙ استئناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير ⊙
وازواج مطهرة ⊙ مما يستقذر من النساء ⊙ ورضوان من الله ⊙ قرأه عاصم في رواية ابي بكر
بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان
⊙ والله بصير بالعباد ⊙ اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان
من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها ⊙ الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار ⊙ صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وترتيب السؤال على مجرد
الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها ⊙ الصابرين والصادقين و
القانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ⊙ حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع
الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها
وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى
والروع اجمع سيما للمتهجدين وقيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون بالاسحار ويدعون

⊙ شهد الله انه لا اله الا هو ⊙ بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات
الناطقة بها ⊙ والملائكة ⊙ بالاقرار ⊙ واولو العلم ⊙ بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه
ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد ⊙ قائما بالقسط ⊙ مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها
حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته
صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف ⊙ لا اله الا
هو ⊙ كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله
⊙ العزيز الحكيم ⊙ فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته و
رفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ⊙ ان الدين عند الله الاسلام ⊙
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع
الذي جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما ⊙ وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب ⊙ من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا
في امر عيسى ⊙ الا من بعد ما جاءهم العلم ⊙ اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم
بالايات والحجج ⊙ بغيا بينهم ⊙ حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر
⊙ ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب ⊙ وعيد لمن كفر منهم ⊙ فان حاجوك ⊙ في الدين
وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج ⊙ فقل اسلمت وجهي لله ⊙ اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها
غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ⊙ ومن اتبعن ⊙ عطف على التاء في اسلمت
وحسن للفصل او مفعول معه ⊙ وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ⊙ الذين لا كتاب لهم كمشركي
العرب ⊙ ااسلمتم ⊙ كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره فهل انتم منتهون

وفيه تعيير بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ
وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين في عصره عليه السلام قتل اولوهم الانبياء واتباعهم وهم رضوا به
وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة
ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير
معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب
يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلوات الله وسلامه عليه
كتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال
عليه السلام هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على
البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة
وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية
ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون
الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل

اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك
يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتنتزع ممن تشاء
وتستره فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار
والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات
والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب
او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيه المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله عليه السلام
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل
في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة
فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج
الدخول في مضيق وايلاج الليل في النهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوانات
من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله
او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة
الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك
اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة
المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى

بمعنى تحذروا أو تخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا أو باطنا في الأوقات
كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى كن وسطا وامش جانبا
﴿ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه فلا
يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أي إنه يعلم
ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها ﴿ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾
فيعلم سركم وعلانيتكم ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لأنها متصفة بعلم ذاتي
محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية
إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم
تجد فيه صحائف أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا
بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما
عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية
ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾
كرره للتوكيد والتذكير ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم
رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه ﴿قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على
ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو
من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما
يقربه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته ﴿يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ جواب للأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب عن
قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على
طريق الاستعارة أو المقابلة ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه
روي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا
إنما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه السلام أنهم يحبون الله فأمروا أن
يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ يحتمل المضي والمضارعة

يعني فإن تتولوا ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا
يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر وأنه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وأن محبته مخصوصة
بالمؤمنين ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾
بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب
طاعة الرسل وبين أنها الجالبة لمحبته عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على
فضلهم على الملائكة وآل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام
وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب أو عيسى وأمه
بنت عمران بن ماثان بن العازار بن يوزن بن ازابيل بن سالبان بن يوحنا بن اوشا
ابن اموص بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا
ابن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد
ابن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة
سنة ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أي أنهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت ﴿والله
سميع عليم﴾ بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة
عمران عليم بنيتها ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني﴾ فينتصب به إذ
وقيل بإضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم أكبر من هارون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته إيشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الأب روي أنها كانت عاقرا عجوزا فبينما
في ظل شجرة إذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا
إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكرا ﴿محررا﴾
معتقا لخدمته لا أشغله بشيء أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال ﴿فتقبل مني﴾ ما نذرته
﴿إنك أنت السميع العليم﴾ لقولي ونيتي ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى﴾
الضمير لما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لأن تأنيثها علم منه فإن الحال
وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وإنما قالته تحسرا وتحزنا إلى
ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره ﴿والله أعلم بما وضعت﴾

بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن
عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي ولعل لله فيه سرا أو
كان خيرا أو قرئ وضعتِ على خطاب الله لها ○ وليس الذكر كالأنثى ○ بيان لقوله والله أعلم أي
الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والأنثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس ○ وإني سميتها مريم ○ عطف على ما قبلها من
مقالها وما بينهما اعتراض وإنما ذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبا لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون
فعلها مطابقا لاسمها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية
أمور متغايرة ○ وإني أعيذها بك ○ أجيرها بحفظك ○ وذريتها من الشيطان الرجيم ○
المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث
يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة ○ فتقبلها ربها ○ فرضي بها في النذر
مكان الذكر ○ بقبول حسن ○ بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب
ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روي أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد
ووضعتها عند الأحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب
قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندي خالتها
فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت
أقلامهم فتكفلها ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف أي بذي قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن ○ وأنبتها نباتا حسنا ○
مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها ○ وكفلها زكريا ○ شدده حمزة والكسائي وعاصم و
قصر زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أي جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا ○ كلما دخل عليها زكريا المحراب
○ أي الغرفة التي بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها سمي به لأنه محل محاربة الشيطان
كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس ○ وجد عندها رزقا ○ جواب كلما وناصبه
روي أنه كان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وبالعكس ○ قال يا مريم أنى لك هذا ○ من أين لك هذا الرزق الآتي في
غير أوانه والأبواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء وجعل ذلك معجزة
زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه ○ قالت هو من عند الله ○ فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة

كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ○ إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب ○ بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها
وأن يكون من كلام الله تعالى روي أن فاطمة رضي الله عنها أهدت لرسول الله عليه السلام رغيفين
وبضعة لحم فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فقال
لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي
جعلك شبيهة سيدة بني إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع أهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام
كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها ○ هنالك دعا زكريا ربه ○ في ذلك المكان أو الوقت
إذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها عند الله ○ قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة ○ كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه
في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ الفاني فسأل وقال رب هب لي من
لدنك لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة ○ إنك سميع الدعاء ○
مجيبه ○ فنادته الملائكة ○ أي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فإن المنادي كان جبرئيل وحده
وقرأ حمزة والكسائي فناديه بالإمالة والتذكير ○ وهو قائم يصلي في المحراب ○ أي قائما في
الصلوة ويصلي صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم ○ إن الله يبشرك
بيحيى ○ أي بأن الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع منه
وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
○ مصدقا بكلمة من الله ○ أي بعيسى سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه
البدعات التي هي عالم الأمر أو بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته ○
وسيدا ○ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في أنه ما هم بمعصية قط ○ وحصورا
○ مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى
اللعب فقال ما للعب خلقت ○ ونبيا من الصالحين ○ ناشئا منهم أو كائنا من عداد من
لم يأت كبيرة ولا صغيرة ○ قال رب أنى يكون لي غلام ○ استبعاد من حيث العادة أو
استعظاما وتعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه ○ وقد بلغني الكبر ○ أدركني كبر السن وأثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ○ وامرأتي عاقر ○ لا تلد من العقر وهو
القطع لأنها ذات عقر مقطوع عن الأولاد ○ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ○ أي يفعل ما يشاء
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة

ويفعل ما يشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك والله يفعل ما يشاء
بيان له ۞ قال رب اجعل لي آية ۞ علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر و
تزيح مشقة الانتظار ۞ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ۞ أن لا تقدر على تكليم
الناس ثلاثا وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق
النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال
۞ إلا رمزا ۞ إشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع خادم ورمزا
كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين
ترجف ۞ روانف أليتيك وتستطارا ۞ واذكر ربك كثيرا ۞ في أيام الحبسة وهو مؤكد لما
قبله مبين للغرض منه وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار ۞ وسبح بالعشي ۞ من الزوال
إلى الغروب وقيل من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل ۞ والإبكار ۞ من طلوع الفجر
إلى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار ۞ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ۞ كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك
كانت معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما أرسلنا
من قبلك إلا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها
للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها و
إرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها عما قذفته
اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ۞ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين ۞ أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود
على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعي
بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت
إدامة الطاعة كقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وأدبار
السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ۞ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ۞ أي ما ذكرنا من القصص
من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي ۞ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ۞ أقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه
عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ۞ أيهم يكفل مريم ۞

متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولون أيهم يكفل ۞
وما كنت لديهم إذ يختصمون ۞ تنافسا في كفالتها ۞ إذ قالت الملائكة ۞ بدل من إذ قالت
الأول وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان
متسع كما تقول لقيته سنة كذا ۞ يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن
مريم ۞ المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب أيشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب
أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبرائيل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة
تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كان صفة تميز تمييز الأسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر
إفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه
الثلاثة فإن الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن
مريم صفة وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى
الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب ۞ وجيها في الدنيا والآخرة ۞ حال مقدرة
من كلمة وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ۞ ومن المقربين ۞ من الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة
أو رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة ۞ ويكلم الناس في المهد وكهلا ۞ أي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل
إنه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاد وإنابة بمعزل
عن الألوهية ۞ ومن الصالحين ۞ حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم ۞ قالت رب
أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ۞ تعجب واستبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج
أو غيره ۞ قال كذلك الله يخلق ما يشاء ۞ القائل جبرائيل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله
۞ إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ۞ إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء
مدرجا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ۞ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
والإنجيل ۞ كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من
غير زوج أو عطف على يبشرك أو وجيها والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص
الكتابان لفضلهما ۞ ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ۞ منصوب بمضمر
على إرادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم أو بالعطف على الأحوال
المتقدمة مضمنا معنى النطق كأنه قال وناطقا بأني قد جئتكم وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم

او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم ﴿ اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ﴾ نصب بدل من
اني جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اي اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة
الطير ﴿ فانفخ فيه ﴾ الضمير للكاف اي في ذلك المماثل ﴿ فيكون طيرا باذن الله ﴾ فيصير حيا طيارا
باقدار الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه ﴿ وابرئ الاكمه والابرص ﴾ الاكمه الذي ولد اعمى
او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق
اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء ﴿ واحيي الموتى باذن الله ﴾ كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية ﴿ وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾
بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ﴿ ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ موفقين
للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ﴿ ومصدقا لما بين يدي من
التورية ﴾ عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا ﴿ ولاحل لكم ﴾ مقدر باضماره او مردود على قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك ﴿ بعض الذي حرم عليكم ﴾ اي في شريعة موسى
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا
لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض
وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان ﴿ وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله و
اطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم
وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر
او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله
قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى
الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم باية بعد اخرى بالمعجزات القاهرة والآيات
الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول
المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ فلما احس عيسى منهم الكفر ﴾ تحقق كفرهم عنده
تحقق ما يدرك بالحواس ﴿ قال من انصاري الى الله ﴾ ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه
ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري

وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام ﴿ قال الحواريون ﴾ حواري الرجل خالصته من الحور
وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نياتهم
ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين
يحورون الثياب اي يبيضونها ﴿ نحن انصار الله ﴾ اي انصار دينه ﴿ آمنا بالله واشهد
بانا مسلمون ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ﴿ ربنا آمنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين
يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ﴿ ومكروا ﴾ اي الذين احس
منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ﴿ ومكر الله ﴾ حين رفع عيسى والقى شبهه
على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله
تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج ﴿ والله خير الماكرين ﴾ اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال
الضرر من حيث لا يحتسب ﴿ اذ قال الله ﴾ ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع
ذلك ﴿ يا عيسى اني متوفيك ﴾ اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهب النصارى ﴿ ورافعك الي ﴾ الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ﴿ ومطهرك من الذين
كفروا ﴾ من سوء جوارهم او قصدهم ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
﴾ يعلونهم بالحجة او بالسيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين او النصارى و
الى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ﴿ ثم الي مرجعكم ﴾ الضمير لعيسى ومن تبعه
ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين ﴿ فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ من امر الدين
﴿ فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ﴾ تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء
﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ تقرير لذلك ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو
مبتدأ خبره ﴿ نتلوه عليك ﴾ وقوله ﴿ من الآيات ﴾ حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر و
نتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين او ان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
﴿ والذكر الحكيم ﴾ المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح
﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ ان شأنه الغريب كشأن آدم ﴿ خلقه من تراب ﴾
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو انه خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله

بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من تراب ○ ثم قال له كن
○ اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر ○ فيكون ○ حكاية حال ماضية ○ الحق من ربك ○ خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله ○ فلا تكن من الممترين
○ خطاب للنبي عليه السلام على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع ○ فمن حاجك ○
من النصارى ○ فيه ○ في عيسى ○ من بعد ما جاءك من العلم ○ اي من البينات الموجبة للعلم
○ فقل تعالوا ○ هلموا بالرأي والعزم ○ ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ○ اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها
وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ○ ثم نبتهل ○ اي نتباهل بان
نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها
بلا صرار ○ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ○ عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا
حتى ننظر فلما تخالوا قال العاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم
بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا فأتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى
وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله عليه السلام
وبذلوا الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو باهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على
الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ○ ان هذا ○ اي ما قص من نبأ عيسى ومريم
عليهما السلام ○ لهو القصص الحق ○ بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره من شأن عيسى ومريم
حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخل فيه على الفصل لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها
ان تدخل على المبتدأ ○ وما من اله الا الله ○ صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم ○ وان الله لهو العزيز الحكيم ○ لا احد سواه يساويه في القدرة التامة
والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية ○ فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ○ وعيد لهم
ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل الى فساد العالم ○ قل يا اهل الكتاب ○ يعم اهل
الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة ○ تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ○ لا يختلف

فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ○ ان لا نعبد الا الله ○ اي نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ○ ولا نشرك به شيئا ○ ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد ○ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ○ ولا نقول عزير ابن الله ولا
المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بشر مثلنا
روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذاك ○ فان تولوا ○ عن التوحيد ○ فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ○ اي لزمتكم الحجة
فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في
الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل
عقدتهم ويزيل شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما
اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم
بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون ○
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ○ تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله عليه السلام
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان
ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون منهما ○ افلا تعقلون ○ فتدعوا
المحال ○ ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ○ ها حرف تنبيه
نبها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي
انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل
عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من
حماقتهم فقلبت الهمزة هاء ○ والله يعلم ○ ما حاججتم فيه ○ وانتم لا تعلمون ○ وانتم جاهلون
○ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ○ تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ○ ولكن كان
حنيفا ○ مائلا عن العقائد الزائغة ○ مسلما ○ منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام ○ وما كان من المشركين ○ تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا

والمسيح وردّ لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ﴿ان اولى الناس بابرهيم﴾
ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب ﴿للذين اتبعوه﴾ من امته
﴿وهذا النبي والذين آمنوا﴾ لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم ﴿والله ولي المؤمنين﴾
ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ﴿ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم﴾ نزلت
في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان ﴿وما يضلون الا
انفسهم﴾ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم ﴿وما يشعرون﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله﴾ بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام
﴿وانتم تشهدون﴾ انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون
بالمعجزات انه حق ﴿يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ بالتحريف وابراز الباطل في
صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء اي تلبسون
الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور ﴿وتكتمون الحق﴾ نبوة محمد عليه السلام
ونعته ﴿وانتم تعلمون﴾ عالمين بما تكتمونه ﴿وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار ﴿واكفروا آخره
لعلهم يرجعون﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم
من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول
النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية
لعل اصحابه يشكون فيه ﴿ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب الا
لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
﴿قل ان الهدى هدى الله﴾ يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم﴾ متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك
او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى
المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير

ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع ويؤيده الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على
انها ان النافية فيكون من كلام الطائفة اي لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم ﴿او يحاجوكم عند ربكم﴾ عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث
معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
﴿قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم﴾ رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ﴿ومن اهل الكتاب من ان
تأمنه بقنطار يؤده اليك﴾ كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا
فاداه اليه ﴿ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة ﴿الا ما دمت عليه قائما﴾ الا مدة دوامك
قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ﴿ذلك﴾ اشارة الى
ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده ﴿بانهم قالوا﴾ بسبب قولهم ﴿ليس علينا في الاميين
سبيل﴾ اي ليس علينا في شأن من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم
﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بادعائهم ذلك ﴿وهم يعلمون﴾ انهم كاذبون وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها
مؤداة الى البر والفاجر ﴿بلى﴾ اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل ﴿من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين﴾ استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن
وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء
وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ﴿ان الذين يشترون﴾ يستبدلون
﴿بعهد الله﴾ بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات ﴿وايمانهم﴾ وبما حلفوا
من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثمنا قليلا﴾ متاع الدنيا ﴿اولئك لا خلاق لهم
في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او
لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ﴿ولا ينظر اليهم يوم
القيمة﴾ فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما
ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ﴿ولا يزكيهم﴾ ولا يثني عليهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾

على ما فعلوا وقيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها
بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على
اليهودي ۝ وان منهم لفريقا ۝ يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي ۝ يلوون السنتهم
بالكتاب ۝ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلوون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها ۝ لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب ۝ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا
للمسلمين ۝ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ۝ تأكيد لقوله وما هو من الكتاب و
تشنيع عليهم وبيان انهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا
لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ۝ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۝ تأكيد
وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ۝ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ۝ تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل
ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله
ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ۝ ولكن كونوا ربانيين ۝ ولكن يقول كونوا ربانيين و
الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
۝ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ۝ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن عامر ونافع
وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه
على الناس ۝ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ۝ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب
عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان
يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف
ويحتمل الحال ۝ ايأمركم بالكفر ۝ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله ۝ بعد اذ انتم مسلمون ۝
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له ۝ واذ اخذ الله

ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
۝ قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق
من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى
الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على
حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم اهل الكتاب نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون
اولى بالنبوة من محمد عليه السلام لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم
والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله
لمن ما فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا ۝ قال أاقررتم واخذتم على ذلكم
اصري ۝ اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار
وهو ما يشد به ۝ قالوا اقررنا قال فاشهدوا ۝ اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل
الخطاب فيه للملائكة ۝ وانا معكم من الشاهدين ۝ وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد
وهو توكيد وتحذير عظيم ۝ فمن تولى بعد ذلك ۝ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
۝ فاولئك هم الفاسقون ۝ المتمردون من الكفرة ۝ افغير دين الله يبغون ۝ عطف على
الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص
ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم ۝ وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها ۝ اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين
او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم ۝ واليه يرجعون ۝ وقرئ بالياء
على ان الضمير لمن ۝ قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ۝ امر للرسول عليه السلام
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليهم منزل عليه بتوسط تبليغه اليهم
وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا
والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل

على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه ۞ لا نفرق بين احد منهم ۞ بالتصديق والتكذيب
۞ ونحن له مسلمون ۞ منقادون او مخلصون في عبادته ۞ ومن يبتغ غير الاسلام دينا ۞ غير
التوحيد والانقياد لحكم الله ۞ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ۞ الواقعين في
الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال
الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره
لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال
۞ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
۞ استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان ۞ والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ الذين ظلموا انفسهم بالاخلال
بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه ۞ اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ۞ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه
ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون من
الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق
والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه ۞ خالدين فيها ۞ في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما
لدلالة الكلام عليهما ۞ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۞ الا الذين تابوا من بعد
ذلك ۞ من بعد الارتداد ۞ واصلحوا ۞ ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا
في الصلاح ۞ فان الله غفور ۞ يقبل توبته ۞ رحيم ۞ يتفضل عليه قيل انها نزلت في
الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ۞ ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا ۞ كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا
كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد
والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه بالتظاهر ۞ لن تقبل توبتهم ۞ لانهم
لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها
تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون

الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه ۞ واولئك هم
الضالون ۞ الثابتون على الضلال ۞ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا ۞ تغليظ في شأنهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة او لان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية وادخل الفاء ههنا للاشعار
وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف
۞ ولو افتدى به ۞ محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى
بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو
ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في
حكم شيء واحد ۞ اولئك لهم عذاب اليم ۞ مبالغة في التحذير واقناط لان من لم يقبل
الفداء ربما يعفى عنه تكرما ۞ وما لهم من ناصرين ۞ في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
۞ لن تنالوا البر ۞ لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة
والرضا والجنة ۞ حتى تنفقوا مما تحبون ۞ اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة
الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل عليها رسول الله عليه السلام اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان
اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين ۞ وما تنفقوا من شيء ۞ اي من اي شيء محبوب
او غيره ومن لبيان ما ۞ فان الله به عليم ۞ فيجازيكم بحسبه ۞ كل الطعام ۞ اي المطعومات
والمراد اكلها ۞ كان حلا لبني اسرائيل ۞ حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم ۞ الا ما حرم اسرائيل على نفسه
كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان
ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان
يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء ۞ من قبل ان تنزل التوراة
۞ اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على

اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من
قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابرهيم في تحليله لحوم الابل والبانها
قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد
حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا
التورية وفيه دليل على نبوته عليه السلام فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه
انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم
الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح
قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا
من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات
احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه
واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض
بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي
ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع
المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول
بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له
الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به الاول بالشرف
لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال
المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما
قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري
السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل

والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره
اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان
المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه
الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي
منها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات
الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الذكر من بقاء الاثر مدى الدهر والامن من
العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة
من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على
الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم
في رواية حفص بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص
وقد فسر رسول الله عليه السلام الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي
انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك
انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين
والضمير في اليه للبيت او الحج فكل مأتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا للوجوب وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه
الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه
حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام
وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء
فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عنه لما فيه
من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال
على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله عليه السلام ارباب الملل فخطبهم وقال

ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد
عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم
اقبح وانهم وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد
على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام
مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل
باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون
المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من
التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي
باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع
النسخ وتغيير صفة رسول الله عليه السلام ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف
كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال
او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها
بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس و
الخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر
في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله عليه السلام واصحابه فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم
بعضا وانصرفوا مع رسول الله عليه السلام وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول عليه السلام
بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم الله
ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم

في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد
اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه
الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة
اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء
الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا
ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد
اخرى وقد يتوجه نحو المجموع وهو هنا كذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام
او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به
سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به
والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم
بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من
جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم
اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين
فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله
بالاسلام والف بينهم برسول الله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين
على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى
الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله
لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة

كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها فخاطب
الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا
ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يأمرون
كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء إلى الخير يعم الدعاء
إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف
الخاص على العام للإيذان بفضله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المخصوصون بكمال الفلاح
روي أنه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر و
أتقاهم لله وأوصلهم والأمر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن
المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب أن ينهى عما يرتكب
لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ﴿ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا﴾ كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على
ما عرفت ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع لقوله عليه السلام
اختلاف أمتي رحمة ولقوله من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد
﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم ﴿يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه﴾ نصب بما في لهم من معنى الفعل أو بإضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ﴿فأما الذين
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله عليه السلام بعد إيمانهم به
قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان
بالنظر في الآيات والدلائل ﴿فذوقوا العذاب﴾ أمر إهانة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بسبب كفركم
أو جزاء لكفركم ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ يعني الجنة والثواب المخلد
عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا
برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم ﴿هم فيها خالدون﴾ أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل
كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون ﴿تلك آيات الله﴾ الواردة في وعده و

ووعيده ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ ملتبسة بالحق لا شبهة فيها ﴿وما الله يريد ظلما
للعالمين﴾ إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم
بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله
ترجع الأمور﴾ فيجازي كلا بما وعد له وأوعد ﴿كنتم خير أمة﴾ دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح
أو فيما بين الأمم المتقدمين ﴿أخرجت للناس﴾ أظهرت لهم ﴿تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر﴾ استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم ﴿وتؤمنون بالله﴾
يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل الإيمان
بكل ما أمر أن يؤمن به وإنما أخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه واستدل بهذه الآية
على أن الإجماع حجة لأنها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر إذ اللام فيهما
للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾
إيمانا كما ينبغي ﴿لكان خيرا لهم﴾ لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه ﴿منهم المؤمنون﴾
كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي
بعدها واردتان على سبيل الاستطراد ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ ضررا يسيرا كطعن وتهديد
﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ثم لا ينصرون﴾ ثم
لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك
بأنهم لو قاموا إلى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطفا على يولوا على أن ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات
التي وافقها الواقع إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ﴿ضربت عليهم
الذلة﴾ هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية ﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا
﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ استثناء من أعم عام الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في
عامة الأحوال إلا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين
الإسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ رجعوا به مستوجبين له
﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله واليهود في الغالب
فقراء مساكين ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء

والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا
﴿ذلك﴾ اي الكفر والقتل ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ﴿ليسوا سواء﴾ في المساوي والضمير
لاهل الكتاب ﴿من اهل الكتاب امة قائمة﴾ استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة
العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم
يسجدون﴾ يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه
عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات﴾ صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم
منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر
بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات ﴿واولئك من الصالحين﴾
اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه
﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب
شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون
بالتاء ﴿والله عليم بالمتقين﴾ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان
الفائز عند الله هو اهل التقوى ﴿ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا﴾ من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا ﴿واولئك اصحاب النار﴾ ملازموها
﴿هم فيها خالدون مثل ما ينفقون﴾ ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء
وخوفا ﴿في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر﴾ برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد ﴿اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فاهلكته﴾ عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد و
تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة
وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كاف التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر
كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون﴾ ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم

ولكن ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا
انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير
الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق ﴿يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة﴾ وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه
بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار ﴿من دونكم﴾ من دون المسلمين
وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم ﴿لا يألونكم خبالا﴾
لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يتعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم
لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ﴿ودوا ما عنتم﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر
والمشقة وما مصدرية ﴿قد بدت البغضاء من افواههم﴾ اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم
لفرط بغضهم ﴿وما تخفي صدورهم اكبر﴾ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار
﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
﴿ان كنتم تعقلون﴾ ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون
الثلث الاول صفات لبطانة ﴿ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة
خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب
اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ بجنس الكتب كلها
وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم
وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ﴿واذا لقوكم
قالوا آمنا﴾ نفاقا وتغريرا ﴿واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ﴾ من اجله تأسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه
من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم
فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ بيان
لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالكم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابكم من ضر وشدة والمس
مستعار للاصابة ﴿وان تصبروا﴾ على عداوتهم او على مشاق التكاليف ﴿وتتقوا﴾ موالاتهم
او ما حرم الله عليكم ﴿لا يضركم كيدهم شيئا﴾ بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين

وكان الجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع
كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون
في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك اي من
حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على
الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال
سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه السلام اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه
قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا
بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا
خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل عليه السلام فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا
على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب من احد يوم السبت ونزل في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ
غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي
العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل
ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله عليه السلام والظاهر
انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد
والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا

على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم
الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه مسبب اذ تقول للمؤمنين ظرف
لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى
عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم ينزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم
كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا
بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزّلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال
التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله
عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم
بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى
مددهم وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب
اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا
متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم
والكبت شدة الغيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين
فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم

إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم و
جهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة
عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن يكون أو بمعنى إلا
أن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتشتفي منهم روي أن
عتبة بن أبي وقاص شجه عليه السلام يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن فيهم
من يؤمن ﴿فإنهم ظالمون﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾
خلقا وملكا فله الأمر كله ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له ﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل
التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة ﴿واتقوا الله﴾
فيما نهيتم عنه ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين الفلاح ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض
للعصاة ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة
وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل جزاء له
﴿وسارعوا﴾ وبادروا وأقبلوا ﴿إلى مغفرة من ربكم﴾ إلى ما يستحق به المغفرة كالإسلام
والتوبة والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو ﴿وجنة عرضها السموات و
الأرض﴾ أي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنه دون
الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ﴿أعدت
للمتقين﴾ هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم ﴿الذين
ينفقون﴾ صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع ﴿في السراء والضراء﴾
في حالتي الرخاء والشدة أو الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أي لا
يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الممسكين عليه
الكافين عن إمضائه مع القدرة من كظمت القربة إذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام
من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ﴿والعافين عن الناس﴾
التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام إن هؤلاء في أمتي قليل إلا

من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت ﴿والله يحب المحسنين﴾ يحتمل الجنس
فيدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الإشارة إليهم ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾
فعلة بالغة في القبح كالزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بأن أذنبوا أي ذنب كان وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ﴿ذكروا
الله﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ بالندم والتوبة
﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما أصر
من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة ﴿وهم يعلمون﴾ حال من يصروا أي ولم يصروا
على قبيح فعلهم عالمين به ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها﴾ خبر للذين إن ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفته على المتقين
أو على الذين ينفقون ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها
المصرون كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على
الأول يدل على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة
وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى
وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا إلى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله
﴿ونعم أجر العاملين﴾ لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن
والمتدارك والمحبوب والأجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح
محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾
وقائع سنها الله في الأمم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل
وقيل أمم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثله في سالف السنن
﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم
﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ إشارة إلى قوله قد خلت أو مفهوم قوله فانظروا
أي إنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين أو إلى ما لخص من أمر المتقين
والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الإيمان والتوبة وقيل إلى القرآن
﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم
ولا تحزنوا على من قتل منكم ﴿وأنتم الأعلون﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأنا فإنكم على الحق

وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم
بالنصر والغلبة {ان كنتم مؤمنين} متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي
قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون {ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله} قرا
حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم
انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام {وتلك الايام نداولها
بين الناس} نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف
والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة {وليعلم الله الذين آمنوا}
عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة
وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه
تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
وهو العلم بالشيء موجودا {ويتخذ منكم شهداء} ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء
احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد
{والله لا يحب الظالمين} الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا وابتلاء للمؤمنين
{وليمحص الله الذين آمنوا} ويطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم
{ويمحق الكافرين} ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا {ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة} بل احسبتم ومعناه الانكار {ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم} ولما تجاهدوا
وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم
بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون {ويعلم الصابرين} نصب باضمار ان على ان
الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون {ولقد
كنتم تمنون الموت} اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين
لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة

فالحوا يوم احد على الخروج {من قبل ان تلقوه} من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
{فقد رأيتموه وانتم تنظرون} اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم
وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة
فان في تمنيها تمني غلبة الكفار {وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل} فسيخلو كما
خلوا بالموت او القتل {افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم} انكار لارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد
روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه
مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام
وقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام
يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون
وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا
لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل
محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت {ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيئا} بارتداده بل يضر نفسه {وسيجزي الله الشاكرين} على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه {وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله} الا
بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض
وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ وتأخير الاجل {كتابا} مصدر مؤكد
اذ المعنى كتب الموت كتابا {مؤجلا} صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر {ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها} تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون
وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم {ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها} اي من ثوابها
{وسنجزي الشاكرين} الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد {وكأين}
اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار

كأيّن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي
من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات
والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي عليه السلام او بعضهم وما ضعفوا عن العدو
او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن
لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان
يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة
لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن
الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل
وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على
تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم
فالقى الله تعالى الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة

ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي
مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده
اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف
الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر
الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو
امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة
وهم الثابتون محافظة امر رسول الله عليه السلام ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم
تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون
متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله
عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل
الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
ولا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر
والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن
ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه

والأمنة الأمن نصب على المفعول ونعاساً بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو
مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة وقرئ أمنة
بسكون الميم كأنها المرة من الأمن يغشى طائفة منكم أي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء
رداً على الأمنة والطائفة المؤمنون حقاً وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم
أوقعتهم أنفسهم في الهموم أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية وأهلها يقولون أي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الأمر
من شيء هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل أخبر ابن أبي بقتل
بني الخزرج فقال ذلك والمعنى إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء
أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله أي الغلبة الحقيقية
لله ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض
وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك حال من
ضمير يقولون أي يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الإنكار والتكذيب
يقولون أي في أنفسهم أو إذا خلا بعضهم ببعض وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه
البيان له لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد أو زعم أن الأمر كله لله ولأوليائه أو لو كان
لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن أبي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل
منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم تنفع الإقامة بالمدينة ولم ينج منه أحد
فإنه تعالى قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أي
وفعل ذلك ليبتلي أو عطف على محذوف أي لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جمة وللابتلاء أو على
لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس والله عليم
بذات الصدور بخفياتها قبل إظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء
وإنما فعل ذلك ليميز بين المؤمنين وإظهار حال المنافقين إن الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني أن الذين انهزموا يوم أحد إنما كان
السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوباً بترك المركز والحرص

على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم
وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها بعضاً كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب
كي يتوب يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لإخوانهم
لأجلهم وفيهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب إذا ضربوا في الأرض إذا
سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية
أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
مفعول قالوا وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدواً وحزناً أو لا تكونوا أي لا تكونوا
مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك إشارة إلى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة
في قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم أي هو المؤثر في
الحياة والممات لا الإقامة والسفر فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء
على أنه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم في سبيله وقرأ نافع
وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل
وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم أو قتلتم على أي وجه اتفق هلاككم
لإلى الله تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا إلى غيره لا محالة
تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر
فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان
إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه
ولو كنت فظاً سيء الخلق جافياً غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه

استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة فإذا عزمت وإذا
وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك
فإنه لا يعلمه سواه وقرئ فإذا عزمتُ على التكلم أي فإذا عزمتُ لك على شيء وعينته لك
فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح
إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم
كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى إذا جاوزتموه
فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا
وما كان لنبي أن يغل وما صح لنبي أن يخون في الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة يقال غل
شيئا من المغنم يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذ خفية والمراد منه إما براءة الرسول عليه السلام
عما اتهم به إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله
من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم وإما المبالغة في النهي للرسول عليه السلام على ما روي أنه
بعث طلائع فغنم رسول الله عليه السلام فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية
حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
أن يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول ومن
يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأتي بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث أو بما احتمل من وباله وإثمه
ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى
ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله
فالغال مع عظم جرمه أولى بذلك وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي
ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب
والعقاب أو هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين أنعم على من آمن مع الرسول عليه السلام
من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على أنه خبر
محذوف مثل منه أو بعثه إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم

ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ
من أنفسهم أي من أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم
يتلو عليهم آياته أي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من
دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما أصابتكم مصيبة قد
أصبتم مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقرير والتوبيخ والواو عاطفة للجملة على ما سبق من
قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف إليه أصابتكم أي حين أصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر
سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند أنفسكم أي
مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فإن الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة
أو اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر إن الله على كل شيء قدير
فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم وما أصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد فبإذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته
الكفار سماها إذنا لأنها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة
أو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا تقسيم للأمر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا
للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم
سواد المجاهدين فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء النفس إلى
التهلكة أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم وإنما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ أقرب منهم
للإيمان لانخزالهم وكلامهم هذا فإنهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لأهل
الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان إذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم
بالإيمان وإضافة القول إلى الأفواه تأكيد وتصوير والله أعلم بما يكتمون من النفاق وما
يخلو به بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه مفصلا بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات الذين
قالوا رفع بدلا من واو يكتمون أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أو جر بدلا من

قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي عليه السلام من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي انه عليه السلام
قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت
وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ... الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه
ومما قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بالرزق والمراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال انتهى

الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله نطا جوده لبخيل بالمال حاتم • الذين قالوا لاخوانهم • اي لاجلهم يريد
من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم • وقعدوا • حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال •
لو اطاعونا • في القعود • ما قتلوا • كما لم نقتل • قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين • اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن
انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت
كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس •
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا • نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر
والخطاب لرسول الله عليه السلام او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول
او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف
عند القرينة وقرا ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين • بل احياء • اي بل هم احياء
وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء • عند ربهم • ذوو زلفى منه • يرزقون •
من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء • فرحين بما آتاهم الله من فضله • وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة • ويستبشرون • يسرون
بالبشارة • بالذين لم يلحقوا بهم • اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم •
من خلفهم • اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة • الا خوف عليهم ولا هم يحزنون • بدل من
الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات
محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون
النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكره
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه
او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة
واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح • يستبشرون •
كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول لحال اخوانهم
وهذا لحال انفسهم • بنعمة من الله • ثوابا لاعمالهم • وفضل • زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم • وان الله لا يضيع اجر المؤمنين • من جملة المستبشر به

عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك
اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة • الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح • صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا
خبره • للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم • بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه
لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فندب اصحابه
للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى
بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا
يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت • الذين قال لهم
الناس • يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه
الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس
من المدينة واذاعوا كلامه • ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم • يعني ابا سفيان واصحابه
روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من
زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له
عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا يقولون حسبنا الله • فزادهم ايمانا •
الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى
انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام
واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا
يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف
وكثرة التأمل وتناصر الحجج • وقالوا حسبنا الله • محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل
على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك • ونعم الوكيل • ونعم الموكول اليه
• فانقلبوا • فرجعوا من بدر • بنعمة من الله • عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه

وفضل ربح في التجارة فإنهم لما أتوا بدرًا وافوا بها سوقًا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم
سوء من جراحة وكيد عدو. واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
بجراءتهم وخروجهم. والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان
والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل
ما يسوؤهم وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف
وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به. إنما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيمًا أو
أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته أو صفة وما بعده خبره ويجوز أن
تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان يعني إبليس. يخوف
أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الأول وإلى أولياءه على الثاني. وخافون في
مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي. إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله
على خوف الناس. ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعًا حرصًا عليه وهم
المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا
عليك لقوله إنهم لن يضروا الله شيئًا أي لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر
وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئًا يحتمل المفعول والمصدر. يريد الله ألا يجعل لهم حظًا في
الآخرة نصيبًا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر
الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن
مسارعتهم إلى الكفر لأنه تعالى لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة. ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب. إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ولهم عذاب أليم
تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من الأعراب. ولا يحسبن
الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم خطاب لرسول الله أو لكل من يحسب والذين مفعول و
أنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
لقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين
كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم
وما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في
حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والإملاء الإمهال وإطالة العمر

وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء. إنما نملي لهم ليزدادوا
إثمًا استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ إنما بالفتح هنا وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا
لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان وإنما نملي لهم خير اعتراض معناه أن إملاءنا
خير لهم إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم. ولهم عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون
حالًا من الواو في ليزدادوا أي ليزدادوا إثمًا معدًا لهم عذاب مهين. ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره
لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم
أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال
والأنفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم. وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي أحدكم علم
الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه
ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها. فآمنوا بالله ورسله بصفة الإخلاص
أو بأن تعلموه وحده مطلعًا على الغيب وتعلموهم عبادًا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله
ولا يقولون إلا ما أوحي إليهم روي أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقًا فليخبرنا من يؤمن
منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي أنه عليه السلام قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن
بي ومن يكفر فقال المنافقون إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت. وإن تؤمنوا حق الإيمان. وتتقوا النفاق. فلكم أجر عظيم لا يقادر
قدره. ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم القراءة فيه ما سبق
ومن قرأ بالتاء قدر مضافًا ليتطابق مفعولاه أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرًا لهم
وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول أو من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول
الأول محذوفًا لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرًا لهم. بل هو شر
لهم لاستجلاب العقاب عليهم. سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى
سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا
جعل الله له شجاعًا في عنقه يوم القيامة. ولله ميراث السموات والأرض وله ما فيهما مما
يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة. والله بما تعملون من المنع والإعطاء

خبيرٌ فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ
في الوعيد ۝ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ۝ قالته اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي أنه عليه السلام كتب مع أبي بكر إلى يهود
بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص بن عازوراء إن الله فقير حين سأل القرض فلطمه أبو بكر وقال لولا ما بيننا
العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه
أعد لهم العقاب عليه ۝ سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ۝ أي سنكتبه في صحائف
الكتبة أو سنحفظه في علمنا ولا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول
ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وأن من اجترأ على قتل
الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم
بالرفع ويقول بالياء ۝ ونقول ذوقوا عذاب الحريق ۝ أي وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق إدراك الطعوم وعلى الاتساع
يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لأن العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل
والتهالك على المال وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه
ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال ۝ ذلك ۝ إشارة إلى العذاب ۝ بما قدمت أيديكم ۝
من قتل الأنبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن
۝ وأن الله ليس بظلام للعبيد ۝ عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث إن نفي
الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء ۝ الذين قالوا ۝ هم كعب بن
الأشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ۝ إن الله عهد إلينا ۝ أمرنا في التورية
وأوصانا ۝ أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ۝ بأن لا نؤمن لرسول حتى
يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي
فيدعو فينزل نار سماوية فتأكله أي تحيله إلى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم
لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك
۝ قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ۝
تكذيب وإلزام بأن رسلا جاؤوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله
فما بالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترءوا على قتله ۝ فإن كذبوك فقد كذب رسل من

قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ۝ تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حسنته والكتاب
في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في
عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر
وبالكتاب بإعادة حرف الجر للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات ۝ كل نفس ذائقة
الموت ۝ وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا ۝ وإنما توفون أجوركم ۝ تعطون جزاء أعمالكم خيرا
كان أو شرا تاما وافيا ۝ يوم القيمة ۝ يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه
قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
۝ فمن زحزح عن النار ۝ بعد عنها والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ۝
وأدخل الجنة فقد فاز ۝ بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام من
أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ۝ وما الحيوة الدنيا ۝ أي لذاتها وزخارفها ۝ إلا متاع
الغرور ۝ شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها
على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار ۝
لتبلون ۝ أي والله لتختبرن ۝ في أموالكم ۝ بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات
۝ وأنفسكم ۝ بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض
والمتاعب ۝ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
أذى كثيرا ۝ من هجاء الرسول والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك
قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
۝ وإن تصبروا ۝ على ذلك ۝ وتتقوا ۝ مخالفة أمر الله ۝ فإن ذلك ۝ يعني الصبر والتقوى
۝ من عزم الأمور ۝ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي
أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه ۝ وإذ أخذ الله
۝ أي اذكر وقت أخذه ۝ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ۝ يريد به العلماء ۝
لتبيننه للناس ولا تكتمونه ۝ حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن
عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه أخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب ۝ فنبذوه ۝ أي الميثاق ۝ وراء ظهورهم ۝ فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ

وراء ظهورهم مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه
بين عينيه ﴿واشتروا به﴾ واخذوا بدله ﴿ثمناً قليلاً﴾ من حطام الدنيا واغراضها ﴿
فبئس ما يشترون﴾ يختارون لانفسهم وعن النبي عليه السلام من كتم علماً عن اهله الجم بلجام من نار
وعن علي رض ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ﴿لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح
الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوف يدل
عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿
ولهم عذاب اليم﴾ بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة
فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في
قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في
المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
﴿ولله ملك السموات والارض﴾ فهو يملك امرهم ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على
عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته و
كمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة
البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة
لجميع انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر
بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه السلام ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ اي يذكرونه دائماً على
الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين
صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً وان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهو حجة للشافعي في

المريض يصلي مضطجعاً على جنبه الايمن مستقبلاً بمقاديم بدنه ﴿ويتفكرون في خلق السموات
والارض﴾ استدلالاً واعتباراً وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر
لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع
رأسه الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له و
هذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ على ارادة
القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به
المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً
من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسبباً لمعاشه ودليلاً
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في
جوارك ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض ﴿
فقنا عذاب النار﴾ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة
على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ﴿ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته﴾ غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك والمراد تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع ﴿وما للظالمين من انصار﴾ اراد بهم المدخلين ووضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منه
ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ﴿ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي
للايمان﴾ اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه السلام
وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
﴿ان آمنوا بربكم فآمنا﴾ اي بان آمنوا فامتثلنا ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾
كبائرنا فانها ذات تبعة ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكبائر ﴿وتوفنا مع الابرار﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه
على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من
الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفاً من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكونوا
من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبداً واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف

تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة
في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس
مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب
ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي بأني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة
القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من
الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي
جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول
الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل
لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك
او الاوطان او العشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي
بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة
من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات
قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان
اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل
خبر محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين
قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل

ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف
وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه
خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين و
ثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول
الله عليه السلام فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من
الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا
على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد
الحروب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا
ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط
انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر
على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي
آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع
من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس

واحدة ○ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ○ بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من
تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن
وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر
بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى
والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل
بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث
على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث ○ واتقوا الله الذي تساءلون به ○
أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية
في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها ○ والأرحام ○ بالنصب عطف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة
وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد
نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة
بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ○ إن الله كان عليكم رقيبا ○
حافظا مطلعا ○ وآتوا اليتامى أموالهم ○ أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه
من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع
على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ
ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل المتناول للصغير والكبير أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد
ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول
ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت
فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ○ ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ○ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال
أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها
وهذا تبديل وليس بتبدل ○ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ○ ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم
أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حرام وذاك حلال وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله

فليأكل بالمعروف ○ إنه ○ الضمير للأكل ○ كان حوبا كبيرا ○ ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو
مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا ○ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء ○ أي إن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من
غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد
لا يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم ألا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ألا
تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب
كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء
وإضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن
خفتم ألا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو
إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ لا تقسطوا بفتح التاء
على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا ○ مثنى وثلاث ورباع ○ معدولة عن أعداد مكررة
هي ثنتان ثنتان وثلاث ثلاث وأربع أربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات
وإن كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد
المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب
تجويز الاختلاف في العدد ○ فإن خفتم ألا تعدلوا ○ بين هذه الأعداد أيضا ○ فواحدة ○
فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره
فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة ○ أو ما ملكت أيمانكم ○ سوى بين الواحدة من الأزواج
والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ○ ذلك ○ أي التقليل منهن
أو اختيار الواحدة أو التسري ○ أدنى ألا تعولوا ○ أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال
الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسروا
بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج
وإن أريد به الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه
كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع ○ وآتوا النساء صدقاتهن ○ مهورهن وقرئ
بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة و

على التوحيد وهو تثقيل صدُقة كغُرفة وظُلمة ○ نحلة ○ عطية يقال نحله كذا نحلة ونُحلا إذا أعطاه
إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسّرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع
اللفظ ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن
ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة
من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أي دينا من الله
شرعه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم ○ فإن
طبن لكم عن شيء منه نفسا ○ الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة
كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذلك وقيل للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك
وحّد والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعدّاه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب ○ فكلوه
هنيئا مريئا ○ فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
إذا ساغ من غير غصص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيء ما يلذه الإنسان والمريء ما تحمد عاقبته روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم
من زوجه شيئا مما ساق إليها فنزلت ○ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ○ نهي للأولياء
أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم
وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوّله الله
من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قوّاما على أنفسهم وهو أوفق لقوله ○ التي جعل الله لكم قياما ○ تقومون بها وتنتعشون
وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما
كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به ○ وارزقوهم فيها واكسوهم ○ واجعلوها مكانا
لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه ○ وقولوا لهم قولا معروفا ○
عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره
أحدهما لقبحه ○ وابتلوا اليتامى ○ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين
والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد وعند أبي حنيفة
بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه ○ حتى إذا بلغوا النكاح ○ حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم
أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة
كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه

يصلح للنكاح عنده ○ فإن آنستم منهم رشدا ○ فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم
بمعنى أحسستم ○ فادفعوا إليهم أموالهم ○ من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية
جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية للابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم و
استحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم
يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد
○ ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ○ مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ○ ومن كان غنيا فليستعفف ○ من أكلها ○ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
○ بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في
مال الصبي وعنه عليه السلام أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير
متأثل مالا ولا واق مالك بماله وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء
أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى ○ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا
عليهم ○ بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن
القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك رح خلافا لأبي
حنيفة ○ وكفى بالله حسيبا ○ محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم ○ للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
○ يريد بهم المتوارثين بالقرابة ○ مما قل منه أو كثر ○ بدل مما ترك بإعادة العامل
نصيبا مفروضا ○ نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهن مفروضا
نصيبا أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض
عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أم كجة وثلاث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا
يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم
كجة إلى رسول الله عليه السلام في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت
فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت
يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب ○ وإذا حضر القسمة أولو القربى ○ ممن لا يرث ○ واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه ○ فأعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو

او ندب للبلّغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنّوا عليهم ﴿
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم﴾ امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه
في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند
الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه
ان يضرّ بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوّزون حرمانهم او
للموصين بان ينظروا للورثة ولا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى
وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي
ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره
ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾
امرهم بالتقوى التي هي نهاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون ان يتبع ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او
للمريض ما يصدّه عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكّره التوبة وكلمة الشهادة او
لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما﴾ ظالمين او على وجه الظلم
﴿انما يأكلون في بطونهم﴾ اي ملء بطونهم ﴿نارا﴾ ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي
برزة انه قال عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر
ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى الآية ﴿وسيصلون سعيرا﴾ سيدخلون
نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ مشددا يقال
صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصلّيته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار اذا الهبتها ﴿يوصيكم الله﴾ يأمركم ويعهد اليكم ﴿في اولادكم﴾
في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ اي يعد كل ذكر بانثيين حيث
اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه
على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
لعلمه به ﴿فان كن نساء﴾ اي ان كان الاولاد نساء خلّصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تأويل المولودات ﴿فوق اثنتين﴾ خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات

على اثنتين ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ المتوفى منكم ويدل عليه المعنى ﴿وان كانت واحدة
فلها النصف﴾ اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في
البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بيّن ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى
ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد ردّ ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها
فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين
بقوله فلهما الثلثان مما ترك ﴿ولابويه﴾ ولابوي الميت ﴿لكل واحد منهما السدس﴾
بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال
تأكيدا ﴿مما ترك ان كان له﴾ للميت ﴿ولد﴾ ذكرا كان او انثى غير ان الاب
مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة ﴿فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه﴾ فحسب ﴿فلامه الثلث﴾ مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان
الوارث ابواه فقط وعيّن نصيب الام علم ان الباقي للاب فكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا
وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث
المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو
خلاف وضع الشرع ﴿فان كان له اخوة فلامه السدس﴾ باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم يأخذون السدس الذي
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان
من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلّص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها
﴿من بعد وصية يوصي بها او دين﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء
للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين او منفردين وقدم الوصية على الدين
وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين
انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد ﴿اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا﴾ اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في
عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد

المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية ○ فريضة من الله ○ مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ○ ان الله كان عليما ○ بالمصالح والرتب ○ حكيما ○ فيما قضى وقدر ○ ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ○ اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم ○ من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين ○ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن ○ وان كان رجل ○ اي الميت ○ يورث ○ اي يورث منه من ورث صفة رجل ○ كلالة ○ خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى ○ فآليت لا ارثي لها من كلالة ○ ولا من حفى حتى الاقي محمدا ○ فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي ○ او امرأة ○ عطف على رجل ○ وله ○ اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ○ اخ او اخت ○ اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر هاهنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها ○ فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ○ سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع ○ من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار ○ اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن عياش

عن عاصم ○ وصية من الله ○ مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب ○ والله عليم ○ بالمضار وغيره ○ حليم ○ لا يعاجل بعقوبته ○ تلك ○ اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث ○ حدود الله ○ شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ○ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ○ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ○ توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له ○ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ○ اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها ○ فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ○ فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن ○ فان شهدوا فامسكوهن في البيوت ○ فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن ○ حتى يتوفاهن الموت ○ يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني ○ او يجعل الله لهن سبيلا ○ كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح ○ واللذان يأتيانها منكم ○ يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين ○ فآذوهما ○ بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد ○ فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ○ فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ○ ان الله كان توابا رحيما ○ علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا فكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة ○ انما التوبة على الله ○ اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته ○ للذين يعملون السوء بجهالة ○ متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ○ ثم يتوبون من قريب ○ من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم

حتى يطبع عليها ويتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء ۞ فاولئك يتوب الله
عليهم ۞ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله ۞ وكان الله عليما
۞ فهو يعلم باخلاصهم في التوبة ۞ حكيما ۞ والحكيم لا يعاقب التائب ۞ وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار ۞ سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات
على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم
توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات
المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار ۞ اولئك اعتدنا لهم عذابا
اليما ۞ تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد
التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء ۞ يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ۞ كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا
احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل
الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه
وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ۞ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
۞ عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال
عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة
حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن
العضل ۞ الا ان يأتين بفاحشة مبينة ۞ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له وتقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة
او ولا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة ۞ وعاشروهن بالمعروف ۞ بالانصاف في
الفعل والاجمال في القول ۞ فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
۞ اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما
هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ۞ وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج ۞ تطليق امرأة وتزوج اخرى ۞ وآتيتم احداهن ۞ اي احدى الزوجات

جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس ۞ قنطارا ۞ مالا كثيرا ۞ فلا تأخذوا منه شيئا ۞ اي
من القنطار ۞ اتأخذونه بهتانا واثما مبينا ۞ استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين
وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها
الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت
المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم ۞ وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض ۞ انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملابسة ودخل بها
وتقرر المهر ۞ واخذن منكم ميثاقا غليظا ۞ عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما
اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي
عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ۞ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
۞ ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر ۞ من النساء ۞ بيان ما نكح على الوجهين ۞ الا ما قد سلف ۞ استثناء من
المعنى اللازم للنهي فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى
لا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر ۞ انه كان فاحشة ومقتا ۞ علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة
عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة
ابيه المقتي ۞ وساء سبيلا ۞ سبيل من يراه ويفعله ۞ حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ۞ ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن
لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله
وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلث وكذا
الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا
او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى ۞ وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة ۞ نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على
قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاعة من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما

بالمصاهرة دون النسب (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن) ذكر أولا محرمات النسب ثم الرضاعة لأن لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
فإن تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه
يربه كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقته التاء لأنه صار اسما ومن نسائكم
متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها
بالأمهات أيضا لأن من إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وإن علقتها بالأمهات لم يجز ذلك
بل وجب أن يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء اللهم إلا
إذا جعلتها للاتصال كقوله فإني لست منك ولست مني على معنى أن أمهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول عليه السلام فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها
أنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن
علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنساءين لأن عاملهما مختلف وفائدة
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم
أو بصدده قوي الشبه بينها وبين أولادكم فصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة
وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه جعله شرطا والأمهات والربائب يتناول
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويؤثر فيها
الزنا كالوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
(فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد إشعار دفعا للقياس (وحلائل
أبنائكم) زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج (الذين من أصلابكم)
احتراز عن المتبنى لا عن أبناء الولد (وأن تجمعوا بين الأختين) في موضع الرفع عطفا
على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة
في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية وأحلتهما
آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي
أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب
الحرام (إلا ما قد سلف) استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور
(إن الله كان غفورا رحيما) (والمحصنات من النساء) ذوات الأزواج أحصنهن
التزوج أو الأزواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لأنهن أحصن فروجهن (إلا ما ملكت
أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح

مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن
نقع عليهن فسألنا النبي عليه السلام فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق
بقوله وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان
لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي وإطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم)
مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه
فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذي نصب
كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ما وراء
ذلكم) ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات
الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين)
مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهن أو
أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة
أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية
على أن المهر لا بد وأن يكون مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها تحصين النفس عن اللوم
والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن)
فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن)
مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة
مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة) فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام
أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي
أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض
منه مجرد الاستمتاع بالمرأة أو تمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه (إن الله
كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الأحكام (ومن لم يستطع منكم طولا)
غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) في موضع النصب بطولا
أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو ومن لم يستطع غنى يبلغ به
نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله (فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعني الإماء
المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح

الامة الكتابية مطلقا وأوّل ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح
هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات
ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة
حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان
حق الزوج ○ والله اعلم بايمانكم ○ فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما
بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده ○ بعضكم من بعض ○
انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام ○ فانكحوهن باذن اهلهن
○ يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن حتى يحتج به ابو حنيفة ○ وآتوهن اجورهن ○ اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن
فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه
فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر ○ بالمعروف ○ بغير مطل واضرار
ونقصان ○ محصنات ○ عفائف ○ غير مسافحات ○ غير مجاهرات بالسفاح ○ ولا
متخذات اخدان ○ اخلاء في السر ○ فاذا احصن ○ بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي
بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد ○ فان اتين بفاحشة ○ زنا ○ فعليهن نصف
ما على المحصنات ○ يعني الحرائر ○ من العذاب ○ من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ○ ذلك ○
اي نكاح الاماء ○ لمن خشي العنت منكم ○ لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باقبح القبائح وقيل المراد به الحد
وهذا شرط آخر لنكاح الاماء ○ وان تصبروا خير لكم ○ اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه ○ والله غفور ○ لمن لم يصبر
رحيم ○ بان رخص له ○ يريد الله ليبين لكم ○ ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم
من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم
للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود
شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ○ ويهديكم سنن
الذين من قبلكم ○ مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ○ ويتوب عليكم ○
ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم من المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم

○ والله عليم ○ بها ○ حكيم ○ في وضعها ○ والله يريد ان يتوب عليكم ○ كرره للتأكيد
والمبالغة ○ ويريد الذين يتبعون الشهوات ○ يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها
واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل
اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ○ ان تميلوا ○ عن الحق ○
ميلا ○ بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ○ عظيما ○ بالاضافة الى ميل من
اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها ○ يريد الله ان يخفف عنكم ○ فلذلك شرع لكم الشرعة
الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة ○ وخلق الانسان ضعيفا ○
لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثماني آيات في سورة النساء
هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله
لا يغفر ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا وما يفعل الله بعذابكم ○
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ○ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار
○ الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ○ استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي
عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين و
تخصيص التجارة من بين الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروءات
ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله
وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي
الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ○ ولا تقتلوا انفسكم ○ بالبخع كما تفعله جهلة الهند او بالقاء النفس
الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام
او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد
بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوجيه بين حفظ النفس
والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها
رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ○ ان الله كان بكم رحيما ○ اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط
رحمته عليكم ومعناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ○
ومن يفعل ذلك ○ اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات ○ عدوانا وظلما ○ افراطا في التجاوز
عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب ○ فسوف نصليه نارا ○ ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ونصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلي ○

وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع
عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وقيل اراد هنا انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها
الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك وكفها عن اكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال
الا ترى انه تعالى عاتب نبيه عليه السلام في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ
عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ
نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضا بما قسم الله وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني
ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب
ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل
من الرجال والنساء حظ ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد و
التمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم
على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب
واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد
وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم
ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان
ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها
ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من
صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر

للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل
قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع
اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة
كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد
عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم ضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل
شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام
الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض
بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت
عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام
فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب
لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير
امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها وتلا هذه الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب
والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ
فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن و
اهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية
عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن

والأمور الثلاثة مترتبة ينبغي أن يتدرج فيها ۝ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ۝
بالتوبيخ والإيذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب
من الذنب كمن لا ذنب له ۝ إن الله كان عليا كبيرا ۝ فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من
تحت أيديكم أو أنه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم
أو أنه يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه ۝ وإن خفتم شقاق بينهما ۝ خلافا بين المرأة وزوجها
أضمرهما وإن لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف إما لإجرائه مجرى المفعول
كقوله يا سارق الليلة أهل الدار أو الفاعل كقولهم نهارك صائم ۝ فابعثوا حكما من أهله وحكما من
أهلها ۝ فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الأمر أو إصلاح ذات البين رجلا وسطا
يصلح للحكومة والإصلاح من أهله وآخر من أهلها فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز وقيل الخطاب للأزواج والزوجات
واستدل به على جواز التحكيم والأظهر أن النصب لإصلاح ذات البين أو لتبيين الأمر ولا يليان
الجمع والتفريق إلا بإذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالعا إن وجدا الصلاح فيه ۝
إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ۝ الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين أي إن قصدا الإصلاح
أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أي إن قصدا الإصلاح يوفق
بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أي إن أرادا الإصلاح وزوال الشقاق
أوقع الله بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه ۝
إن الله كان عليما خبيرا ۝ بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ۝
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ۝ صنما أو غيره أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا ۝
وبالوالدين إحسانا ۝ وأحسنوا بهما إحسانا ۝ وبذي القربى ۝ وبصاحب القرابة ۝ واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى ۝ الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو
دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه ۝ والجار الجنب ۝ البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام
الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق
الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب ۝ والصاحب بالجنب ۝
أي الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة ۝
وابن السبيل ۝ المسافر أو الضيف ۝ وما ملكت أيمانكم ۝ العبيد والإماء ۝ إن الله لا يحب
من كان مختالا ۝ متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ۝ فخورا ۝ يتفاخر
عليهم ۝ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ۝ بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع

عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس
بالبخل وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهو لغة ۝ ويكتمون ما آتاهم
الله من فضله ۝ الغنى والعلم أحقاء بكل ملامة ۝ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ۝ وضع
الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة الله فله
عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار
تنصحا لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام ۝ والذين
ينفقون أموالهم رئاء الناس ۝ عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وإنما شاركهم في الذم والوعيد
لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء في
القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ۝ ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ۝ ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون
۝ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة و
ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار ۝ وماذا عليهم لو آمنوا
بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ۝ أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بالإيمان
والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة و
الجليلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع
وإنما قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا وإلى التعليل
ثم ۝ وكان الله بهم عليما ۝ وعيد لهم ۝ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ۝ لا ينقص من الأجر
ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء
والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه ۝ وإن تك
حسنة ۝ وإن يك مثقال ذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال
إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة ۝ يضاعفها ۝ يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفها وكلاهما بمعنى ۝ ويؤت من لدنه ۝ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
زائدا على ما وعد في مقابلة العمل ۝ أجرا عظيما ۝ عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع للأجر
ومزيد عليه ۝ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ۝ فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى

وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد عليهم بفساد عقائدهم وقبح اعمالهم
والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان ۞ وجئنا بك
يا محمد ۞ على هؤلاء شهيدا ۞ تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ۞ يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ۞ بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا
بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ۞ ولا يكتمون الله حديثا ۞ ولا
يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء
في السين وقرأ حمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى ۞
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ۞ اي لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا او تعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد
الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى
ثملوا وجاء وقت المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد
بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم او جماعة سكرى وسكرى كحبلى على انه صفة للجماعة ۞
ولا جنبا ۞ عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي
اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر ۞
الا عابري سبيل ۞ متعلق بقوله جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا
في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة
لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة
بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رح
وقال ابو حنيفة رح لا يجوز المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق ۞ حتى تغتسلوا ۞

غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفيه تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه ۞ وان كنتم مرضى ۞ مرضا يخاف معه من
استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا مانعا عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم
وعجزهم ۞ او على سفر ۞ لا تجدونه فيه ۞ او جاء احد منكم من الغائط ۞ فاحدث بخروج
الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض ۞ او لامستم النساء ۞
او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رح على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او
جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
۞ فلم تجدوا ماء ۞ فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان
المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق
ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض واستغنى
عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر
او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء ۞ فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم ۞ فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر
صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض
واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء
دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ۞ ان الله كان عفوا غفورا ۞ فلذلك يسر الامر
عليكم ورخص لكم ۞ الم تر الى الذين اوتوا ۞ من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي
بالى لتضمين معنى الانتهاء ۞ نصيبا من الكتاب ۞ حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود
۞ يشترون الضلالة ۞ يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم
بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ۞ ويريدون ان تضلوا
۞ ايها المؤمنون ۞ السبيل ۞ سبيل الحق ۞ والله اعلم ۞ منكم ۞ باعدائكم ۞ وقد اخبركم بعداوة
هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم ۞ وكفى بالله وليا ۞ يلي امركم ۞ وكفى بالله نصيرا ۞
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي ۞ من الذين هادوا ۞ بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته
يحرفون الكلم عن مواضعه ۞ اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه

فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه
وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا أمرك واسمع غير مسمع أي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم أو موت أو اسمع غير مجاب
إلى ما تدعو إليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون
مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان إذا سبه وإنما قالوه نفاقا وراعنا
انظرنا نكلمك ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث
وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا بها
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين
استهزاء به وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا
مكان ما قالوه لكان خيرا لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وإنما يجب حذف الفعل
بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله
وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا أي إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به
وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم
يصيبه أو إلا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل الطمس إزالة
الأعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار أو نردها إلى
حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه
الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء
إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت
أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو مسخنا مثل مسخهم أو نلعنهم على لسانك كما لعنا
على لسان داود والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد
به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا
ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد منتظر أو كان وقوعه مشروطا بعدم
إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا أو كائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به

روي أن الآية نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة بن عبد المطلب يوم غزوة أحد وقد كانوا قد جعلوا له على قتله أن يعتق ولم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله إنا قد ندمنا على ما صنعنا وإنه ليس يمنعنا من الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزل قوله إلا من تاب وآمن وعمل صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله إليهم فلما قرؤوا كتبوا إليه إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها إليهم فبعثوا إليه إنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي عليه السلام فقبل منهم ثم قال لوحشي أخبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب عني وجهك فلحق وحشي بالشام وكان بها إلى أن مات

لأنه بت الحكم على خلود عذابه ولأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره
ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه
وإحسانا وأول المعتزلة بتعليق الفعلين على معنى أن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى
من آيات الوعد ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة
والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن
صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام
وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل
وكذلك الاختلاق ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله
وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله عليه السلام فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال عليه السلام لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل
كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته
هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد ذمهم
وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون
بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي
في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم
أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه
مأثما من آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعوهم إليه محمد وقيل في حيي بن
أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم
ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو
الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون للذين
كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا
وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنهم
بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من
الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان

لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا
هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين
ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا
وإذا إذا وقع بعد الواو والفاء لا للتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ
فإذا لا يؤتوا على النصب ◌ أم يحسدون الناس ◌ بل أيحسدون رسول الله عليه السلام
وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم
ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما
وتجاذبا ◌ على ما آتاهم الله من فضله ◌ يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي
الموعود منهم ◌ فقد آتينا آل إبراهيم ◌ الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وأبناء عمه ◌ الكتاب
والحكمة ◌ النبوة ◌ وآتيناهم ملكا عظيما ◌ فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم ◌ فمنهم ◌
من اليهود ◌ من آمن به ◌ بمحمد عليه السلام أو بما ذكر من آل إبراهيم ◌ ومنهم من صد عنه ◌
أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك
توهين أمره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك ◌ وكفى بجهنم سعيرا ◌ نارا مسعورة يعذبون بها
أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم ◌ إن الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا ◌ كالبيان والتقرير لذلك ◌ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ◌ بأن
يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود
إحساسه للعذاب كما قال ◌ ليذوقوا العذاب ◌ أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب
في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة إدراكها فلا محذور ◌ إن الله كان عزيزا ◌
لا يمتنع عليه ما يريده ◌ حكيما ◌ يعاقب على وفق حكمته ◌ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ◌ قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لأن الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ◌ لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا ◌ فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة
والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ◌
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ◌ خطاب يعم المكلفين والأمانات وإن نزلت
يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل
فيها وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله
عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية

والسدانة فنزلت فأمره الله أن يرده إليه فأمر عليا أن يرده ويعتذر إليه وصار ذلك
سببا لإسلامه ونزل الوحي بأن السدانة في أولاده أبدا ◌ وإذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل ◌ أي وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم
أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ◌ إن الله نعما يعظكم به ◌
أي نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة
والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات ◌ إن الله
كان سميعا بصيرا ◌ بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في الأمانات ◌ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ◌ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده
ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل
تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه إلى الرسول
وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ◌ فإن تنازعتم ◌ أنتم وأولو الأمر منكم
في شيء ◌ من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الأول إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه
بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات ◌ فردوه ◌
فراجعوا فيه ◌ إلى الله ◌ إلى كتابه ◌ والرسول ◌ بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده
واستدل به منكرو القياس وقالوا إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى الكتاب والسنة دون
القياس وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت
بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس ◌ إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ◌ فإن الإيمان يوجب ذلك ◌ ذلك ◌ أي الرد ◌ خير لكم وأحسن تأويلا
◌ عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم بلا رد ◌ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ◌ عن ابن عباس أن منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي عليه السلام ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما
احتكما إلى رسول الله عليه السلام فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم إلى عمر
فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال للمنافق أكذلك قال
نعم فقال مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد
وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق
والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله فسمي

لتوغله في الطغيان او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
﴿وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا﴾ وقرئ ان
يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ﴿واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول﴾ وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم
اللام لواو الضمير ﴿رايت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ وهو مصدر او اسم للمصدر الذي
هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون حال ﴿فكيف
يكون حالهم ﴿اذا اصابتهم مصيبة﴾ كقتل عمر المنافق او النقمة من الله ﴿بما قدمت ايديهم﴾
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ﴿ثم جاءوك﴾ حين يصابون للاعتذار عطف
على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض ﴿يحلفون بالله﴾ حال ﴿ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا﴾ وما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك
وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق
بينه وبين خصمه ﴿اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق ولا يغني عنهم الكتمان و
الحلف الكاذب من العقاب ﴿فاعرض عنهم﴾ اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول
معذرتهم ﴿وعظهم﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه ﴿وقل لهم في انفسهم﴾ في معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح في السر انجع ﴿قولا بليغا﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام
وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به ﴿وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله﴾ بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك
على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب
القتل ﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم﴾ بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت ﴿جاءوك﴾ تائبين
من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به ﴿فاستغفروا الله﴾ بالتوبة والاخلاص ﴿واستغفر لهم الرسول﴾
واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم
القياس يقتضي بهذا القول جاءوك تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب
وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾
لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه

او حالا من الضمير فيه ﴿فلا وربك﴾ اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله
﴿لا يؤمنون﴾ لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد ﴿حتى
يحكموك فيما شجر بينهم﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ﴿ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت﴾ ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في
ضيق من امره ﴿ويسلموا تسليما﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ﴿ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم﴾ تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان
مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ﴿او اخرجوا من دياركم﴾ خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او
اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا حمزة وعاصم
بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ﴿ما فعلوه الا
قليل منهم﴾ الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم
نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين
وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ﴿ولو انهم فعلوا ما يوعظون به﴾
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة ﴿لكان خيرا لهم﴾ في عاجلهم واجلهم
﴿واشد تثبيتا﴾ في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه
على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا
في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق
يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق
يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك ﴿واذا لاتيناهم من
لدنا اجرا عظيما﴾ جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو
تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ﴿ولهديناهم صراطا مستقيما﴾ يصلون بسلوكه جناب
القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
﴿ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم﴾ مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليه مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا ﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾
بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج

الآيات والاخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون ○ وحسن اولئك رفيقا ○ في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عليه السلام اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ○ ذلك ○ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم ○ الفضل ○ صفته ○ من الله ○ خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة ○ وكفى بالله عليما ○ بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله ○ يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم ○ اي تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح ○ فانفروا ○ فاخرجوا الى الجهاد ○ ثبات ○ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ○ او انفروا جميعا ○ مجتمعين كوكبة واحدة والآية نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات ○ وان منكم لمن ليبطئن ○ الخطاب لعسكر رسول الله عليه السلام المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطؤا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن ○ فان اصابتكم مصيبة ○ كقتل وهزيمة ○ قال ○ اي المبطئ ○ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم

شهيدا ○ حاضرا فيصيبني ما اصابهم ○ ولئن اصابكم فضل من الله ○ كفتح وغنيمة ○ ليقولن ○ اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من ○ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ○ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ○ يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ○ للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت ○ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ○ اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ○ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ○ وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين ○ وما لكم ○ مبتدأ وخبر ○ لا تقاتلون في سبيل الله ○ حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل ○ والمستضعفين ○ عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها ○ من الرجال والنساء والولدان ○ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد ○ الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك

نصيرا ۝ فاستجاب الله دعاءهم بان يسّر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم
خير ولي وناصر بفتح مكة على نبيه عليه السلام فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند
اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على
حسب ما عمل فيه ۝ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ۝ فيما يصلون به الى الله تعالى ۝
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ۝ فيما يبلغ بهم الى الشيطان ۝ فقاتلوا اولياء
الشيطان ۝ لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
۝ ان كيد الشيطان كان ضعيفا ۝ اي كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين
ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه ۝ ألم تر الى
الذين قيل لهم كفوا ايديكم ۝ اي عن القتال ۝ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ۝ واشتغلوا
بما امرتم به ۝ فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ۝ يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم
صفته يخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل
يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه ۝ او اشد خشية ۝ عطف عليه
ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية
كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ۝ استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم ۝ قل متاع الدنيا
قليل ۝ سريع التقضي ۝ والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ۝ ولا تنقصون ادنى شيء من
ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم
الغيبة ۝ اينما تكونوا يدرككم الموت ۝ وقرئ بالرفع على حذف الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ۝ ولو كنتم في بروج مشيدة ۝ في قصور
او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيَّدة
وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه ۝ وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ۝ كما تقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها

الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا من شؤمك كما قالت اليهود منذ دخل
محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها ۝ قل كل من عند الله ۝ يبسط ويقبض حسب ارادته
۝ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ۝ يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه
وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ۝ ما اصابك ۝ يا انسان
من حسنة ۝ من نعمة ۝ فمن الله ۝ تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة من الله قيل ولا انت قال
ولا انا ۝ وما اصابك من سيئة ۝ من بلية ۝ فمن نفسك ۝ لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى
لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة ۝ وارسلناك للناس رسولا ۝ حال قصد بها التأكيد ان علق الجار
بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس
ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام ۝ وكفى بالله شهيدا ۝ على رسالتك
بنصب المعجزات ۝ من يطع الرسول فقد اطاع الله ۝ لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي
انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ۝ ومن تولى ۝ عن طاعته ۝ فما ارسلناك عليهم حفيظا ۝ تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ۝ ويقولون ۝ اذا امرتهم
بامر ۝ طاعة ۝ اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات ۝ فاذا برزوا من عندك ۝ خرجوا ۝ بيت طائفة منهم غير الذي تقول ۝
زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة
بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج ۝ والله يكتب ما يبيتون ۝ يثبته في صحائفهم للمجازاة
او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم ۝ فاعرض عنهم ۝ قلل المبالاة بهم او
تجاف عنهم ۝ وتوكل على الله ۝ في الامور كلها سيما في شأنهم ۝ وكفى بالله وكيلا ۝
يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم ۝ افلا يتدبرون القرآن ۝ يتأملون في معانيه ويتبصرون

بايديهم واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام
البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان
القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا
بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او
تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن
الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اي ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى
اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه
على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم
وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين
يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول و
انزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل
الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا
وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم
عن الجهاد فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو
على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا
فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك
في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان
القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منه وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم

او دفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له
نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة
يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله
على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت
النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي
ويحفظ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم
زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه
اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان
يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام
مشروع فلا يرد في الخطبة وفي قراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية
في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء
فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول
قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها
الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي
والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو
والقيامة والقيام كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه
في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا
انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا
على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو واجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل
نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق

الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم
كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون
فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة
او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على
تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه
فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا
الذين ينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل
الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم
عطف على الصلة اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم
وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
فكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر
لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان
لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا الى رسول
الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما
رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها

عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا
ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا
ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا
بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء
من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا
خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر
والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لا
يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء
بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث
ابن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه
لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم عليها باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
عليه السلام يامرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن
فعلى بيت المال وان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها
صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من
القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة
دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم و
بينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او
اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له

فان قيل قتل الخطا لا يكون معصية فما وجه قوله توبة من الله اجيب عنه بوجوه الاول ان فيه نوعا من التقصير فان الظاهر انه لو بالغ في الاحتياط لما صدر عنه
ذلك فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا بترك الاحتياط والثاني ان قوله توبة من الله تخفيفا من الله بطريق اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم
فان التخفيف من لوازم قبول التوبة فانه تعالى اذا تاب على المذنب فقد خفف عنه ذنبه فلما شرع الله للمذنب العاجز عن الكفارة بتحرير الرقبة ان يكفر بالصوم فقد
خففه عنه والثالث ان التوبة هنا استغفار لجنابة القاتل خطاء

شيخ زاده

اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم
توبة او حال بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله وكان الله
عليما بحاله حكيما فيما امر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس
لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه
مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما
ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني
النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله عليه السلام بان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل
على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة
على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله
سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم
بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا
وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان تبتغون عرض الحياة
الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك
كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم
من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة
في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره لتعظيم
الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا
تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله عليه السلام غزت اهل فدك
فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال السلام عليك فقتله اسامة
واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله
محمد رسول الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان
المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين

اي اللام في القاعدين ليس للاستغراق وليس لتعريف الحقيقة ايضا لان
نفي الاستواء ليست بالحقيقة حتى يقال ان ماهية القاعدين لا تساوي ماهية
المجاهدين وليس لتعريف العهد الخارجي ايضا اذ ليس المراد بالقاعدين
حصة معينة من جنس القاعدين عن الحرب فتعين ان يكون اللام فيه
لتعريف العهد الذهني والمعرف بهذا التعريف يشبه النكرة فيعامل
معاملة النكرة
شيخ زاده

في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء
وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله في مجلسه الوحي فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت
ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل
ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد
منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال
عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة
والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله
وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين
اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من
جاهد نفسه لقوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا
لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم في امر دينكم قالوا كنا مستضعفين

في الأرض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين وإعلاء
كلمته قالوا أي الملائكة تكذيبا لهم أو تبكيتا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
أي إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة فأولئك مأواهم جهنم لتركهم
الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر إن والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم
حال من الملائكة بإضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على
الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم أو جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة
من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان
شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليه السلام
إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والإشارة إليه وذكر الولدان إن أريد به المماليك فظاهر وإن أريد به الصبيان
فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة
فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت لا يستطيعون حيلة
ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه أو حال عنه أو عن المستكن فيه
والاستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه
أو بدليل فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذانا
بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى أن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه
وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه أي يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من
الرغام وسعة في الرزق وإظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على أنه خبر محذوف أي ثم هو يدركه وبالنصب على إضمار
أن كقوله والحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما
الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله ثبوت الأمر الواجب والآية نزلت
في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق
بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات
وإذا ضربتم سافرتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة بتنصيف
ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده أنه عليه السلام أتم في السفر وأن عائشة
اعتمرت مع رسول الله عليه السلام وقالت يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت

قال أبو حنيفة رح القصر واجب فإن صلى المسافر أربعا ولم يقعد في الثانية فسدت صلوته وإن قعد فيها مقدار التشهد تمت صلوته

فقال عليه السلام أحسنت يا عائشة وأوجب أبو حنيفة رح لقول عمر رض صلاة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رض أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين
فأقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتام
في الصحة والإجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة إلى تأويل الآية بأنهم ألفوا الأربع وكان
مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الإتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح
فيه لتطيب به أنفسهم وأقل سفر يقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة وقرئ
تقصروا من أقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الأخفش إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم
يعتبر في قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن
في جوازه أيضا في حال الأمن وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم
وهو القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص
صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم
الأئمة بعده وأنهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم إحداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو وليأخذوا أسلحتهم
أي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الأخرى وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم فإذا
سجدوا يعني المصلين فليكونوا أي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره يدل على أن الإمام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام
ببطن النخل وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلي بالأولى
ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى وجه العدو فتأتي الأخرى فيتم بهم
الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله عليه السلام
بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رح يصلي بالأولى ركعة ثم يذهب هؤلاء ويقف بإزاء العدو
وتأتي الأخرى فيصلي معه ركعة ويتم صلاته ثم يعود إلى وجه العدو وتأتي الأولى فتؤدي
الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم جعل الحذر آلة
يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤوا الدار
والإيمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة

تمنوا ان تنالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا
باخذ السلاح ○ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم ○
رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب ○ وخذوا حذركم ○ امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يهجم عليهم العدو
○ ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ○ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم
لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظ
في الامور على مراسم التيقظ فيتوكلوا على الله ○ فاذا قضيتم الصلوة ○ اديتم وفرغتم منها
○ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ○ فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا
اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا
مرامين وعلى جنوبكم مثخنين ○ فاذا اطمأننتم ○ سكنت قلوبكم من الخوف ○ فاقيموا الصلوة
○ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ○ ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا ○ فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا
دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة
وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رح لا يصلي المحارب حتى يطمئن ○
ولا تهنوا ○ ولا تضعفوا ○ في ابتغاء القوم ○ في طلب الكفار بالقتال ○ ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ○ الزام لهم وتقريع على التواني فيه
بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين
واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليه
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم يالمون علة للنهي
عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى ○ وكان الله عليما ○ باعمالكم وضمائركم ○ حكيما
فيما يامر وينهى ○ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ○ نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له
ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله ﷺ فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا
ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عليه السلام ان يفعل ○ بما اراك الله
○ بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل

○ ولا تكن للخائنين ○ اي لاجلهم والذب عنهم ○ خصيما ○ للبرآء ○ واستغفر الله ○ مما هممت
○ ان الله كان غفورا رحيما ○ لمن يستغفره ○ ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ○ يخونونها
فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله
او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ○ ان الله لا يحب من كان
خوانا ○ مبالغا في الخيانة مصرا عليها ○ اثيما ○ منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ○ يستخفون من الناس ○ يستترون منهم حياء
وخوفا ○ ولا يستخفون من الله ○ ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه ○
وهو معهم ○ لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه ○ اذ يبيتون ○
يدبرون ويزورون ○ ما لا يرضى من القول ○ من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
○ وكان الله بما يعملون محيطا ○ لا يفوت عنه شيء ○ ها انتم هؤلاء ○ مبتدأ وخبر ○
جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا ○ جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا
○ فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ○ محاميا يحميهم من عذاب الله ○
ومن يعمل سوءا ○ قبيحا يسوء به غيره ○ او يظلم نفسه ○ بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء
ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ○ ثم يستغفر الله ○ بالتوبة ○
يجد الله غفورا ○ لذنوبه ○ رحيما ○ متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
○ ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ○ فلا يتعداه وباله وان استأثر فيها ○
وكان الله عليما حكيما ○ فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ○ ومن يكسب خطيئة ○ صغيرة او ما لا
عمد فيه ○ او اثما ○ كبيرة او ما كان عن عمد ○ ثم يرم به بريئا ○ كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان
او ○ فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ○ بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ○ ولولا فضل الله عليك ورحمته ○
باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول عليه السلام في جميعه للتعظيم او له وللاتقم فان عصمه
واطلاعه على الاحوال لطفه في حقهم ○ لهمت طائفة ○ منهم من بني ظفر ○ ان يضلوك ○
عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره
فيه ○ وما يضلون الا انفسهم ○ لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم ○ وما يضرونك من
شيء ○ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن
شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر ○ وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم ○ من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام ○ وكان فضل الله

عليك عظيما ⊙ اذ لا فضل اعظم من النبوة ⊙ لا خير في كثير من نجواهم ⊙ من متناجيهم
لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله ⊙ الا من امر بصدقة او معروف ⊙ على حذف
مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع
وسائر ما فسر به ⊙ او اصلاح بين الناس ⊙ او اصلاح ذات بين ⊙ ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ⊙ بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على
الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان
الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله الاجر ووصف الاجر بالعظم
تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا ⊙ ومن يشاقق الرسول ⊙ يخالفه من الشق فان
كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ⊙ من بعد ما تبين له الهدى ⊙ ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ⊙ ويتبع غير سبيل المؤمنين ⊙ غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ⊙ نوله ما تولى
⊙ نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ⊙ ونصله جهنم ⊙ وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه ⊙ وساءت مصيرا ⊙ جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع
لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل
واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز
استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع
غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم
وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ⊙ ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ⊙ كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عليه السلام
وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب
فما ترى حالي عند الله فنزلت ⊙ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ⊙ عن الحق فان الشرك
اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها
متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ⊙
ان يدعون من دونه الا اناثا ⊙ يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال ⊙ وما ذكر فان يسمن فانثى ⊙

شديد الازم ليس له ضروس ⊙ فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر
يسمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها
ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن
حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد
وانثا على انه جمع انيث كخبث جمع خبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد
واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة ⊙ وان يدعون ⊙ وان يعبدون بعبادتها ⊙
الا شيطانا مريدا ⊙ لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له
والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء
التي تناثر ورقها ⊙ لعنه الله ⊙ صفة ثانية للشيطان ⊙ وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
⊙ عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته
للناس وقد برهن سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان
ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي
ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة
الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا
عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث
انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته
والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ⊙ ولاضلنهم ⊙
عن الحق ⊙ ولامنينهم ⊙ الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ⊙
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ⊙ يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ⊙
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ⊙ عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي
واخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة
الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من
الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل
الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ⊙ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
⊙ بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته ⊙ فقد

خسر خسرانا مبينا ۞ اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار ۞ يعدهم
ما لا ينجز ۞ ويمنيهم ۞ ما لا ينالون ۞ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۞ وهو اظهار النفع
فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه ۞ اولئك مأويهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا ۞ معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له
لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله ۞ والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ۞ اي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب
بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال
من المصدر ۞ ومن اصدق من الله قيلا ۞ جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد
في تحصيله ۞ ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب ۞ اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم
ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني
ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل
الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويدل عليه
تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان
الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم
قرر ذلك وقال ۞ من يعمل سوءا يجز به ۞ عاجلا او اجلا لما روي انها لما نزلت قال ابو بكر
فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى
يا رسول الله قال هو ذاك ۞ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ۞ ولا يجد لنفسه
اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ۞ ومن يعمل من الصالحات
۞ بعضها او شيئا منها فان كل واحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها ۞ من ذكر او انثى
۞ في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى
ومن للابتداء ۞ وهو مؤمن ۞ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور
تنبيها على انه لا اعتداد به دونه ۞ فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ۞ بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي

ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ۞ ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله ۞ اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه في السجود وفي هذا الاستفهام
تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية ۞ وهو محسن ۞ ات بالحسنات تارك
للسيئات ۞ واتبع ملة ابرهيم ۞ الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها ۞ حنيفا
مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم ۞ واتخذ الله ابرهيم خليلا
۞ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له
وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئنافية جيء بها للترغيب في اتباع ملته
والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما
اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت
احسن الحوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت
من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا ۞ ولله ما في السموات
وما في الارض ۞ خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب
طاعة الله على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال ۞ وكان الله بكل شيء
محيطا ۞ احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ۞ ويستفتونك
في النساء ۞ في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه السلام فقال اخبرنا
انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز
الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت ۞ قل الله يفتيكم فيهن ۞ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء
تبيين المبهم ۞ وما يتلى عليكم في الكتاب ۞ عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم
وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم ونحوه والفعل
الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ
ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى
عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى ۞ في يتامى النساء

صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة
اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد و
هذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته
ياء ○ اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ○ اى فرض لهن من الميراث ○ وترغبون
ان تنكحوهن ○ في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن
جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف
وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها
○ والمستضعفين من الولدان ○ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما
لا يورثون النساء ○ وان تقوموا لليتامى بالقسط ○ ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما
يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا
على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم ○ وما تفعلوا من
خير فان الله كان به عليما ○ وعد لمن آثر الخير في ذلك ○ وان امرأة خافت من بعلها ○
توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر ○ نشوزا ○ تجافيا
وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها ○ او اعراضا ○ بان يقل مجالستها ومحادثتها
○ فلا جناح عليهما ان يتصالحا بينهما صلحا ○ ان يتصالحا بان تحط عنه بعض المهر او القسم
او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا
جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى
والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح ○ والصلح خير ○ من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان
الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله ○ واحضرت الانفس الشح ○ ولذلك
اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى
احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا يكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في
حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها ○
وان تحسنوا ○ في العشرة ○ وتتقوا ○ النشوز والاعراض ونقص الحق ○ فان الله
كان بما تعملون ○ من الاحسان والخصومة ○ خبيرا ○ عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام
كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام

المسبب ○ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ○ لان العدل ان لا يقع ميل البتة
وهو متعذر ولذلك كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما
املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ○ ولو حرصتم ○ على تحري ذلك وبالغتم فيه ○
فلا تميلوا كل الميل ○ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك
كله ○ فتذروها كالمعلقة ○ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كانت
له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل ○ وان تصلحوا ○ ما كنتم تفسدون
من امورهن ○ وتتقوا ○ فيما يستقبل ○ فان الله كان غفورا رحيما ○ يغفر لكم ما مضى
من ميلكم ○ وان يتفرقا ○ وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه
يغن الله كلا ○ منهما عن الآخر ببدل او سلو ○ من سعته ○ غناه وقدرته ○ وكان الله
واسعا حكيما ○ مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ○ ولله ما في السموات وما في الارض ○
تنبيه على كمال سعته وقدرته ○ ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ○ يعني اليهود
والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر
بالاخلاص ○ واياكم ○ عطف على الذين ○ ان اتقوا الله ○ بان اتقوا الله ويجوز ان تكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول ○ وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
○ على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم
ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله ○ وكان
الله غنيا ○ عن الخلق وعبادتهم ○ حميدا ○ في ذاته حمد او لم يحمد ○ ولله ما في السموات
وما في الارض ○ ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على
غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا ○ وكفى بالله
وكيلا ○ راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ○ ان يشأ
يذهبكم ايها الناس ○ يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ○ ويأت باخرين ○
ويوجد قوما آخرين مكان الانس ○ وكان الله على ذلك ○ من الاعدام والايجاد ○
قديرا ○ بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به
وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله عليه السلام من العرب ومعناه معنى قوله
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله عليه السلام يده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا ○ من كان يريد ثواب الدنيا ○ كالمجاهد يجاهد للغنيمة ○ فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة ○ فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حسنة او يطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في
جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد
له في حرثه ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده ﴿يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته ﴿شهداء لله﴾
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان او حال ﴿ولو على انفسكم﴾ ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره ﴿او
الوالدين والاقربين﴾ اي ولو على والديكم واقاربكم ﴿ان يكن﴾ المشهود عليه
او كل واحد منه ومن المشهود له ﴿غنيا او فقيرا﴾ فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة عليها او لها
تجرّوا فيها ميلا او ترحما ﴿فالله اولى بهما﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة
عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل
المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم
﴿فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا﴾ لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل
﴿وان تلووا﴾ السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان
وليتم اقامة الشهادة ﴿او تعرضوا﴾ عن اداءها ﴿فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾
فيجازيكم عليه ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب
اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه فنزلت ﴿آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله و
الكتاب الذي انزل من قبل﴾ اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا بقلوبكم
كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الرسل والكتب فان الايمان بالبعض كلا ايمان و
الاول القرآن والثاني الجنس ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾
اي ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه ﴿ان الذين آمنوا﴾ يعني اليهود آمنوا بموسى ﴿ثم كفروا﴾ حين عبدوا
العجل ﴿ثم آمنوا﴾ بعد عوده اليهم ﴿ثم كفروا﴾ بعيسى ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بمحمد
عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي
﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر و
يثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا

ليغفر لهم ﴿بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما﴾ يدل على ان الآية في المنافقين وهم
قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد
الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم ﴿الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين﴾ في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين
﴿ايبتغون عندهم العزة﴾ ايتعززون بموالاتهم ﴿فان العزة لله جميعا﴾ لا يتعزز
الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة
غيرهم بالاضافة اليهم ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ يعني القرآن وقرئ وقد نزل اي الله
مقام فاعله ﴿ان اذا سمعتم آيات الله﴾ وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم ﴿يكفر بها
ويستهزأ بها﴾ حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله ﴿فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو
ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها ﴿انكم اذا مثلهم﴾
في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين
يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ﴿ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ
بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون ﴿الذين يتربصون بكم﴾ ينتظرون
امركم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او
مبتدأ خبره ﴿فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم﴾ مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما
غنمتم ﴿وان كان للكافرين نصيب﴾ من الحرب فانها سجال ﴿قالوا الم نستحوذ عليكم﴾
قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس
ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ بان خذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المؤمنين
فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال ﴿فالله يحكم
بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد
وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ﴿ان المنافقين يخادعون

الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان
يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة
فان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي
لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر
بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم
مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين
مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من
الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريق لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين
ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الى الحق والصواب ونظيره ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فان ذلك صنيع المنافقين ودينهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وهي الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء
بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد
والتغليظ وانما سميت طباقها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض و
قرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك
ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا
من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن
جملتهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا
وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي

الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان
الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان
الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان
رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم
عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا
او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تسبيب له ولذلك
رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته
على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على
مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض
الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان
والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما
بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال فماذا بعد الحق
الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا
مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في
سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب
بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين

بذنبهم تعنتا بعين لعذبهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس
بأول جهالاتهم وخيالاتهم ۞ فقالوا أرنا الله جهرة ۞ عيانا اي ارنا نره جهرة او مجاهرين معاينين
فأخذتهم الصاعقة ۞ نار جاءت من السماء فاهلكتهم ۞ بظلمهم ۞ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ۞
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم ۞ هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم ۞ البينات
۞ المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد ۞ فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا ۞ تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ۞
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ۞ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ۞ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
على لسان موسى والطور مظل ۞ عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ۞ على لسان داود
ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء
فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء في الدال ۞ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ۞ على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا ۞
فبما نقضهم ميثاقهم ۞ اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء
متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما
عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جارهما ۞ وكفرهم بآيات الله ۞
بالقرآن او بما في كتابهم ۞ وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ۞ اوعية للعلوم
او اكنة لا تعي ما ندعونا اليه ۞ بل طبع الله عليها بكفرهم ۞ فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ ۞ فلا يؤمنون الا قليلا ۞ كعبد الله بن سلام
او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ۞ وبكفرهم ۞ بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله و
يكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليه السلام ۞
وقولهم على مريم بهتانا عظيما ۞ يعني نسبتها الى الزنا ۞ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله ۞ اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح ۞ وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ۞ روي ان رهطا من اليهود سبّوه وامه فدعا عليهم
فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال

لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى عليه
شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ
وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن
انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم
الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة و
تبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع
لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله
فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا ۞ وان الذين اختلفوا
فيه ۞ في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود
انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء
انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ۞ لفي شك منه ۞ لفي تردد والشك كما
يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله
۞ ما لهم به من علم الا اتباع الظن ۞ استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء ۞
وما قتلوه يقينا ۞ اي قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا
كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما
اذا تبالغ علمك فيه ۞ بل رفعه الله اليه ۞ رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ۞ وكان الله عزيزا
۞ لا يغلب على ما يريده ۞ حكيما ۞ فيما دبره لعيسى ۞ وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
۞ اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود
اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله
قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من
السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد
من اهل الكتاب الا ليؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات

ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ﴿ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ اي فباي ظلم ﴿حرمنا عليهم طيبات احلت لهم﴾
يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ ناسا كثيرا
او صدا كثيرا ﴿واخذهم الربوا وقد نهوا عنه﴾ كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على ان النهي على التحريم ﴿واكلهم اموال الناس بالباطل﴾ بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة ﴿واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما﴾ دون من تاب وآمن ﴿لكن
الراسخون في العلم منهم﴾ كعبد الله بن سلام واصحابه ﴿والمؤمنون﴾ اي منهم او من
المهاجرين والانصار ﴿يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك﴾ خبر المبتدا
﴿والمقيمين الصلوة﴾ نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على
ما انزل والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او على الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم ﴿والمؤتون الزكوة﴾
رفع لاحد الوجوه المذكورة ﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية ﴿اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما﴾
على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح ﴿انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من
بعده﴾ جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان
امره في الوحي كسائر الانبياء ﴿واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما
فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم
[illegible]
﴿وآتينا داود زبورا﴾ وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ﴿ورسلا﴾
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسرنا ﴿قد قصصناهم عليك من قبل﴾
من قبل هذه السورة او اليوم ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل
ما اعطى كل واحد منهم ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا ﴿لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل﴾ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم
نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات

المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد
ظرف لها او صفة ﴿وكان الله عزيزا﴾ لا يغلب فيما يريده ﴿حكيما﴾ فيما دبر من
امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز ﴿لكن الله يشهد﴾ استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره ﴿بما انزل
اليك﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت ﴿انزله بعلمه﴾ انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم
يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه
الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من
المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿والملائكة يشهدون﴾ ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم
يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص
الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح
لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ اي كفى
بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال
وابعد من الانقلاع عنه ﴿ان الذين كفروا وظلموا﴾ محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه
صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم
الجامعون بين الكفر والظلم ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين
حال مقدرة ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا يصعب عليه ولا يستعظمه ﴿يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها
ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد
﴿فآمنوا خيرا لكم﴾ اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه
يؤدي الى حذف الشرط وجوابه ﴿وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض﴾
يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله ما في السموات

والارض وهو غني عما استكثرتم عليه وما زكيتم منه ○ وكان الله عليما ○ باحوالهم ○ حكيما ○
فيما دبر لهم ○ يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ○ الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط
عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة
فانه اوفق لقوله ○ ولا تقولوا على الله الا الحق ○ يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد ○
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم ○ اوصلها اليها وحصلها فيها
○ وروح منه ○ وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي
روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب ○ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة ○
اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة ○
انتهوا ○ عن التثليث ○ خيرا لكم ○ نصبه كما سبق ○ انما الله اله واحد ○ اي واحد بالذات
لا تعدد فيه بوجه ما ○ سبحانه ان يكون له ولد ○ اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه
يتصور فيمن يماثله ويتطرق اليه الفناء ○ له ما في السموات وما في الارض ○ ملكا وخلقا لا يماثله
شيء من ذلك فيتخذه ولدا ○ وكفى بالله وكيلا ○ تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
○ لن يستنكف المسيح ○ لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك لئلا يرى اثره
عليك ○ ان يكون عبدا لله ○ من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به
وانما الذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قال لرسول الله عليه السلام
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله
قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ○ ولا الملائكة المقربون ○ عطف على المسيح
اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء
وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية
للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد
بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان
اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى
منهم مرتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر

مطلقا والنزاع فيه ○ ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ○ يترفع عنها والاستكبار
دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد
يكون باستحقاق ○ فسيحشرهم اليه جميعا ○ فيجازيهم ○ فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ○ تفصيل للمجازاة العامة المدلول
عليها من فحوى الكلام فكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم
فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة ○ يا ايها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ○ عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي قد جاءكم
دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او الرسول او
القرآن ○ فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ○ ثواب قدره بازاء
ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب ○ وفضل ○ احسان زائد عليه ○ ويهديهم اليه
○ الى الله وقيل الى الموعود ○ صراطا مستقيما ○ هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق
الجنة في الآخرة ○ يستفتونك ○ اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان
جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله عليه السلام فقال اني كلالة فكيف اصنع
في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام ○ قل الله يفتيكم في الكلالة ○ سبق تفسيرها في اول
السورة ○ ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ○ ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف
والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان
الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف
○ وهو يرثها ○ اي المرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ○ ان لم يكن لها ولد ○ ذكرا
كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما
لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون
مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت ○ فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ○ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة
الاخبار عنها باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ○ وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ○ اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر ○ يبين الله لكم ان تضلوا ○ اي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم اذا

حليتهم وطبائعكم لتحرزوا عنه وتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا
وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فهو عالم
بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على
كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك
وكان في مشيئة الله تعالى عنه وجل من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود﴾ الوفاء هو القيام
بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال
ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمهم اياها من التكاليف وما
يعقدونه بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا
الامر على المشترك بين الوجوب والندب ﴿احلت لكم بهيمة الانعام﴾ تفصيل للعقود
البهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة و
نحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه ﴿الا ما
يتلى عليكم﴾ الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه ﴿غير محلي الصيد﴾
حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر و
المفعول ﴿وانتم حرم﴾ حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿ان الله يحكم
ما يريد﴾ من تحليل وتحريم ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ يعني مناسك الحج جمع
شعيرة وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك
وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ﴿ولا الشهر
الحرام﴾ بالقتال فيه او بالنسيء ﴿ولا الهدي﴾ ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية
السرج ﴿ولا القلائد﴾ اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف
الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره ولا
يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي
فلا يتعرض له ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ قاصدين لزيارته ﴿يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا﴾ اي يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة

لان عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه
والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان
الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم
الحطم شريح بن ضبيعة وقد كان استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ
على خطاب المسلمين ﴿واذا حللتم فاصطادوا﴾ اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام
ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم و
احل ﴿ولا يجرمنكم﴾ ولا يحملنكم او لا يكسبنكم ﴿شنآن قوم﴾ شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن
عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت
اكثر ﴿ان صدوكم عن المسجد الحرام﴾ لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ﴿ان تعتدوا﴾ بالانتقام ثاني مفعولي
يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ على العفو والاغضاء ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى ﴿ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾ للتشفي والانتقام ﴿واتقوا الله
ان الله شديد العقاب﴾ فانتقامه اشد ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ بيان ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير ذكاة ﴿والدم﴾ اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية
يصبونه في الامعاء ويشوونها ﴿ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به﴾ اي رفع الصوت لغير الله به
كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه ﴿والمنخنقة﴾ التي ماتت بالخنق ﴿والموقوذة﴾
المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته ﴿والمتردية﴾ التي تردت من علو
او في بئر فماتت ﴿والنطيحة﴾ التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل ﴿وما اكل السبع﴾
وما اكل منه السبع وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل ﴿الا ما ذكيتم﴾
الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع و
الذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد ﴿وما ذبح على النصب﴾ النصب واحد الانصاب
وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب
﴿وان تستقسموا بالازلام﴾ اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا

لما نزل قوله اليوم اكملت لكم دينكم عاش النبي عليه السلام لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة لا زيادة
ولا تبديل البتة فكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا ومما يؤكد ذلك ما روي انه
لما قرأ هذه الآية فرحوا جدا واظهروا السرور العظيم الا ابا بكر رضي الله عنه فانه بكى فسئل عنه فقال هذه الآية تدل على قرب وفاة الرسول عليه السلام
فانه ليس بعد الكمال الا الزوال وكان الامر كذلك ... حيث وقف من هذه الآية عليه السلام لم يعش بعده ... كبير

فعلوا ضربوا القداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث
غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد
ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به
الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد
الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم
واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر
الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف
اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على
الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة
وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا
عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن
مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا
وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين
معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب
يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك

وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التأديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل
الذي هو منحة منه تعالى او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام
لعدي بن حاتم فان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر اصحاب الفقهاء وقال
بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط
مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس
في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي
نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل
الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث
على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين
بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن
يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام
وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة اي اذا اردتم
القيام كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها
للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او
اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته وقيل مطلق اريد به
التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول
الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها

وجرى على احد احوالها ۝ فاغسلوا وجوهكم ۝ امرّوا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك
خلافاً لمالك ۝ وايديكم الى المرافق ۝ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلق بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى
المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل
عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقاً واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه
وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطاً وقيل
الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله
ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطاً ۝
وامسحوا برؤسكم ۝ الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح
برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا
وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رح اقل ما يقع عليه الاسم اخذاً
باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
مسح كله اخذاً بالاحتياط ۝ وارجلكم الى الكعبين ۝ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي
ويعقوب عطفاً على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد
اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله عذاب يوم اليم
وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح وفي الفصل بينه
وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة ۝ وان كنتم جنباً فاطهروا
فاغتسلوا ۝ وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ۝ سبق تفسيره ولعل تكريره
ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ۝ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ۝ اي ما يريد الامر
بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقاً عليكم ۝ ولكن يريد ليطهركم ۝ لينظفكم او ليطهركم عن
الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد
في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى
لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة ۝
وليتم ۝ بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم ۝ نعمته عليكم ۝ في الدين او ليتم برخصه

انعامه عليكم بعزائمه ۝ لعلكم تشكرون ۝ نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان
اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل
ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر
واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام
النعمة ۝ واذكروا نعمة الله عليكم ۝ بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره ۝
وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ۝ يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او
ميثاق ليلة العقبة او ميثاق بيعة الرضوان ۝ واتقوا الله ۝ في انساء نعمته ونقض
ميثاقه ۝ ان الله عليم بذات الصدور ۝ اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات
اعمالكم ۝ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا ۝ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض
عهد تشفياً مما في قلوبكم ۝ اعدلوا هو اقرب للتقوى ۝ اي العدل اقرب للتقوى
صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين ۝ واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون ۝ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى
نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ
۝ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم ۝ انما حذف ثاني مفعولي
وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول ۝ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ۝ هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء
لحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم ۝ يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم ۝ روي ان المشركين رأوا رسول الله عليه السلام واصحابه بعسفان
قاموا الى الظهر معاً فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر
فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه
السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربع يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ
يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله

فجاء عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل واخبره فخرج و
قيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل
سيفه فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله فاسقطه جبرائيل من يده فاخذه الرسول عليه السلام
فقال من يمنعك مني فقال لا احد اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
فنزلت ۝ اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم ۝ بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا
بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ۝ فكف ايديهم عنكم ۝ منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها
عنكم ۝ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر
۝ ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ۝ شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل
لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض شام وكان يسكنها الجبابرة
الكنعانيون وقال الله اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا
قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف ۝ وقال الله اني معكم ۝
بالنصرة ۝ لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم ۝ اي نصرتموهم و
قويتموهم واصله الذب ومنه التعزير ۝ واقرضتم الله قرضا حسنا ۝ بالانفاق في سبيل
الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ۝ لاكفرن عنكم سيئاتكم ۝ جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ۝ ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك ۝ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم ۝ منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم
معذرة ۝ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ۝ طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ۝
وجعلنا قلوبهم قاسية ۝ لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما
مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة
فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين ۝ يحرفون الكلم عن
مواضعه ۝ استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء
عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ۝ ونسوا حظا

وتركوا نصيبا وافيا ۝ مما ذكروا به ۝ من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها
عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ۝
ولا تزال تطلع على خائنة منهم ۝ خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ۝ الا قليلا منهم ۝ لم يخونوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية ۝ فاعف عنهم
واصفح ۝ ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ۝
ان الله يحب المحسنين ۝ تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره ۝ ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ۝ اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا و
انما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله ۝ فنسوا حظا مما
ذكروا به فاغرينا ۝ فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به ۝ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة ۝ بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود ۝
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ۝ بالجزاء والعقاب ۝ يا اهل الكتاب ۝
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه جنس ۝ قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب ۝ كنعت محمد عليه الصلوة والسلام واية الرجم في التورية وبشارة
عيسى باحمد في الانجيل ۝ ويعفو عن كثير ۝ مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن
كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه ۝ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۝ يعني القرآن فانه
الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام
۝ يهدي به الله ۝ وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد ۝ من
اتبع رضوانه ۝ من اتبع رضاه بالايمان منهم ۝ سبل السلام ۝ طرق السلامة من العذاب
او سبل الله ۝ ويخرجهم من الظلمات الى النور ۝ من انواع الكفر الى الاسلام ۝ باذنه ۝
بارادته او بتوفيقه ۝ ويهديهم الى صراط مستقيم ۝ طريق هو اقرب الطرق الى الله
ومؤد اليه لا محالة ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ۝ هم الذين قالوا
بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا
واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
۝ قل فمن يملك من الله شيئا ۝ فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ۝ ان اراد ان

يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ۝ احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره
ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ۝
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ۝ ازاحة
لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات
والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن
اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس
۝ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ۝ اشياع ابنيه عزير والمسيح كما
قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق
لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران ۝ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ۝ اي فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا
بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة ۝ بل انتم بشر
ممن خلق ۝ ممن خلقه الله ۝ يغفر لمن يشاء ۝ وهم من آمن به وبرسله ۝ ويعذب
من يشاء ۝ وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ۝ ولله
ملك السموات والارض وما بينهما ۝ كلها سواء في كونها خلقا وملكا له ۝ واليه المصير ۝ فيجازي
المحسن باحسانه والمسيء باساءته ۝ يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ۝ اي الدين
وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل
لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم ۝ على فترة من الرسل ۝
متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ۝
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ۝ كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا ۝ فقد جاءكم
بشير ونذير ۝ متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم ۝ والله على كل شيء
قدير ۝ فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة
او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن
سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا
احوج ما يكونون اليه ۝ واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
۝ فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء ۝
وجعلكم ملوكا ۝ اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا

قوله وجعلكم ملوكا قيل الملك من له مسكن واسع وفيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق

يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين
لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا ۝ وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ۝ من فلق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم ۝ يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة ۝ ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء
ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل
الشام ۝ التي كتب الله لكم ۝ قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن
ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم ۝ ولا ترتدوا على ادباركم ۝ ولا
ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله
۝ فتنقلبوا خاسرين ۝ ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على
الجواب ۝ قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ۝ متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد ۝ وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ۝ اذ لا طاقة لنا بهم ۝ قال رجلان ۝ كالب ويوشع
۝ من الذين يخافون ۝ اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما
وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين
يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول
يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد ۝ انعم الله عليهما
۝ بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ۝ ادخلوا عليهم الباب ۝
باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار ۝ فاذا دخلتموه
فانكم غالبون ۝ لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب
فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى او قوله كتب الله لكم او مما علما من
عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه ۝ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين ۝ اي مؤمنين به ومصدقين لوعده ۝ قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ۝
نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ۝ ما داموا فيها ۝ بدل من ابدا بدل البعض ۝
فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ۝ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله
وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك ۝ قال رب اني لا
املك الا نفسي واخي ۝ قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق

معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز أن يراد بأخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفاً على نفسي أو على اسم إن ورفعه عطفاً على الضمير في لا أملك أو على محل إن واسمها وجره عطفاً على الضمير في نفسي ۞ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۞ بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم ۞ قال فإنها ۞ فإن الأرض المقدسة ۞ محرمة عليهم ۞ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم ۞ أربعين سنة يتيهون في الأرض ۞ عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتاً غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي أن موسى سار بعد بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل إنه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني إسرائيل وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقاً فيكون التحريم مطلقاً وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وإنما قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والأكثر على أن موسى وهرون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع ۞ فلا تأس على القوم الفاسقين ۞ خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم ۞ واتل عليهم نبأ ابني آدم ۞ قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قرباناً فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل ۞ بالحق ۞ صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير في اتل أو من نبأ أي ملتبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين ۞ إذ قربا قرباناً ۞ ظرف للنبأ أو حال منه أو بدل على حذف مضاف أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها كما أن الحلوان اسم لما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل

واحد منهما قرباناً وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أرذل قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً ۞ فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ۞ لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده ۞ قال لأقتلنك ۞ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ۞ قال إنما يتقبل الله من المتقين ۞ في جوابه أي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق ۞ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ۞ قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لأن الدفع لم يبح بعد أو تحرياً لما هو الأفضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء ۞ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ۞ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى إنما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك وكلاهما في موضع الحال أي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعاً فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة ۞ فطوعت له نفسه قتل أخيه ۞ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها إلى الإقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ۞ فقتله فأصبح من الخاسرين ۞ ديناً ودنيا إذ بقي مدة عمره مطروداً محزوناً قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم ۞ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ۞ روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يريه والمراد بسوءة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى ۞ قال يا ويلتى ۞ كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل و

الطلب ۞ أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي ۞ لا اهتدي الى ما اهتدى
اليه وقوله فأواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا ۞ فأصبح من
النادمين ۞ على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه
من الغراب واسوداد لونه وتبرء ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم
عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرء عنه ومكث
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله ۞ من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
۞ بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه واستعمل في تعليل الجنايات
كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك ۞ انه من قتل نفسا بغير نفس ۞ بغير
قتل نفس يوجب الاقتصاص ۞ او فساد في الارض ۞ او بغير فساد فيها كالشرك او قطع
الطريق ۞ فكأنما قتل الناس جميعا ۞ من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل
وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله و
العذاب العظيم ۞ ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا ۞ اي ومن تسبب لبقاء حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ عن بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود
منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
۞ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون ۞
اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل
بالآيات الواضحات تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال
في الامر ۞ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ۞ اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة
باللصوصية وان كانت في مصر ۞ ويسعون في الارض فسادا ۞ اي مفسدين ويجوز
نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا
ان يقتلوا ۞ اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل ۞ او يصلبوا ۞ اي يصلبوا مع
القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن
حتى يموت ۞ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ۞ اي تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى

ان اخذوا المال ولم يقتلوا ۞ او ينفوا من الارض ۞ ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي
بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق ۞ ذلك لهم خزي في الدنيا ۞ ذل وفضيحة ۞ ولهم في الآخرة
عذاب عظيم ۞ لعظم ذنوبهم ۞ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ۞ استثناء
مخصوص بما هو حق الله ويدل عليه قوله ۞ فاعلموا ان الله غفور رحيم ۞ اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة
يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع
المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها ۞ يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ۞ اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه
من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة
منزلة في الجنة ۞ وجاهدوا في سبيله ۞ بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة ۞
لعلكم تفلحون ۞ بالوصول الى الله والفوز بكرامته ۞ ان الذين كفروا لو ان لهم ما
في الارض ۞ من صنوف الاموال ۞ جميعا ومثله معه ليفتدوا به ۞ ليجعلوه فدية لانفسهم
۞ من عذاب يوم القيامة ۞ واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت
ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة
في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ۞ ما تقبل منهم ۞
جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم
الى الخلاص منه ۞ ولهم عذاب اليم ۞ تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله ۞ يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ۞ وقرئ يخرجوا من
اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة ۞ والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما ۞ جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع
خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من
حرز في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك للاحاديث الواردة فيه وقد استقصيت
الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك

ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه
واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على
انه الرسغ لانه عليه السلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه ۝ جزاء بما كسبا نكالا من الله
۝ منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ۝ والله عزيز حكيم
فمن تاب ۝ من السراق ۝ من بعد ظلمه ۝ اى سرقته ۝ واصلح ۝ امره بالتفصي
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها ۝ فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم
۝ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق
المسروق منه ۝ الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ۝ الخطاب للنبي عليه السلام
او لكل احد ۝ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ۝ قدم التعذيب
على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به
القطع وهو في الدنيا ۝ يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ۝
اى صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة ۝
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ۝ اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ۝ ومن الذين هادوا ۝ عطف على
من الذين قالوا ۝ سماعون للكذب ۝ خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير
للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود
قوم سماعون واللام في للكذب اما زائدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون
لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك ۝ اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او
سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني
مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين ۝ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ۝
اى يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى
بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم
يحرفون وكذلك ۝ يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه ۝ اى ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به ۝ وان لم تؤتوه ۝ بل افتاكم محمد بخلافه ۝ فاحذروا ۝ اى

فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوا مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عليه السلام عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا
حكما بينهم وبينه فقال عليه السلام انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى و
رفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد
فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر
رسول الله عليه السلام بالزانيين فرجما عند باب المسجد ۝ ومن يرد الله فتنته ۝
ضلالته او فضيحته ۝ فلن تملك له من الله شيئا ۝ فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها
۝ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ۝ من الكفر وهو كما ترى نص على فساد
قول المعتزلة ۝ لهم في الدنيا خزي ۝ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ۝
ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۝ وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت
بقوله ومن الذين والا فللفريقين ۝ سماعون للكذب ۝ كرره للتاكيد ۝ اكالون
للسحت ۝ اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو
عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر ۝ فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ۝ تخيير لرسول الله عليه السلام اذا تحاكموا
اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول
للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم
ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا ۝ وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا ۝ بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس
۝ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ۝ بالعدل الذي امر الله به ۝ ان الله يحب المقسطين
۝ فيحفظهم ويعظم شانهم ۝ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا
كموماة ودوداة ۝ ثم يتولون من بعد ذلك ۝ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم
بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب ۝ وما اولئك بالمؤمنين ۝

بجنايتهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا اوليك وبه ﴿انا انزلنا التورية فيها
هدى﴾ يهدي الى الحق ﴿ونور﴾ يكشف ما استبهم من الاحكام ﴿يحكم بها
النبيون﴾ يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا
ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به ﴿الذين اسلموا﴾ صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء و
اقتفاء هديهم ﴿للذين هادوا﴾ متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو
يدل على ان النبيين انبياؤهم ﴿والربانيون والاحبار﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيون ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين ﴿وكانوا عليه
شهداء﴾ رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ﴿ولا تشتروا باياتي﴾ ولا تستبدلوا باحكامي التي
انزلتها ﴿ثمنا قليلا﴾ وهو الرشوة والجاه ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ مستهينا
منكرا له ﴿فاولئك هم الكافرون﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج
عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع
عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى ﴿وكتبنا عليهم﴾ وفرضنا على اليهود ﴿فيها﴾ في التورية
﴿ان النفس بالنفس﴾ اي ان النفس تقتل بالنفس ﴿والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن﴾ رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان
وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة
والقراءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع
منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور
حال مبينة للمعنى ﴿والجروح قصاص﴾ اي ذات قصاص وقرا الكسائي ايضا
بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل ﴿فمن تصدق﴾
من المستحقين ﴿به﴾ بالقصاص اي فمن عفا عنه ﴿فهو﴾ فالتصدق ﴿كفارة له﴾

المتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾
من القصاص وغيره ﴿فاولئك هم الظالمون وقفينا﴾ اي واتبعناهم
﴿على اثارهم﴾ فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون ﴿بعيسى
ابن مريم﴾ مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء ﴿مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه
الانجيل﴾ وقرئ بفتح الهمزة ﴿فيه هدى ونور﴾ في موضع النصب بالحال
﴿ومصدقا لما بين يديه من التورية﴾ عطف عليه وكذلك قوله ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾
ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف ﴿وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه﴾ عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وانزلناه ليحكم
وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان يحكم
﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾ عن حكمه او عن الايمان ان كان
مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة
عيسى وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر ﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ اي القران ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب﴾
من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ﴿ومهيمنا عليه﴾ ورقيبا
على سائر الكتب يحفظه من التغيير ويشهد له بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي
هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر ﴿فاحكم
بينهم بما انزل الله﴾ اي بما انزل الله اليك ﴿ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق﴾
بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا
تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك ﴿لكل جعلنا منكم﴾ ايها الناس ﴿شرعة﴾
شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية
وقرئ بفتح الشين ﴿ومنهاجا﴾ وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا
وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ﴿ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام
لاجبركم عليه ﴿ولكن ليبلوكم في ما اتاكم﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر
وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام

تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ فابتدروها انتهازاً للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ بالجزاء الفاصل بين
المحق والمبطل والعامل والمقصر ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ عطف على الكتاب أي
أنزلنا إليك الكتاب والحكم أو على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة
بتقدير وأمرنا أن احكم ﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل
الله إليك﴾ أي أن يضلوك ويصرفوك عنه وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال
أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك روي أن أحبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا
إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله عليه السلام فنزلت ﴿فإن تولوا﴾
عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾
يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيهاً على أن لهم ذنوباً كثيرة وهذا مع عظمه
بعضها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد أو يرتبط
بعض النفوس حمامها ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ لمتمردون في الكفر معتدون
فيه ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة
الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله عليه السلام
أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون
خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله أهذا الذي بعث الله رسولاً واستضعف
في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكماً كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيهم وقرأ
ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم
يوقنون﴾ أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون
فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن
حكماً من الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ فلا تعتمدوا عليهم
ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ إيماء إلى علة النهي
أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم
﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب

مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالي لهم كانوا منهم
﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين
بموالاة أعدائهم ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني ابن أبي وأضرابه ﴿يسارعون
فيهم﴾ في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ يعتذرون بأنهم
يخافون أن تصيبهم دائرة من الدوائر بأن ينقلب الأمر عليهم وتكون الدولة للكفار روي أن
عبادة بن الصامت قال لرسول الله عليه السلام إن لي موالي من اليهود كثيراً عددهم وإني
أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر
لا أبرأ من ولاية مواليّ فنزلت ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ لرسول الله على أعدائه وإظهار
المسلمين ﴿أو أمر من عنده﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار
أسرار المنافقين وقتلهم ﴿فيصبحوا﴾ أي هؤلاء المنافقون ﴿على ما أسروا في أنفسهم
نادمين﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلاً عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم
﴿ويقول الذين آمنوا﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده
قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعاً بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى فكأنه قال عسى أن يأتي
الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعله بدلاً من اسم الله داخلاً في اسم عسى مغنياً عن الخبر بما تضمنه
من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه
كالإتيان به ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾ يقوله المؤمنون بعضهم
لبعض تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما منّ الله عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر
ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا
خاسرين﴾ إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب
كأنه قيل ما أحبط أعمالهم وما أخسرهم ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾
قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات
التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله عليه السلام
ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده
ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله عليه السلام من غدها وأخبر الرسول في تلك الليلة

فقتله المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب
الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل
حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة
ابن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو
يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم
على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام ۞ فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ۞ قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى الاشعري
وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة و
بجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة
العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه ۞ اذلة على المؤمنين ۞ عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او
للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة ۞ اعزة على الكافرين
۞ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال ۞ يجاهدون في سبيل
الله ۞ صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ۞ ولا يخافون لومة لائم ۞
عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه
او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين
خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من
اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ۞ ذلك ۞ اشارة الى ما تقدم من الاوصاف ۞
فضل الله يؤتيه من يشاء ۞ يمنحه ويوفق له ۞ والله واسع ۞ كثير الفضل ۞ عليم ۞
بمن هو اهله ۞ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ۞ لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر
عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة

ولرسوله وللمؤمنين على التبع ۞ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ۞ صفة للذين
آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح ۞ وهم راكعون ۞
متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال
ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد
بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد
خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في
مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا
يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ۞ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ۞
ومن يتخذهم اولياء ۞ فان حزب الله هم الغالبون ۞ اي فانهم الغالبون ولكن
وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله
وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ۞
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء ۞ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم
دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم
ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق
رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب او من لم
يكن كالمشركين ۞ واتقوا الله ۞ بترك المناهي ۞ ان كنتم مؤمنين ۞ لان الايمان
حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده ۞ واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا ۞ اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان
مشروع في الصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان
محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت
شرارة في البيت فاحترق هو واهله ۞ ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۞ فان السفه يؤدي الى

الجلل بالجيم والهزؤ به والعقل يمنع منه. قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون
منا وتعيبون يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو
لغة. إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل إلا الإيمان بالكتب المنزلة
كلها. وأن أكثركم فاسقون عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الأمرين وهو
المخالفة أي ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه أو كان
الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ما أي وما تنقمون منا إلا
الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا
لقلة إنصافكم وفسقكم أو نصب بإضمار فعل دل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون
أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرئاسة
والمال يمنعكم من الإنصاف. والآية خطاب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به
فقال أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
دينا شرا من دينكم. قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي من ذلك المنقوم. مثوبة عند الله
جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر. من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف المضاف أي بشر من أهل ذلك
من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أي هو من لعنه وهم اليهود
أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة
وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين
في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير. وعبد الطاغوت
عطف على صلة من وقرئ وعُبِدَ الطاغوتُ على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ بمعنى
صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أي فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عَبُدَ على
أنه نعت كفطن ويقظ أو عبدة أو عُبُدَ الطاغوت على أنه جمع كخدم أو أن أصله عبدة
فحذفت التاء للإضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد
من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله. أولئك أي
الملعونون. شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل
مكانا منصرفا. وأضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشر

والضلال. وإذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله عليه السلام
أو في عامة المنافقين. وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به أي يخرجون من عندك كما
دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من
فاعل دخلوا وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضا
لما فيها من التوقع أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال
والله أعلم بما كانوا يكتمون أي من الكفر وفيه وعيد لهم. وترى كثيرا منهم من
اليهود أو المنافقين يسارعون في الإثم أي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الإثم. والعدوان الظلم أو مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى إلى غيرهم. وأكلهم السحت أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة. لبئس ما كانوا
يعملون لبئس شيئا عملوه. لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم
السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ و
إذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض. لبئس ما كانوا يصنعون أبلغ من قوله لبئس ما كانوا
يعملون من حيث أن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو وتحري إجادة ولذلك ذم
خواصهم ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا
كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم. وقالت اليهود يد الله مغلولة
أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه إلى إثبات
يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه
أنه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء. غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى
في الدنيا ويسحبون إلى النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولك
سبني سب الله دابره. بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل
وإثباتا لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة
وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للإكرام. ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك أي هو
مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينها بالخبر ولأنها مضاف إليها
ولأن اليدين أو لا ضمير لها فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء

فإذا قال ذلك فالكف عنه الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام
واشترك فيه آخرون لأنهم رضوا بقوله ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك
طغيانا وكفرا﴾ أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن
كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء ﴿وألقينا بينهم العداوة
والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم ﴿كلما أوقدوا نارا
للحرب أطفأها الله﴾ كلما أرادوا حرب الرسول وإثارة شر عليه ردهم الله بأن
أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا
حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة نارا ﴿
ويسعون في الأرض فسادا﴾ أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ فلا يجازيهم إلا شرا ﴿ولو أن أهل الكتاب
آمنوا﴾ بمحمد عليه السلام وبما جاء به ﴿واتقوا﴾ ما عددنا من معاصيهم ونحوه ﴿لكفرنا عنهم
سيئاتهم﴾ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ ولجعلناهم
داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام يجب ما قبله وإن جل
وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ بإذاعة ما فيهما
والقيام بأحكامهما ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾ يعني سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث
أنهم مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم أو القرآن ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾
لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض أو بكثرة ثمرة الأشجار وغلة
الزرع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الأشجار ويلتقطون ما تساقط
من الأرض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو أنهم آمنوا
وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ عادلة غير
غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته ﴿
وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ أي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم وهو
المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة ﴿يا أيها الرسول
بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها ﴿
وإن لم تفعل﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فما بلغت رسالته﴾ فما أديت شيئا
منها لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة

منتقض به أو فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ من حيث إن كتمان البعض و
الكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر
التاء ﴿والله يعصمك من الناس﴾ عدة وضمان من الله بعصمة روحه عليه السلام من تعرض
الأعادي وإزاحة لمعاذيره ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يمكنهم مما يريدون بك
وعن النبي عليه السلام بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج
رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما أنزل إليه ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بإنزاله اطلاعهم عليه فإن من الأسرار
الإلهية ما يحرم إفشاؤه ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾ أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا
لأنه باطل ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد
والإذعان لحكمه فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن
ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ﴿إن الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء
وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة
ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان
كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر
إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا
لعدم التأكيد والفصل ولأنه يوجب كون الصابئين هودا وقيل إن بمعنى نعم وما
بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء
جوز بالواو ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره
﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف
أي من آمن منهم أو النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه ومن والصابئين وهو الظاهر

والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا ۝ لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ۝ ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم ۝ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
۝ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف ۝ فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ۝
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل
عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
او استفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي ۝
وحسبوا ان لا تكون فتنة ۝ اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل
الانبياء وتكذيبهم وقرأ حمزة وابو عمرو والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة
من الثقيلة واصله انه لا تكون فادخل فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم
لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه ۝ فعموا ۝ عن الدين او الدلائل و
وصموا ۝ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ۝ ثم تاب الله عليهم ۝ اي ثم تابوا فتاب
الله عليهم ۝ ثم عموا وصموا ۝ كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اي رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم ۝ كثير منهم ۝ بدل من الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمى والصمم كثير وقيل مبتدأ والجملة
قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع ۝ والله بصير بما يعملون ۝ فيجازيهم وفق
اعمالهم ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم ۝ اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ۝ انه من يشرك بالله ۝
في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال ۝ فقد حرم الله عليه الجنة ۝ يمنع من دخولها
كما يمنع المحرم من المحرم عليه فانها دار الموحدين ۝ ومأواه النار ۝ فانها المعدة للمشركين
۝ وما للظالمين من انصار ۝ اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر
تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى
وان يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك
ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ۝ اي احد ثلاثة وهو
حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد ۝ وما من اله الا اله واحد ۝ وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة

ومن مزيدة للاستغراق ۝ وان لم ينتهوا عما يقولون ۝ ولم يوحدوا ۝ ليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝ اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا
من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام
على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله ۝ افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ۝ اي
الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد ۝ والله غفور رحيم ۝ يغفر لهم ويمنحهم
من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ۝ ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل ۝ اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها
فان احيا الله الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى
وهي اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب ۝ وامه صديقة
۝ كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء ۝ كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية
لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا
من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة
الظاهرة فقال ۝ انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون ۝ كيف يصرفون عن
استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها
اعجب ۝ قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ۝ يعني عيسى عليه السلام
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي
القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل
عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ۝ والله هو السميع العليم ۝
بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر ۝ قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ۝ اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ۝ ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
۝ يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم ۝
واضلوا كثيرا ۝ ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم ۝ وضلوا عن سواء السبيل ۝ عن قصد
السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى

مثالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع ۝ لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ۝ أي لعنهم الله في الزبور
والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم قردة
وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب
عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ۝ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ۝ أي لا ينهى بعضهم
عن معاودة منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وتهيئوا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع ۝ لبئس ما كانوا يفعلون ۝ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم
ترى كثيرا منهم ۝ من أهل الكتاب ۝ يتولون الذين كفروا ۝ يوالون المشركين بغضا
لرسول الله عليه السلام والمؤمنين ۝ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ۝ أي لبئس شيئا قدموه ليردوا
عليه يوم القيامة ۝ أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ۝ هو المخصوص بالذم والمعنى
موجب سخط الله والخلود في العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئا ذلك لأن
كسبهم السخط والخلود ۝ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ۝ يعني نبيهم وإن كان الآية في المنافقين
فالمراد نبينا ۝ وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ۝ إذ الإيمان يمنع ذلك ۝ ولكن كثيرا منهم
فاسقون ۝ خارجون عن دينهم أو متمردون في نفاقهم ۝ لتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا ۝ لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم ۝ ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ۝ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله ۝ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
وأنهم لا يستكبرون ۝ عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمودة وإن كانت
في كافر ۝ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ۝ عطف على لا
يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم
عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط
البكاء كأنها تفيض بأنفسها ۝ مما عرفوا من الحق ۝ من الأولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا
أو للتبعيض فإنه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله ۝ يقولون ربنا
آمنا ۝ بذلك أو بمحمد عليه السلام ۝ فاكتبنا مع الشاهدين ۝ من الذين شهدوا بأنه

حق أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة ۝ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ۝ استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان
مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم
ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله
وحده فإنهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان بهما إيمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل
فيها عامل الأولى مقيدا بها أو نؤمن ۝ فأثابهم الله بما قالوا ۝ أي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان أي معتقده ۝ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين ۝ الذين أحسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الإحسان في الأمور
والآيات الأربع روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام
بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر
جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين
أو سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام فقرأ عليهم سورة يس فبكوا
وآمنوا ۝ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ۝ عطف التكذيب بآيات الله
على الكفر وهو ضرب منه لأن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها
جمعا بين الترغيب والترهيب ۝ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ۝ ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله
لكم إلى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية إلى القصد بينهما روي أن
رسول الله عليه السلام وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في إنذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا
اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في
الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال إني لم آمر
بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم
وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ۝
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ۝ أي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم فيكون حلالا مفعول

كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لأنه نكرة ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز أن
يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول والعائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه
لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة ○ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ○ هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله
وإليه ذهب الشافعي، وقيل الحلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن وإليه ذهب أبو حنيفة
وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه ○ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان
بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ما
عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر
عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل ○ فكفارته ○ فكفارة نكثه أي الفعلة التي تذهب إثمه و
تستره، فاستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام
من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير منها ○ إطعام عشرة مساكين
من أوسط ما تطعمون أهليكم ○ من أقصده في النوع أو القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من
أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من الطعام وأهلون كأرضون وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة
من يسكنها في الأحوال الثلاث كالألف وهو جمع أهل كالليالي في جمع ليل والأراضي في جمع أرض وقيل
جمع أهلاة ○ أو كسوتهم ○ عطف على إطعام أو من أوسط إن جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة
وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو إزار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وقرئ أو
كأسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم إسرافا أو تقتيرا تواسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط
والكاف في محل الرفع وتقديره أو طعامهم كأسوتهم ○ أو تحرير رقبة ○ أو إعتاق
إنسان وشرط الشافعي فيه الإيمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو إيجاب إحدى
الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين ○ فمن لم يجد ○ أي واحدا منها ○ فصيام
ثلاثة أيام ○ فكفارته صيام ثلاثة أيام وشرط أبو حنيفة فيه التتابع لأنه قرئ ثلاثة أيام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا إذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ○ ذلك ○ أي المذكور
كفارة أيمانكم إذا حلفتم ○ وحنثتم ○ واحفظوا أيمانكم ○ بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر
أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم ○ كذلك ○
مثل ذلك البيان ○ يبين الله لكم آياته ○ أعلام شرائعه ○ لعلكم تشكرون ○ نعمة
التعليم أو نعمة الواجب شكرها فإن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه ○ يا أيها الذين آمنوا

إنما الخمر والميسر والأنصاب ○ الأصنام التي نصبت للعبادة ○ والأزلام ○ سبق
تفسيرها في أول السورة ○ رجس ○ قذر تعاف عنه العقول وأفرده لأنه خبر للخمر وخبر
المعطوفات محذوف أو لمضاف محذوف كأنه قال إنما تعاطي الخمر والميسر ○ من
عمل الشيطان ○ لأنه مسبب من تسويله وتزيينه ○ فاجتنبوه ○ الضمير للرجس أو لما ذكر
أو للتعاطي ○ لعلكم تفلحون ○ لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر في
هذه الآية بأن صدر الجملة بإنما وقرنهما بالأنصاب والأزلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل
الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله
سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية
المقتضية للتحريم فقال ○ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ○ وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال
تنبيها على أنهما المقصود بالبيان وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة و
الشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم
والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان من حيث إنها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث على
الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال ○ فهل أنتم منتهون ○
إيذانا بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت ○ وأطيعوا الله و
أطيعوا الرسول ○ فيما أمرا به ○ واحذروا ○ ما نهيا عنه أو مخالفتهما ○ فإن توليتم
فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ○ فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول بتوليكم فإنما عليه
البلاغ وقد أدى وإنما ضررتم به أنفسكم ○ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا ○ مما لم يحرم عليهم لقوله ○ إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ○ أي
اتقوا المحرم وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ○ ثم اتقوا ○ ما حرم عليهم بعد كالخمر
○ وآمنوا ○ بتحريمه ○ ثم اتقوا ○ ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي ○ وأحسنوا ○
وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها روي أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله
فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل أن يكون
هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان
التقوى والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل
الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة إشارة إلى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو
باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك

المحرمات بتوقيها من العقاب والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات
تحفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة ۝ والله يحب المحسنين ۝ فلا يؤاخذهم
بشيء وفيه أن من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً ۝ يا أيها الذين
آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ۝ نزلت في عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم
وطعناً برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض
الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو أشد
منه ۝ ليعلم الله من يخافه بالغيب ۝ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن
لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ۝
فمن اعتدى بعد ذلك ۝ الابتلاء بالصيد ۝ فله عذاب أليم ۝ فالوعيد لاحق به فإن من لا يملك
جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه وأحرص عليه
۝ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ۝ أي محرمون جمع حرام كرداح وردح
ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفاً
ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة
والكلب العقور وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ
واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو
يكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب ۝ ومن قتله منكم متعمداً ۝ ذاكراً لإحرامه عالماً
بأنه حرام عليه قتل ما يقتله والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد و
المخطئ واحد في إيجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولأن الآية نزلت فيمن تعمد
إذ روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت ۝
فجزاء مثل ما قتل من النعم ۝ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أو فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فإن متعلق المصدر كالجزء
منه فلا يوصف ما لم يتم بها وإنما يكون صفة وقراءة الباقين على إضافة المصدر إلى المفعول وإ
قحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل
ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء أو فعليه أن يجزي جزاء مماثلاً ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند أبي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث
صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي ما قيمته قيمته وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين

نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم
يبلغ تخير بين الإطعام والصوم واللفظ للأول أوفق ۝ يحكم به ذوا عدل منكم ۝ صفة
ثانية لجزاء ويجوز أن يكون حالاً من ضميره في خبره أو منه إذا أضفته أو وصفته أو رفعته بخبر
مقدر له وكما أن التقويم يحتاج إلى النظر والاجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة إليهما فإن الأنواع
تتشابه كثيراً وقرئ ذو عدل على إرادة الجنس أو الإمام ۝ هدياً ۝ حال من الهاء في به أو
من جزاء وإن نون لتخصيصه بالصفة أو بدل من مثل باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه ۝ بالغ
الكعبة ۝ وصف به هدياً لأن إضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به
ثم وقال أبو حنيفة يذبح في الحرم ويتصدق به حيث شاء ۝ أو كفارة ۝ عطف على جزاء
إن رفعته وإن نصبته فخبر محذوف ۝ طعام مساكين ۝ عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف
أي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالإضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند
الشافعي أو أن يكفر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مداً
۝ أو عدل ذلك صياماً ۝ أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً وهو
في الأصل مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل
وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تمييز للعدل ۝ ليذوق وبال أمره ۝ متعلق بمحذوف
أي فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام أو الثقل
الشديد على مخالفة أمر الله وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل ۝ عفا الله عما سلف ۝
من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ۝ ومن عاد ۝ إلى مثل هذا ۝
فينتقم الله منه ۝ فهو ينتقم منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس و
شريح ۝ والله عزيز ذو انتقام ۝ ممن أصر على عصيانه ۝ أحل لكم صيد البحر ۝
ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل
ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر ۝ وطعامه ۝
ما قذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله ۝ متاعاً لكم ۝ تمتيعاً لكم نصب على الغرض
۝ وللسيارة ۝ أي ولسيارتكم يتزودونه قديداً ۝ وحرم عليكم صيد البر ۝ ما صيد
فيه أو الصيد فيه فعلى الأول يحرم على المحرم أيضاً ما صاده الحلال وإن لم يكن له فيه مدخل والجمهور على
حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم ۝ ما دمتم حرماً ۝ أي
محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام ۝ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ۝ جعل الله الكعبة ۝
صيرها وإنما سمي البيت كعبة لتكعبه ۝ البيت الحرام ۝ عطف بيان على جهة المدح أو المفعول الثاني

قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت فى فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الحرام الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شئ عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح الاعمال وحلال الاموال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفة لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شيئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم

فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان لكثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهى لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم

والجزم على الجواب او النهي ولكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء
المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضِركم بالفتح ولا يضِركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره و
يضوره ﴿الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان
احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ﴿يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ فيما امرتم شهادة بينكم
والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةٌ
بالتنوين على ليقم ﴿اذا حضر احدكم الموت﴾ اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف
للشهادة ﴿حين الوصية﴾ بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون فيه
او ظرف حضر ﴿اثنان﴾ فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ﴿ذوا عدل
منكم﴾ اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿او آخران من غيركم﴾ عطف على
اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا
﴿ان انتم ضربتم في الارض﴾ سافرتم فيها ﴿فاصابتكم مصيبة الموت﴾ اي قاربتم الاجل
﴿تحبسونهما﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه
بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر
كما في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
﴿من بعد الصلوة﴾ صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل اي صلوة كانت ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم﴾ اي ان ارتاب الوارث منكم
﴿لا نشتري به ثمنا﴾ مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ﴿ولو كان ذا قربى﴾
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾
الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف
القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن ﴿انا اذن لمن
الآثمين﴾ اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها
﴿فان عثر﴾ فان اطلع ﴿على انهما استحقا اثما﴾ اي فعلا ما اوجب اثما كذبا ﴿فآخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ من الذين جني عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على بناء الفاعل وهو ﴿الاوليان﴾ الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ يعقوب وحمزة وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة

للذين او بدل منه اي من الذين استحق عليهم وقرئ الاولَين على التثنية وانتصابه على المدح
والاولان والاولين ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما﴾ يميننا
اصدق منها واولى بان تقبل ﴿وما اعتدينا﴾ وما تجاوزنا فيها الحق ﴿انا اذا لمن الظالمين﴾
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا
اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا
فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين
الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان
تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بداء خرجا
الى الشام للتجارة وكانا نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا
الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه
الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت يا ايها الذين آمنوا
الآية فحلفهما رسول الله عليه السلام بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في
ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما
الى رسول الله عليه الصلوة والسلام فنزلت فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي
وداعة السهميان فحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ﴿ذلك﴾ اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد
﴿ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها
﴿او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم﴾ ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ ما توصون به
سمع اجابة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم
قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة
﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول
واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر ﴿فيقول﴾
اي للرسل ﴿ماذا اجبتم﴾ اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء
اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد

قالوا لا علم لنا ◦ اي لا علم لنا بما لست تعلمه ◦ انك انت علام الغيوب ◦ فتعلم
ما اجابونا واظهروا لنا وما لا نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر
الى علمه تعالى بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا
وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف
بصفاتك المعروفة وعلام نصب على الاختصاص او النداء ◦ اذ قال الله يا عيسى بن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ◦ بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة و
المعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات
فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر ◦
اذ ايدتك ◦ ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك ◦ بروح القدس
◦ بجبريل او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده
قوله ◦ تكلم الناس في المهد وكهلا ◦ اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية و
الكهولية على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل
على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل ◦ واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني ◦ سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا
ويحتمل الافراد والجمع كالباقر ◦ واذ كففت بني اسرائيل عنك ◦ يعني اليهود حين هموا
بقتلك ◦ اذ جئتهم بالبينات ◦ ظرف لكففت ◦ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر
مبين ◦ اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى
◦ واذ اوحيت الى الحواريين ◦ اي امرتهم على السنة رسلي ◦ ان آمنوا بي وبرسولي
◦ يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة ◦ قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
مخلصون ◦ اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم ◦ منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون
تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم ◦ هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء ◦ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء
يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة

◦ قال اتقوا الله ◦ من امثال هذا السؤال ◦ ان كنتم مؤمنين ◦ بكمال قدرته
وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان ◦ قالوا نريد ان نأكل منها ◦ تمهيد عذر وبيان
لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها ◦ وتطمئن قلوبنا ◦ بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال بكمال قدرته ◦ ونعلم ان قد صدقتنا ◦ في ادعاء النبوة وان الله يجيب
دعوتنا ◦ ونكون عليها من الشاهدين ◦ اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر ◦ قال عيسى بن مريم ◦ لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون
عنه اراد الزامهم الحجة بكمالها ◦ اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
◦ اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي
يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر ◦ لاولنا وآخرنا ◦ بدل من لنا باعادة
العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذا اتخذه النصارى
عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة
◦ وآية ◦ عطف على عيدا ◦ منك ◦ صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي ◦ وارزقنا ◦ المائدة او الشكر عليها ◦ وانت خير الرازقين ◦
اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض ◦ قال الله اني منزلها عليكم ◦
اجابة الى سؤالكم ◦ فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا ◦ اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به
على السعة ◦ لا اعذبه ◦ الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف
حرف الجر ◦ احدا من العالمين ◦ اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة
وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال
يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليه الفقراء والاغنياء

والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها
فقير الا غني ولا زمن الا برئ ولم يبرأ ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما
وعدهم الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا
مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف
فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق
لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعدوا التقوى حتى تتمكنوا
من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان
انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله
لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا ◌ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين ◌ اثنين ◌ من دون الله ◌ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم
ومن دون الله صفة الهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان
عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله فكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله ◌ قال سبحانك ◌ اي انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ◌ ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ◌ ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقول ◌ ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ◌
تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله ما في نفسك للمشاكلة
وقيل المراد بالنفس الذات ◌ انك انت علام الغيوب ◌ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه
ومفهومه ◌ ما قلت لهم الا ما امرتني به ◌ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ◌
ان اعبدوا الله ربي وربكم ◌ عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل
جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا عائد او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني
ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة
لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة
تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ◌
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ◌ اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ◌ فلما توفيتني ◌ بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك

ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها ◌ كنت انت الرقيب عليهم ◌ المراقب لاحوالهم فتمنع من
اردت عصمته بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات
◌ وانت على كل شيء شهيد ◌ مطلع عليه مراقب له ◌ ان تعذبهم فانهم عبادك ◌
اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه
على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك ◌ وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم ◌ فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا
يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت
ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق
◌ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ◌ وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال
وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل
انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد
بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف ◌ لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ◌ بيان للنفع
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ◌ تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم
غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها
على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث ... وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ◌ الحمد لله الذي خلق السموات والارض ◌ اخبر بانه تعالى
حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات
وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها ◌ وجعل الظلمات والنور ◌ انشأهما والفرق
بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر
عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافرد النور لقصد

او الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال
وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعددة وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس
صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ○ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ○ عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد
عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول
متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني
متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به ○ هو الذي
خلقكم من طين ○ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر
خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ○ ثم قضى اجلا ○ اجل الموت ○ واجل مسمى عنده ○ اجل القيامة
وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة
يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي
واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر و
وصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة
ولانه المقصود بيانه ○ ثم انتم تمترون ○ استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق
اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث
والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع ○ وهو الله ○ الضمير لله
والله خبره ○ في السموات وفي الارض ○ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير
كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله ○ يعلم سركم وجهركم ○ والجملة خبر ثان او هي
الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت
خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم
وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم عليه ○ ويعلم ما تكسبون ○
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح ○ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ○ من الاولى مزيدة للاستغراق

والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن
○ الا كانوا عنها معرضين ○ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه ○ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
○ يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون
عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء ○ فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ○ اي سيظهر لهم
ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره ○ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن ○ من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس
وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت ○ مكناهم في الارض ○ جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من
القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ○ ما لم نمكن لكم ○ ما لم نجعل لكم من السعة و
طول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
○ وارسلنا السماء عليهم ○ اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها ○ مدرارا ○
مغزارا ○ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ○ فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار
والثمار ○ فاهلكناهم بذنوبهم ○ اي لم يغن ذلك عنهم شيئا ○ وانشأنا ○ واحدثنا
○ من بعدهم قرنا آخرين ○ بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود
وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ○ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ○
مكتوبا في ورق ○ فلمسوه بايديهم ○ فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا
يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي
لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء ○ لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين ○ تعنتا وعنادا ○ وقالوا لولا انزل عليه ملك ○ هلا انزل معه ملك يكلمنا انه
نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ○ ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ○ جواب لقولهم
وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق
اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ○ ثم لا ينظرون ○ بعد نزوله طرفة عين
○ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ○ جواب ثان ان جعل الهاء
للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل اليه ملك
وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك

في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر
مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد وللبسنا بالتشديد للمبالغة ○ ولقد استهزئ برسل من قبلك ○
تسلية لرسول الله عليه السلام عما يرى من قومه ○ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
○ فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم ○
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ○ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا
كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين
○ قل لمن ما في السموات والارض ○ خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت ○ قل لله ○ تقرير لهم
وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره ○ كتب على نفسه الرحمة ○
التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده
بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ○ ليجمعنكم الى يوم القيمة ○ استئناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم
او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه
عليكم ○ لا ريب فيه ○ في اليوم او الجمع ○ الذين خسروا انفسهم ○ بتضييع رأس مالهم وهو
الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم
الذين او على الابتداء والخبر ○ فهم لا يؤمنون ○ والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب
عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر
ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان ○ وله ○ عطف على لله ○ ما سكن في الليل
والنهار ○ من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا
عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر ○ وهو السميع
لكل مسموع ○ العليم ○ بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم ○ قل اغير الله اتخذ وليا ○ انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم و
اولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك ○ فاطر السموات والارض
○ مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع
والنصب على المدح ○ وهو يطعم ولا يطعم ○ يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه

وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن
هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناء الفاعل على ان الثاني من اطعم
بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط ○ قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم ○ لان النبي سابق امته في الدين ○ ولا تكونن من المشركين
○ وقيل لي لا تكونن ويجوز عطفه على قل ○ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
○ مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة ○ من يصرف عنه يومئذ ○
اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير
فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف ○ فقد رحمه ○
نجاه وانعم عليه ○ وذلك الفوز المبين ○ اي الصرف او الرحمة ○ وان يمسسك الله
بضر ○ ببلية كمرض وفقر ○ فلا كاشف له ○ فلا قادر على كشفه ○ الا هو وان يمسسك بخير ○
بنعمة كصحة وغنى ○ فهو على كل شيء قدير ○ فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره
على دفعه كقوله فلا راد لفضله ○ وهو القاهر فوق عباده ○ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة و
القدرة ○ وهو الحكيم ○ في امره وتدبيره ○ الخبير ○ بالعباد وخفايا احوالهم ○ قل اي شيء
اكبر شهادة ○ نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس
لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد مر
القول فيه في سورة البقرة ○ قل الله ○ اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ ○ شهيد بيني وبينكم ○
اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء
شهادة ○ واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ○ اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة
○ ومن بلغ ○ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على
ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤخذ بها من لم يبلغه ○
ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ○ تقرير لهم مع انكار واستبعاد ○ قل لا اشهد
○ بما تشهدون ○ قل انما هو اله واحد ○ اي بل اشهد ان لا اله الا هو ○ وانني بريء
مما تشركون ○ يعني الاصنام ○ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ○ يعرفون رسول الله
بحليته المذكورة في التورية والانجيل ○ كما يعرفون ابناءهم ○ بحلاهم ○ الذين خسروا
انفسهم ○ من اهل الكتاب والمشركين ○ فهم لا يؤمنون ○ لتضييعهم ما به يكتسب الايمان

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
أو كذب بآياته كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وإنما ذكر أو وهم قد جمعوا
بين الأمرين تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس إنه
الضمير للشأن لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا أحد أظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر تهويلا للأمر ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي
جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون
أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم
وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب إذا خلصته وقيل جوابهم وإنما سماه
فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر بالتاء والنصب على أن الخبر والاسم أن قالوا
وإنما أنث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا أخرجنا منها
وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف
كذبوا على أنفسهم أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك
قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء
أو المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع إليك حين تتلو
القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول
الله يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول
أساطير الأولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء
أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك
في أول البقرة وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم
حتى إذا جاءوك يجادلونك أي بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم جاءوك يجادلونك وحتى هي التي
يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين فإنه جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز أن يكون الجارة وإذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك جواب وقوله

تفسير له والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو إسطارة جمع أسطار وأصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه أي ينهون الناس عن القرآن أو الرسول والإيمان به و
ينأون عنه بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي
طالب وإن يهلكون وما يهلكون بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أن ضررهم
لا يتعداهم إلى غيرهم ولو ترى إذ وقفوا على النار جوابه محذوف أي ولو تراهم حين
يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو يدخلون فيعرفون مقدار عذابها لرأيت
أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد
تمنيا للرجوع إلى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام
منهم على وجه الإثبات كقولهم دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على
نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وإنهم لكاذبون راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد
ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن
عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو
قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا أي إلى الدنيا
بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون
فيما وعدوا من أنفسهم وقالوا عطف على لعادوا أو على إنهم لكاذبون أو على نهوا
بذكر ما قالوه في الدنيا إن هي إلا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء
ربهم وجزائه أو عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال
ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قالوا بلى وربنا إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الانجلاء قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى إذا جاءتهم
الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال
أو المصدر فإنها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا أي تعالي فهذا أوانك على ما فرطنا
قصرنا فيها في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في
شأنها والإيمان بها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام

۝ الا ساء ما يزرون ۝ بئس شيئا يزرونه وزرهم ۝ وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو ۝ اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا ۝ وللدار الآخرة خير للذين يتقون
۝ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين
لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة ۝ افلا تعقلون ۝ اي الامرين خير وقرأ نافع
وابن عامر ويعقوب وحفص بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين
۝ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ۝ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك
المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن ۝ فانهم لا يكذبونك ۝ في الحقيقة
وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ۝ ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ۝ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي
ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
۝ ولقد كذبت رسل من قبلك ۝ تسلية لرسول الله عليه السلام وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس لنفي تكذيبه مطلقا ۝ فصبروا على ما كذبوا واوذوا ۝ على تكذيبهم وايذائهم فتأس
واصبر ۝ حتى اتاهم نصرنا ۝ فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ۝ ولا مبدل لكلمات الله
۝ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ۝ ولقد جاءك
من نبأ المرسلين ۝ اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم ۝ وان كان كبر عليك ۝ عظم
وشق ۝ اعراضهم ۝ عنك وعن الايمان بما جئت به ۝ فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ۝ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية
او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما
ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ۝ ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ۝ اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن
لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم
بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة ۝ فلا تكونن من الجاهلين ۝ بالحرص على ما لا يكون
والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة ۝ انما يستجيب الذين يسمعون ۝

انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين
لا يسمعون ۝ والموتى يبعثهم الله ۝ اي يبعثهم فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ۝ ثم اليه يرجعون
للجزاء ۝ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ۝ اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا ۝ قل ان الله قادر على ان ينزل آية ۝ مما اقترحوه
او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوا هلكوا ۝ ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ ان الله
قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير
ينزل بالتخفيف والمعنى واحد ۝ وما من دابة في الارض ۝ تدب على وجهها ۝ ولا طائر
۝ وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل ۝ يطير بجناحيه ۝ في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة
ونحوها ۝ الا امم امثالكم ۝ محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة
على كمال قدرته تعالى وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع
الامم للحمل على المعنى ۝ ما فرطنا في الكتاب من شيء ۝ يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري
في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج
اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط
لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ۝ ثم الى ربهم يحشرون
۝ يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس
حشرها موتها ۝ والذين كذبوا بآياتنا صم ۝ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم ۝ وبكم ۝ لا ينطقون بالحق ۝ في الظلمات ۝
خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان
يكون حالا من المستكن في الخبر ۝ من يشاء الله يضلله ۝ من يشاء الله اضلاله يضلله وهو
دليل واضح لنا على المعتزلة ۝ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ۝ بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه ۝ قل أرأيتكم ۝ استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له
من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون
لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول
محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ۝ ان اتاكم عذاب الله ۝ كما اتى من قبلكم
۝ او اتتكم الساعة ۝ وهولها ويدل عليه ۝ أغير الله تدعون ۝ وهو تبكيت لهم
۝ ان كنتم صادقين ۝ ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه ۝ بل اياه
تدعون ۝ بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص ۝

فيكشف ما تدعون إليه ○ أي ما تدعونه إلى كشفه ○ إن شاء ○ إن يتفضل عليكم ولا
يشاء في الآخرة ○ وتنسون ما تشركون ○ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز
في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه من شدة الأمر وهوله ○
ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ○ أي قبلك ومن زائدة ○ فأخذناهم ○ أي فكفروا وكذبوا
المرسلين فأخذناهم ○ بالبأساء ○ بالشدة والفقر ○ والضراء ○ الضر والآفات وهما
صيغتا تأنيث لا مذكر لهما ○ لعلهم يتضرعون ○ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم ○
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ○ معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
○ ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ○ استدراك على المعنى و
بيان للصارف لهم عن التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها
الشيطان لهم ○ فلما نسوا ما ذكروا به ○ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به ○ فتحنا عليهم
أبواب كل شيء ○ من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا
لهم بالشدة والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي أنه عليه السلام قال مكر
بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا
هذا والذي في الأعراف ○ حتى إذا فرحوا بما أوتوا ○ من النعم ولم يزيدوا على البطر و
الاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه ○ أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ○ متحسرون آيسون
○ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ○ أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا و
دبورا إذا تبعه ○ والحمد لله رب العالمين ○ على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة
من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها ○
قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم ○ أصمكم وأعماكم ○ وختم على قلوبكم ○ بأن
يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم ○ من إله غير الله يأتيكم به ○ أي بذلك أو بما أخذ
وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات ○ انظر كيف نصرف الآيات ○ نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ○
ثم هم يصدفون ○ يعرضون عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها ○
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة ○ من غير مقدمة ○ أو جهرة ○ بتقدمها أمارة تؤذن بحلوله
وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة أو جهرة ○ هل يهلك ○ أي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
○ إلا القوم الظالمون ○ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء
○ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ○ المؤمنين بالجنة ○ ومنذرين ○ الكافرين بالنار

ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم ○ فمن آمن وأصلح ○ ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم
○ فلا خوف عليهم ○ من العذاب ○ ولا هم يحزنون ○ بفوت الثواب ○ والذين
كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ○ جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول إليهم واستغنى
بتعريفه عن التوصيف ○ بما كانوا يفسقون ○ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ○ مقدوراته أو خزائن الرزق ○ ولا أعلم الغيب ○
ما لم يوح إلي أو لم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ○ ولا أقول لكم إني ملك ○ أي من جنس
الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه ○ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ○ تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية
وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه ○ قل
هل يستوي الأعمى والبصير ○ مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم أو مدعي المستحيل
كالألوهية أو الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة ○ أفلا تتفكرون ○ فتهتدوا أو فتميزوا بين
الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه ○ وأنذر به ○ الضمير لما يوحى إلى
الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ○ هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر
مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
○ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ○ في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه
الحال ○ لعلهم يتقون ○ لكي يتقوا ○ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ○ بعدما
أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي
أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا
إليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا قال نعم وروي أن عمر
قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلوا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة ○ يريدون وجهه
○ حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك الأمر
ورتب النهي عليه إشعارا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ○ ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء ○ أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله كان أعظم
من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم
عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم
أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك

ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفي
(فتكون من الظالمين) جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر
(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس
في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف
قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اهؤلاء من انعم
الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله
باعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله (واذا
جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون
هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على
العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله
بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان
يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة
وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا
فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوءا) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا
بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان
ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد
العمل او السوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه (فانه غفور
رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه
(وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين)
وقرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما
يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه
على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث
ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين (قل اني

نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل الي من الآيات في امر التوحيد
(ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
آلهة اي تسمونها (قل لا اتبع اهواءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي و
علة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد (قد ضللت اذا) اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت (وما انا من المهتدين) اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك (قل اني على بينة) تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن او الوحي او الحجج العقلية
او ما يعمها (من ربي) من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به)
الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى (ما عندي ما تستعجلون به)
يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة او ائتنا بعذاب اليم (ان الحكم الا
لله) في تعجيل العذاب وتأخيره (يقص الحق) اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من
قولهم قضى الدرع اذا صنعها او يقضي في تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر اذا تتبعه
(وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو ان عندي) اي في قدرتي ومكنتي (ما تستعجلون به)
من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم
(والله اعلم بالظالمين) في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي
ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده
انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو)
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكمة فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته
وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم ما في البر والبحر) عطف للاخبار
عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات (وما تسقط من ورقة
الا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح
وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين (وهو الذي

يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار
كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم
اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ
آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون
للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف
اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد
اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالامالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح ألا له الحكم يومئذ لا
حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله
حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او
من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا
ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون
وهشام ويخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى
الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك
في عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف

بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم او
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا
انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ
خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه
دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من
شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى
ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون
والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما
استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المجلس ونطوف فنزلت وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا
وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث
سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم
ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن
جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا
حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة
ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل

لأن فريسته لا تفلت منه، والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه، وهذا بسل عليك أي
حرام ﴿ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وإن
تعدل كل عدل﴾ وإن تفد كل فداء، والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى، وههنا
الفداء، وكل نصب على المصدر ﴿لا يؤخذ منها﴾ الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره
بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾
أي سلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة ﴿لهم شراب من حميم
وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ تأكيد وتفصيل لذلك، والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في
بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم ﴿قل أندعو﴾ أنعبد ﴿من دون الله ما لا
ينفعنا ولا يضرنا﴾ ما لا يقدر على نفعنا ولا ضرنا ﴿ونرد على أعقابنا﴾ ونرجع إلى الشرك
﴿بعد إذ هدانا الله﴾ فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام ﴿كالذي استهوته الشياطين﴾
كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه، استفعال من هوى يهوي هويا إذا ذهب، وقرأ حمزة
استهواه بألف ممالة، ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته
أو على المصدر أي ردا مثل رد الذي استهوته ﴿في الأرض حيران﴾ متحيرا ضالا عن الطريق
﴿له أصحاب﴾ لهذا المستهوى رفقة ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ إلى أن يهدوه الطريق
المستقيم أو يهدوه إلى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ﴿ائتنا﴾
يقولون له ائتنا ﴿قل إن هدى الله﴾ الذي هو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وحده وما عداه
ضلال ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ من جملة المقول عطف على إن هدى الله، واللام
لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم، وقيل هي بمعنى الباء، وقيل زائدة ﴿وأن أقيموا الصلاة
واتقوه﴾ عطف على لنسلم أي للإسلام ولإقامة الصلاة، أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا أن نسلم
وأن أقيموا. روي أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت، وعلى هذا
كان أمر رسول الله عليه السلام بهذا القول إجابة عن الصديق تعظيما لشأنه وإظهارا للاتحاد
الذي كان بينهما ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ يوم القيامة ﴿وهو الذي خلق السماوات
والأرض بالحق﴾ قائما بالحق والحكمة ﴿ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ جملة اسمية
قدم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول، كقولك القتال يوم الجمعة، والمعنى أنه الخالق للسماوات
والأرضين، وقوله الحق نافذ في الكائنات، وقيل يوم منصوب بالعطف على السماوات
أو الهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق، وقوله الحق مبتدأ وخبر، أو فاعل يكون على معنى
وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون، والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها

أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها ﴿وله الملك يوم ينفخ في
الصور﴾ كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي هو عالم
الغيب ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ كالفذلكة للآية ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ هو عطف بيان
لأبيه، وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح، وقيل هما علمان له كإسرائيل ويعقوب، وقيل العلم تارح
وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج، ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه، أو نعت مشتق
من الأزر أو الوزر، والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كعابر وشالخ، وقيل اسم صنم يعبده فلقب به
للزوم عبادته، أو أطلق عليه بحذف المضاف، وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده
أي أتعبد آزر، ثم قال ﴿أتتخذ أصناما آلهة﴾ تفسيرا أو تقريرا، ويدل عليه أنه قرئ أأزرا
تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم، وقرأ يعقوب بالضم على النداء، وهو يدل
على أنه علم ﴿إني أراك وقومك في ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر الضلالة ﴿وكذلك
نري إبراهيم﴾ ومثل هذا التبصير نبصره، وهو حكاية حال ماضية، وقرئ ترى بالتاء ورفع
الملكوت، ومعناه تبصره دلائل الربوبية ﴿ملكوت السماوات والأرض﴾ ربوبيتها وملكها
وقيل عجائبها وبدائعها، والملكوت أعظم الملك، والتاء فيه للمبالغة ﴿وليكون من الموقنين﴾
أي ليستدل وليكون، أو وفعلنا ذلك ليكون ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي﴾
تفصيل وبيان لذلك، وقيل عطف على قال إبراهيم، وكذلك نري اعتراض، فإن أباه وقومه
كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق
النظر والاستدلال، وجن عليه الليل ستره بظلامه، والكوكب كان الزهرة أو المشتري
وقوله هذا ربي على سبيل الوضع، فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه
بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه
﴿فلما أفل﴾ أي غاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ فضلا عن عبادتهم، فإن الانتقال والاحتجاب
بالاستتار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية ﴿فلما رأى القمر بازغا﴾ مبتدئا
في الطلوع ﴿قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق، فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه، إرشادا لقومه
وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغير حاله لا يصلح للألوهية، وأن من اتخذه إلها فهو ضال ﴿فلما
رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة
التأنيث ﴿هذا أكبر﴾ كبره استدلالا وإظهارا لشبهة الخصم ﴿فلما أفلت قال يا قوم
إني بريء مما تشركون﴾ من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها

ما يحس به ثم لما تبرا منها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال ○
انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ○ وانما احتج
بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه
فى وسط السماء حين حاول الاستدلال ○ وحاجه قومه ○ وخاصموه فى التوحيد ○
قال اتحاجونى فى الله ○ فى وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون ○ وقد هدان ○
الى توحيده ○ ولا اخاف ما تشركون به ○ اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها
لا تضر بنفسها ولا تنفع ○ الا ان يشاء ربى شيئا ○ ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب
لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله ○ وسع ربى كل شىء علما ○ كانه علة الاستثناء
اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها ○ افلا تتذكرون ○
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ○ وكيف اخاف ما اشركتم ○ ولا يتعلق به
ضرر ○ ولا تخافون انكم اشركتم بالله ○ وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك
للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار النافع ○ ما لم ينزل به
عليكم سلطانا ○ ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا ○ فاى الفريقين احق
بالامن ○ اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه
○ ان كنتم تعلمون ○ ما يحق ان يخاف منه ○ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن وهم مهتدون ○ استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد
بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به
وقيل المعصية ○ وتلك ○ اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى فى الله ○ حجتنا آتيناها ابرهيم ○ ارشدناه
اليها وعلمناه اياها ○ على قومه ○ متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اى آتيناها ابرهيم حجة على قومه ○ نرفع درجات من نشاء ○ فى العلم والحكمة وقرا
الكوفيون ويعقوب بالتنوين ○ ان ربك حكيم ○ فى رفعه وخفضه ○ عليم ○ بحال من
يرفعه واستعداده له ○ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ○ اى كلا منهما ○ ونوحا
هدينا من قبل ○ من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ○ ومن ذريته ○ الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب

ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين
فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا ○ داود وسليمان
وايوب ○ ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ○ ويوسف وموسى وهرون ○
وكذلك نجزى المحسنين ○ اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وتكثير
اولاده والنبوة فيهم ○ وزكريا ويحيى وعيسى ○ هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية
تتناول اولاد البنت ○ والياس ○ قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا
بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى ○ كل من الصالحين ○ الكاملين فى
الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى ○ واسمعيل واليسع ○ هو اليسع بن اخطوب
وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القرائتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد فى قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ○ ويونس ○ هو يونس بن متى
○ ولوطا ○ وهو ابن هاران ابن اخى ابرهيم ○ وكلا فضلنا على العالمين ○ بالنبوة
وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ○ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ○ عطف على كلا او
نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن
نبيا ولا مهديا ○ واجتبيناهم ○ عطف على فضلنا او هدينا ○ وهديناهم الى صراط
مستقيم ○ تكرير لبيان ما هدوا اليه ○ ذلك هدى الله ○ اشارة الى ما دانوا به
يهدى به من يشاء من عباده ○ دليل على انه متفضل بالهداية ○ ولو اشركوا ○
ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم ○ لحبط عنهم ما كانوا يعملون ○ لكانوا
كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها ○ اولئك الذين آتيناهم الكتاب ○ يريد به الجنس
○ والحكم ○ الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق ○ والنبوة ○ الرسالة ○ فان يكفر بها
○ اى بهذه الثلثة ○ هؤلاء ○ يعنى قريشا ○ فقد وكلنا بها ○ اى بمراعاتها ○ قوما ليسوا بها
بكافرين ○ وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبى
عليه السلام او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة ○ اولئك الذين هدى الله ○
○ يريد الانبياء المتقدم ذكرهم ○ فبهداهم اقتده ○ فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام
متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير
ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية

ثم المصير قل لا أسألكم عليه على التبليغ او القرآن أجراً جعلاً من جهتكم كما لم يسأل
من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه إن هو اي التبليغ او القرآن
او الغرض إلا ذكرى للعالمين الا تذكرة او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد إذ قالوا ما أنزل الله على بشر
من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في
السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيراً بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا
وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه
في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول
بقوله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت
الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات
الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
على لسان محمد عليه السلام ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما
التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او
الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا
ولا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام
الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب أنزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة او الكتب التي قبله
ولتنذر أم القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة لمحذوف اي
ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجمعهم
واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع
للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق
والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق

بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن
أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما
كعمرو بن لحي ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم
انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل
مثل ما أنزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده
من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا أيديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ
بالعذاب أخرجوا أنفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريدون وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا
او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث
ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم أول مرة
بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها
او حال من الضمير في فرادى اي متشابهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر
جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به
عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم
لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له

قرأه نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم
مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به ﴿وضل عنكم﴾ ضاع وبطل ﴿ما
كنتم تزعمون﴾ انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ﴿ان الله فالق الحب
والنوى﴾ بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة ﴿يخرج
الحي﴾ يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله ﴿من الميت﴾ مما لا ينمو
كالنطف والحب ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ﴿ذلكم الله﴾
اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة ﴿فانى تؤفكون﴾ تصرفون عنه
الى غيره ﴿فالق الاصباح﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق
ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في
الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح
﴿وجاعل الليل سكنا﴾ يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن
اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى
فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان
يكون ﴿والشمس والقمر﴾ عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل
مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان ﴿حسبانا﴾ اي على ادوار
مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر
مصدر حسب بالكسر وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ﴿ذلك﴾ اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تقدير العزيز﴾ الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
﴿العليم﴾ بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾
خلقها لكم ﴿لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض
منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم ﴿قد فصلنا الآيات﴾ بيناها فصلا فصلا ﴿لقوم يعلمون﴾
فانهم المنتفعون به ﴿وهو الذي انشأكم من نفس واحدة﴾ هو آدم عليه السلام
﴿فمستقر ومستودع﴾ اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم

فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع
﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر و
مع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر ﴿وهو الذي انزل من السماء ماء﴾
من السحاب او من جانب السماء ﴿فاخرجنا﴾ على تلوين الخطاب ﴿به﴾ بالماء ﴿نبات
كل شيء﴾ نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المتفننة
بماء واحد كما في قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ﴿فاخرجنا منه﴾
من النبات او الماء ﴿خضرا﴾ اي شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج
من الحبة المتشعب ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حبا متراكبا﴾ وهو السنبل ﴿ومن النخل
من طلعها قنوان﴾ اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل
قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان و
بفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع ﴿دانية﴾ قريبة من المتناول او ملتفة قريب
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿وجنات
من اعناب﴾ عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او
من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل ﴿والزيتون والرمان﴾
ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
﴿مشتبها وغير متشابه﴾ حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضها غير متشابه
في الهيئة والقدر واللون والطعم ﴿انظروا الى ثمره﴾ اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة
والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب ﴿اذا اثمر﴾ اذا
اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به ﴿وينعه﴾ والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود
ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ﴿ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ لآيات دالة على وجود
القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد و
نقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال
﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم

جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وعبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار
كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء
الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر
على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى قد علموا ان الله خالقهم دون
الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام
او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له)
افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا
(بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت
العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في
موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له
شريكا او الولد (بديع السموات والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى
الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على
الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره (انى يكون له ولد) اي من اين او كيف
يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير
الشأن (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارض
وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان
يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق
من الصفات وهو مبتدا (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) اخبار مترادفة ويجوز
ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها
فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شيء وكيل) اي وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم
فيجازيكم عليها (لا تدركه الابصار) لا تحيط به جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين
حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك

مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار)
يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون
من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم)
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به
(فمن ابصر) اي الحق وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمي) عن الحق
وضل (فعليها) وباله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ
اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على لسان الرسول (وكذلك نصرف الآيات)
ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو
نقل الشيء من حال الى حال (وليقولوا درست) اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة
والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي
عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذوات درس كقولهم عيشة
راضية (ولنبينه) اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات
باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر (لقوم يعلمون) فانهم
المنتفعون به (اتبع ما اوحي اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض
اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية (واعرض عن
المشركين) ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم
(ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع
(وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما انت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله) اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح
(فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء روي

عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر ۞ كذلك زينا لكل امة
عملهم ۞ من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل
بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ۞ ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون ۞ بالمحاسبة والمجازاة عليه ۞ واقسموا بالله جهد ايمانهم ۞ مصدر
في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه السلام في طلب
الآيات واستحقار ما رأوا منها ۞ لئن جاءتهم آية ۞ من مقترحاتهم ۞ ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله ۞ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي ۞ وما يشعركم
۞ وما يدريكم استفهام انكار ۞ انها ۞ ان الآية المقترحة ۞ اذا جاءت لا يؤمنون ۞
اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى اعلم بتدبيرها
لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا زائدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين
اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا
على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات
فيؤمنون بها ۞ ونقلب افئدتهم وابصارهم ۞ عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا
حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به
۞ اي بما انزل من الآيات ۞ اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ۞ وندعهم متحيرين
لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول
والاسناد الى الافئدة ۞ ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا ۞ كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا
جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات
او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك
لعمومه ۞ ما كانوا ليؤمنوا ۞ لما سبق عليهم القضاء بالكفر ۞ الا ان يشاء الله ۞ استثناء من
اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال من الاحوال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة
۞ ولكن اكثرهم يجهلون ۞ انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون

ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم
لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم ۞ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ۞ اي كما جعلنا
عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بخلق الله وجعله
شياطين الانس والجن ۞ مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا
وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه ۞ يوحي بعضهم الى بعض ۞ يوسوس شياطين
الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض ۞ زخرف
القول ۞ الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه ۞ غرورا ۞ مفعول له او مصدر في
موقع الحال ۞ ولو شاء ربك ۞ ايمانهم ۞ ما فعلوه ۞ اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو
دليل على المعتزلة ۞ فذرهم وما يفترون ۞ وكفرهم ۞ ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة ۞ عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا
لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في
فعلوه ۞ وليرضوه ۞ لانفسهم ۞ وليقترفوا ۞ وليكتسبوا ۞ ما هم مقترفون ۞ من الآثام
۞ افغير الله ابتغي حكما ۞ على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم
بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه وقيل حكم وحكما ابلغ
من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل ۞ وهو الذي انزل اليكم الكتاب ۞ القرآن
المعجز ۞ مفصلا ۞ مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على
ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات ۞ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق ۞ تأكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله
يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل
المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد ۞ فلا
تكونن من الممترين ۞ في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من
باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب
لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه ۞ وتمت
كلمة ربك ۞ بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده ۞ صدقا ۞ في الاخبار

والمواعيد ﴿وعدلاً﴾ في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له
﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها
تحريفاً شائعاً ذائعاً كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضماناً لها من الله بالحفظ
كقوله وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون
ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم به أو القرآن ﴿وهو السميع﴾ لما يقولون ﴿العليم﴾
بما يضمرون فلا يهملهم ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ أي أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال
أو أتباع الهوى وقيل الأرض أرض مكة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ عن الطريق الموصل
إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾
وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق على
ما يقابل العلم ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد و
جعل عبادة الأوثان وصلة إليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته
ما يقال عن ظن وتخمين ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي أعلم
بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل أي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي
أعلم المضلين من قوله من يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالاً والتفضيل في العلم بكثرته
وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير ﴿فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه﴾ مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا
مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه ﴿إن كنتم بآياته
مؤمنين﴾ فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله واجتناب ما حرمه
﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم
عنه ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء
للفاعل ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال حال الضرورة ﴿وإن
كثيراً ليضلون﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
﴿بأهوائهم بغير علم﴾ بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ﴿إن ربك هو أعلم
بالمعتدين﴾ المتجاوزين عن الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام ﴿وذروا ظاهر الإثم

وباطنه﴾ ما يعلنون وما يسرون أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ
الأخدان ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون
﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ ظاهره في تحريم متروك التسمية عمداً أو نسياناً وإليه ذهب
داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم
يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله
عليه ﴿وإنه لفسق﴾ فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي
دل عليه لا تأكلوا ﴿وإن الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون ﴿إلى أوليائهم﴾
من الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو
يؤيد التأويل بالميتة ﴿وإن أطعتموهم﴾ في استحلال ما حرم ﴿إنكم لمشركون﴾ فإن من ترك
طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط
بلفظ الماضي ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ مثل به من
هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتاً على الأصل ﴿كمن مثله﴾ صفته وهو مبتدأ
خبره ﴿في الظلمات﴾ وقوله ﴿ليس بخارج منها﴾ حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال ﴿كذلك﴾ كما زين للمؤمن إيمانه
﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل
﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا
فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافاً إليه إن فسر الجعل بالتمكين
وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص
الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن وباله
يحيق بهم ﴿وما يشعرون﴾ ذلك ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي
رسل الله﴾ يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت
﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي
بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو
أعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾

صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو
كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام
حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ
ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما
لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه على ان الايمان يمتنع منه كما
يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب عنه
واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد
كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون
يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة
الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك
الطريق الذي ارتضاه او عادته او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا
مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير
او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام
دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم
فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم
مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله
اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد
استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم
كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل

اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم
كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف
بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم
قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم
ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون
فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما
امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء
بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل
اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف
بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو
خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان
الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون
لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما
عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجله وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل
او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة
وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس

لما سبق ذكره

لا يعده وهو فوره ⊙ إن يشأ يذهبكم ⊙ أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة
⊙ ويستخلف من بعدكم ما يشاء ⊙ من الخلق ⊙ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ⊙ أي قرنا بعد
قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم ⊙ إن ما توعدون ⊙ من البعث وأحواله ⊙ لآت ⊙ لكائن لا
محالة ⊙ وما أنتم بمعجزين ⊙ طالبكم به ⊙ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ⊙ على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة
كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى
اثبتوا على كفركم وعداوتكم ⊙ إني عامل ⊙ ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام
والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على
ما يفضي به إليه وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتقصى عنه
⊙ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ⊙ إن جعل من استفهامية بمعنى أينا
يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه
وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع
الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق المنذر بأنه المحق وقرأ
حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي ⊙ إنه لا يفلح الظالمون ⊙ وضع
الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة ⊙ وجعلوا ⊙ أي مشركو العرب
لله مما ذرأ ⊙ خلق ⊙ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ⊙ روي أنهم كانوا
يعينون شيئا من الحرث والنتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم
وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم
وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم
أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله
بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء بالكسر أيضا كالوَدّ والوُدّ ⊙ ساء ما يحكمون ⊙ حكمهم هذا
⊙ وكذلك ⊙ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان ⊙ زين لكثير من المشركين قتل
أولادهم ⊙ بالوأد ونحرهم لآلهتهم ⊙ شركاؤهم ⊙ من الجن أو من السدنة وهو فاعل
زين وقرأ ابن عامر زُيِّن على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء
بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر

كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم
ورفع شركائهم بإضمار فعل دل عليه زين ⊙ ليردوهم ⊙ ليهلكوهم بالإغواء ⊙
وليلبسوا عليهم دينهم ⊙ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم
أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة
⊙ ولو شاء الله ما فعلوه ⊙ ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو
الفريقان جميع ذلك ⊙ فذرهم وما يفترون ⊙ افتراءهم أو ما يفترونه من الإفك ⊙
وقالوا هذه ⊙ إشارة إلى ما جعل لآلهتهم ⊙ أنعام وحرث حجر ⊙ حرام فعل بمعنى مفعول
كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ حُجر بالضم وحِرج أي مضيق ⊙
لا يطعمها إلا من نشاء ⊙ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء ⊙ بزعمهم ⊙
من غير حجة ⊙ وأنعام حرمت ظهورها ⊙ يعني البحائر والسوائب والحوامي ⊙ وأنعام
لا يذكرون اسم الله عليها ⊙ في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها ⊙ افتراء عليه ⊙ نصب على المصدر لأن ما قالوه تقوّل على الله والجار متعلق بقالوا
أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف ⊙ سيجزيهم
بما كانوا يفترون ⊙ بسببه أو بدله ⊙ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام ⊙ يعنون
أجنة البحائر والسوائب ⊙ خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ⊙ حلال للذكور خاصة
دون الإناث إن ولد حيا لقوله ⊙ وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ⊙ فالذكور والإناث
فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر
ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما
في راوية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور
لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب
وخالصُه بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا
والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر ⊙ سيجزيهم وصفهم
⊙ أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب
⊙ إنه حكيم عليم ⊙ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها ⊙ يريد بهم العرب الذين كانوا يئدون
بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى
التكثير ⊙ بغير علم ⊙ لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على

المعبد او الال ۞ وحرموا ما رزقهم الله ۞ من البحائر ونحوها ۞ افتراء على الله ۞ يحتمل
الوجوه المذكورة في مثله ۞ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ۞ الى الحق والصواب ۞ وهو
الذي انشأ جنات ۞ من الكروم ۞ معروشات ۞ مرفوعات على ما يحملها ۞ وغير معروشات
۞ ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والجبال ۞ والنخل والزرع مختلفا اكله ۞ ثمره الذي يؤكل
في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك
عند الانشاء ۞ والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ۞ يتشابه بعض افرادها في اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها ۞ كلوا من ثمره ۞ من ثمر كل واحد من ذلك ۞ اذا اثمر ۞ وان لم
يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى ۞
وآتوا حقه يوم حصاده ۞ يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها
فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم
به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير
ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ۞ ولا تسرفوا ۞ في التصدق
كقوله ولا تبسطها كل البسط ۞ انه لا يحب المسرفين ۞ لا يرتضي فعلهم ۞ ومن الانعام
حمولة وفرشا ۞ عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها ۞ كلوا مما رزقكم الله ۞ كلوا ما احل لكم منه ۞
ولا تتبعوا خطوات الشيطان ۞ في التحليل والتحريم من عند انفسكم ۞ انه لكم عدو مبين ۞
۞ ظاهر العداوة ۞ ثمانية ازواج ۞ بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا
معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول ۞ من الضأن اثنين ۞ زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالابل
وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ۞ ومن المعز اثنين ۞
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب او حارس وحرس وقرئ المعزى ۞ قل آلذكرين ۞ ذكر الضأن وذكر المعز
حرم ام الانثيين ۞ ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ۞ اما اشتملت عليه

ارحام الانثيين ۞ او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى ۞ نبئوني بعلم ۞
بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ۞ ان كنتم صادقين ۞ في دعوى التحريم
عليه ۞ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين ۞ كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا
او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ۞ ام كنتم شهداء ۞ بل اكنتم حاضرين
شاهدين ۞ اذ وصاكم الله بهذا ۞ حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا
طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع ۞ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
۞ فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة
المؤسس لذلك ۞ ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۞ قل لا اجد
فيما اوحي الي ۞ اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي
لا بالهوى ۞ محرما ۞ طعاما محرما ۞ على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ۞ الا ان يكون الطعام ميتة
وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان
التامة وقوله ۞ او دما مسفوحا ۞ عطف على ان يكون مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة
او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ۞ او لحم خنزير فانه رجس ۞
فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث ۞ او فسقا ۞ عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض للتعليل ۞ اهل لغير الله به ۞ صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا
لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه
راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون ۞ فمن اضطر ۞ فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك
۞ غير باغ ۞ على مضطر مثله ۞ ولا عاد ۞ قدر الضرورة ۞ فان ربك غفور رحيم ۞
لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه تلك الغاية محرما غير هذه وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا
على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب ۞ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ۞ كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل
المسبب عن الظلم تعميم التحريم ۞ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ۞ الثروب
وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ۞ الا ما حملت ظهورهما ۞ الا ما علقت بظهورهما
۞ او الحوايا ۞ او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية

وسعاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو ○ او ما اختلط بعظم ○ هو شحم
الالية لاتصالها بالعصعص ○ ذلك ○ التحريم او الجزاء ○ جزيناهم ببغيهم ○ بسبب ظلمهم
○ وانا لصادقون ○ في الاخبار والوعد والوعيد ○ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة ○ يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه يمهل ولا يهمل ○ ولا يرد بأسه
عن القوم المجرمين ○ حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين
فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه
لاحق بهم لا يمكن رده عنهم ○ سيقول الذين اشركوا ○ اخبار عن مستقبل ووقوع
مخبره يدل على اعجازه ○ لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ○
اي لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا
نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله ○ كذلك كذب الذين من قبلهم ○ اي مثل هذا التكذيب لك
في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على
الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا ○ حتى ذاقوا بأسنا ○ الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
○ قل هل عندكم من علم ○ من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم ○ فتخرجوه لنا ○
فتظهروه لنا ○ ان تتبعون الا الظن ○ ما تتبعون في ذلك الا الظن ○ وان انتم الا
تخرصون ○ تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه ○ قل فلله الحجة البالغة ○ البينة الواضحة التي
بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى
القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه ○ فلو شاء لهداكم اجمعين ○ بالتوفيق لها
والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ○ قل هلم شهداءكم ○ احضروهم
وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند
البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند
الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر
ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا ○ الذين يشهدون ان الله حرم هذا ○
يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن
يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم ○ فان شهدوا فلا

تشهد معهم ○ فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
○ ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا ○ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها ○ والذين لا يؤمنون
بالآخرة ○ كعبدة الاوثان ○ وهم بربهم يعدلون ○ يجعلون له عديلا ○ قل تعالوا ○
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم ○ اتل ○
اقرأ ○ ما حرم ربكم ○ منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم ○ عليكم ○ متعلق
بحرم او اتل ○ الا تشركوا به ○ اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل
ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف
على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم
ان تشركوا ○ شيئا ○ يحتمل المصدر والمفعول ○ وبالوالدين احسانا ○ اي واحسنوا
بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة
في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ○ ولا تقتلوا اولادكم من املاق ○ من اجل فقر ومن خشيته
كقوله خشية املاق ○ نحن نرزقكم واياهم ○ منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج
عليه ○ ولا تقربوا الفواحش ○ كبائر الذنوب او الزنا ○ ما ظهر منها وما بطن ○ بدل
وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ○ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ○ كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ○ ذلكم ○ اشارة الى ما ذكر مفصلا ○ وصاكم به ○ بحفظه
○ لعلكم تعقلون ○ ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ○ ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن ○ الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره ○ حتى يبلغ
اشده ○ حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب وقيل مفرد
كآنك ○ واوفوا الكيل والميزان بالقسط ○ بالعدل والتسوية ○ لا نكلف نفسا الا
وسعها ○ الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير
عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم ○ واذا قلتم ○ في حكومة ونحوها ○ فاعدلوا
فيه ○ ولو كان ذا قربى ○ ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم ○ وبعهد الله
اوفوا ○ يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ○ ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون ○ تتعظون به ○ وان هذا صراطي مستقيما ○ الاشارة فيه الى ما ذكر في

السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي
ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بفتحها مشددة
بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا
صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع
الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق
عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم به وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت
في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب
تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان
قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه
اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء
وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال و
المصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بالجزاء
بالجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه و
اتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى و
لعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهورة من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم
وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن
دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا
اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن
تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من
معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم

او صد بهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت
او العذاب وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي النحل بالياء او يأتي ربك اي امره
بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك
يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اطلع
علينا رسول الله عليه السلام فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى
ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار
الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن
آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه
لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا
وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلة تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل
الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف
على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل
انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له
وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة
والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم
في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن
التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا
اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد
بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل

وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم
بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل إلى صراط إذ المعنى وهداني صراطا
كقوله ويهديكم صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد
وهو أبلغ من القائم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي قيما على أنه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام
ملة إبراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من إبراهيم وما كان من المشركين
عطف عليه قل إن صلاتي ونسكي عبادتي كلها أو قرباني أو حجي ومحياي ومماتي
وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة أو الطاعات المضافة إلى الحياة والخيرات
المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير أو الحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياي بإسكان
الياء إجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا
أشرك فيها غيره وبذلك القول أو الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين
لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي
وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة
للإنكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس إلا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر
أخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو
الذي جعلكم خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها
على أن الخطاب عام أو خلفاء الأمم السالفة على أن الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق
بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال إن ربك
سريع العقاب لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إذا أراده وإنه لغفور رحيم
وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة
وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة
مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله عليه السلام أنزلت علي سورة الأنعام
جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه
واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

سورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات من قوله واسألهم عن القرية إلى وإذ نتقنا الجبل كأنه ظلة

إلا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس أو ست

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف
أي هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة أو القرآن أنزل إليك صفته
فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك فإن الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب
من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أو تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك
ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل إذا أنزل إليك لتنذر فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بأنزل أو بلا يكن لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار
وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب بإضمار
فعلها أي لتنذر وتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا
على كتاب أو خبر المحذوف اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه أولياء يضلونكم من
الجن والإنس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا من دون دين الله دين
أولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وإن جعلت مصدرية
لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء
وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبي عليه السلام وكم من قرية وكثيرا
من القرى أهلكناها أردنا إهلاك أهلها أو أهلكناها بالخذلان فجاءها
فجاء أهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال
أو هم قائلون عطف عليه أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت واو
الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فإنه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين
ولأنهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع فما كان دعواهم
دعاؤهم أو استغاثتهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا
إنا كنا ظالمين إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن
الذين أرسل إليهم أي الأمم عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل ولنسألن
المرسلين عما أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام أو الأول في موقف الحساب وهذا عند

حصولهم على العقوبة ﴿فلنقصن عليهم﴾ على الرسل حين يقولوا لا علم لنا إنك أنت
علام الغيوب أو على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه ﴿بعلم﴾ عالمين بظواهرهم و
بواطنهم أو بمعلومنا منهم ﴿وما كنا غائبين﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم ﴿والوزن﴾
أي القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن
أعمالهم فيعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به إلى
الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن
الأشخاص لما روي عنه عليه السلام أنه قال ليأتي العظيم السمين لا يزن عند الله جناح
بعوضة ﴿يومئذ﴾ خبر المبتدأ الذي هو الوزن ﴿الحق﴾ صفته أو خبر محذوف ومعناه
العدل السوي ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ حسناته أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون أو ميزان ﴿فأولئك هم المفلحون﴾
الفائزون بالنجاة والثواب ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا
أنفسهم﴾ بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ فيكذبون بدل التصديق ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾
أي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أسبابا
يعيشون بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف
﴿قليلا ما تشكرون﴾ فيما صنعت إليكم ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي خلقنا أباكم آدم
طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أو ابتدأنا خلقكم
ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وقيل ثم لتأخير
الإخبار ﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ ممن سجد لآدم ﴿قال ما
منعك ألا تسجد﴾ أي أن تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه
ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه
قيل ما اضطرك إلى أن لا تسجد ﴿إذ أمرتك﴾ دليل على أن مطلق الأمر للوجوب و
الفور ﴿قال أنا خير منه﴾ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف
يحسن أن يؤمر به وهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا ﴿خلقتني

من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو
ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره والآية دليل
الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان
إلى النار باعتبار الجزء الغالب ﴿قال فاهبط منها﴾ من السماء أو الجنة فإنها مكان المطيعين
فيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه تعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
﴿فما يكون لك﴾ فما يصح ﴿أن تتكبر فيها﴾ وعن النبي عليه السلام من تواضع لله رفعه الله
ومن تكبر وضعه الله ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ ممن أهانه الله لتكبره ﴿قال أنظرني إلى
يوم يبعثون﴾ أمهلني إلى يوم البعث فلا تمتني أو لا تعجل عقوبتي ﴿قال إنك من المنظرين﴾
يقتضي الإجابة إلى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة
الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب
بمخالفته ﴿قال فبما أغويتني﴾ أي بعد أن أمهلتني لأجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني
بسبب إغوائك إياي بواسطتهم تسمية أو حملا على الغي أو تكليفا بما غويت لأجله والباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف أي فبإغوائك أقسم وقيل الباء للقسم ﴿لأقعدن لهم﴾ ترصدا بهم
كما يقعد القطاع للسابلة ﴿صراطك المستقيم﴾ طريق الإسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ﴿ثم لآتينهم من بين
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ أي من جميع الجهات الأربع ولذلك مثل قصده
إياهم بالتسويل والإضلال من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يقل
من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان
منه يوحش وعن ابن عباس من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم
أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف
الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم
المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ مطيعين وإنما قاله
ظنا لقوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا

وقيل بعده من الملائكة قال اخرج منها مذءوما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لأملأن جهنم منكم أجمعين وهو ساد مسد جواب
الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لأملأن
ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم
اي قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم فتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما
الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في سورة البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك
عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام
الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة
على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على
فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة
المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل
ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما من درجة عالية
الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور
بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم
المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان

اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصّفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب
على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا
ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة
عليها مع اجتناب الكبائر وكذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال
متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع
الى حين الى ان تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم
قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله
وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا
نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا
ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا
وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل
السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته
كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على
لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان
كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من
حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء

يؤمنون بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم و
حملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية وإذا فعلوا فاحشة فعلة
متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله
أمرنا بها اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله فأعرض عن الأول لظهور
فساده ورد الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن عادته جرت على الأمر بمحاسن
الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا
عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين
أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا
أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل أمر ربي
بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم
وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة عند كل مسجد
في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا
إلى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن إليه
مصيركم كما بدأكم كما أنشأكم ابتداء تعودون بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما
شبه الإعادة بالإبداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون
إليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا
هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده أي وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند
سواء في استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن
هيئته في الصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم
روي أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا

ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات
الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة
والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم قل إنما حرم ربي الفواحش ما تزايد
قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والإثم وما يوجب
الإثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي والظلم أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة
بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله أمرنا بها ولكل أمة أجل مدة أو وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة فإذا جاء أجلهم انقضت مدتهم أو حان
وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أي لا يتأخرون ولا يتقدمون
أقصر وقت أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم إما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل
أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم وضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد
فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى
التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وإدخال الفاء في الخبر الأول دون
الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب
بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الأرزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ مما أثبت لهم فيه
حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي يتوفون أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية
لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب إذا أين ما كنتم تدعون من دون الله
أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها

موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم
القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم كائنين في جملة امم مصاحبين لهم
يوم القيمة من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين في النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى في النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخريهم
اى دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله
لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم
على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون
في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها
لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين
وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو
بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء
للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في
ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون وكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل
والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب
وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش
على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى
اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة
والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات

لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى
في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين مبتدا وخبر للترغيب في
اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على
انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة
في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا
لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتاكيد النفى وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا
في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب
اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع
الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما
قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا
لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل
الجنة قالوا نعم وقرا الكسائى بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن
كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على
ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله
صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما
هو عليه والعوج بالكسر في المعانى والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين لقوله فضرب
بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف
اى على اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشىء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل

وقوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون
في صورة الرجال ﴿يعرفون كلا﴾ من اهل الجنة والنار ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم التي
اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من
وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ﴿ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم﴾ اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ حال من الواو
على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية ﴿واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا﴾ تعوذا بالله ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ اي في النار ﴿ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم﴾ من رؤساء الكفرة ﴿قالوا ما اغنى عنكم جمعكم﴾ كثرتكم او جمعكم
المال ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة ﴿اهؤلاء الذين
اقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ﴿ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون﴾ اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه
الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا
يدخلون فقال الله او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ﴿ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان
افيضوا علينا﴾ اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار ﴿من الماء او مما رزقكم
الله﴾ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا
﴿قالوا ان الله حرمهما على الكافرين﴾ منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف ﴿
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا﴾ كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به ﴿وغرتهم
الحياة الدنيا فاليوم ننساهم﴾ نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار ﴿كما نسوا لقاء
يومهم هذا﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ﴿وما كانوا باياتنا يجحدون﴾ وكما كانوا
منكرين انها من عند الله ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾ بينا معانيه من العقائد والاحكام
والمواعظ مفصلة ﴿على علم﴾ عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم
او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق
بذلك ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ حال من الهاء ﴿هل ينظرون﴾

﴿الا تأويله﴾ الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد
﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوه ترك الناسي ﴿قد جاءت رسل ربنا
بالحق﴾ اي قد تبين انهم جاؤا بالحق ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ اليوم ﴿او نرد﴾
او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد
﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل ﴿قد خسروا
انفسهم﴾ بصرف اعمارهم في الكفر ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم
﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام﴾ اي في ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى
غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ﴿ثم استوى على العرش﴾ استوى امره او استولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على الوجه
الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او
للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك ﴿يغشي الليل النهار﴾
يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة
على التكرير ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا
﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ﴿الا له الخلق والامر﴾
فانه الموجد والمتصرف ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ تعالى بالوحدانية في الالوهية
وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم
ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في
يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة
السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما

قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله انه خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم
امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ⊙ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ⊙ اي ذوي تضرع
وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص ⊙ انه لا يحب المعتدين ⊙ المجاوزين ما امروا به في الدعاء
وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء
وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ⊙ ولا تفسدوا
في الارض ⊙ بالكفر والمعاصي ⊙ بعد اصلاحها ⊙ ببعث الانبياء وشرع الاحكام ⊙
وادعوه خوفا وطمعا ⊙ ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته
تفضلا واحسانا لفرط رحمته ⊙ ان رحمة الله قريب من المحسنين ⊙ ترجيح للطمع وتنبيه
على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الترحم او لانه صفة محذوف اي امر
او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى المفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره ⊙ وهو الذي يرسل الرياح ⊙ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة
⊙ نشرا ⊙ جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة
والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر
جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
مصدر بشره ⊙ بين يدي رحمته ⊙ قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ⊙ حتى اذا اقلت ⊙ اي حملت واشتقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله ⊙ سحابا ثقالا ⊙ بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحاب
⊙ سقناه ⊙ اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ ⊙ لبلد ميت ⊙ لاجل
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت ⊙ فانزلنا به الماء ⊙ بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح ⊙ فاخرجنا به ⊙ ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق

في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان للمطر فهي للسببية ⊙ من كل الثمرات ⊙
من كل انواعها ⊙ كذلك نخرج الموتى ⊙ الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء
البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس ⊙ لعلكم تذكرون ⊙ فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا ⊙ والبلد الطيب
⊙ الارض الكريمة التربة ⊙ يخرج نباته باذن ربه ⊙ بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة ⊙ والذي خبث ⊙ كالحرة والسبخة
لا يخرج الا نكدا ⊙ قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي
خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ يخرج البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان
⊙ كذلك نصرف الآيات ⊙ نرددها ونكررها ⊙ لقوم يشكرون ⊙ نعمة الله فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا
ولم يتأثر بها ⊙ لقد ارسلنا نوحا الى قومه ⊙ جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه
اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
⊙ فقال يا قوم اعبدوا الله ⊙ اعبدوه وحده لقوله ⊙ ما لكم من اله غيره ⊙ وقرأ
الكسائي غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء ⊙ اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم ⊙ ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم
القيامة او يوم نزول الطوفان ⊙ قال الملأ من قومه ⊙ اي الاشراف فانهم يملأون العيون
رواء ⊙ انا لنراك في ضلال ⊙ زوال عن الحق ⊙ مبين ⊙ بين ⊙ قال يا قوم
ليس بي ضلالة ⊙ اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض
لهم به ⊙ ولكني رسول من رب العالمين ⊙ استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على
هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ⊙ ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون ⊙ صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان
كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم

فان معناه الكم من قدرة وشدة بطشه او من جهة بالوحي اشياء لا علم لكم بها او
عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم
من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى
غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين
امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك
متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخفف
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا
هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود
بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن
شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب
في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف ولم يعطف كأنه
جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان
قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من
اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها
حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا و
الاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح
وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح اى في مساكنهم من رمل عالج الى شحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن
عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة
قامة وقوة وبسطة تعم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم

الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا
في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من
السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع
عليكم من ربكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى في اشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت
كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه
بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات
توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله
بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد لنزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا
عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم وما كانوا مؤمنين
تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي
انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك
الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء
توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد
في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك في مكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام
وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا الله
عليه شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو
عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن
ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد

اتبع دين هود وترك دينهم ودخلوا مكة فقال القيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منه ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو
الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر
بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على
الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا
او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند
الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب النهي
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها
قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال
المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا عن الايمان
من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم
بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرئ
ابن عامر بالواو أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان
ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به
ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة

فنحروها واسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم
واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما
تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين
خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا
في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال
اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع
فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها
الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم
صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء
غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام
غنم وصدوقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره
ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول
الله عليه السلام اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال
لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ
على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد

والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة مستأنفة
مقررة للإنكار كأنه وبخهم أولا بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ ⊙ إنكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء ⊙ بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ
وقرأ نافع وحفص إنكم على الإخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي
التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر ⊙ بل أنتم قوم مسرفون ⊙ إضراب
عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف
في كل شيء أو عن الإنكار عليه إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم
قوم عادتكم الإسراف ⊙ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم ⊙
أي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من
قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا ⊙ إنهم أناس يتطهرون ⊙ أي من الفواحش ⊙
فأنجيناه وأهله ⊙ أي من آمن به ⊙ إلا امرأته ⊙ من أهله فإنها كانت تسر الكفر ⊙ كانت من
الغابرين ⊙ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور ⊙ وأمطرنا عليهم مطرا
⊙ أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ⊙ فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين ⊙ روي أن لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن
فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم
وإلى مدين أخاهم شعيبا ⊙ أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن إبراهيم شعيب بن
ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه ⊙ قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ⊙ يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها
ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه خاصة وكانت
الموعود له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل
أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصا لنبوته ⊙ فأوفوا الكيل ⊙ أي آلة الكيل على الإضمار أو
إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله ⊙ والميزان ⊙ كما قال في سورة هود أوفوا
المكيال والميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد ⊙ ولا تبخسوا الناس أشياءهم
⊙ ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه ⊙ ولا تفسدوا في الأرض

بالكفر والحيف ⊙ بعد إصلاحها ⊙ بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا
فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار ⊙ ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ⊙
إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية
وحسن الأحدوثة وجمع المال ⊙ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ⊙ بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام و
كانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن
يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا
يقطعون الطريق ⊙ وتصدون عن سبيل الله ⊙ يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع
المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله
⊙ من آمن به ⊙ بالله أو بكل صراط على الأول ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب و
لو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في
تقعدوا ⊙ وتبغونها عوجا ⊙ وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو وصفها
للناس بأنها معوجة ⊙ واذكروا إذ كنتم قليلا ⊙ عددكم أو عددكم ⊙ فكثركم ⊙ بالبركة
في النسل أو المال ⊙ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ⊙ من الأمم قبلكم واعتبروا
بهم ⊙ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا ⊙ فتربصوا
⊙ حتى يحكم الله بيننا ⊙ أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين ⊙ وهو خير الحاكمين ⊙ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه ⊙ قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في
ملتنا ⊙ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر وشعيب لم يكن
في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو
وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله ⊙ قال أولو كنا كارهين ⊙
أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا ⊙ قد افترينا
على الله كذبا ⊙ إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ⊙ شرط
جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة
وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث
نزعم أن لله ندا وأنه قد نجانا منها إلى ما كان عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل إنه جواب قسم
وتقديره والله لقد افترينا ⊙ وما يكون لنا ⊙ وما يصح لنا ⊙ أن نعود فيها إلا أن يشاء الله

الجزء

ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة الله وقيل اراد به حسم طمعهم في
العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما
يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت
خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا
وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم
بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جوابي الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كأن لم يغنوا فيها
اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على
هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم
انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بالامالة
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر
لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا حتى كثروا
عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم
لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما
ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل
المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل

فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل
مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من
ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن
عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي
يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما
اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأ بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على
ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على
اصبناهم لانه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم
لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت
صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها
بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما
كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم
المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته
لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا يلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين من عهد اي وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه في
الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عاهدوا اذ هم كانوا في ضر ومخافة
مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم

لفاسقين ⊙ من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك
لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام
بمعنى الا ⊙ ثم بعثنا من بعدهم موسى ⊙ الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم
او للامم ⊙ باياتنا ⊙ يعني المعجزات ⊙ الى فرعون وملائه فظلموا بها ⊙ بان كفروا بها
مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب
لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن
الريان ⊙ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين ⊙ اليك وقوله ⊙ حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق ⊙ لعله جواب
لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله
حقيق علي ان لا اقول كما قرا نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب
على القول الحق ان اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع
على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده
قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول ⊙ قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
⊙ فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم و
استخدمهم في الاعمال ⊙ قال ان كنت جئت باية ⊙ من عند من ارسلك ⊙ فات بها
فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ⊙ ان كنت من الصادقين ⊙ في الدعوى ⊙
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ⊙ ظاهر الامر لا يشك في انه ثعبان وهي الحية العظيمة
روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس
مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك
خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ⊙ ونزع يده
من جيبه او من تحت ابطه ⊙ فاذا هي بيضاء للناظرين ⊙ بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع
عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة
فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ⊙ قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل
التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا ⊙ يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا

تامرون ⊙ تشيرون في ان تفعل ⊙ قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم ⊙ كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك
ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير وارجه من ارجيت كما قرا نافع في رواية
اسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة
عنها واما قراءة حمزة وعاصم وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل
جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما
كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده
اتفاقهم عليه في الشعراء ⊙ وجاء السحرة فرعون ⊙ بعد ما ارسل الشرط في طلبهم ⊙
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ⊙ استئناف به كانه جواب سائل قال ما قالوا
اذ جاؤوا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا لاجرا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم
قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم ⊙ قال نعم ⊙ ان لكم اجرا ⊙ وانكم لمن المقربين ⊙
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم ⊙ قالوا يا موسى اما ان تلقي
واما ان نكون نحن الملقين ⊙ خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت
رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط
تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك ⊙ قال القوا ⊙ كرما وتسامحا او ازدراء ووثوقا
على شانه ⊙ فلما القوا سحروا اعين الناس ⊙ بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه ⊙
واسترهبوهم ⊙ وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم ⊙ وجاؤوا بسحر عظيم
⊙ في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي و
ركب بعضها بعضا ⊙ واوحينا الى موسى ان الق عصاك ⊙ فالقاها فصارت حية
فاذا هي تلقف ما يافكون ⊙ اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء
عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت
حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع
عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا ⊙ فوقع الحق ⊙ فثبت لظهور امره ⊙ وبطل ما كانوا يعملون ⊙ من السحر والمعارضة
⊙ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ⊙ صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة

اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه ۞ وألقي السحرة ساجدين ۞ جعلهم ملقين
على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو ان
الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب
الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته ۞ قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون ۞ ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون ۞ قال
فرعون آمنتم به ۞ بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن
عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار ۞
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه ۞ اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في
المدينة ۞ في مصر قبل ان تخرجوا الميعاد ۞ لتخرجوا منها اهلها ۞ يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
۞ فسوف تعلمون ۞ عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله ۞ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
۞ من كل شق طرفا ۞ ثم لأصلبنكم اجمعين ۞ تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من
سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته ۞ قالوا انا الى ربنا منقلبون ۞ بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرك ومصيرنا الى ربنا
فيحكم بيننا ۞ وما تنقم منا ۞ وما تنكر منا ۞ الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ۞ وهو خير الاعمال
واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ۞
ربنا افرغ علينا صبرا ۞ افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من
الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون ۞ وتوفنا مسلمين ۞ ثابتين على الاسلام وقيل انه
فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون ۞ وقال
الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ۞ بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ۞ ويذرك ۞ عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول
الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى
ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون
كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فأصدق وأكن ۞ وآلهتك ۞ معبوداتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ وإلاهتك اي عبادتك ۞ قال ۞ فرعون ۞ سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم ۞ كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود

الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف ۞ وانا فوقهم قاهرون ۞ غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا
۞ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ۞ لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
لهم ۞ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ۞ تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر ۞ والعاقبة للمتقين ۞ وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من
اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض يحتمل العهد والجنس ۞ قالوا ۞ اي بنو اسرائيل ۞ اوذينا من قبل ان تأتينا ۞ بالرسالة
بقتل الابناء ۞ ومن بعد ما جئتنا ۞ باعادته ۞ قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض ۞ تصريح بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل
الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في
زمن داود وسليمان عليهما السلام ۞ فينظر كيف تعملون ۞ فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ۞ ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ۞ بالجدوب لقلة الامطار
والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت
القوم اذا قحطوا ۞ ونقص من الثمرات ۞ بكثرة العاهات ۞ لعلهم يذكرون ۞ لكي يتنبهوا
على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا
فيما عنده ۞ فاذا جاءتهم الحسنة ۞ من الخصب والسعة ۞ قالوا لنا هذه ۞ لاجلنا
ونحن مستحقوها ۞ وان تصبهم سيئة ۞ جدب وبلاء ۞ يطيروا بموسى ومن معه ۞
يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة
الآيات وهم لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة
وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة
واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع ۞ الا انما طائرهم عند الله
۞ اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله
وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو
اسم الجمع وقيل هو جمع ۞ ولكن اكثرهم لا يعلمون ۞ ان ما يصيبهم من الله او من شؤم
اعمالهم ۞ وقالوا مهما ۞ اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء
استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الا

أو النصب بفعل يفسره تأتنا به أي أي شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمها
وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنث
بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم
مطر أو سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو
كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم
مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا
فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد
على أراضيهم ومنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع
ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم
مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب
والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه وكان
يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن
أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت
تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا
عليه العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء و
يمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على العاقل أنها آيات الله ونقمته
عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة
أسبوعا وقيل إن موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز
يعني العذاب المفصل أو الطاعون أرسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع
لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك أن تدعوه
فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا
إليه بما عهد عندك أو متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك

نحو ما عندك أو قسم مجاب بلنؤمنن لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون
فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم
ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتأمل فانتقمنا
منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك
قعره وقيل لجته بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير
للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض
الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت
عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد أن نمن إلى قوله
ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على
الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن
عامر وأبو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم من
النعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما رأى منهم
وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عبر بهم
يوم عاشوراء بعد يوم أهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم
يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن
العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة
للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا
من الآيات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر
ما هم فيه يعني أن الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا

وباطل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى
وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان
وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق بهم لا محالة وأن
الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا. قال أغير الله أبغيكم إلها
أطلب لكم معبودا. وهو فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا
أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته. وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه
الله تعالى معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم. يسومونكم سوء العذاب استئناف
لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما. يقتلون أبناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين. وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو
محنة عظيمة. وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا
وأتممناها بعشر من ذي الحجة. فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه عليه السلام
وعد بني إسرائيل أن يأتيهم بمصر بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون
فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا
وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل الله عليه التوراة في العشر وكلمه فيها.
وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم. وأصلح ما يجب أن يصلح من
أمورهم أو كن مصلحا. ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد
ولا تطع من دعاك إليه. ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
أي اختص مجيئه لميقاتنا. وكلمه ربه من غير وسيط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين.
قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك
وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال
وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن أريك
أو لن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدة في الرائي لم توجد فيه بعد وجعل السؤال
لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم
ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع

سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن
عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية. قال لن تراني ولكن انظر
إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي
تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
زبير. فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له
حياة ورؤية حتى رآه. جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك
والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وقرئ دكا أي قطعا دكا جمع دكاء. وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى. فلما
أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت إليك من الجرأة والإقدام على السؤال
بغير إذن. وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك
لا ترى في الدنيا. قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس
على الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما
ولا صاحب شرع. برسالاتي يعني أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي
وبكلامي وبتكليمي إياك. فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة. وكن من
الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم
النحر. وكتبنا له في الألواح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمور الدين. موعظة و
تفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام
واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت
أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده أو شققها بأصابعه وكان فيها التوراة أو
غيرها. فخذها على إضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء
للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات. بقوة بجد وعزيمة.
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم
أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا
لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء. سأريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا ولا

تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند
وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ○ ساصرف عن آياتي ○ المنصوبة في الآفاق
والانفس ○ الذين يتكبرون في الارض ○ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم
○ بغير الحق ○ صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله
وان يروا كل آية ○ منزلة او معجزة ○ لا يؤمنوا بها ○ لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول ○ وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
○ لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها
لغات كالسقم والسقم والسقام ○ وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين ○ اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات
ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببها ○ والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة ○ ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة ○ حبطت اعمالهم
○ لا ينتفعون بها ○ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ○ الا جزاء اعمالهم ○ واتخذ قوم
موسى من بعده ○ من بعد ذهابه للميقات ○ من حليهم ○ التي استعاروا من القبطيين حين هموا
بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي
كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد ○
عجلا جسدا ○ بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل
○ له خوار ○ صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس
جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
○ الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ○ تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر
والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر
حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر ○ اتخذوه ○ تكرير للذم اي اتخذوه
الها ○ وكانوا ظالمين ○ واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم
○ ولما سقط في ايديهم ○ كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل
معناه سقط الندم في انفسهم ○ ورأوا ○ وعلموا ○ انهم قد ضلوا ○ باتخاذ العجل

قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ○ بانزال التوبة ○ ويغفر لنا ○ بالتجاوز عن الخطيئة ○
لنكونن من الخاسرين ○ وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ○ ولما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ○ شديد الغضب وقيل حزينا ○ قال بئسما خلفتموني
من بعدي ○ فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي
او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه ○ اعجلتم امر ربكم
اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من
الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم ○ والقى الالواح
○ طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة
اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء
وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام ○ واخذ برأس اخيه ○ بشعر رأسه ○ يجره اليه ○
توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل ○ قال ابن ام ○ ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة
تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ○ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ○ ازاحة لتوهم التقصير في حقه
والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ○ فلا تشمت بي الاعداء
○ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ○ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ○ معدودا في عدادهم
بالمؤاخذة او نسبة التقصير ○ قال رب اغفر لي ○ ما صنعت باخي ○ ولاخي ○
ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه ○ وادخلنا في رحمتك
○ بمزيد الانعام علينا ○ وانت ارحم الراحمين ○ فانت ارحم بنا منا على انفسنا ○ ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ○ وهو ما امرهم به من قتل انفسهم ○ وذلة في الحياة
الدنيا ○ وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية ○ وكذلك نجزي المفترين ○ على الله ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم ○ والذين عملوا السيئات ○
من الكفر والمعاصي ○ ثم تابوا من بعدها ○ من بعد السيئات ○ وآمنوا ○ واشتغلوا بالايمان
وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ○ ان ربك من بعدها ○ من بعد التوبة ○ لغفور رحيم

وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ۞ ولما سكت
سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب ۞ باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا
الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه
حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او
اخوه او الذين تابوا ۞ اخذ الالواح ۞ التي القاها ۞ وفي نسختها ۞ وفيما نسخ فيها
اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة ۞
هدى ۞ بيان للحق ۞ ورحمة ۞ ارشاد الى الصلاح والخير ۞ للذين هم لربهم يرهبون
۞ دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم ۞ واختار موسى قومه ۞ اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه ۞ سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة ۞ روي انه تعالى امره ان يأتيه
في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب
مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها ۞
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي ۞ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او
بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم
في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم
احسانك ۞ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ۞ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية و
كان ذلك فعل بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى عليهم ودعا فكشفها الله عنهم ۞
ان هي الا فتنتك ۞ ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية
او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به ۞ تضل بها من تشاء ۞ ضلاله بالتجاوز عن حده
او باتباع المخايل ۞ وتهدي من تشاء ۞ هداه فيقوى بها ايمانه ۞ انت ولينا
۞ القائم بامرنا ۞ فاغفر لنا ۞ بمغفرة ما قارفنا ۞ وارحمنا وانت خير الغافرين
۞ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة ۞ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ۞

حسن معيشة وتوفيق طاعة ۞ وفي الآخرة ۞ الجنة ۞ انا هدنا اليك ۞ تبنا اليك
من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا للمفعول
منه على لغة من يقول عود المريض ۞ قال عذابي اصيب به من اشاء ۞ تعذيبه ورحمتي
وسعت كل شيء ۞ في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره ۞ فساكتبها
في الآخرة فاثبتها او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل ۞ للذين يتقون ۞
الكفر والمعاصي ۞ ويؤتون الزكاة ۞ خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم
۞ والذين هم بآياتنا يؤمنون ۞ فلا يكفرون بشيء منها ۞ الذين يتبعون الرسول
النبي الامي ۞ مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من
الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما
سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد والامي الذي لا يكتب ولا
يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته ۞ الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل ۞ اسما وصفة ۞ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
۞ مما حرم عليهم كالشحوم ۞ ويحرم عليهم الخبائث ۞ كالدم ولحم الخنزير او كالربا
والرشوة ۞ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ۞ ويخفف عنهم ما كلفوا
من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله ۞ فالذين آمنوا
به وعزروه ۞ وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ۞
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ۞ اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا
لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب
والسنة ۞ اولئك هم المفلحون ۞ الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب
دعاء موسى ۞ قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم ۞ الخطاب عام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم ۞
جميعا ۞ حال من اليكم ۞ الذي له ملك السموات والارض ۞ صفة لله وان حيل
بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره ۞ لا اله الا هو ۞ وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان

هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته بما انزل عليه وعلى الرسل من
كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود و
تنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات
الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او
بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على
ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله عليه السلام ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم
وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع
فانه متضمن معنى صير او حال والتأنيث للحمل على الامة او القطعة امما بدل بعد بدل او
لاسباطا او بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط
فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى اذ
استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست
وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل
في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث
شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيه بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم
قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني
مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو خطاياكم

فبدل

فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون مضى تفسيره في سورة البقرة واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم
وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة
لك عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه
وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ
يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او
حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون اصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات
الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم
اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله
ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء
من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك
البلاء نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم
الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم
او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ
لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ
لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب
الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما
نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس
شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم
وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخففت عينه بنقل

حركت الى الفاء كالكبد في كبد وقرأ نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين في هين وبايس ○ بما كانوا يفسقون ○ بسبب فسقهم ○ فلما عتوا عما نهوا عنه ○ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم ○ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ○ كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسابهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم ○ واذ تأذن ربك ○ اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ○ ليبعثن عليهم الى يوم القيمة ○ والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ○ من يسومهم سوء العذاب ○ كالاذلال وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ○ ان ربك لسريع العقاب ○ عاقبهم في الدنيا ○ وانه لغفور رحيم ○ لمن تاب وامن ○ وقطعناهم في الارض امما ○ وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال ○ منهم الصالحون ○ صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ○ ومنهم دون ذلك ○ تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ○ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ○ بالنعم والنقم ○ لعلهم يرجعون ○ ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه ○ فخلف من بعدهم ○ من بعد المذكورين ○ خلف ○ بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله عليه السلام ○ ورثوا الكتاب ○ التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيه ○ يأخذون عرض هذا الادنى ○ حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم

والجملة حال من الواو ○ ويقولون سيغفر لنا ○ لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون ○ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ○ حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه ○ الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ○ اي في الكتاب ○ ان لا يقولوا على الله الا الحق ○ عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ○ ودرسوا ما فيه ○ عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض ○ والدار الاخرة خير للذين يتقون ○ مما يأخذ هؤلاء ○ افلا تعقلون ○ فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين ○ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة ○ عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره ○ انا لا نضيع اجر المصلحين ○ على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات ○ واذ نتقنا الجبل فوقهم ○ اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب ○ كأنه ظلة ○ سقيفة وهي كل ما اظلك ○ وظنوا ○ وتيقنوا ○ انه واقع بهم ○ ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم ○ خذوا ○ على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ○ ما اتيناكم من الكتاب ○ بقوة ○ بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو ○ واذكروا ما فيه ○ بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي ○ لعلكم تتقون ○ قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ○ واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم ○ اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ○ واشهدهم على انفسهم الست بربكم ○ اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم ○ قالوا بلى ○ فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ○ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة ○ اي كراهة ان تقولوا ○ انا كنا عن هذا

غافلين لم ننبه عليه بدليل أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما
بالياء لأن أول الكلام على الغيبة إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا أفتهلكنا
بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من
ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي
وحققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من إيراد هذا الكلام ههنا إلزام
اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج
العقلية ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون أي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم على اليهود نبأ
الذي آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام
حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ
منها من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي أن قومه سألوه أن يدعو على
موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه
ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة واتبع هواه في إيثار الدنيا
واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه
بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة
انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب
وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه
أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيها
على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة
كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث
أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات
لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال
والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة

للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فإنها
نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم إلى الاتعاظ ساء مثلا القوم
أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا
بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا
في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا
عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى
والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء
والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد
طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء
وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز
بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق
والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار
ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام
في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة
إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك
من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم
يعلم أنه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل
الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه
واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا أبا المكارم ويا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
إلا رحمن اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها
منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم
كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا

لهث الكلب لهثا إذا أخرج لسانه من التعب والعطش صح

مال عن القصد ۝ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ۝ ذكر ذلك بعد ما بين
أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق
عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه
الصفة لقوله عليه السلام لا يزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ لو اختص
بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم ۝ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
۝ سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال
درجة بعد درجة ۝ من حيث لا يعلمون ۝ ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا
أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب ۝ وأملي لهم
وأمهلهم عطف على سنستدرجهم ۝ إن كيدي متين ۝ أي أخذي شديد وإنما سماه كيدا
لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان ۝ أولم يتفكروا ما بصاحبهم ۝ يعني محمدا عليه السلام
۝ من جنة ۝ جنون روي أنه عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله
فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت ۝ إن هو إلا نذير
مبين ۝ موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر ۝ أولم ينظروا ۝ نظر استدلال
۝ في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ۝ مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي
لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي
أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه ۝ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ۝ عطف على
ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم
ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل
مغافصة الموت ونزول العذاب ۝ فبأي حديث بعده ۝ أي بعد القرآن ۝
يؤمنون ۝ إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر
بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم
قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به
فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله ۝ من يضلل الله فلا هادي له ۝
كالتقرير والتعليل له ۝ ويذرهم في طغيانهم ۝ بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو
وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على
محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم ۝ يعمهون ۝ حال من هم ۝
يسألونك عن الساعة ۝ أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها إما لوقوعها

بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة ۝ أيان مرساها ۝
متى إرساؤها أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا
الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت
لأن البعض آو إلى الكل ۝ قل إنما علمها عند ربي ۝ استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ۝ لا يجليها لوقتها ۝ لا يظهر أمرها في وقتها ۝ إلا هو ۝ والمعنى
أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلاة
لدلوك الشمس ۝ ثقلت في السماوات والأرض ۝ عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين
لهولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها ۝ لا تأتيكم إلا بغتة ۝ فجأة على غفلة كما قال
عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفع ۝ يسألونك كأنك حفي عنها ۝
عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث
استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة
فإن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها
كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها
تحبه أو تكرهه لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ۝ قل إنما علمها عند الله ۝ كرره
لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ۝ ولكن أكثر الناس لا يعلمون
۝ أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه ۝ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ۝
جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب ۝ إلا
ما شاء الله ۝ من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ۝ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ۝ ولو كنت أعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع و
اجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ۝ إن أنا إلا نذير وبشير ۝ وما أنا إلا عبد مرسل
للإنذار والبشارة ۝ لقوم يؤمنون ۝ فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقا
بالبشير ومتعلق النذير محذوف ۝ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ۝ هو آدم
۝ وجعل منها ۝ من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا ۝ زوجها ۝ حواء ۝ ليسكن إليها ۝ ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء
إلى جزئه أو جنسه وإنما ذكر الضمير في ليسكن ذهابا إلى المعنى ليناسب ۝ فلما تغشاها ۝
جامعها ۝ حملت حملا خفيفا ۝ خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا

خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت
بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي
فظنت الحمل وارتابت به فلما أثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها
وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا
ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل
عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الأصنام
وقيل لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فذكرت لآدم فهما منه ثم عاد
إليها فقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
أتسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث
وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء ويحتمل أن يكون الخطاب لآل قصي من قريش فإنهم خلقوا من
نفس قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة
بنين وسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون
لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا أي شركة بأن أشركا فيه
غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الأصنام جيء به على تسميتهم إياها آلهة
ولا يستطيعون لهم نصرا أي لعبدتهم ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها
ما يعتريها وإن تدعوهم أي المشركين إلى الهدى إلى الإسلام لا
يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام أي إن تدعوهم
إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم أدعوتموهم
أم أنتم صامتون وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه
مسوى بالثبات على الصمات أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم
إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم إن الذين تدعون من دون الله
أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم من حيث إنها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين أنهم آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي
قال لهم إن قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق

بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد
يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها وقرئ إن الذين
بتخفيف إن ونصب عبادا أمثالكم على أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون
بالضم هاهنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون
فلا تمهلون فإني لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه إن وليي الله الذي نزل
الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من
عباده فضلا عن أنبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم
ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون إليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من
ينظر إلى من يواجهه خذ العفو خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الأفعال وأعرض عن
الجاهلين ولا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول عليه السلام
باستجماعها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس أي وسوسة يحملك
على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنخس والنسغ الغرز شبه وسوسته
للناس إغراءهم على المعاصي وإزعاجهم بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله إنه سميع
يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك
عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا إياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان إن الذين اتقوا إذا
مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم
ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه
فإذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها
ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم أي إخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال

ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير
للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين
ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن
او بآية مقترحة قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او
طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح
لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام
والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما
خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك
هو عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ
الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون
الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص
بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وينزهونه وله يسجدون ويختصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره
وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه السلام
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله
يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وسميت
الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما يسمى به ما شرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة
على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره
الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم
المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله عليه السلام لمن كان له غناء ان ينفله

فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا
فقال الشيوخ والوجوه الذين عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها
فنزلت فقسمها رسول الله عليه السلام بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان
يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي
عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي
واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله عليه السلام
سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي
يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والتشاجر
واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى
الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاث طاعة الاوامر والاتقاء
عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملو في
الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما وتهيبا من
جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا
وطمأنينة النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه
مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي
هي العيار عليها من الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو
عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنات
يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع
عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره
هذه الحال كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر

في قوله ولله والرسول اي الانفال ثبتت لله وللرسول مع كراهتهم ثباتا مثل اخراجك
ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم ﴿وان فريقا من
المؤمنين لكارهون﴾ في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش
اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله عليه السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد
رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم
حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل
فقال ما ترضى رجالكم ان يتنبؤا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر
وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله عليه السلام
بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش
فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير
فردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله عليه السلام فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم
قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته
الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال
اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على
ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشط عليه السلام لقوله ثم قال سيروا على

بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع
القوم وقيل له عليه السلام لما فرغ من بدر عليك بالعير فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال لم فقال لان الله عز وجل وعدك احدى الطائفتين وقد
اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ﴿يجادلونك في الحق﴾ اي في ايثارك
الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه ﴿بعد ما تبين﴾ انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول عليه السلام ﴿كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايذان بان مجادلتهم كانت
لفرط فزعهم ورعبهم ﴿واذ يعدكم الله احدى الطائفتين﴾ اذ منصوب باذكر واحدى ثاني
مفعولي يعدكم وقد ابدل عنه ﴿انها لكم﴾ بدل الاشتمال ﴿وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم﴾ يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون
ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ يثبته ويعليه ﴿بكلماته﴾ الموحى بها في هذه الحال او باوامره
للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز
الدارين ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ اي فعل ما فعل وليس بتكرار لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على
اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ولو كره المجرمون﴾ ذلك ﴿اذ تستغيثون
ربكم﴾ بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما
علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث
المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة
فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا
تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك ﴿فاستجاب لكم اني ممدكم﴾ باني ممدكم فحذف الجار و
سلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال
لان الاستجابة من القول ﴿بالف من الملائكة مردفين﴾ متبعين المؤمنين او بعضهم
بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين

من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين
بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مر
تدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او
بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او
من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها ۞ وما جعله الله ۞
اي الامداد ۞ الا بشرى ۞ الا بشارة لكم بالنصر ۞ ولتطمئن به قلوبكم ۞ فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم ۞ وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ۞
وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر
منها ولا تيأسوا منه بفقدها ۞ اذ يغشيكم النعاس ۞ بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف
من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو اذ يغشاكم النعاس بالرفع ۞ امنة منه ۞ امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى
فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز
ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز
لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له
امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود
وقرئ امنة كرحمة وهي لغة ۞ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ۞ من الحدث والجنابة
۞ ويذهب عنكم رجز الشيطان ۞ يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه
اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
الوسوسة ۞ وليربط على قلوبكم ۞ بالوثوق على لطف الله بهم ۞ ويثبت به الاقدام
۞ اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة ۞ اذ يوحي
ربك ۞ بدل ثالث او متعلق بيثبت ۞ الى الملائكة اني معكم ۞ في اعانتهم وتثبيتهم

وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه ۞ فثبتوا
الذين آمنوا ۞ بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله ۞
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ۞ كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على
انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان
قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي
هذا ۞ فاضربوا فوق الاعناق ۞ اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس ۞ واضربوا منهم
كل بنان ۞ اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ۞ ذلك ۞ اشارة الى الضرب
او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل ۞ بانهم شاقوا الله ورسوله ۞
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر
كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ۞ ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب ۞ تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم
في الدنيا ۞ ذلكم ۞ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم
او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه ۞ فذوقوه ۞ او غيره مثل باشروا او عليكم
ليكون الفاء عاطفة ۞ وان للكافرين عذاب النار ۞ عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على
ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ۞
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ۞ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال ۞ فلا تولوهم الادبار ۞ بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر
انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من
الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا
عشر الفا ۞ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ۞ يريد الكر بعد الفر وتغرير
العدو فانه من مكايد الحرب ۞ او متحيزا الى فئة ۞ او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين
على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ابن عمر انه كان في سرية
بعثهم رسول الله عليه السلام ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل

او الاستنثار من المؤمنين اي الا رجلا متحرفا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان
متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا
لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه
قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه
جبريل فقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصى فرمى
بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت
واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت
اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى
اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى
ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى
بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج
منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق
على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع
ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله
الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه
اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا
عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم

شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين
كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا
عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم
بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
ايمانهم ويؤيد ذلك قوله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه
وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن
والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين
الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا
ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم
عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم
ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا
بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا
ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم
وقيل كانوا يقولون للنبي عليه السلام احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك
ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول
وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما
منعك عن اجابتي فقال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث
يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في
النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو
وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه

يستبدل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ان يحول الله بينه وبين القلوب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء
الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه ﴿وانه اليه تحشرون﴾ فيجازيكم باعمالكم
﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار
المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل
في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى
النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ
لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام
واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ
لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم
فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿واعلموا ان الله شديد
العقاب﴾ ﴿واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم
﴿تخافون ان يتخطفكم الناس﴾ كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم ﴿فاواكم﴾ الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعاديكم ﴿وايدكم
بنصره﴾ على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ﴿ورزقكم
من الطيبات﴾ من الغنائم ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعم ﴿يا ايها الذين امنوا
لا تخونوا الله والرسول﴾ بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون
او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من ارض الشام
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه

انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال
ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه ﴿وتخونوا اماناتكم﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او
منصوب على الجواب بالواو ﴿وانتم تعلمون﴾ انكم تخونون او وانتم علماء تميزون
الحسن من القبيح ﴿واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ لانه سبب الوقوع في الاثم
او في العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة ﴿وان الله
عنده اجر عظيم﴾ لمن آثر رضاء الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه ﴿يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها
بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين
او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث
صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾
ويسترها ﴿ويغفر لكم﴾ بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر
وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم ﴿والله ذو الفضل
العظيم﴾ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب
تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا﴾
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم
والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ﴿ليثبتوك﴾ بالوثاق او الحبس او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات وليقيدوك ﴿او يقتلوك﴾ بسيوفهم ﴿او يخرجوك﴾ من مكة
وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي
ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت

فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو
رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا
العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام
وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيّت عليا كرم الله وجهه مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه
إلى الغار ○ ويمكرون ويمكر الله ○ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين
معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ○ والله خير الماكرين
○ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها
ابتداء لما فيه من إيهام الذم ○ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
○ هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان
قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ
لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان
○ إن هذا إلا أساطير الأولين ○ ما سطره الأولون من القصص ○ وإذ قالوا اللهم
إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ○
هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين
قال له النبي عليه السلام ويلك إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان هذا القرآن حقا منزلا
فأمطر علينا الحجارة عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار
اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ لا فصل وفائدة
التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي عليه السلام وهو تنزيله
لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين ○ وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ○ بيان لما كان الموجب
لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب
استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم
إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ○ وما لهم ألا يعذبهم

وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ○ وهم يصدون عن المسجد
الحرام ○ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله عليه السلام والمؤمنين إلى الهجرة
وإحصارهم عام الحديبية ○ وما كانوا أولياءه ○ مستحقين ولاية أمره مع شركهم
وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ○
إن أولياؤه إلا المتقون ○ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غير الله وقيل الضمائر لله
تعالى ○ ولكن أكثرهم لا يعلمون ○ أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم
ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ○ وما كان صلاتهم عند البيت ○
أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ○ إلا مكاء صفيرا فعال من
مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا ○ وتصدية ○ تصفيقا تفعلة من الصدى أو من
الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي
أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها و
يصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي عليه السلام أن يصلي يخلطون عليه ويرون
أنهم يصلون أيضا ○ فذوقوا العذاب ○ يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب
الآخرة واللام يحتمل أن يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب أليم ○ بما كنتم تكفرون ○ اعتقادا
وعملا ○ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ○ نزلت في المطعمين يوم
بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان
استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين
أوقية أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب
محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله ○
فسينفقونها ○ بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني
إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق
الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ○ ثم تكون
عليهم حسرة ○ ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي
عاقبة إنفاقها مبالغة ○ ثم يغلبون ○ آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك
○ والذين كفروا ○ أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذ أسلم بعضهم ○ إلى جهنم يحشرون
○ يساقون ○ ليميز الله الخبيث من الطيب ○ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح

واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله
عليه السلام بما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا﴾ فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر
ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين ﴿فيجعله في جهنم﴾ كله ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الخبيث
لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين ﴿هم الخاسرون﴾ الكاملون في الخسران
لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم ﴿قل للذين كفروا﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى
قل لأجلهم ﴿إن ينتهوا﴾ عن معاداة الرسول عليه السلام بالدخول في الإسلام
﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم وقرئ يغفر على البناء
للفاعل وهو الله ﴿وإن يعودوا﴾ لقتاله ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾
الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾ وتضمحل عنهم
الأديان الباطلة ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم على
انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد
والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب
﴿وإن تولوا﴾ ولم ينتهوا ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم ﴿نعم المولى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾ لا يغلب من نصره
﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ أي الذي أخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شيء﴾ مما يقع عليه الاسم
حتى الخيط ﴿فأن لله خمسه﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه
وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله أحق أن
يرضوه وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين ﴿وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ فكأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء
الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول عليه السلام يصرف إلى ما كان يصرفه
إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل إلى الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة
وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم ذي القربى بوفاته عليه السلام وصار الكل مصروفا إلى
الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية

إلى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه
كان يأخذ قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم
إلى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي أنه عليه السلام قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن
وهم بمنزلة فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في إسلام وشبك بين أصابعه
وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم
كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر
بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿إن كنتم آمنتم
بالله﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم
يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿وما أنزلنا
على عبدنا﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين أي الرسول والمؤمنين
﴿يوم الفرقان﴾ يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾
المسلمون والكفار ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد
بالملائكة ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات
الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو
ويعقوب ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان
قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو
أكثر استعمالا من القصيا ﴿والركب﴾ أي العير أو قوادها ﴿أسفل منكم﴾ في مكان أسفل
من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله
وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ
فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله
﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم

لاختلفتم في الميعاد هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح
ليس إلا صنعاً من الله تعالى خارقاً للعادة فيزدادوا إيماناً وشكراً ولكن جمع بينكم على
الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه
وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق
بقوله مفعولاً والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا
يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان
من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن
حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح و
قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل
وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلاً مقدر باذكر أو
بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك
وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم ولو أراكهم كثيراً لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم
ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً الضميران
مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى
جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ويقللكم في
أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمداً وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال
ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم و
تكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً
والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار
بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمراً كان مفعولاً كرره لاختلاف الفعل
المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك
وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم
يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا
لقتالهم واذكروا الله كثيراً في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره

لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن
لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ
البال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه
ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعار للدولة من حيث إنها في تمشي
أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا
بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا
إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني أهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطراً فخراً وأشراً ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان
أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدراً ونشرب بها الخمور
وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا
وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن
يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطراً إن جعل مصدراً في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولاً له لكن على تأويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته
وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضارباً زيداً عندنا فلما تراءت الفئتان
أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه
مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ
منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد
الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون و
دفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك

فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى
هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اي اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت المعلوم اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن
واختاره ابن بحر ○ والله شديد العقاب ○ يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا
○ اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ○ والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير
الوصفين ○ غر هؤلاء ○ يعنون المؤمنين ○ دينهم ○ حتى تعرضوا لما لا يد لهم به
فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ○ ومن يتوكل على الله ○ جواب لهم
○ فان الله عزيز ○ غالب لا يذل من استجار به وان قل ○ حكيم ○ يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ○ ولو ترى ○ ولو رأيت فان لو تجعل
المضارع ماضيا عكس ان ○ اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ○ ببدر واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وعلا وهو مبتدأ خبره ○
يضربون وجوههم ○ والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على
الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين ○ وادبارهم ○ ظهورهم
او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر ○
وذوقوا عذاب الحريق ○ عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار
منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ○ ذلك ○ الضرب والعذاب ○
بما قدمت ايديكم ○ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ○ وان الله ليس
بظلام للعبيد ○ عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل
العبيد ○ كدأب آل فرعون ○ اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم
وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه ○ والذين من قبلهم ○ من قبل آل فرعون ○
كفروا بآيات الله ○ تفسير لدأبهم ○ فأخذهم الله بذنوبهم ○ كما اخذ هؤلاء
○ ان الله قوي شديد العقاب ○ لا يغلبه في دفعه شيء ○ ذلك ○ اشارة الى

ما حل بهم ○ بأن الله ○ بسبب ان الله ○ لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم ○ مبدلا
اياها بالنقمة ○ حتى يغيروا ما بأنفسهم ○ يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم
والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له
وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا ○ وان الله سميع
○ لما يقولون ○ عليم ○ بما يفعلون ○ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون ○ تكرير للتأكيد ولما نيط به من
الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول
لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم
○ وكل ○ من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش ○ كانوا ظالمين ○
انفسهم بالكفر والمعاصي ○ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ○ اصروا على
الكفر ورسخوا فيه ○ فهم لا يؤمنون ○ فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي
تحقق المعطوف وقوعه ○ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ○
بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول
الله ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا و
مالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة ○ وهم لا يتقون ○ سبة الغدر
ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم ○ فاما تثقفنهم
○ فاما تصادفنهم وتظفرن بهم ○ في الحرب فشرد بهم ○ ففرق عن مناصبتك ونكل
عنها بقتلهم والنكاية فيهم ○ من خلفهم ○ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق
على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء ○ لعلهم يذكرون ○
لعل المشردين يتعظون ○ واما تخافن من قوم ○ معاهدين ○ خيانة ○ نقض عهد
بأمارات تلوح لك ○ فانبذ اليهم ○ فاطرح اليهم عهدهم ○ على سواء ○ على عدل و

طريق ظاهر العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء
في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ۝ ان الله لا يحب
الخائنين ۝ تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستئناف ۝ ولا تحسبن ۝ خطاب للنبي عليه السلام وقوله ۝ الذين كفروا سبقوا ۝
مفعولاه وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين
كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف
لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على ۝ انهم لا يعجزون ۝
بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر
انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين
۝ واعدوا ۝ ايها المؤمنون ۝ لهم ۝ لناقضي العهد او الكفار ۝ ما استطعتم من قوة
۝ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان
القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ۝ ومن رباط الخيل ۝
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا
ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء
وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة ۝ ترهبون به ۝
تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد ۝ عدو الله
وعدوكم ۝ يعني كفار مكة ۝ وآخرين من دونهم ۝ من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس ۝ لا تعلمونهم ۝ لا تعرفونهم باعيانهم ۝ الله يعلمهم
يعرفهم ۝ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ۝ جزاؤه ۝ وانتم لا تظلمون
۝ بتضييع العمل او نقص الثواب ۝ وان جنحوا ۝ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام
والى ۝ للسلم ۝ للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر ۝ فاجنح لها ۝ وعاهد
معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم ۝ وتوكل على الله ۝ ولا تخف من ابطانهم
خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم ۝ انه هو السميع ۝ لاقوالهم ۝ العليم ۝

بينهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف
۝ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ۝ فان محسبك الله وكافيك قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا ۝ هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين ۝ جميعا ۝ والف بين قلوبهم ۝ مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى
شيء والتهالك في الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا
من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه ۝ لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ۝
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال
لم يقدر على الالفة والاصلاح ۝ ولكن الله الف بينهم ۝ بين قلوبهم بقدرته البالغة فانه
المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء ۝ انه عزيز ۝ تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه
ما يريده ۝ حكيم ۝ يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج
كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف
بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا ۝ يا ايها النبي حسبك الله ۝ كافيك
۝ ومن اتبعك من المؤمنين ۝ اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك
سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله تعالى
اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه
۝ يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ۝ بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو
ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ۝ ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا ۝ شرط في معنى
الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان يكن
منكم مائة ۝ بانهم قوم لا يفقهون ۝ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات
المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان
والخذلان ۝ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله ۝ لما اوجب الله على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل
كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة

لا لانه على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف
البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم
وهو قراءة الباقين ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
﴿ما كان لنبي﴾ وقرئ للنبي على العهد ﴿ان يكون له اسرى﴾ وقرأ البصريان
بالتاء ﴿حتى يثخن في الارض﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز
الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد
للمبالغة ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ حطامها باخذكم الفداء ﴿والله يريد الآخرة﴾
يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
﴿والله عزيز﴾ يغلب اولياءه على اعدائه ﴿حكيم﴾ يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه و
بين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم
بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب واستشار فيهم فقال ابو بكر
قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك
وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان
لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله عليه السلام فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي
على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
وفيه دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه
﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان
لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿لمسكم﴾ لنالكم ﴿فيما اخذتم﴾ من الفداء
﴿عذاب عظيم﴾ روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ

وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ من الفدية فانها من جملة الغنائم
وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف وتقديره ابحت
لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة ﴿حلالا﴾
حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب
تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿طيبا واتقوا الله﴾
في مخالفته ﴿ان الله غفور﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رحيم﴾ اباح لكم ما اخذتم ﴿يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى﴾ وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا﴾ ايمانا واخلاصا ﴿يؤتكم خيرا مما اخذ منكم﴾ من الفداء روي انها نزلت
في العباس كلفه رسول الله عليه السلام ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال واين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال ما يدريك
فقال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله لم
يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله
خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا﴾ يعني الاسرى ﴿خيانتك﴾
نقض ما عاهدوك ﴿فقد خانوا الله﴾ بالكفر ونقض ميثاق الله المأخوذ بالعقل
﴿من قبل فامكن منهم﴾ اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فسيمكنك منهم ﴿والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا﴾ وهم المهاجرون
هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله ﴿وجاهدوا باموالهم﴾ فصرفوها في الكراع
والسلاح وانفقوها على المحاويج ﴿وانفسهم في سبيل الله﴾ بمباشرة القتال
﴿والذين آووا ونصروا﴾ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على
اعدائهم ﴿اولئك بعضهم اولياء بعض﴾ في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا﴾ اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها

بالعهد والمشاورة كالكتابة والإجازة كأنه بتوليه صاحبه بر أولى عليه وإن استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إن لا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة
في الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير
في الدين وفي نسخة كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين
في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضياته من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا
منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله
في حكمه أو في اللوح أو القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء
عليم من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة
ثانيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء
من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له
أيام حياته سورة براءة مدنية وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم
وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة
العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال
المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم
وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وإنما تركت فيها التسمية لأنها نزلت
لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي عليه السلام إذا نزلت عليه سورة أو آية
بين موضعها وتوفي عليه السلام ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال و
تناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلف

الصحابة في أنهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة
ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة
بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة
والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة
بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم
وإن كانت صادرة بإذن الله واتفاق الرسول فإنهما بريئا منها وذلك أنهم عاهدوا
مشركي العرب فنكثوا إلا أناسا منهم من بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين
وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فقال فسيحوا في الأرض أربعة
أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال وقيل هي عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم
النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله عليه السلام عليا راكب العضباء ليقرأها على
أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر أميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي
عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله
عليه السلام فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل يوم التروية خطب أبو بكر
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال أيها الناس إني رسول
رسول الله عليه السلام إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت
بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني إلا رجل مني
ليس على العموم فإنه بعث لأن يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص
بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها ويدل عليه
أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي واعلموا أنكم غير
معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وأن الله مخزي الكافرين بالقتل والأسر
في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام
فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر
يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه عليه
السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم

عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او
لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان
ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او
انه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين ○ ان الله ○ بان الله ○ بريء من المشركين
○ اي من عهودهم ○ ورسوله ○ عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في
قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين ○ فان تبتم
○ من الكفر والغدر ○ فهو ○ فالتوب ○ خير لكم وان توليتم ○ عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام والوفاء ○ فاعلموا انكم غير معجزي الله ○ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا
في الدنيا ○ وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ○ في الآخرة ○ الا الذين عاهدتم من
المشركين ○ استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد
الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ○ ثم لم ينقصوكم شيئا ○ من شروط العهد ولم
ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ○ ولم يظاهروا عليكم احدا ○ من اعدائكم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ○ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ○ ان الله
يحب المتقين ○ تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى ○ فاذا انسلخ ○ انقضى
واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة ○ الاشهر الحرم ○ التي ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف
للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ○ فاقتلوا المشركين
○ الناكثين ○ حيث وجدتموهم ○ من حل وحرم ○ وخذوهم ○ واسروهم
والاخيذ الاسير ○ واحصروهم ○ واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
○ واقعدوا لهم كل مرصد ○ كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فان تابوا ○ عن الشرك بالايمان ○ واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ○ تصديقا
لتوبتهم وايمانهم ○ فخلوا سبيلهم ○ فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل
على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ○ ان الله غفور رحيم ○ تعليل للامر
اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة ○ وان
احد من المشركين ○ المأمور بالتعرض لهم ○ استجارك ○ استأمنك وطلب منك

جوارك ○ فاجره ○ فامنه ○ حتى يسمع كلام الله ○ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه مامنه ○ موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ○ ذلك ○ الامن او الامر ○ بانهم قوم لا يعلمون ○
ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون ○
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ○ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد
وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاخيرين
صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن
خبرا فتبيين ○ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ○ هم المستثنون قبل ومحله النصب
على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ○ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ○ اي فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم
غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ○ ان الله يحب المتقين ○
سبق بيانه ○ كيف ○ تكرير لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة
وحذف الفعل للعلم به كما في قوله ٭ وخبرتماني انما الموت بالقرى ٭ فكيف وهاتا هضبة
وقليب ٭ اي فكيف مات ○ وان يظهروا عليكم ○ وحالهم انهم ان يظفروا بكم ○
لا يرقبوا فيكم ○ لا يراعوا فيكم ○ الا ○ حلفا وقيل قرابة قال حسان ٭ لعمرك ان الك
من قريش ٭ كال السقب من رال النعام ٭ وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال
وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة
لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه
من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ
ايلا كجبرال وجبرئيل ○ ولا ذمة ○ عهدا او حقا يعاب على اغفاله ○
يرضونكم بافواههم ○ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية
الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم
لا يرضونا ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة
والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا
عليهم والحالية تنافيه ○ وتأبى قلوبهم ○ ما تتفوه به افواههم ○ واكثرهم فاسقون

مستمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من
التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات
فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء
للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا
او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وهو تفسير لا تكرير وقيل
الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما
فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء
بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق
او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح ائمة بتحقيق الهمزتين
على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا
لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان
او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى
لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله
لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا
ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال
لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم
التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة
وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر

ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله عليه السلام
وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام
بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم
خشية ان ينالكم مكروه فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا
امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم
امرهم بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا
قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله عليه السلام
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد
اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار
بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان
على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على
وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم
واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم
لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما
من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم
غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا منها فضلا عن المسجد الحرام وقيل
هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسل وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا

بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه عليه السلام لما اسر
العباس عيّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم فاغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿اولئك حبطت اعمالهم﴾ التي يفتخرون بها بما قارنها
من الشرك ﴿وفي النار هم خالدون﴾ لاجله ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله و
اليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة﴾ اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه السلام
قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوّاري فيها عمّارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى
الزكوة عليه ﴿ولم يخش الا الله﴾ اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير
جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها ﴿فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين﴾ ذكره بصيغة
التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما
ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها ﴿اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾
السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد
الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿لا يستوون
عند الله﴾ وبيّن عدم تساويهم بقوله ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ اي
الكفرة فانهم ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكون في الضلال فكيف
يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله﴾ اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تجتمع
هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم ﴿واولئك هم الفائزون﴾

بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و
جنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اشعار بانه وراء التعيين والتعريف ﴿خالدين فيها ابدا﴾ اكد الخلود بالتأبيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿ان الله عنده اجر عظيم﴾ يستحقر دونه ما استوجبوه
لاجله او نعم الدنيا ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء﴾
نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا و
ابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ان استحبوا الكفر على الايمان﴾ ان اختاروه
وحرصوا عليه ﴿ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ بوضعهم الموالاة
في غير محلها ﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم﴾
واقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد
كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم ﴿واموال اقترفتموها﴾
اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ الحب الاختياري دون
الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بامره﴾
جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة ﴿والله لا يهدي
القوم الفاسقين﴾ لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه ﴿لقد
نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ﴿ويوم حنين﴾
وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل
الحسين ولا يمنع ابدال قوله ﴿اذ اعجبتكم كثرتكم﴾ منه ان يعطف على موضع في
مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى تقتضي كثرتهم واعجابها
اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله
والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا
من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا
قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ

خليهم مكة وبقي رسول الله عليه السلام في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذ
بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته
فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة والتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم فقال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
فتنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة
الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم
مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع رسول الله عليه السلام ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف
الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك
جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل
عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله عليه السلام واسلموا وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي
يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم
واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله عليه السلام وقال
ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا
انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل

على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب
النجسة وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو تخفيف نجس ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا
لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب
ابو حنيفة رحمه الله وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة
وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا
ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الا الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان
الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي
يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ الاديان ومبطلها من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم
ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن
يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم
فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
تؤخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب
ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف
انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه عليه السلام قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب

وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية
عندنا وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهري أنه عليه السلام
صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة رح على الغني ثمانية وأربعون
درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة
وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه
الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن
الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه
بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو
لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة
لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من
لم يكن إلها ذلك قولهم بأفواههم إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي التجوز عنها
أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد
مفهومه في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهي قولهم قول الذين
كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه من قبل من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على
أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقرأ به عاصم ومنه قولهم
امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم
بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم والمسيح ابن
مريم بأن جعلوه ابنا لله وما أمروا أي وما أمر المتخذون أربابا فيكون كالدليل
على بطلان الاتخاذ إلا ليعبدوا أي ليطيعوا إلها واحدا وهو الله تعالى وأما

طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا إله إلا هو
صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن أن
يكون له شريك يريدون أن يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على
وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
بأفواههم بشركهم أو تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى إلا أن يتم نوره
بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد عليه السلام
بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده
بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر
ولو كره المشركون غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم
ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول
واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم يا أيها
الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص
على المال والبخل وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون
حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على
المسلمين فذكر عمر لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال إن الله لم يفرض الزكاة
إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه السلام ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز
أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه
وأما قوله من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها
في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها وأصله تحمى بالنار

فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها
على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان
لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضه اربعة الاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم ◎ فتكوى بها جباههم وجنوبهم و
ظهورهم ◎ لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوا
ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم
البدن ومآخيره وجنبتاه ◎ هذا ما كنزتم ◎ على ارادة القول ◎ لانفسكم
لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ◎ فذوقوا ما كنتم تكنزون ◎
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ◎ ان عدة الشهور
◎ اي مبلغ عددها ◎ عند الله ◎ معمول عدة لانها مصدر ◎ اثنا عشر
شهرا في كتاب الله ◎ في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله ◎
يوم خلق السموات والارض ◎ متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان
جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام و
الازمنة ◎ منها اربعة حرم ◎ واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ◎ ذلك الدين القيم ◎ اي ان تحريم الاشهر الاربعة هو
الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما ◎ فلا
تظلموا فيهن انفسكم ◎ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة
المقاتلة فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا
كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم
والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة ◎ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة ◎ جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووقع
موقع الحال ◎ واعلموا ان الله مع المتقين ◎ بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب

تقواهم ◎ انما النسيء ◎ اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون
احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ
النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره ◎ زيادة في الكفر
◎ لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم ◎
يضل به الذين كفروا ◎ ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول
وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله ◎ يحلونه عاما ◎ يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا آخر ◎ ويحرمونه عاما ◎ فيتركونه على حرمته قيل اول من
احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان
آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ◎ ليواطئوا عدة ما حرم الله ◎ اي ليوافقوا
عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين ◎ فيحلوا
ما حرم الله ◎ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ◎ زين لهم سوء اعمالهم
◎ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح
اعمالهم حسنا ◎ والله لا يهدي القوم الكافرين ◎ هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ◎ تباطأتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ ◎ الى الارض ◎ متعلق به كأنه
ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد
رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
◎ ارضيتم بالحيوة الدنيا ◎ وغرورها ◎ من الآخرة ◎ بدل الآخرة ونعيمها
فما متاع الحيوة الدنيا ◎ فما التمتع بها ◎ في الآخرة ◎ في جنب الآخرة ◎ الا قليل
مستحقر ◎ الا تنفروا ◎ الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ◎ يعذبكم عذابا اليما
◎ بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ◎ ويستبدل قوما غيركم ◎ ويستبدل
بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ◎ ولا تضروه شيئا ◎ اذ لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه
فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق ◎ والله على كل شيء قدير ◎ فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال ◎ الا تنصروه فقد نصره الله

أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله ﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين﴾
ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو
إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره وإسناد الإخراج إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له
بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب
ونصبه على الحال ﴿إذ هما في الغار﴾ بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان
متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا
﴿إذ يقول﴾ بدل ثان أو ظرف لثاني ﴿لصاحبه﴾ وهو أبو بكر رضي الله عنه
﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق
أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما
فأعماهم عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله
حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه ﴿فأنزل الله سكينته﴾
أمنته التي تسكن عندها القلوب ﴿عليه﴾ على النبي عليه السلام أو على صاحبه وهو
الأظهر لأنه كان منزعجا ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعني الملائكة ليحرسوه في الغار
أو ليعينوه على العدو يوم بدر والأحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله
نصره الله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر
﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعني التوحيد أو دعوة الإسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص
الرسول عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنه مبدأ له أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه
المواطن أو بحفظه ونصره حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة
الذين والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها
فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في أمره
وتدبيره ﴿انفروا خفافا﴾ لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم
ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن
أم مكتوم لرسول الله عليه السلام أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج
﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما
﴿ذلكم خير لكم﴾ من تركه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون
أنه خير إذ إخبار الله صدق فبادروا إليه ﴿لو كان عرضا قريبا﴾ أي لو كان ما

دعوا إليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ متوسطا ﴿لاتبعوك﴾
لوافقوك ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين ﴿وسيحلفون بالله﴾ أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين
﴿لو استطعنا﴾ يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ﴿لخرجنا معكم﴾ ساد مسد
جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه ﴿يهلكون
أنفسهم﴾ بإيقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع
للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في ذلك لأنهم كانوا
مستطيعين الخروج ﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن خطائه في الإذن فإن العفو
من روادفه ﴿لم أذنت لهم﴾ بيان لما كني عنه بالعفو أو معاتبة عليه والمعنى
لأي شيء أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا
توقفت ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في الاعتذار ﴿وتعلم الكاذبين﴾
فيه قيل إنما فعل رسول الله عليه السلام شيئين لم يؤمر بهما أخذه الفداء وإذنه
للمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ أي ليس من عادة المسلمين أن يستأذنوك في أن
يجاهدوا وإن الخلص منهم يبادرون إليه ولا يوقفونه على الإذن فيه فضلا أن يستأذنوك
في التخلف عنه أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا ﴿والله عليم بالمتقين﴾
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه ﴿إنما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ تخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للإشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الإيمان بهما وعدم الإيمان بهما ﴿وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له
عدة﴾ أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد ا
الأمر الذي وعدوا وعده بكسر العين بإضافة وبغيرها ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ استدراك
عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه تعالى كره انبعاثهم
أي نهوضهم للخروج ﴿فثبطهم﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾
تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود
أو حكاية قول بعضهم لبعض أو إذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم

وعلى الوجهين لا يخلو من ذم ۝ لو خرجوا فيكم ما زادوكم ۝ بخروجهم شيئا ۝ الا خبالا ۝
الا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه
لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل
الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ۝ ولاوضعوا خلالكم ۝ ولا
اسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا
اذا اسرع ۝ يبغونكم الفتنة ۝ يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم
او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا ۝ وفيكم سماعون لهم ۝ ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ۝ والله عليم بالظالمين ۝
فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ۝ لقد ابتغوا الفتنة ۝ تشتيت امرك وتفريق
اصحابك ۝ من قبل ۝ يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد ۝ وقلبوا لك الامور ۝
ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك ۝ حتى جاء الحق ۝
النصر والتأييد الالهي ۝ وظهر امر الله ۝ وعلا دينه ۝ وهم كارهون ۝ اي على رغم
منهم والآيتان لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله
وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا
لما فرط الرسول بالمبادرة بالاذن ولذلك عوتب عليه ۝ ومنهم من يقول ائذن لي ۝
في القعود ۝ ولا تفتني ۝ ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان
لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال
قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني
۝ الا في الفتنة سقطوا ۝ اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه ۝ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ۝ جامعة لهم يوم
القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم ۝ ان تصبك حسنة ۝ ظفر وغنيمة ۝ تسؤهم ۝
لفرط حسدهم ۝ وان تصبك ۝ في بعضها ۝ مصيبة ۝ كسر او شدة كما اصاب
يوم احد ۝ يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ۝ تحرزنا بالقعود واستحمدوا رأيهم في التخلف
۝ ويتولوا ۝ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول ۝ وهم فرحون ۝
مسرورون ۝ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ۝ الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة

او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا
وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب ۝ هو مولانا ۝
ناصرنا ومتولي امرنا ۝ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ لان حقهم ان لا يتوكلوا على
غيره ۝ قل هل تربصون بنا ۝ تنتظرون بنا ۝ الا احدى الحسنيين ۝ الا احدى
العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ۝ ونحن نتربص بكم ۝
ايضا احدى السوأيين ۝ ان يصيبكم الله بعذاب من عنده ۝ بقارعة من السماء
۝ او بايدينا ۝ او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ۝ فتربصوا ۝ ما هو عاقبتنا ۝ انا
معكم متربصون ۝ ما هو عاقبتكم ۝ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ۝ امر في معنى
الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين
في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب
قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا
يثابوا عليه وقوله ۝ انكم كنتم قوما فاسقين ۝ تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان
وتقرير ۝ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ۝ اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات
غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ۝ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ۝ متثاقلين
۝ ولا ينفقون الا وهم كارهون ۝ لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها
عقابا ۝ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ۝ فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال
۝ انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ۝ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من
المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ۝ وتزهق انفسهم وهم كافرون ۝
فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم
واصل الزهوق الخروج بصعوبة ۝ ويحلفون بالله انهم لمنكم ۝ لمن جملة المسلمين ۝
وما هم منكم ۝ لكفر قلوبهم ۝ ولكنهم قوم يفرقون ۝ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ۝ لو يجدون ملجأ ۝ حصنا يلجؤن اليه ۝ او مغارات ۝
غيرانا ۝ او مدخلا ۝ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا
من دخل وقرئ مدخلا من ادخل اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من تدخل
واندخل ۝ لولوا اليه ۝ لاقبلوا نحوه ۝ وهم يجمحون ۝ يسرعون اسراعا لا يردهم

شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك
وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها
فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون قيل إنها نزلت في أبي
الجواظ المنافق قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه
يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله عليه السلام
يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو
أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر
الله للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول كان بأمره وقالوا حسبنا الله كفانا
فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى ورسوله فيؤتينا أكثر
مما آتانا إنا إلى الله راغبون في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط
والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا
لما فعله الرسول فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من
له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت
لمساكين وأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى
أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة
قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم
ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصين والأ
قرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا
فإنه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان
خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل
بأن تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو يفدى الأسارى والعدول عن
اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان بأنهم أحق بها

والغارمين

الذين ركبتهم الديون في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن
كانوا أغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو
لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فيتصدق على المسكين فأهدى
المسكين للغني أو لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على
المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية أي فرض
لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة
بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية
للاشتراك وإليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا
وبه كان يفتي شيخي ووالدي على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا لإيجاب قسمها
عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا
لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد
أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم
بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر
ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى
التسليم وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر
الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم
بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على أنها علة
فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ
أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
أليم بإيذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم
أي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله أحق أن يرضوه
أحق بإرضائه بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين أو لأن الكلام

في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول
كذلك إن كانوا مؤمنين صدقاً ألم يعلموا أنه أي الشأن وقرئ بالتاء
من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالداً فيها
على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفاً على
ويكون الجواب محذوفاً تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين
فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم
في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول بشيء وقيل إنه خبر في معنى الأمر وقيل كانوا
يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا إن الله مخرج مبرز أي مظهر ما تحذرون
أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم
ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله عليه السلام
في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فأخبر الله نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك
وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
وإلزاماً للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذارات
فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه بعد
إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم
عن الإيذاء والاستهزاء نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق أو مقدمين
على الإيذاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وإن تعف
بالتاء والبناء على المفعول ذهاباً إلى المعنى كأنه قال إن ترحم طائفة المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض أي متشابهة في النفاق والبعد كأبعاض الشيء الواحد وقيل
إنه تكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه
يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعصية
وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن المبار
وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم

فتركهم من لطفه وفضله إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هي حسبهم عقاباً وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله أبعدهم من رحمته وأهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
أو ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم أي أنتم مثل الذين أو فعلتم فعل
الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً بيان لتشبيههم وتمثيل
حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فإنه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة
والسعي في اللذائذ الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم وخضتم
ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا أي كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا
أو كالخوض الذي خاضوه أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا
عليها ثواباً في الدارين وأولئك هم الخاسرون الذين خسروا في الدنيا
والآخرة ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح أغرقوا بالطوفان وعاد
أهلكوا بالريح وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلك نمرود ببعوض
وأهلك أصحابه وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار
يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت فصار
عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن
انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم يعني الكل رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم أي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله في سائر الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين
مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم يضع الأشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس أو يطيب فيها

العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ﴿في جنات
عدن﴾ اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او
للجمع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى
الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال
﴿ورضوان من الله اكبر﴾ لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول
والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا
نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ﴿ذلك﴾
اي الرضوان او جميع ما تقدم ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها
﴿يا ايها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالزام الحجة واقامة الحدود
﴿واغلظ عليهم﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ مصيرهم
﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا
حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله عليه السلام فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم﴾
واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ من فتك الرسول وهو
ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي
اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها
يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة
او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله ﴿وما نقموا﴾
وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم ﴿الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله﴾

فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدم رسول الله عليه
السلام اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته
اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل ﴿فان
يتوبوا يك خيرا لهم﴾ هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب
﴿وان يتولوا﴾ بالاصرار على النفاق ﴿يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة﴾
بالقتل والنار ﴿وما لهم في الارض من ولي ولا نصير﴾ فينجيهم من العذاب ﴿ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ نزلت في ثعلبة بن
حاطب اتى النبي عليه السلام فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله
حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية وما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها
ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان ﴿فلما اتاهم من فضله
بخلوا به﴾ منعوا حق الله ﴿وتولوا﴾ عن طاعة الله ﴿وهم معرضون﴾ وهم قوم
عادتهم الاعراض عنها ﴿فاعقبهم نفاقا في قلوبهم﴾ اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا وسوء اعتقاد ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى اورثهم البخل نفاقا متمكنا
في قلوبهم ﴿الى يوم يلقونه﴾ يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم
القيمة ﴿بما اخلفوا الله ما وعدوه﴾ بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
﴿وبما كانوا يكذبون﴾ وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب
مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ﴿الم يعلموا﴾
اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ان الله يعلم سرهم﴾
ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ﴿ونجواهم﴾ وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية ﴿وان الله علام الغيوب﴾ فلا يخفى

عليه ذلك ◎ الذين يلمزون ◎ ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم
وقرئ يلمزون بالضم ◎ المطوعين ◎ اي المتطوعين ◎ من المؤمنين في الصدقات
◎ روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم
وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة آلاف وامسكت لعيالي
اربعة آلاف فقال رسول الله عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم و
تصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقالت
بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول
الله عليه السلام ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان
يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ◎ والذين لا يجدون الا جهدهم ◎ الا طاقتهم
وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه ◎ فيسخرون منهم ◎ يستهزئون
بهم ◎ سخر الله منهم ◎ جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ◎ ولهم عذاب
اليم ◎ على كفرهم ◎ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ◎ يريد به التساوي بين الامرين في
عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ◎ ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
◎ روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله
في مرض ابيه ان يستغفر الله له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام
فهم من العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له
ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ◎
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ◎ اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول
استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
◎ والله لا يهدي القوم الفاسقين ◎ المتمردين في الكفر وهو كالدليل على الحكم
السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره
المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم
يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار

بعد العلم بكفره وكان النبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ◎ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
◎ بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى
المخالفة ويكون انتصابه على العلة او الحال ◎ وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم و
انفسهم في سبيل الله ◎ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين
الذين آثروا عليها مرضاة الله ببذل الاموال والمهج ◎ وقالوا لا تنفروا في الحر
◎ اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا ◎ قل نار جهنم اشد حرا
وقد آثرتموها بهذه المخالفة ◎ لو كانوا يفقهون ◎ ان مآبهم اليها او انها كيف هي
ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ◎ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه
حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم ◎ فان رجعك الله الى طائفة منهم ◎ فان ردك الله الى المدينة وفيها
طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان
المتخلفون اثني عشر رجلا ◎ فاستأذنوك للخروج ◎ الى غزوة اخرى بعد تبوك
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ◎ اخبار في معنى النهي للمبالغة ◎
انكم رضيتم بالقعود اول مرة ◎ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم
على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك ◎ فاقعدوا مع الخالفين ◎ اي
المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين ◎ ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ◎ روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه
سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره عليه السلام الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم
ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه
كان مكافأة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء
للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا
يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ◎
ولا تقم على قبره ◎ اي لا تقف عند قبره للدفن او الزيارة ◎ انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون ◎ تعليل للنهي او لتأبيد الموت ◎ ولا تعجبك اموالهم

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة
من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان تكون
ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل
والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف من الشقاوة
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء
ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر
والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان
وهو جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا و
غطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما
من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين و
ضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد
اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان
وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب
او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على
الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا

او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور
رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف
على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل
وعلية بن زيد اتوا رسول الله عليه السلام وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل
هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى وقومه قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم
تفيض تسيل من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت كلها دمعا فياضا
حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا
اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع
الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم
اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم لن
نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو
ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر
ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب و
الشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم
وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالتوبيخ والعقاب سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا
تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب
فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة

الاعراض وترك المعاتبة ۞ ومأويهم جهنم ۞ من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ۞ جزاء بما كانوا يكسبون ۞ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة ۞ يحلفون لكم لترضوا عنهم ۞ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ۞ فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ۞ اي فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ۞ الاعراب ۞ اهل البدو ۞ اشد كفرا ونفاقا ۞ من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة ۞ واجدر الا يعلموا ۞ واحق بان لا يعلموا ۞ حدود ما انزل الله على رسوله ۞ من الشرائع فرائضها وسننها ۞ والله عليم ۞ يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر ۞ حكيم ۞ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ۞ ومن الاعراب من يتخذ ۞ يعد ۞ ما ينفق ۞ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ۞ مغرما ۞ غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ۞ ويتربص بكم الدوائر ۞ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق ۞ عليهم دائرة السوء ۞ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين ۞ والله سميع ۞ لما يقولون عند الانفاق ۞ عليم ۞ بما يضمرون ۞ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ۞ سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف يتخذ ۞ وصلوات الرسول ۞ وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره ۞ الا انها قربة لهم ۞ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم

وقرأ ورش قربة بضم الراء ۞ سيدخلهم الله في رحمته ۞ وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ۞ ان الله غفور رحيم ۞ لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه ۞ والسابقون الاولون من المهاجرين ۞ هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة ۞ والانصار ۞ اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب ابن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون ۞ والذين اتبعوهم باحسان ۞ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة ۞ رضي الله عنهم ۞ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ۞ ورضوا عنه ۞ بما نالوا من نعمة الدينية والدنيوية ۞ واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ۞ وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع ۞ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ۞ وممن حولكم ۞ وممن حول بلدتكم يعني المدينة ۞ من الاعراب منافقون ۞ وهم من جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حول المدينة ۞ ومن اهل المدينة ۞ عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته ۞ مردوا على النفاق ۞ ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق ۞ لا تعلمهم ۞ لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ۞ نحن نعلمهم ۞ ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا ۞ سنعذبهم مرتين ۞ بالفضيحة والقتل او باحدهما وبعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ۞ ثم يردون الى عذاب عظيم ۞ الى عذاب النار ۞ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ۞ ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم ۞ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ۞ خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ۞ عسى الله ان

عليهم ان يقبل توبتهم وهو مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور
رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب المال المؤدي
بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها
وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء
والاستغفار ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من
شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله
عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فان الله تعالى
لا يخفى عليهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون موخرون
اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي مرجون بالواو
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم
ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى
والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه ان
لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فتاب
فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ
خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ
نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيهم فأتاهم وصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا

قدم من الشام فلما اتموه اتوا الى رسول الله عليه السلام فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي
الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم
معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي
فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة
وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وارصادا وترقبا لمن حارب الله ورسوله من
قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونكم
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى
الشام لياتي بقيصر بجنود ويحارب بهم رسول الله عليه السلام ومات بقنسرين
وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام
ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف
لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيه فقال انا على
جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي
الذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه
ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله عليه
السلام وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول
الله عليه السلام لقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سألت رسول الله عليه السلام عنه فقال هو
مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان
تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عليه السلام والمهاجرون
معه حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي

يستنجون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة فتلى عليه السلام ﴿رجال يحبون ان يتطهروا﴾ ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ بنيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس على الاضافة وأسس وآساس وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الى ما فيه صلاح ونجاة ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا﴾ بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿ريبة في قلوبهم﴾ اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم ﴿الا ان تقطع قلوبهم﴾ قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للمفعول والفاعل ﴿والله عليم﴾ بنياتهم ﴿حكيم﴾ فيما امر بهدم بنائهم ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة﴾ تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت

ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل ﴿وعدا عليه حقا﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد ﴿في التوراة والانجيل والقرآن﴾ مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ ﴿التائبون﴾ رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين ﴿العابدون﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين ﴿الحامدون﴾ لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء ﴿السائحون﴾ الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم ﴿الراكعون الساجدون﴾ في الصلوة ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالايمان والطاعة ﴿والناهون عن المنكر﴾ عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي ﴿والحافظون لحدود الله﴾ اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية ﴿وبشر المؤمنين﴾ يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين﴾ روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين ﴿ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم﴾ بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه

قال بعضهم الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه وعده أن يسلم فقال له إبراهيم سأستغفر لك
ربي حتى إذا أسلمت وقال بعضهم الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه وهو قوله
سأستغفر لك ربي يدل عليه قراءة الحسن وعدها أباه بالباء والدليل على أن الوعد كان من إبراهيم وكان الاستغفار
في حال شرك الأب قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى أن قال إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فصرح أن إبراهيم ليس بقدوة
في هذا الاستغفار وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم معالم

طلب لتوفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال ◎
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ◎ وعدها إبراهيم أباه
بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ويدل
عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان ◎ فلما تبين له أنه
عدو لله ◎ بأن مات على الكفر أو أوحي فيه بأنه لن يؤمن ◎ تبرأ منه ◎ قطع استغفاره
◎ إن إبراهيم لأواه ◎ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ◎ حليم ◎
صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه ◎ وما كان الله
ليضل قوما ◎ ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم ◎ بعد إذ هداهم ◎ للإسلام
◎ حتى يبين لهم ما يتقون ◎ حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف ◎ إن الله بكل شيء
عليم ◎ فيعلم أمرهم في الحالين ◎ إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ◎ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى
وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأسا بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي
أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا بشراشرهم إليه
ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه ◎ لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار ◎ من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة
الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي والمهاجرين والأنصار لقوله تعالى
وتوبوا إلى الله جميعا إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه
توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده ◎
الذين اتبعوه في ساعة العسرة ◎ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في
عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى شربوا الفظ ◎ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ◎ عن الثبات
على الإيمان أو اتباع الرسول عليه السلام وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه
الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ◎ ثم تاب عليهم ◎ تكرير للتأكيد وتنبيه

على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم
◎ إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة ◎ أي وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال
ابن أمية ومرارة بن الربيع ◎ الذين خلفوا ◎ تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم
المرجون ◎ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ◎ أي برحبها لإعراض الناس
عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الخوف والحيرة ◎ وضاقت عليهم أنفسهم ◎ قلوبهم
من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور ◎ وظنوا ◎ وعلموا
أن لا ملجأ من الله ◎ من سخطه ◎ إلا إليه ◎ إلا إلى استغفاره ◎ ثم تاب عليهم ◎ بالتوفيق
للتوبة أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ◎ إن الله هو التواب ◎ لمن تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة ◎ الرحيم ◎ المتفضل عليهم بالنعم ◎ يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله ◎ فيما لا يرضاه ◎ وكونوا مع الصادقين ◎ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلاثة وأضرابهم ◎ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول
الله ◎ نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ◎ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ◎ ولا يصونوا
أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال روي أن أبا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء
ورسول الله عليه السلام في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عليه السلام طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه
السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عليه السلام واستغفر له
وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ◎ ذلك ◎ إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان من النهي
عن التخلف أو وجوب المشايعة ◎ بأنهم ◎ بسبب أنهم ◎ لا يصيبهم ظمأ ◎ شيء من العطش
◎ ولا نصب ◎ تعب ◎ ولا مخمصة ◎ مجاعة ◎ في سبيل الله ولا يطؤون ◎ ولا يدوسون
◎ موطئا ◎ مكانا ◎ يغيظ الكفار ◎ يغضبهم وطؤه ◎ ولا ينالون من عدو نيلا ◎
كالقتل والأسر والنهب ◎ إلا كتب لهم به عمل صالح ◎ إلا استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ◎ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ◎ على إحسانهم وهو
تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى

ما يكون كضرب المداوي للمجنون وانما هو حق المؤمنين فلان سياسة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ۝ ولا ينفقون نفقة صغيرة ۝ ولو علاقة سوطا ۝ ولا كبيرة ۝
مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ۝ ولا يقطعون واديا ۝ في مسيرهم وهو
كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ۝
الا كتب لهم ۝ اثبت لهم ذلك ۝ ليجزيهم الله ۝ بذلك ۝ احسن ما كانوا يعملون ۝
جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم ۝ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ۝
وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا
فانه يخل بامر المعاش ۝ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ۝ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة
كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ۝ ليتفقهوا في الدين ۝ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها ۝ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ۝ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم
غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على
ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم
ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد ۝ لعلهم يحذرون ۝ ارادة ان يحذروا
عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي
ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتهم كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت الكلام فيه
تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في
المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة
الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرقة
بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم ۝ يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار ۝ امروا بقتال الاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة
والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب
من المدينة ۝ وليجدوا فيكم غلظة ۝ شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين
وضمها وهما لغتان فيها ۝ واعلموا ان الله مع المتقين ۝ بالحراسة والاعانة

۝ واذا ما انزلت سورة فمنهم ۝ فمن المنافقين ۝ من يقول ۝ انكارا واستهزاء
۝ ايكم زادته هذه ۝ السورة ۝ ايمانا ۝ وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره
زادته ۝ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ۝ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة
وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم ۝ وهم يستبشرون ۝ بنزولها لانه سبب
لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم ۝ واما الذين في قلوبهم مرض ۝ كفر ۝ فزادتهم
رجسا الى رجسهم ۝ كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها ۝ وماتوا وهم كافرون ۝
واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ۝ اولا يرون ۝ يعني المنافقين وقرأ حمزة بالتاء
۝ انهم يفتنون ۝ يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عليه السلام
فيعاينون ما يظهر عليهم من الآيات ۝ في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ۝
لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ۝ ولا هم يذكرون ۝ ولا يعتبرون ۝ واذا
ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ۝ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او
غيظا لما فيها من عيوبهم ۝ هل يراكم من احد ۝ اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من
حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ۝ ثم انصرفوا ۝ عن
حضرة الرسول مخافة الفضيحة ۝ صرف الله قلوبهم ۝ عن الايمان وهو يحتمل الاخبار
والدعاء ۝ بانهم ۝ بسبب انهم ۝ قوم لا يفقهون ۝ لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم
۝ لقد جاءكم رسول من انفسكم ۝ من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
۝ عزيز عليه ۝ شديد شاق ۝ ما عنتم ۝ عنتكم ولقاؤكم المكروه ۝ حريص عليكم
۝ على ايمانكم وصلاح شانكم ۝ بالمؤمنين ۝ منكم ومن غيركم ۝ رؤف رحيم ۝
قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ۝
فان تولوا ۝ عن الايمان بك ۝ فقل حسبي الله ۝ فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم ۝ لا اله الا هو ۝ كالدليل عليه ۝ عليه توكلت ۝ فلا ارجو ولا اخاف الا منه
۝ وهو رب العرش العظيم ۝ الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه
الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي بن كعب رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان
الآيتان وعن النبي عليه السلام ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الر ۝ فخمها ابن كثير ونافع وحفص وقرأ ورش

بين اللفظين وآمالها الباقون اجراء الالف الراء مجرى المنقلبة من الياء
تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ
شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان
الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم
على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عنهم
فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء
كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر
الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا
وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص
البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند
ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها
تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول
والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين
وقرأ الكوفيون وابن كثير لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند
الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات
المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر

فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا
بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه
وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل في
امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة
في استحقاقهم العذاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما عقاب الكفرة فانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية
كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله
المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ الخلق
بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا
هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط
والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الانبياء وفي القصص
ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا
للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه
سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة
الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد
منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك
الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع
الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم

يتقون ○ العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر ○ إن الذين لا يرجون لقاءنا ○
لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ○ ورضوا بالحياة الدنيا
○ من الآخرة لغفلتهم عنها ○ واطمأنوا بها ○ وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ○ والذين هم عن آياتنا غافلون ○
لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن
الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر
الآخرة ببالهم أصلاً وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم يرد
إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد ○
أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ○ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ○
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ○ بسبب إيمانهم إلى سلوك
طريق يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية
هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية
وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له ○ تجري من تحتهم الأنهار ○ استئناف أو خبر
ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله ○ في جنات النعيم ○ خبر أو حال
أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي ○ دعواهم فيها ○ أي دعاؤهم
سبحانك اللهم ○ أي اللهم إنا نسبحك تسبيحاً ○ وتحيتهم ○ ما يحيي به بعضهم بعضاً أو تحية
الملائكة إياهم ○ فيها سلام وآخر دعواهم ○ آخر دعائهم ○ أن الحمد لله رب العالمين
○ أي يقولون ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف
الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة
وقد قرئ بها وبنصب الحمد ○ ولو يعجل الله للناس الشر ○ ولو يسرعه إليهم ○
استعجالهم بالخير ○ وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى
كأن استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر علينا حجارة من
السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالاً كاستعجالهم
بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ○ لقضي إليهم أجلهم ○ لأميتوا وأهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا ○

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ○ عطف على فعل محذوف دلت
الشرطية عليه كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً
وإذا مس الإنسان الضر دعانا ○ وإزالة مخلصاً فيه ○ لجنبه ○ ملقياً لجنبه أو مضطجعاً
○ أو قاعداً أو قائماً ○ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف
المضار ○ فلما كشفنا عنه ضره مر ○ مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف
الدعاء لا يرجع إليه ○ كأن لم يدعنا ○ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما
قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان ○ إلى ضر مسه ○ إلى كشف ضر ○
كذلك ○ مثل ذلك التزيين ○ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ○ من الانهماك في الشهوات
والإعراض عن العبادات ○ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ○ يا أهل مكة ○
لما ظلموا ○ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ○ وجاءتهم
رسلهم بالبينات ○ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف
على ظلموا ○ وما كانوا ليؤمنوا ○ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ○ كذلك ○
مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه
لا فائدة في إمهالهم ○ نجزي القوم المجرمين ○ نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه ○ ثم جعلناكم خلائف في الأرض
من بعدهم ○ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر ○
لننظر كيف تعملون ○ أتعملون خيراً أو شراً فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول
تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر
في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا من حيث هي ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح أخرى ○ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ○
يعني المشركين ○ ائت بقرآن غير هذا ○ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده
من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا ○
أو بدله ○ بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك
كي يسعفهم إليه فيلزموه ○ قل ما يكون لي ○ ما يصح لي ○ أن أبدله من تلقاء نفسي
○ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً وإنما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزامه
امتناع الإتيان بقرآن آخر ○ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ○ تعليل لما يكون

فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت
ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم به
ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل
غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني
بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم
قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله
من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة
فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق
وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب
عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من عنده تعالى
أفلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا
من الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم
للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد أو كذب
بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم و
لا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا و
معاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان
يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد
الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده
قل أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع و
تهكم بهم او بان هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق

في السماوات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على
ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا
وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي
الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين
على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى و
الاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت
من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل
والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق
ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل إنما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها
فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم
ما انزل الله علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض إذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم
قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا
الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر إن رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان
يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر والبحر
يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر بالنون والشين من النشر حتى إذا
كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة كأنه
يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها
بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج
منه وظنوا أنهم أحيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به

العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم
ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا
لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجئوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز
عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء
جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على
خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم
خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي
لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا
محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس
اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم
وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت
ذا زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من
حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن
زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على
الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى
طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه
المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى

دار السلام الى دار السلامة من النقص والآفة او دار الله وتخصيص هذا
الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد
الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك
الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية
دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
هو اللقاء ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن و
سوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هو الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء
سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء
او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما
احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات
على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم
قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله

وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها
الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به وقيل ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فإنه العالم بكل الحال إن كنا عن عبادتكم لغافلين
إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام
تبلو كل نفس ما أسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
تتلو من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أي تتبع عمله فيقوده إلى الجنة أو إلى
النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى نختبرها أي نفعل بها
فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ويجوز
أن يراد به نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر
فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا إلى الله إلى جزائه إياهم بما أسلفوا
مولاهم الحق ربهم ومتولي أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب
على المدح أو المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون
من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة قل من يرزقكم من السماء والأرض
أي منهما جميعا فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أي من أهل السماء والأرض
أمن يملك السمع والأبصار أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من
الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي أي ومن يحيي ويميت أو ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة
منه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل أفلا تتقون
أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق
أي المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه هو الذي
أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم فماذا بعد الحق إلا الضلال أي فمن تخطى
الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال

كذلك حقت كلمة ربك أي كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم
مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات ههنا وفي
آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها
العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الإعادة
كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعد عليها وكذلك أمر رسول
الله أن ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجاجهم
لا يدعهم أن يعترفوا بها فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل
من شركائكم من يهدي إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر وهدى كما يعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى
غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند
إلى الله تعالى قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي
إلا أن يهدى أم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه إذا اهتدى أو
لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء
أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو
بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية
قالون مثله وقرئ إلا أن يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح
العقل بطلانه وما يتبع أكثرهم فيما يعتقدون إلا ظنا مستندا إلى خيالات
فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى
مشاركة موهومة والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف إن الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من
الإغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم
في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز إن الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم الظن وإعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن أن
يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه

مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره
ولكن انزل الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي ○ وتفصيل
الكتاب ○ وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع ○ لا ريب فيه ○ منتفيا
عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه
مفعول في المعنى وان يكون استينافا ○ من رب العالمين ○ خبر آخر تقديره كائنا من
رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان
ما يجب اتباعه والبرهان عليه ○ ام يقولون ○ بل ايقولون ○ افتراه ○ محمد ومعنى الهمزة فيه
للانكار ○ قل فاتوا بسورة مثله ○ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة ○ وادعوا من استطعتم
○ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به ○ من دون الله ○ سوى الله تعالى
فانه وحده قادر على ذلك ○ ان كنتم صادقين ○ انه اختلقه ○ بل كذبوا ○ بل سارعوا
الى التكذيب ○ بما لم يحيطوا بعلمه ○ بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا
بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ○
ولما ياتهم تاويله ○ ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولما ياتهم بعد
تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم اهو صدق ام كذب والمعنى ان القرآن
معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى
التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن
التكذيب تمردا وعنادا ○ كذلك كذب الذين من قبلهم ○ انبياءهم ○ فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين ○ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب من قبلهم ○ ومنهم ○ ومن المكذبين
○ من يؤمن به ○ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به
ويتوب من كفره ○ ومنهم من لا يؤمن به ○ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما
يستقبل بل يموت على الكفر ○ وربك اعلم بالمفسدين ○ بالمعاندين او بالمصرين ○
○ وان كذبوك ○ وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ○ فقل لي عملي ولكم عملكم ○
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا ○ انتم

بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ○ لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما
فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ○ ومنهم
من يستمعون اليك ○ اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا ○ افانت تسمع الصم ○ تقدر على اسماعهم ○ ولو كانوا
لا يعقلون ○ ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم
المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم
في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم
من كلام الناعق ○ ومنهم من ينظر اليك ○ ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون
○ افانت تهدي العمي ○ تقدر على هدايتهم ○ ولو كانوا لا يبصرون ○ وان انضم
عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك
البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن ما لا يدركه البصير الاحمق والآية
كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ○ ان الله لا يظلم الناس شيئا ○ بسلب
حواسهم وعقولهم ○ ولكن الناس انفسهم يظلمون ○ بافسادها وتفويت منافعها
عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت
المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل
من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف
ورفع الناس ○ ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ○ يستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم
يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله ○ يتعارفون بينهم ○
يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق بالظرف
والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم ○ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ○ للشهادة
على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة
القول ○ وما كانوا مهتدين ○ لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم ○ واما نرينك

نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او
مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول
يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم
بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه ولكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء
رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر
لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له
واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله
ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا
جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا
يستعجلوا فسيجيء وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلونه
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة
على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك
ان اتيتك ماذا تعطيني ويجوز ان يكون الجملة متعلقة بارأيتم اثم اذا ما
وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة
القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان
بحذف الهمزة والقاء حركتها الى اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على
الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك

ويستخبرونك احق هو اي ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام
باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله
ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل
واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب
بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه
في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من
خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى
فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة
الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها
من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ليس بتكرار لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك
او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا
ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان
وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور
من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث
انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من
طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا

فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة
ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء
الاولى لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء منها فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد
واذا اهملت فسد ذلك فاجري وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روي مرفوعا وقرئ فافرحوا ⊙ هو خير مما يجمعون ⊙ من حطام الدنيا
فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون ⊙ قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق
⊙ جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب
بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ
على التبعيض فقال ⊙ فجعلتم منه حراما وحلالا ⊙ مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ⊙ قل آلله اذن لكم ⊙ في التحريم
والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ⊙ ام على الله تفترون ⊙ في نسبة ذلك اليه ويجوز ان
يكون المنفصل متصلا بارأيتم وقل مكرر للتأكيد ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار
وام منقطعة ومعنى الهمزة للانكار فيها تقرير لافترائهم على الله ⊙ وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب ⊙ اي شيء ظنهم ⊙ يوم القيامة ⊙ أيحسبون ان لا يجازوا عليه وهو
منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد
عظيم ⊙ ان الله لذو فضل على الناس ⊙ حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ⊙ ولكن اكثرهم لا يشكرون ⊙ هذه النعمة ⊙ وما تكون في
شأن ⊙ ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير
في ⊙ وما تتلو منه ⊙ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه السلام او لان القراءة
تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول يتلو ⊙ من قرآن ⊙ على ان من تبعيضية
او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ⊙ ولا
تعملون من عمل ⊙ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص
ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير ⊙ الا كنا عليكم شهودا ⊙
رقباء مطلعين عليه ⊙ اذ تفيضون فيه ⊙ تخوضون فيه وتندفعون ⊙ وما يعزب

عن ربك ⊙ ولا يبعد عنه ولا يغيب علمه وقرأ الكسائي بها وفي سبأ بكسر الزاء
⊙ من مثقال ذرة ⊙ موازن نملة صغيرة او هباء ⊙ في الارض ولا في السماء ⊙
اي في الوجود او الامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة
علمه بها ⊙ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ⊙ كلام برأسه مقرر لما
قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ⊙ الا ان اولياء الله
⊙ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ⊙ لا خوف عليهم ⊙ من لحوق مكروه ⊙
ولا هم يحزنون ⊙ بفوات مأمول والآية مجملة فسره قوله ⊙ الذين آمنوا وكانوا
يتقون ⊙ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له ⊙ لهم البشرى في الحياة
الدنيا ⊙ وهو ما بشر الله به المتقين في كتابه على لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ⊙ وفي الآخرة ⊙ بتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله ⊙ لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ⊙ ذلك ⊙ اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين ⊙ هو الفوز العظيم ⊙ هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ⊙ ولا يحزنك
قولهم ⊙ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى
⊙ ان العزة لله جميعا ⊙ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه
قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان العزة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها
فهو يقهرهم وينصرك عليهم ⊙ هو السميع ⊙ لاقوالهم ⊙ العليم ⊙ بعزماتهم فيكافيهم عليها
⊙ الا ان لله من في السموات ومن في الارض ⊙ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء
الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها
احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله ⊙ وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء ⊙ اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ⊙ ان يتبعون الا الظن ⊙

اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا
يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان
منشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون
ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي
هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور
له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن
الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق
بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على
الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ
قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه
لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ
محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم
متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون
الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم
واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم
عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي
بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله
توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل

انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل
محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى
امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه امكنهم ثقة بالله تعالى
وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من
ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي و
قرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء
ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر
يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري
ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره
فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعناد
وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك
وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله
اياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون
وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم
الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط
تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه
قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه و

لا يجوز أن يكون أسحر هذا لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه
اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى
أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى
عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على أنه ليس
بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر
أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح و
لا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان
عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء في الأرض الملك
فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء أو التكبر على الناس باستتباعهم وما
نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى
ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو السحر
لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على أن ما استفهامية مرفوعة
بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر
أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره
أي شيء أتيتم إن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدإ أمره إلا ذرية من قومه إلا
أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل
فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون و
ملئهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على
أن المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أن يفتنهم
أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على
أن الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها
وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط

الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم إن كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله
مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل
فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك
زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
أجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين
أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم
مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا
لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا اتخذا مباءة لقومكما
بمصر بيوتا يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما وقومكما
بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
وكان موسى يصلي إليها وأقيموا الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا
والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد الصلاة مما ينبغي أن يفعله
كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا
إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما
وأموالا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله
إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء
النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم
أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على أموالهم أهلكها والطمس
المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم أي واقسها واطبع عليها
حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم جواب للدعاء أو
دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد أجيبت
دعوتكما يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه

من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كاين ولكن في وقته روي انه
مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة ❊ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ❊
طريق الله في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر
برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا
تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا ❊ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ❊ اي جوزناهم في
من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ❊ فاتبعهم ❊ فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
❊ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ❊ باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا
❊ حتى اذا ادركه الغرق لحقه ❊ قال آمنت انه ❊ اي بانه ❊ لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل وانا من المسلمين ❊ وقرأ حمزة والكسائي انه بكسر الهمزة على اضمار القول
او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل ❊ الآن ❊ اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار ❊ وقد
عصيت قبل ❊ قبل ذلك مدة عمرك ❊ وكنت من المفسدين ❊ الضالين المضلين
عن الايمان ❊ فاليوم ننجيك ❊ ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا
او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجا و
قرئ بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ❊ ببدنك ❊ في موضع الحال اي ببدنك عاريا
عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بها ❊ لتكون لمن خلفك آية ❊ لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه
الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل
امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه
من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك
اي لخالقك آية كساير الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه و
وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور ❊ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ❊ لا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ❊ ولقد بوأنا ❊ انزلنا ❊ بني اسرائيل مبوأ صدق ❊
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ❊ ورزقناهم من الطيبات ❊ من اللذايذ

ما اختلفوا حتى جاءهم العلم ❊ فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤوا التورية و
علموا احكامها او في امر محمد عليه الصلوة والسلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته
وتظاهر معجزاته ❊ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ❊ فيميز
المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك ❊ فان كنت في شك مما انزلنا اليك ❊ من
القصص على سبيل الفرض والتقدير ❊ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ❊
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ
في العلم بصحة ما انزل الله او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك
ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل
العلم ❊ لقد جاءك الحق من ربك ❊ واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
❊ فلا تكونن من الممترين ❊ بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ❊ ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ❊ ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع
الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ❊ ان الذين حقت عليهم ❊ ثبتت عليهم
❊ كلمة ربك ❊ بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب ❊ لا يؤمنون ❊ اذ لا
يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ❊ ولو جاءتهم كل آية ❊ فان السبب الاصلي لايمانهم
وهو تعلق ارادته به مفقود ❊ حتى يروا العذاب الاليم ❊ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون
❊ فلولا كانت قرية آمنت ❊ فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة
العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون ❊ فنفعها ايمانها ❊ بان يقبله الله منها ويكشف
العذاب عنها ❊ الا قوم يونس ❊ لكن قوم يونس ❊ لما آمنوا ❊ اول ما رأوا امارة
العذاب ولم يؤخروه الى حلوله ❊ كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ❊ ويجوز
ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد
من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم
يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ❊ ومتعناهم الى حين ❊ الى آجالهم روي ان
يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث
وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد

فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا وطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة
وولدها فحن بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج فاخلصوا التوبة واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين
على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من
شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس
بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها
حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه
تحصيله بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه
شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل
الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا
ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا
يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل
ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ
لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين
لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا
علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي
ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني
وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي

يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد
خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
فقد تركتك ذا مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين عطف على ان
اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء
الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء
الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك
اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان
يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا
الله وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر
الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه
متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا
لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان و
المتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما
فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول
الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ
واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو
خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات

بعد ولم يصدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ○ الر كتاب ○ مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف
○ احكمت آياته ○ نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من
الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج و
الدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات
الحكم النظرية والعملية ○ ثم فصلت ○ بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والا
او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت
في الحكم او للتراخي في الاخبار ○ من لدن حكيم خبير ○ صفة اخرى لكتاب او خبر بعد
او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما
ظهر امره وما خفي ○ الا تعبدوا الا الله ○ اي لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان
في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الا
بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا
انني لكم منه نذير وبشير ○ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ○ وان استغفروا
ربكم عطف على ان لا تعبدوا ○ ثم توبوا اليه ○ ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان
المؤمن عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة
ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين ○ يمتعكم متاعا حسنا ○ يعيشكم في امن ودعة
○ الى اجل مسمى ○ هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق
والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ○
ويؤت كل ذي فضل فضله ○ ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والا
وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين ○ وان تولوا ○ وان تتولوا ○ فاني اخاف
عليكم عذاب يوم كبير ○ يوم القيمة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا
الجيف وقرئ وان تولوا من ولي ○ الى الله مرجعكم ○ رجوعكم في ذلك اليوم وهو
شاذ عن القياس ○ وهو على كل شيء قدير ○ فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه
تقرير لكبر اليوم ○ الا انهم يثنون صدورهم ○ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني

وهو بناء المبالغة ويثنون ويثنوني واثنون تفعوعل من الثن وهو الكلا الضعيف
اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني ويثنئن من اثنان كابياض
بالهمزة ○ ليستخفوا منه ○ من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها
نزلت في طايفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا
وطوينا صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه
نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ○ الا حين يستغشون ثيابهم ○ الا حين ياوون
الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ○ يعلم ما يسرون ○ في قلوبهم ○ وما يعلنون ○
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه ○ انه عليم
بذات الصدور ○ بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها ○
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ○ غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا
ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ○ ويعلم مستقرها
ومستودعها ○ اماكنها في الحيوة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها من
الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
○ كل ○ كل واحد من الدواب واحوالها ○ في كتاب مبين ○ مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد ○ وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ○ اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات ○ وكان عرشه على الماء ○ قبل خلقهما لم يكن حائل
بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول
حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم
بذلك ○ ليبلوكم ايكم احسن عملا ○ متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم
معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم
ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها
وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان

المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علماً وعملاً

ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة أو البطلان وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الإشارة إلى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت أو أن يكون أن بمعنى عل أي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بإنكاره لعده من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره

ولئن أخرنا عنهم العذاب الموعود إلى أمة معدودة إلى جماعة من الأوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفاً عنهم ليس العذاب مدفوعاً عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان استهزاء

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه إنه ليؤوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الإذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الوصول إلا الذين صبروا على الضراء إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه وعملوا الصالحات شكراً لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم

واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك أحياناً ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما يوحى إليك لا البلاغة ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم

أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولاً بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا يتحدونهم وكان أمر الرسول متناولاً لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام راسخون فيه مخلصون فيه إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقاً ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم جزاء أعمالهم

في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط
ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞ وهم فيها
لا يبخسون ۞ لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل
في الكفرة وبرهم ۞ اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ۞ مطلقا في مقابلة ما
عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها ۞ لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
۞ وباطل ۞ في نفسه ۞ ما كانوا يعملون ۞ لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من
الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله
ولا خارجا من في زور كلام ۞ وبطل على الفعل ۞ افمن كان على بينة من ربه ۞ برهان من
الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه
هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى
عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن
مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو اهل الكتاب ۞ ويتلوه ۞ ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل ۞ شاهد منه ۞ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ۞ ومن قبله ۞
ومن قبل القرآن ۞ كتاب موسى ۞ يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة
هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل او لسان الرسول على ان الضمير له
او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن
قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو
القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل و
يقرأ من قبل القرآن التوراة ۞ اماما ۞ كتابا مؤتما به في الدين ۞ ورحمة ۞ على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين ۞ اولئك ۞ اشارة الى من كان على بينة ۞
يؤمنون به ۞ بالقرآن ۞ ومن يكفر به من الاحزاب ۞ اي من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول
الله عليه السلام ۞ فالنار موعده ۞ يردها لا محالة ۞ فلا تك في مرية منه ۞ من الموعد
او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك ۞ انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۞
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ۞ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ۞ كأن اسند اليه

ولم ينزله او نفى عنه ما انزله ۞ اولئك يعرضون على ربهم ۞ في الموقف بان
يحبسوا او يعرض اعمالهم ۞ ويقول الاشهاد ۞ من الملائكة والنبيين او من جوارحهم
وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف ۞ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين ۞ تهويل عظيم لما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ۞
الذين يصدون عن سبيل الله ۞ عن دينه ۞ ويبغونها عوجا ۞ يصفونها بالانحراف
عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة ۞ وهم بالآخرة هم كافرون
۞ والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به ۞
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض ۞ اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
۞ وما كان لهم من دون الله من اولياء ۞ يمنعونهم من العقاب ولكن اخر عقابهم الى
اليوم ليكون اشد وادوم ۞ يضاعف لهم العذاب ۞ استئناف وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ۞ ما كانوا يستطيعون السمع ۞ لتصامهم عن
الحق وبغضهم له ۞ وما كانوا يبصرون ۞ لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة
العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله
من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
۞ اولئك الذين خسروا انفسهم ۞ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله ۞ وضل
عنهم ما كانوا يفترون ۞ من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما
حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ۞ لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
۞ لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ۞ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم ۞ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة ۞ اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ۞ دائمون ۞ مثل الفريقين ۞ الكافر والمؤمن ۞
كالاعمى والاصم والبصير والسميع ۞ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه
عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه
المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالآيب وهذا من باب
اللف والطباق ۞ هل يستويان ۞ هل يستوي الفريقان ۞ مثلا ۞ تشبيها او
صفة او حالا ۞ افلا تذكرون ۞ بضرب الامثال والتأمل فيها ۞ ولقد

ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم ○ بانى لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر
على ارادة القول ○ نذير مبين ○ ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
○ ان لا تعبدوا الا الله ○ بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان
مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ○ انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم ○ مولم
وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره
صائم للمبالغة ○ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ○
لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ○ وما نراك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا ○ اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر
او الارذل جمع رذل ○ بادى الراى ○ ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او اول
الراى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة و
بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل ○ وما نرى لكم ○ لك
ولمتبعيك ○ علينا من فضل ○ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ○ بل نظنكم
كاذبين ○ انت فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب
المخاطب على الغائبين ○ قال يا قوم ارايتم ○ اخبرونى ○ ان كنت على بينة من
ربى ○ حجة شاهدة بصحة دعواى نفسها هى الرحمة او لان خفاها يوجب خفا النبوة
او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا
حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرى فعماها على ان الفعل لله تعالى ○
انلزمكموها ○ انكرهكم على الاهتداء بها ○ وانتم لها كارهون ○ لا تختارونها
وتتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما
جاز فى الثانى الفصل والوصل ○ ويا قوم لا اسالكم عليه ○ على التبليغ وهو وان لم يذكر
فمعلوم مما ذكر ○ مالا ○ جعلا ○ ان اجرى الا على الله ○ فانه المامول منه ○ وما انا
بطارد الذين آمنوا ○ جواب لهم حين سالوا طردهم ○ انهم ملاقوا ربهم ○
فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكنى اريكم قوما تجهلون ○ بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او
عليهم بان تدعوهم اراذل ○ ويا قوم من ينصرنى من الله ○ بدفع انتقامه ○

ان طردتهم ○ وهم بتلك الصفة والمثابة ○ افلا تذكرون ○ لتعرفوا ان التماس
طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ○ ولا اقول لكم عندى خزائن الله
○ خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلى ○ ولا اعلم الغيب ○ عطف على عندى
خزائن الله اى ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى اعلم
ان هؤلاء اتبعونى بادى الراى من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه
على اقول ○ ولا اقول انى ملك ○ حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ○ ولا اقول
للذين تزدرى اعينكم ○ ولا اقول فى شان من استرذلتموهم لفقرهم ○ لن يؤتيهم
الله خيرا ○ فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا ○ الله اعلم بما
فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ○ ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين
للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا
من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل فى معانيهم وكمالاتهم ○ قالوا يا نوح قد
جادلتنا ○ خاصمتنا ○ فاكثرت جدالنا ○ فاطلته او اتيت بانواعه ○ فاتنا بما
تعدنا ○ من العذاب ○ ان كنت من الصادقين ○ فى الدعوى والوعيد فان
مناظرتك لا تؤثر فينا ○ قال انما ياتيكم به الله ان شاء ○ عاجلا او آجلا ○ وما انتم
بمعجزين ○ بدفع العذاب او الهرب منه ○ ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ○ ان كان الله يريد ان يغويكم ○
وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك
نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة
الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى
الفصيل غوى اذا بشم فهلك ○ هو ربكم ○ خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته
○ واليه ترجعون ○ فيجازيكم على اعمالكم ○ ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى
○ اى وباله وقرئ اجرامى على الجمع ○ وانا برىء مما تجرمون ○ من اجرامكم فى اسناد
الافتراء الى ○ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون ○ اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء
○ واصنع الفلك باعيننا ○ ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشىء و

يراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ○
ووحينا ○ إليك كيف تصنعها ○ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ○ ولا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ○ إنهم مغرقون ○ محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل
إلى كفه ○ ويصنع الفلك ○ حكاية حال ماضية ○ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
○ استهزؤوا به لعمل السفينة فإنه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا
يضحكون منه ويقولون له صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً ○ قال إن تسخروا منا فإنا
نسخر منكم كما تسخرون ○ إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد
بالسخرية الاستجهال ○ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ○ يعني به إياهم وبالعذاب
الغرق ○ ويحل عليه ○ وينزل أو يحل عليه حلول الدين لا انفكاك عنه ○ عذاب
مقيم ○ دائم وهو عذاب النار ○ حتى إذا جاء أمرنا ○ غاية لقوله ويصنع الفلك
وما بينهما حال من الضمير فيه وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ○ وفار التنور ○ نبع الماء
وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان
في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل
التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها ○ قلنا احمل فيها ○ في السفينة
من كل ○ نوع من الحيوانات المنتفع بها ○ زوجين اثنين ○ ذكراً وأنثى هذا على قراءة
حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنفين
ذكر وصنف أنثى ○ وأهلك ○ عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه
ونساؤهم ○ إلا من سبق عليه القول ○ بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة
فإنهما كانا كافرين ○ ومن آمن ○ والمؤمنين من غيرهم ○ وما آمن معه إلا قليل ○
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم
واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها
ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها الإنس وفي
أعلاها الطير ○ وقال اركبوا فيها ○ أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوباً لأنها في الماء
كالمركوب في الأرض ○ بسم الله مجريها ومرساها ○ متصل باركبوا حال من الواو أي
اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها وإرسائها أو مكانهما
على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم

آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالاً ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد
بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو
صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من
الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد
أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحماً كقوله إلى الحول ثم اسم
السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ
مرساها أيضاً من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين
لله ○ إن ربي لغفور رحيم ○ أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم ○
وهي تجري بهم ○ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها
○ في موج كالجبال ○ في موج من الطوفان وهي ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل
موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعاً وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ○ ونادى نوح ابنه ○ كنعان وقرئ ابنها
وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله
فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ○ وكان في معزل ○ عزل فيه نفسه
عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعده ○ يا بني اركب معنا ○
في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير
ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية
قنبل وعاصم فإنه فتح ههنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلف
الرواة عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما
○ ولا تكن مع الكافرين ○ في الدين أو الاعتزال ○ قال سآوي إلى جبل يعصمني
من الماء ○ أن يغرقني ○ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ○ إلا الراحم وهو الله
أو إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه
يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه ○ وحال بينهما
الموج ○ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ○ فكان من المغرقين ○ فصار من المهلكين

بالماء ○ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ○ نوديا بما ينادى به اولو العلم و
امروا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي
يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف
والاقلاع الامساك ○ وغيض الماء ○ نقص ○ وقضي الامر ○ وانجز ما وعد من اهلاك
الكافرين وانجاء المؤمنين ○ واستوت ○ واستقرت السفينة ○ على الجودي ○
جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل
عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة ○ وقيل بعدا للقوم الظالمين ○
هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم
بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ○ ونادى نوح ○ واراد
نداءه بدليل عطف قوله فقال ○ رب ان ابني من اهلي ○ فان النداء ○ وان وعدك
الحق ○ وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله
او فما باله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه ○ وانت احكم الحاكمين ○ لانك اعلمهم
واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ○
قال يا نوح انه ليس من اهلك ○ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واليه اشار
بقوله ○ انه عمل غير صالح ○ فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل
ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما
هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما
اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح ○
فلا تسألن ما ليس لك به علم ○ ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا
لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه
وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله ○ اني اعظك ان تكون من الجاهلين ○ لان استثناء من
سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد
عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع و
ابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات

وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورش اثباتها
في الوصل ○ قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ○ فيما يستقبل ○ ما ليس لي به علم ○
ما لا علم لي بصحته ○ والا تغفر لي ○ اي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال ○
وترحمني ○ بالتوبة والتفضل علي ○ اكن من الخاسرين ○ اعمالا ○ قيل يا نوح اهبط بسلام
منا ○ انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك ○ وبركات عليك
○ ومبارك عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة
على التوحيد وهي الخير النامي ○ وعلى امم ممن معك ○ وعلى امم هم الذين معك سموا اما
لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله
○ وامم سنمتعهم ○ اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ○ ثم يمسهم منا عذاب اليم
في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم ○ تلك ○ اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ○
من انباء الغيب ○ اي بعضها ○ نوحيها اليك ○ خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك
او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ○ ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا ○ خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم
تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم
○ فاصبر ○ على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ○ ان العاقبة ○ في الدنيا
بالظفر وفي الآخرة بالفوز ○ للمتقين ○ عن الشرك والمعاصي ○ والى عاد اخاهم هودا ○
عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ○ قال يا قوم اعبدوا الله ○ وحده
○ ما لكم من اله غيره ○ وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ○ ان انتم الا مفترون ○ على الله
باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ○ يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا
على الذي فطرني ○ خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها
لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع ○ افلا تعقلون ○ افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا
المحق من المبطل والصواب من الخطأ ○ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ○ اطلبوا
مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون بعد الايمان
بالله والرغبة فيما عنده ○ يرسل السماء عليكم مدرارا ○ كثير الدر ○ ويزدكم قوة
الى قوتكم ○ ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب

ذوي زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته عليه السلام فان مواجهة الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في دياركم واموالكم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه

شيئا بتوليكم من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما كانت تلوح منك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه

من التوحيد والتبري عن الاوثان * مريب * موقع في الريبة من اراب او ذي
ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر * قال يا قوم ارأيتم ان كنت
على بينة من ربي * بيانا وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين * وآتاني منه
رحمة * نبوة * فمن ينصرني من الله * فمن يمنعني من عذابه * ان عصيته * في تبليغ
رسالته والمنع عن الاشراك به * فما تزيدونني * اذن باستتباعكم اياي * غير
تخسير * غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله والتعرض لعذابه او فما تزيد
ونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران * ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية *
انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها * فذروها تأكل في ارض الله * ترع نباتها وتشرب ماءها * ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا
يسيرا وهو ثلاثة ايام * فعقروها فقال تمتعوا في داركم * عيشوا في منازلكم او
في داركم الدنيا * ثلاثة ايام * الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون * ذلك
وعد غير مكذوب * اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا * او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له
اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود
والمعقول * فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
* اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة
وقرأ نافع والكسائي بهنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساء
المضاف البناء من المضاف اليه * ان ربك هو القوي العزيز * القادر على
كل شيء والغالب عليه * واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين *
قد تقدم تفسير ذلك في سورة الاعراف * كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
* وقرأ حمزة وحفص الا ان ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير
تنوين وقرأه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع
وابن عامر وابو عمرو في قوله * الا بعدا لثمود * بالصرف ذهابا الى الحي او الى الاب الاكبر
* ولقد جاءت رسلنا ابراهيم * يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة
جبرائيل وميكائيل واسرافيل * بالبشرى * ببشارة الولد وقيل بهلاك
قوم لوط * قالوا سلاما * اي سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا

سلاما * قال سلام * اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن
من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم
وحرام وقيل المراد به الصلح * فما لبث ان جاء بعجل حنيذ * فما ابطأ مجيئه
اي فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر في ان او محذوف والحنيذ
المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
لقوله بعجل سمين * فلما رأى ايديهم لا تصل اليه * لا يمدون اليه ايديهم * نكرهم
واوجس منهم خيفة * انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر
واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار * قالوا * له لما احسوا منه اثر
الخوف * لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط * انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب
وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل * وامرأته قائمة * وراء الستر تسمع محاورتهم او
على رؤوسهم للخدمة * فضحكت * سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او
باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب
ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم
تعد حقاها ثدياها ان تحلما * وقيل ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح
الحاء * فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب * نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل
انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ باسحاق وفتحه للجر فانه غير منصرف ورد
للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ
خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد وقيل بمعنى
لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه
بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة
على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد * قالت
يا ويلتى * يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل
أألد وانا عجوز * ابنة تسعين او تسع وتسعين سنة * وهذا بعلي * زوجي
واصله القائم بالامر * شيخا * ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر

أو هو الخبر وبعلي بدل * إن هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة ولذلك * قالوا أتعجبين من أمر الله * منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل
بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بأن يستغربه عاقل فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات * وأهل البيت نصب
على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة * إنه حميد
* فاعل ما يستوجب به الحمد * مجيد * كثير الخير والإحسان * فلما ذهب عن إبراهيم
الروع * ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم * وجاءته البشرى * بدل
الروع * يجادلنا في قوم لوط * يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها
لوطاً وهو إما جواب لما جيء به مضارعاً على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع
في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا * إن إبراهيم لحليم *
غير عجول على الانتقام من المسيء إليه * أواه * كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس * منيب * راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة
وهو رقة قلبه وفرط رحمته * يا إبراهيم * على إرادة القول أي قالت الملائكة يا إبراهيم
* أعرض عن هذا * الجدال * إنه قد جاء أمر ربك * قدره بمقتضى قضائه الأزلي
بعذابهم وهو أعلم بحالهم * وإنهم آتيهم عذاب غير مردود * غير مصروف بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك * ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم * ساءه مجيئهم لأنهم في
صورة غلمان فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم و
قرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت بإشمام السين الضم وفي العنكبوت
والملك وأبو عمرو بإخلاص حركة السين * وضاق بهم ذرعاً * وضاق بمكانهم
صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه
* وقال هذا يوم عصيب * شديد من عصبه إذا شده * وجاءه قومه يهرعون
إليه * يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه *
ومن قبل * ومن قبل ذلك الوقت * كانوا يعملون السيئات * الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين * قال يا قوم هؤلاء
بناتي * فدى بهن أضيافه كرماً وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن

قبل ولا يجيبونهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ
أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو إظهاراً لشدة
امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته
من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم
* هن أطهر لكم * أنظف فعلاً أو أقل فحشاً كقولك الميتة أطيب من المغصوب و
أحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على أن هن خبر بناتي كقولك هذا أخي هو فإنه فصل
فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها * فاتقوا الله * بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم
* ولا تخزون * ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء
* في ضيفي * في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه * أليس منكم رجل رشيد *
يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق * من
حاجة * وإنك لتعلم ما نريد * وهو إتيان الذكران * قال لو أن لي بكم قوة *
لو قويت بنفسي على دفعكم * أو آوي إلى ركن شديد * إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه
بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطاً كان يأوي
إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة
أو أوياً وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه
وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من
الكرب * قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك * لن يصلوا إلى إضرارك
بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل بجناحه
وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة
* فاسر بأهلك * بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء
في القرآن من السرى * بقطع من الليل * بطائفة منه * ولا يلتفت منكم أحد *
ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط * إلا امرأتك *
استثناء من قوله فاسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فاسر بأهلك بقطع من
الليل إلا امرأتك وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر
إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على
البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع

لا يصح حملها على المعاني المتنافية والأولى جعل الاستثناء في القراءتين عن
قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه إلا قليل ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على
غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا
ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله ❁ إنه مصيبها ما أصابهم ❁ ولا يحسن
جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ❁ إن موعدهم الصبح ❁ كأنه علة الأمر
بالإسراء ❁ أليس الصبح بقريب ❁ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب
❁ فلما جاء أمرنا ❁ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله
❁ جعلنا عاليها سافلها ❁ فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون
به فأسنده إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيما للأمر فإنه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ❁
وأمطرنا عليها ❁ على المدن أو على شذاذها ❁ حجارة من سجيل ❁ من طين متحجر لقوله
حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله
أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لاما ❁ منضود ❁
نضد معدا لعذابهم أو نضد في الإرسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الأمطار أو
نضد بعضه على بعض وألصق به ❁ مسومة ❁ معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض
وحمرة أو بسيماء تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به ❁ عند ربك ❁
في خزائنه ❁ وما هي من الظالمين ببعيد ❁ فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه
وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم
منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي
قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر
أو المكان ❁ وإلى مدين أخاهم شعيبا ❁ أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام
أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ❁ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان ❁ أمرهم بالتوحيد أولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم
عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض ❁ إني أراكم بخير ❁
بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا
حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة للنهي ❁ وإني أخاف

عليكم عذاب يوم محيط ❁ لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط
بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالإحاطة
وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ❁ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان ❁ صرح الأمر
بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على أنهم لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ❁ بالقسط ❁ بالعدل والسوية
من غير زيادة ونقصان فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون
محظورا ❁ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ❁ تعميم بعد التخصيص فإنه أعم من أن يكون
في المقدار أو في غيره وكذا قوله ❁ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ❁ فإن العثو يعم
تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ
العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال
إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين
أمر دينكم ومصالح آخرتكم ❁ بقية الله ❁ ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم
عليكم ❁ خير لكم ❁ مما تجمعون بالتطفيف ❁ إن كنتم مؤمنين ❁ بشرط أن تؤمنوا
فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط مع الإيمان أو إن كنتم
مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي ❁ وما أنا عليكم بحفيظ ❁
أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد
أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
❁ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ❁ من الأصنام أجابوا به
بعد ما أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله
لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص
على الإفراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل
لا يؤمر بفعل غيره ❁ أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ❁ عطف على ما أي وأن نترك
فعلنا في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على العطف على أن نترك وهو جواب عن
التطفيف والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا
ذلك ❁ إنك لأنت الحليم الرشيد ❁ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك

او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن
المبادرة الى امثال ذلك ❁ قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ❁
اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ❁ ورزقني منه رزقا حسنا ❁ اشارة
الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع
هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه
في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء
والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته وبلا كد مني في تحصيله ❁ وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه ❁ اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان
صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا
اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ❁ ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت ❁ ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان
يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق
النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما
نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف ❁ وما توفيقي الا بالله ❁
وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته ❁ عليه توكلت
❁ فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن
درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
❁ واليه انيب ❁ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به
في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ
عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ❁ ويا قوم
لا يجرمنكم ❁ لا يكسبنكم ❁ شقاقي ❁ معاداتي ❁ ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
❁ من الغرق ❁ او قوم هود ❁ من الريح ❁ او قوم صالح ❁ من الرجفة وان بصلتها
ثاني مفعول جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم من اجرم

بضم

بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا
على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال ❁ وما قوم لوط منكم ببعيد ❁ زمانا
او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء
بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر
كالصهيل والشهيق ❁ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ❁ عما انتم عليه ❁ ان ربي رحيم ❁
عظيم الرحمة للتائبين ❁ ودود ❁ فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار ❁ قالوا يا شعيب
ما نفقه ❁ ما نفهم ❁ كثيرا مما تقول ❁ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت
دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه ❁ وانا لنراك فينا ضعيفا ❁ لا قوة
لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم
مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء
والشهادة والفرق بين ❁ ولولا رهطك ❁ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة ❁ لرجمناك
❁ لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه ❁ وما انت علينا بعزيز ❁ فتمنعنا عزتك عن
الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره
حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه
عزة قومه ولذلك ❁ قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا ❁ وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون
علي لله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ❁ ان ربي بما تعملون محيط ❁ فلا يخفى عليه منها شيء
فيجازي عليها ❁ ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن
فيما عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو
ابلغ في التهويل ❁ ومن هو كاذب ❁ عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم

الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم
والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم * فارتقبوا *
فانتظروا ما اقول لكم * اني معكم رقيب * منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع * ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
* انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب بخلاف
قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية * واخذت الذين ظلموا الصيحة * قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا * فاصبحوا في ديارهم جاثمين * ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان *
كأن لم يغنوا فيها * كأن لم يقيموا فيها * الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود *
شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما
يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لها والبعد مصدر المكسورة * ولقد ارسلنا موسى
باياتنا * بالتورية او المعجزات * وسلطان مبين * هو المعجزات القاهرة او العصا
وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين
كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القطعي والسلطان يخص بالقاطع
المبين يخص بما فيه جلاء * الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون * فاتبعوا امره بالكفر بموسى
او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل
لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم * وما امر فرعون برشيد * مرشد او ذي رشد
وانما هو غي محض وضلال صريح * يقدم قومه يوم القيمة * الى النار كما كان يقدمهم
في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم * فاوردهم النار * ذكره بلفظ الماضي
مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال * وبئس الورد
المورود * اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش
والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها

واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة * اي يلعنون في الدنيا والاخرة * بئس الرفد
المرفود * بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره
ليعضده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين * ذلك *
اي ذلك النبأ * من انباء القرى * المهلكة * نقصه عليك * مقصوص عليك *
منها قائم * من تلك القرى باق كالزرع القائم * وحصيد * اي ومنها عافي الاثر
كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا
واو ولا ضمير * وما ظلمناهم * باهلاكنا اياهم * ولكن ظلموا انفسهم * بان عرضوها للهلاك
بارتكاب ما يوجبه * فما اغنت عنهم الهتهم * فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم
* التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك * حين جاءهم عذابه ونقمته
* وما زادوهم غير تتبيب * هلاك او تخسير * وكذلك * ومثل ذلك الاخذ *
اخذ ربك * وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر
* اذا اخذ القرى * اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي * وهي ظالمة *
حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها
الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة
* ان اخذه اليم شديد * وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير
* ان في ذلك * اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم * لاية *
لعبرة * لمن خاف عذاب الاخرة * يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد
الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانها من اله مختار يعذب من
يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل
المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين
بها * ذلك * اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه * يوم مجموع له
الناس * اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من
شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى
الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة * وذلك يوم مشهود * اي مشهود فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل
من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض
من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك * وما نؤخره * اي اليوم * الا لاجل

معدود: إلا لانتهاء معدودة متناهية على حذف المضاف، والمراد مدة التأجيل
كلها بأجل لا منتهاها فإنه غير معدود. ﴿يوم يأت﴾ أي الجزاء أو اليوم كقوله ﴿أن
تأتيهم الساعة﴾ على أن يوم بمعنى حين، أو الله عز وجل كقوله ﴿هل ينظرون إلا أن
يأتيهم الله﴾ ونحوه. وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم يأت بحذف الياء اجتزاء عنها
بالكسر. ﴿لا تكلم نفس﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة، وهو الناصب للظرف
ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف. ﴿إلا بإذنه﴾ إلا بإذن الله كقوله
﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ وهذا في موقف، وقوله ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون﴾ في موقف آخر، أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار
الباطلة. ﴿فمنهم شقي﴾ وجبت له النار ﴿وسعيد﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد
والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس، أو للناس
﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ الزفير إخراج النفس
والشهيق ردّه، واستعمالهما في أول النهيق وآخره، والمراد بهما الدلالة على شدة
كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه، أو تشبيه
صراخهم بأصوات الحمير. وقرئ شقوا بالضم. ﴿خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها، فإن النصوص دالة على تأبيد
دوامهم وانقطاع دوامها، بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون
به على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السموات والأرض
زوال عذابهم ولا من دوامه دوامها إلا من قبيل المفهوم، لأن دوامها كالملزوم
لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق. وقيل المراد سموات الآخرة
وأرضها، ويدل عليه قوله ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ مطويات
وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل، وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق
وجوده ودوامه، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا
يجدي له التشبيه. ﴿إلا ما شاء ربك﴾ استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم
وهم فساق الموحدين يخرجون منها، وذلك كاف في صحة الاستثناء، لأن زوال الحكم عن
الكل يكفيه زواله عن البعض، وهم المراد بالاستثناء الثاني، فإنهم مفارقون عن الجنة أيام
عذابهم، فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء
وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم، ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيماً صحيحاً لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لأن ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع، وههنا المراد
أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة
وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين، أو لأن أهل النار ينقلون منها
إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً، وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من
الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه، أو من أصل الحكم
والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار
حين يأتيهم اليوم، أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقاً غير مقيد
باليوم، وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت، وقيل
هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق، وقيل إلا ههنا بمعنى سوى كقولك علي ألف إلا
الألفان القديمان، والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة
بقاء السموات والأرض. ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ من غير اعتراض.
﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما
شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ غير مقطوع، وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع، وتنبيه على
أن المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع، ولأجله فرق بين الثواب والعقاب
بالتأبيد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله
بمعنى أسعده، وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء، أو الحال من الجنة.
﴿فلا تك في مرية﴾ شك بعد ما أنزل عليك من مآل الناس ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من
عبادة هؤلاء المشركين في أنها مؤدية إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم، أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع. ﴿ما يعبدون إلا
كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ استئناف معناه تعليل النهي عن المرية، أي هم وآباؤهم
سواء في الشرك، أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم، أو ما يعبدون شيئاً إلا
مثل ما عبدوه من الأوثان، وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لأن التماثل
في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات، ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة
من قبل عليه. ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق
فيكون عذراً لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه. ﴿غير منقوص﴾ حال من النصيب
لتقييد التوفية، فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً.

ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء
في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي
بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت
ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ
لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ
به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد
امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط
بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين وفي الاعمال من تبليغ الوحي
الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود
ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن
في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد
لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية
دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير
كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون
الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما
يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن معه من
المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى
طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او على غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا

فتمسكم بكسر التاء فيها على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون
الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون
اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك
انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه
على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب
الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضم وسكون
كبسر وبسرة ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي
سبب النزول ان رجلا اتى النبي عليه السلام فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها
فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى
للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة
والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان
من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان
الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان
يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا
يصح الاتصال الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا
عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب
لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي
عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا

عن الفساد واتبع الذين ظلموا او كانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ
واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة
ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها
مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته
ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان
من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على
الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك
الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله
للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين من عصاتهما اجمعين او منهما
اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل
نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك فى هذه
السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا
الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب
السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص وابن عامر ههنا وفى اخر
النمل يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة
على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت
وهم فيجازى كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء ههنا وفى اخر النمل

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم
وموسى عليهم السلام وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى
آيات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر
امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او
لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل
آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اى
الكتاب قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على
الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة
للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير
فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اى انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم
فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او
احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض
والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك
هذا القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب
على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك
ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل
الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ
بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من
آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
عليهم السلام وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما

في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ يا ابت بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب: اني رأيت: من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي: احد عشر كوكبا والشمس والقمر: روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها: رأيتهم لي ساجدين: استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم: قال يا بني: تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص ههنا وفي الصافات بفتح الياء: لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا: فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصور المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله: ان الشيطان للانسان عدو مبين: ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد: وكذلك: اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس

يجتبيك ربك: للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك: ويعلمك: كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك: من تأويل الاحاديث: من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل: ويتم نعمته عليك: بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة: وعلى آل يعقوب: يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله: كما اتمها على ابويك: بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم: من قبل: من قبلك او من قبل هذا الوقت: ابراهيم واسحق: عطف بيان لابويك: ان ربك عليم: بمن يستحق الاجتباء: حكيم: يفعل الاشياء على ما ينبغي: لقد كان في يوسف واخوته: اي في قصتهم: آيات: دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية: للسائلين: لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة: اذ قالوا ليوسف واخوه: بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين: احب الى ابينا منا: وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف: ونحن عصبة: والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم: ان ابانا لفي ضلال مبين: لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له: اقتلوا يوسف: من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون: او اطرحوه ارضا:

منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة ﴿يخل لكم وجه ابيكم﴾ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد ﴿وتكونوا﴾ جزم بالعطف
على يخل او نصب باضمار ان ﴿من بعده﴾ من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله
﴿قوما صالحين﴾ تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم
﴿قال قائل منهم﴾ يعني يهوذا وكان احسنهم رأيا وقيل روبيل ﴿لا تقتلوا
يوسف﴾ فان القتل عظيم ﴿والقوه في غيابت الجب﴾ في قعره سمي بها لغيبوبته
عن عين الناظرين وقرأ نافع في غيابات على الجمع كأن لتلك الجب غيابات وقرئ
غيبة وغيابات بالتشديد ﴿يلتقطه﴾ يأخذه ﴿بعض السيارة﴾ بعض الذين
يسيرون في الارض ﴿ان كنتم فاعلين﴾ بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما
يفرق بينه وبين ابيه ﴿قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ لم تخافنا عليه
﴿وانا له لناصحون﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه
في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام وباشمام وعن نافع ترك
الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ﴿ارسله
معنا غدا﴾ الى الصحراء ﴿نرتع﴾ نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب
﴿ونلعب﴾ بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه
من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون بكسر النون
ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء ﴿وانا له لحافظون﴾
ان يناله مكروه ﴿قال اني ليحزنني ان تذهبوا به﴾ لشدة مفارقته علي وقلة صبري
عنه ﴿واخاف ان يأكله الذئب﴾ لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في
المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير
ونافع في رواية قالون وفي رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم وحمزة درجا
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة ﴿وانتم عنه غافلون﴾
لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه ﴿قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة﴾ اللام موطئة للقسم وجوابه ﴿انا اذا لخاسرون﴾ ضعفاء

مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال ﴿فلما
ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب﴾ وعزموا على القائه فيها والبئر بئر
بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من
مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم
لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح
ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها
فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس
والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى
الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال ﴿واوحينا اليه﴾
وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى
يحيى وعيسى عم وفي القصص ان ابراهيم عم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه
جبريل عم بقميص من حرير الجنة والبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه يوسف اياه ﴿لتنبئنهم بامرهم
هذا﴾ لتحدثنهم بما فعلوا بك ﴿وهم لا يشعرون﴾ انك يوسف لعلو شأنك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال
لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره
ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انساه بالوحي
وهم لا يشعرون ذلك ﴿وجاءوا اباهم عشاء﴾ آخر النهار وقرئ عشيا وهو
تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء ﴿يبكون﴾ متباكين
روي انه عليه السلام لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف ﴿قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق﴾ نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما
انت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ لسوء ظنك وفرط
محبتك ليوسف ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا
كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على

اظهار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب
على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروي
انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت
في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق
والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف و
هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة من القائه فيها
فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي
فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال
يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى
فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين
يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على
قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل
اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف
وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته
فاتوا الرفقة فقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه من اخوته فسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع
اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او
اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن
معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه

مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة ولبث في منزله ثلث عشرة واستوزره ريان وهو ابن ثلثين سنة
وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين
واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل
وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي
مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان
ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وبنت شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في
منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه و
تمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها
او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها
قبل ان تحل كما فعل لسنته والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه
فيما شاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره
فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف
صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن
الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني
علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك

جزاؤه على احسانه ما عمله وافعاله في عنفوان امره ﴿وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه﴾ طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب الشيء ومنه الرائد ﴿وغلقت الابواب﴾ قيل كانت سبعة والتشديد
للتكثير او للمبالغة في الايثاق ﴿وقالت هيت لك﴾ اي اقبل وبادر او
تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك
وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان بالفتح وكسر الهاء من غير همزة كعيط وهو لغة منه وقرئ هيت كجير وهشام
كحيث وقرأ هشام كذلك الا انه بالهمزة من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من
صلته ﴿قال معاذ الله﴾ اعوذ بالله معاذا ﴿انه﴾ ان الشان ﴿ربي احسن
مثواي﴾ سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي
قلبه فلا اعصيه ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة
فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي
اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله
﴿لولا ان رأى برهان ربه﴾ في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة
وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط
فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل
تمثل يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب
في الانبياء وتعمل عمل السفهاء ﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او
الامر مثل ذلك ﴿لنصرف عنه السوء﴾ خيانة السيد ﴿والفحشاء﴾ الزنا
﴿انه من عبادنا المخلصين﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله
﴿واستبقا الباب﴾ اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى
الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج

﴿وقدت قميصه من دبر﴾ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا
والقط الشق عرضا ﴿والفيا سيدها لدى الباب﴾ وصادفا زوجها
﴿قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم﴾ ايهاما بانها
فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتوقيا عن تعييره على يوسف واغراءه
انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن ﴿قال هي
راودتني عن نفسي﴾ طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن
او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله ﴿وشهد شاهد من اهلها﴾ قيل ابن عمها
وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على
لسان اهلها ليكون الزم عليها ﴿ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين﴾ لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه
اسرع اليها فتعثر بذيله فانقد جيبه ﴿وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين﴾ لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك
امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه﴾ ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر ﴿من كيدكن﴾ من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ﴿ان كيدكن عظيم﴾ فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به
مسارقة ﴿يوسف﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث ﴿اعرض عن
هذا﴾ اكتمه ولا تذكره ﴿واستغفري لذنبك﴾ يا راعيل ﴿انك كنت
من الخاطئين﴾ من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب
﴿وقال نسوة﴾ هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك
جرد فعله وضم النون لغة فيها ﴿في المدينة﴾ ظرف لقال اي اشعن الحكاية

في مصر او صفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان
وصاحب الدواب :: امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه :: تطلب مواقعة
غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذ :: قد شغفها حبا :: شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا
ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه :: انا لنريها في ضلال مبين :: في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
:: فلما سمعت بمكرهن :: باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره
او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ::
ارسلت اليهن :: يدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس :: واعتدت
لهن متكأ :: ما يتكئن عليه من الوسائد :: واتت كل واحدة منهن سكينا :: حتى
يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج يوسف عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن
فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا
خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة
واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ الطعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه
بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو
الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكأ اذا اتكأ :: وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه :: عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران
وقيل اكبرن بمعنى حضن من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق :: وقطعن ايديهن :: جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة :: وقلن حاش لله :: تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذف الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه :: ما هذا بشرا :: لان هذا الجمال غير معهود للبشر

وهو على لغة الحجاز اي في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم :: ان هذا الا ملك كريم :: فان الجمع بين
الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله
فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك :: قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ::
اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق
تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع
ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه :: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ::
فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة
عريكته :: ولئن لم يفعل ما امره :: اي ما امر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب
امري فيكون الضمير ليوسف :: ليسجنن وليكونا من الصاغرين :: الاذلاء وهو
من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك
في الخفيفة لشبهها بالتنوين :: قال رب السجن :: وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ::
احب الي مما يدعونني اليه :: اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان
كان هذا مما تشتهيه الانفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل
انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد
رسول الله عليه السلام على من كان يسأل الصبر :: والا تصرف عني :: وان لم
تصرف عني :: كيدهن :: في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة ::
اصب اليهن :: امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة
الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب
من الصبابة وهي الشوق :: واكن من الجاهلين :: من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال
سواء :: فاستجاب له ربه :: فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف ::
فصرف عنه كيدهن :: فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان :: انه هو السميع :: لدعاء الملتجئين اليه :: العليم
باحوالهم وما يصلحهم :: ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات :: ثم ظهر للعزيز واهله

بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص
وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زماناً حتى تبصر ما يكون
او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان
بعضهم خاطب به العزيز تعظيماً او العزيز ومن يليه وعتى لغة هذيل
ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما
يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمراً
اي عنباً وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق
رأسي خبزاً تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما
في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله
اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه
يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق
القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل
مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي
علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق
ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى
رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى
يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه

ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه
ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم
لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي
السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله
الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار
اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون الا
الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل
آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة
الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت
عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا
من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولاً رجحان التوحيد على اتخاذ
الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق
الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات او بالغير وكلا القسمين منتف عنها
ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي
العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمراً كما كان يسقيه قبل ويعود
الى ما كان عليه واما الآخر يعني الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا
كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو
ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا
استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف
ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن
باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له

أو على تقدير ذكر إخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده
قوله عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة
لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء ؛ فلبث في السجن بضع سنين ؛ البضع ما بين الثلث
إلى التسع من البضع وهو القطع ؛ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف ؛ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع
بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ؛ وسبع سنبلات خضر ؛ قد انعقد حبها ؛
وأخر يابسات ؛ وسبعا أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات وأجرى السمان
على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها
مجردا عن الموصوف فإنه لبيان الجنس وقياسه عجف لأنه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان
لأنه نقيضه ؛ يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ؛ عبروها ؛ إن كنتم للرؤيا تعبرون
؛ إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية
التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها
تعبيرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام
كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا ؛ قالوا أضغاث أحلام ؛ أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع
ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وإنما جمعوا
للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة ؛
وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ؛ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس
لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم
بتأويله ؛ وقال الذي نجا منهما ؛ من صاحبي السجن وهو الشرابي ؛ وادكر بعد أمة ؛
وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة
وهي النعمة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا
نسي والجملة اعتراض ومقول القول ؛ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ؛ أي إلى من عنده
علمه أو إلى السجن ؛ يوسف أيها الصديق ؛ أي فأرسل إلى يوسف فجاء وقال
يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف

صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ؛ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؛ أي في رؤيا ذلك ؛ لعلي أرجع إلى الناس
؛ إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه ؛
لعلهم يعلمون ؛ تأويلها أو فضلك ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم
يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم ؛ قال تزرعون سبع
سنين دأبا ؛ على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر
بإضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة
وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة
لقوله ؛ فما حصدتم فذروه في سنبله ؛ لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة
خارجة عن العبارة ؛ إلا قليلا مما تأكلون ؛ في تلك السنين ؛ ثم يأتي من بعد ذلك
سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن ؛ أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند
إليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به ؛ إلا قليلا مما تحصنون ؛ تحرزون
لبذور الزراعة ؛ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ؛ يمطرون من الغيث
أو يغاثون من القحط من الغوث ؛ وفيه يعصرون ؛ ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب
المستفتي وقرئ على بناء الفاعل من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للمفعول
منه أي يغيثهم الله أو يغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي
بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
وابتلاع العجاف للسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله
عليه السلام علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية
على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ؛ وقال الملك ائتوني به ؛ بعدما
جاءه الرسول بالتعبير ؛ فلما جاءه الرسول ؛ ليخرجه ؛ قال ارجع إلى ربك فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؛ إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة
وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل
إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقفها وعن
النبي عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وإنا

قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فسله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث
وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للأدب وقرئ
النسوة بضم النون ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ حين قلن لي أطع مولاتك وفيه
تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن
على كيدهن ﴿قال ما خطبكن﴾ قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب
صاحبه ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ من ذنب ﴿قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن
الصادقين﴾ في قوله هي راودتني عن نفسي ﴿ذلك ليعلم﴾ قاله يوسف لما عاد إليه
الرسول فأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿أني لم أخنه بالغيب﴾
بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو
هو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة
﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين
بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لأمانته ولذلك عقبه بقوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ أي لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد
بذلك تزكية النفس والعجب بحاله بل إظهار نعمة الله عليه في العصمة والتوفيق وعن ابن
عباس أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿إن
النفس لأمارة بالسوء﴾ من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل
القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات ﴿إلا ما رحم ربي﴾ إلا وقت رحمة ربي
أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى
نفس يوسف وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم
الإدغام ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة
أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه لما ارتكبه
﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصا لنفسي ﴿فلما كلمه﴾ أي فلما

أتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين﴾
ذو مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك من خيره
وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا
اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه
بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له
منها إفرائيم وميشا ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾ ولني على أمرها والأرض
أرض مصر ﴿إني حفيظ﴾ لها ممن لا يستحقها ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف فيها ولعله
لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على
جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل
إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده
﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أرض مصر ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ ينزل
من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾
في الدنيا والآخرة ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا
﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه
﴿وجاء إخوة يوسف﴾ روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في
تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام
ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم
منها شيء ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك فأعتقهم ورد إليهم أموالهم وكان
قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه
للميرة ﴿فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول
العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد
حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله والجهاز ما

بُدَّ من الأمتعة للسفر كعدد السفر وما يحمل من بلد إلى أخرى وما يزف به المرأة إلى
زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ روي أنهم لما دخلوا
عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ
صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا اثنا عشر فذهب أحدنا
إلى البرية وهلك قال فكم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا
عند أبينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد هاهنا فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا
وأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملاً فسألوا حملاً زائداً لأخ لهم
من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿ألا ترون أني
أوفي الكيل﴾ أتمه ﴿وأنا خير المنزلين﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن
إنزالهم وضيافتهم ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ أي ولا
تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء ﴿قالوا سنراود
عنه أباه﴾ سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وإنا لفاعلون﴾ ذلك لا نتوانى فيه
﴿وقال لفتيانه﴾ لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ جمع رحل فإنه وكل بكل
رحل واحداً يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالاً وأدماً
وإنما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم وترفعاً من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفاً
من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به ﴿لعلهم يعرفونها﴾ لعلهم يعرفون حق ردها
أو لكي يعرفوها ﴿إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل
معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾
حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ نرفع
المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى
الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وإنا له لحافظون﴾ عن أن يناله
مكروه ﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ وقد قلتم في يوسف وإنا له
لحافظون ﴿فالله خير حافظاً﴾ فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه ﴿وهو أرحم
الراحمين﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حافظاً على التمييز
وحافظاً قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارساً

وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت إليهم﴾ وقرئ رِدّت بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع
وقيل ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحساناً أو لا نبغي
في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب أي أي
شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿هذه بضاعتنا
ردت إلينا﴾ استئناف موضح لقوله ما نبغي ﴿ونمير أهلنا﴾ معطوف على محذوف
أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك ﴿ونحفظ أخانا﴾
عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ﴿ونزداد كيل بعير﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا
هذا إذا كانت ما استفهامية وإذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل
معطوفة على ما نبغي أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ﴿ذلك كيل يسير﴾
أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى
الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل
بعير أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل إنه من كلام يعقوب
ومعناه أن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ﴿قال لن أرسله معكم﴾ إذ
رأيت منكم ما رأيت ﴿حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ حتى تعطوني ما أتوثق به من
عند الله أي عهداً مؤكداً بذكر الله ﴿لتأتنني به﴾ جواب القسم إذ المعنى حتى
تحلفوا بالله لتأتنني به ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن
تهلكوا جميعاً وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال إلا
حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل على أن قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا
من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك
﴿فلما آتوه موثقهم﴾ عهدهم ﴿قال الله على ما نقول﴾ من طلب الموثق وإتيانه
﴿وكيل﴾ رقيب مطلع ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب
متفرقة﴾ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند
الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة
الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار
منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة

من شره كل دابة وهامة ومن شر كل عين لامة :: وما أغني عنكم من الله من شيء :: مما قضى
عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر :: إن الحكم إلا لله :: يصيبكم لا محالة
إن قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك :: عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ::
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف
والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم :: ولما دخلوا من
حيث أمرهم أبوهم :: أي من أبواب متفرقة في البلد :: ما كان يغني عنهم :: رأي يعقوب
واتباعهم له :: من الله من شيء :: مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا وأخذ
بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب :: إلا حاجة في نفس
يعقوب :: استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من
أن يعانوا :: قضاها :: أظهرها ووصى بها :: وإنه لذو علم لما علمناه :: بالوحي و
نصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله ولم يغتر بتدبيره :: ولكن أكثر الناس
لا يعلمون :: سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر :: ولما دخلوا على يوسف آوى إليه
أخاه :: ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى
مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فأجلسه
على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له
أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل :: قال إني أنا أخوك فلا تبتئس :: فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون :: في حقنا :: فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية :: المشربة :: في رحل
أخيه :: قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها
ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما
تقديره أمهلهم حتى انطلقوا :: ثم أذن مؤذن :: نادى مناد :: أيتها العير إنكم
لسارقون :: لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين
وقيل معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو إنكم لسارقون على الاستفهام والعير
القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد فقيل لأصحابها كقوله
عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض
تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة :: قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ::
أي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون

من أفقدته إذا وجدته فقيدا :: قالوا نفقد صواع الملك :: وقرئ صاع وصوع
بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة :: ولمن جاء به حمل بعير :: من الطعام
جعالة له :: وأنا به زعيم :: كفيل أؤديه إلى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة و
ضمان الجعل قبل تمام العمل :: قالوا تالله :: قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة
باسم الله :: لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين :: استشهدوا
بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط
أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما
لأحد :: قالوا فما جزاؤه :: فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف
المضاف :: إن كنتم كاذبين :: في ادعاء البراءة :: قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه :: أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع
يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط
أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر مقام المضمر
كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو :: كذلك نجزي الظالمين :: بالسرقة ::
فبدأ بأوعيتهم :: فبدأ المؤذن وقيل يوسف لأنهم ردوا إلى مصر :: قبل
وعاء أخيه :: بنيامين نفيا للتهمة :: ثم استخرجها :: أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر
ويؤنث :: من وعاء أخيه :: وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة :: كذلك :: مثل ذلك
الكيد :: كدنا ليوسف :: بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه :: ما كان ليأخذ أخاه
في دين الملك :: ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق
وهو بيان الكيد :: إلا أن يشاء الله :: أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه ::
نرفع درجات من نشاء :: بالعلم كما رفعنا درجته :: وفوق كل ذي علم عليم ::
أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه
من كان هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن
العليم هو الله ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا
فوق كل العلماء عليم إذ هو مخصوص :: قالوا إن يسرق :: بنيامين :: فقد سرق
أخ له من قبل :: يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت
تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه

ثم ظهرت ضياعها فحبس عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطها السائل ❊ فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ❊ اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير تفسيرها قوله ❊ قال انتم شر مكانا ❊ فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان ❊ والله اعلم بما تصفون ❊ وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون ❊ قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ❊ في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا ❊ فخذ احدنا مكانه ❊ بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به ❊ انا نريك من المحسنين ❊ الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ❊ قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ❊ فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه ❊ انا اذا لظالمون ❊ في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما ❊ فلما استيأسوا منه ❊ يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة ❊ خلصوا ❊ انفردوا واعتزلوا ❊ نجيا ❊ متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية ❊ قال كبيرهم ❊ في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل هو يهوذا ❊ الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ❊ عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ❊ ومن قبل ❊ ومن قبل هذا ❊ ما فرطتم في يوسف ❊ قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم ❊ فلن ابرح الارض ❊ فلن افارق ارض مصر ❊ حتى يأذن لي ابي ❊ في الرجوع ❊ او يحكم الله لي ❊ بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها

الحوامل ووقفت شعور جسده فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب ❊ وهو خير الحاكمين ❊ لان حكمه لا يكون الا بالحق ❊ ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق ❊ على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة ❊ وما شهدنا ❊ عليه ❊ الا بما علمنا ❊ بان رأينا ان الصاع استخرج من وعائه ❊ وما كنا للغيب ❊ لباطن الحال ❊ حافظين ❊ فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف ❊ واسأل القرية التي كنا فيها ❊ يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة ❊ والعير التي اقبلنا فيها ❊ واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم ❊ وانا لصادقون ❊ تأكيد في محل القسم ❊ قال بل سولت لكم ❊ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت ❊ لكم انفسكم امرا ❊ اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته ❊ فصبر جميل ❊ اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل ❊ عسى الله ان يأتيني بهم جميعا ❊ بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر ❊ انه هو العليم ❊ بحالي وحالهم ❊ الحكيم ❊ في تدبيرها ❊ وتولى عنهم ❊ واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ❊ وقال يا اسفى على يوسف ❊ اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد عليه الصلاة والسلام الا ترى ان يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا ❊ وابيضت عيناه من الحزن ❊ لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله عليه السلام على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ❊ فهو كظيم ❊ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء

اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه ؛ قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ؛ اي لا تفتؤ ولا
تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ؛ حتى تكون حرضا ؛
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر
ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب ؛ او تكون من الهالكين ؛ من الميتين ؛ قال انما اشكو بثي وحزني ؛ همي الذي
لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ؛ الى الله ؛ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني
وشكايتي ؛ واعلم من الله ؛ من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه
ما لا تعلمون ؛ او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى
تخر له اخوته سجدا ؛ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ؛ فتعرفوا منهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ؛ ولا تيأسوا من روح الله ؛ لا تقنطوا من
فرجه وتنفيسه وقرئ روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد ؛ انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون ؛ بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء
من الاحوال ؛ فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز ؛ بعد ما رجعوا الى مصر رجعة
ثانية ؛ مسنا واهلنا الضر ؛ شدة الجوع ؛ وجئنا ببضاعة مزجاة ؛ رديئة او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل كانت دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
؛ فاوف لنا الكيل ؛ فاتم لنا الكيل ؛ وتصدق علينا ؛ برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء
او تختص بنبينا عليه السلام ؛ ان الله يجزي المتصدقين ؛ احسن الجزاء والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله ؛ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه ؛ اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان
لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة ؛ اذ انتم جاهلون ؛ قبحه فلذلك اقدمتم عليه
او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم

وتسكينهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين و
ذكروا له ما هو فيه على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان
فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين ؛ قالوا ائنك لانت يوسف ؛
استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام وقرأ ابن كثير على الايجاب
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع
التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة و
يعقوب مثلها ؛ قال انا يوسف وهذا اخي ؛ من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه
وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله ؛ قد من الله علينا ؛ بالسلامة والكرامة ؛
انه من يتق ؛ اي من يتق الله ؛ ويصبر ؛ على البليات او على الطاعات وعن المعاصي
؛ فان الله لا يضيع اجر المحسنين ؛ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن
من جمع بين التقوى والتصبر ؛ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ؛ اختارك
علينا بحسن الصورة وكمال السيرة ؛ وان كنا لخاطئين ؛ والحال ان شأننا انا كنا
مذنبين بما فعلنا معك ؛ قال لا تثريب عليكم ؛ لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب
وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب
ماء الوجه ؛ اليوم ؛ متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى
لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله ؛ يغفر الله لكم ؛ لانه صفح
عن جرمهم حينئذ واعترفوا بها ؛ وهو ارحم الراحمين ؛ فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
عليه السلام ؛ اذهبوا بقميصي هذا ؛ القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ ؛ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا ؛ يرجع بصيرا اي ذا بصر ؛ وأتوني
؛ انتم وابي ؛ باهلكم اجمعين ؛ بنسائكم وذراريكم ومواليكم ؛ ولما فصلت العير ؛
من مصر وخرجت من عمرانها ؛ قال ابوهم ؛ لمن حضره ؛ اني لاجد ريح يوسف ؛ اوجده
الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ؛ لولا ان
تفندون ؛ تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة

لان النقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب
:: قالوا :: اي الحاضرون :: تالله انك لفي ضلالك القديم :: لفي ذهابك عن الصواب قدما
بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه :: فلما ان جاء البشير ::
يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ::
القاه على وجهه :: طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه :: فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة :: قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ::
من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من
روح الله او اني لاجد ريح يوسف :: قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
:: ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة :: قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم :: اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا
لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط
المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان
قبل استنبائهم :: فلما دخلوا على يوسف :: روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز
اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر
اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى :: آوى اليه ابويه :: ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما :: وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين :: من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول في موضع خارج البلد حين استقبلهم :: ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
:: تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا
وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما :: وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل :: التي رأيتها ايام الصبا
:: قد جعلها ربي حقا :: صدقا :: وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن :: ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا عليهم :: وجاء بكم من البدو :: من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي

واهل البدو :: من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي :: افسد بيننا وحرش
من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري :: ان ربي لطيف لما يشاء ::
لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها :: انه هو العليم
بوجوه المصالح والتدابير :: الحكيم :: الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة
روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما
اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل
او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك و
اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني :: رب قد آتيتني من الملك :: بعض الملك
وهو ملك مصر :: وعلمتني من تأويل الاحاديث :: الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض
لانه لم يؤت كل التأويل :: فاطر السموات والارض :: مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادى او منادى برأسه :: انت وليي :: ناصري ومتولي امري :: في
الدنيا والآخرة :: او الذي يتولاني بالنعمة فيهما :: توفني مسلما :: اقبضني :: والحقني
بالصالحين :: من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به
ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى
الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا
ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له
من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب :: ذلك ::
اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ :: من انباء الغيب
نوحيه اليك :: خبران له :: وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون :: كالدليل
عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين
عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم
ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف
هذا الشق استغناء بذكره من غير هذه القصة بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا :: وما اكثر الناس ولو حرصت :: على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات
عليهم :: بمؤمنين :: لعنادهم وتصميمهم على الكفر :: وما تسألهم عليه :: على الانباء او القرآن

من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين
عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على
وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها
على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها
فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته
الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه
او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم
لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد
والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من
الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على
بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء
نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك من غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه
حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل
البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين
اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا
تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم
في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم

انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل
اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول
للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر
وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم من
النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به
المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن
الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي
وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون
ان يشاء نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجى ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان
للمستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله
سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عليه السلام علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت

واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد آياتها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب
يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة
الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر
بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى
او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان
دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس
وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر
والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان الموصول صفة والخبر

بغير عمد :: أساطين جمع عماد كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم و
قرئ عمد كرسل :: ترونها :: صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم كذلك وهو دليل
على وجود الصانع الحكيم فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية و
اختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات
على بعض بإرادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات :: ثم استوى على العرش ::
بالحفظ والتدبير :: وسخر الشمس والقمر :: ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة
ينفع في حدوث الكائنات وبقائها :: كل يجري لأجل مسمى :: لمدة معينة يتم فيها أدواره
أو لغاية مضروبة ينقطع عندها سيره وهي إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت ::
يدبر الأمر :: أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك :: يفصل
الآيات :: ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد :: لعلكم بلقاء
ربكم توقنون :: لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء
وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء :: وهو الذي مد الأرض :: بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها الأقدام وتتقلب عليها الحيوان :: وجعل فيها رواسي :: جبالا ثوابت من رسا الشيء
إذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة أجبل أو للمبالغة :: وأنهارا ::
ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث إن الجبال أسباب لتولدها :: ومن كل الثمرات ::
متعلق بقوله :: جعل فيها زوجين اثنين :: أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين
اثنين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير :: يغشي الليل النهار ::
يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشّي بالتشديد
:: إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون :: فيها فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل
على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها :: وفي الأرض قطع متجاورات ::
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر
وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك
تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية
من حيث إنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع :: وجنات من أعناب وزرع
ونخيل :: وبساتين فيها أنواع الأشجار والزروع وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات :: صنوان ::
نخلات أصلها واحد :: وغير صنوان :: ومتفرقات مختلفة الأصول وقرأ حفص بالضم و

لأنهم كقنوان جمع قنو :: يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل :: في الثمر
شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فإن اختلافها مع
اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله
يدبر الأمر :: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون :: يستعملون عقولهم بالتفكر :: وإن تعجب
:: يا محمد من إنكارهم البعث :: فعجب قولهم :: حقيق بأن يتعجب منه فإن من قدر على إنشاء
ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود
المبدأ فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال قدرته وقبول المواد
لأنواع تصرفاته :: أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد :: بدل من قولهم أو مفعول له والعامل
في إذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد :: أولئك الذين كفروا بربهم :: لأنهم كفروا
بقدرته على البعث :: وأولئك الأغلال في أعناقهم :: مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم
أو يغلون يوم القيامة :: وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون :: لا ينفكون
عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار :: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ::
بالعقوبة قبل العافية وذلك أنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء
:: وقد خلت من قبلهم المثلات :: العقوبات لأمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها
ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة
لأنها مثل جناية المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه إذا
اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف بعد الإتباع والمثلات بفتح الميم على أنها
جمع مثلة كركبة وركبات :: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم :: مع ظلمهم
أنفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو
قبل التوبة فإن التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر وأول المغفرة بالستر والإمهال :: وإن ربك لشديد العقاب :: للكفار
أو لمن شاء وعن النبي عليه الصلاة والسلام لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحدا
العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد :: ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه :: لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما أوتي موسى
وعيسى :: إنما أنت منذر :: مرسل للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان
بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك :: ولكل قوم هاد :: نبي مخصوص

بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب أو قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم
أردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيهاً على أنه قادر
على إنزال ما اقترحوه وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه
قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر ❊ الله يعلم ما تحمل كل أنثى
أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمترقبة ❊ وما تغيض
الأرحام وما تزداد ❊ وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وأقصى
مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند أبي حنيفة رحمه الله روي
أن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لأربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل
نهاية ما عرف أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله وقال الشافعي أخبرني شيخ باليمن أن
امرأة ولدت بطوناً في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعدياً ولازماً وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعاً فإن جعلتهما لازمين
تعين ما أن تكون مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز فإنهما لله تعالى أو
لما فيها ❊ وكل شيء عنده بمقدار ❊ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء
خلقناه بقدر فإنه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له أسباباً مسوقة
إليه تقتضي ذلك ❊ عالم الغيب ❊ الغائب عن الحس ❊ والشهادة ❊ الحاضرة له ❊ الكبير
❊ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء ❊ المتعال ❊ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي
كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه ❊ سواء منكم من أسر القول ❊ في نفسه ❊ ومن جهر به
❊ لغيره ❊ ومن هو مستخف بالليل ❊ طالب للخفاء في مختبأ بالليل ❊ وسارب ❊ بارز
❊ بالنهار ❊ يراه كل أحد من سرب سروباً إذا برز وهو عطف على من أو مستخف على
أن من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله ❊ له ❊
لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب ❊ معقبات ❊ ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة
من عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله
فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لأن المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من حذف إحدى القافين ❊
من بين يديه ومن خلفه ❊ من جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر ❊ يحفظونه من أمر الله ❊

من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون
أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية
لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله تعالى ❊ إن الله لا يغير ما بقوم ❊ من العافية والنعمة ❊ حتى يغيروا ما بأنفسهم ❊
من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة ❊ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ❊ فلا
راد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب ❊ وما لهم من دونه من وال ❊ ممن يلي أمرهم
فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله محال ❊ هو الذي يريكم البرق
خوفاً ❊ من أذاه ❊ وطمعاً ❊ في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أي إرادة
خوف وطمع أو التأويل بالإخافة والإطماع أو الحال من البرق أو من المخاطبين على
إضمار ذوي أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من
يضره ويطمع فيه من ينفعه ❊ وينشئ السحاب ❊ الغيم المنسحب في الهواء ❊ الثقال ❊
وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع ❊ ويسبح الرعد ❊
ويسبح سامعوه ❊ بحمده ❊ ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد
بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبساً بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن
ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب ❊ والملائكة من خيفته ❊ من خوف الله وإجلاله وقيل الضمير للرعد ❊
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ❊ فيهلكه ❊ وهم يجادلون في الله ❊ حيث يكذبون
رسول الله عليه السلام فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة
الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو إما لعطف
الجملة على الجملة أو للحال فإنه روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد
وفدا على رسول الله عليه السلام قاصدين لقتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من
خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول عليه السلام فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فأرسل الله على أربد صاعقة فقتله ورمى عامراً بغدة فمات في بيت سلولية وكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت ❊ وهو شديد المحال ❊
المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان إذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل
إذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال بمعنى القوة
مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه

من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة
كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد ∴ له دعوة الحق ∴ الدعاء الحق فإنه الذي
يحق أن يعبد أو يدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه
ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من
الملابسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد
بالجملتين إن كانت الآية في عامر وأربد إن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله
وإجابة لدعوة رسوله عليه السلام أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد
الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول عليهم أو بيان
ضلالهم وفساد رأيهم ∴ والذين يدعون ∴ أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون
فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة ∴ من دونه
عليه ∴ لا يستجيبون لهم بشيء ∴ من الطلبات ∴ إلا كباسط كفيه ∴ إلا استجابة كاستجابة
من بسط كفيه ∴ إلى الماء ليبلغ فاه ∴ يطلب منه أن يبلغه ∴ وما هو ببالغه ∴ لأنه جماد لا
يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذا آلهتهم وقيل شبهوا في قلة
جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون
بالتاء وباسط بالتنوين ∴ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ∴ في ضياع وخسار وباطل
∴ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها ∴ يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه
يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال
الشدة والضرورة ∴ وظلالهم ∴ بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم
شاؤوا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها
بالحال أو العلة وقوله ∴ بالغدو والآصال ∴ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من
الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما لأن الظلال إنما يعظم ويكثر
فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب و
قيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل ∴ قل من رب
السماوات والأرض ∴ خالقهما ومتولي أمرهما ∴ قل الله ∴ أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم
سواه ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به ∴ قل أفاتخذتم من دونه ∴
ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ∴ أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا
ولا ضرا ∴ لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع

الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء
رجاء أن يشفعوا لهم ∴ قل هل يستوي الأعمى والبصير ∴ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة
والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم
∴ أم هل تستوي الظلمات والنور ∴ الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر
بالياء ∴ أم جعلوا لله شركاء ∴ بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله ∴ خلقوا كخلقه ∴ صفة
لشركاء داخلة في حكم الإنكار ∴ فتشابه الخلق عليهم ∴ خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا
العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
عما يقدر عليه الخالق ∴ قل الله خالق كل شيء ∴ لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل
الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله ∴ وهو الواحد
∴ المتوحد بالألوهية ∴ القهار ∴ الغالب على كل شيء ∴ أنزل من السماء ماء ∴ من السحاب أو
من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادئ منها ∴ فسالت أودية ∴ أنهار جمع واد
وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن
المطر يأتي على تناوب بين البقاع ∴ بقدرها ∴ بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار
أو بمقدارها في الصغر والكبر ∴ فاحتمل السيل زبدا ∴ رفعه والزبد وضر الغليان ∴
رابيا ∴ عاليا ∴ ومما يوقدون عليه في النار ∴ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد
والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه ∴ ابتغاء حلية ∴ أي طلب حلي ∴ أو متاع
∴ كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها ∴ زبد مثله ∴ أي
ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به ∴ كذلك يضرب الله الحق
والباطل ∴ مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض
بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنوات والآبار
وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله ∴ فأما الزبد فيذهب
جفاء ∴ يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى
واحد ∴ وأما ما ينفع الناس ∴ كالماء وخلاصة الفلز ∴ فيمكث في الأرض ∴ ينتفع به

كذلك يضرب الله الامثال ※ لايضاح المشتبهات ※ للذين استجابوا ※ للمؤمنين
الذين استجابوا ※ لربهم الحسنى ※ الاستجابة الحسنى ※ والذين لم يستجيبوا له ※ وهم الكفرة
والكلام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل
للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ※
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به ※ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان
حال غير المستجيبين ※ اولئك لهم سوء الحساب ※ وهو المناقشة فيه بان يحاسب
الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ※ ومأواهم ※ مرجعهم ※ جهنم وبئس المهاد ※ المستقر
والمخصوص بالذم محذوف ※ افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق ※ فيستجيب
※ كمن هو اعمى ※ عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما
بعد ما ضرب من المثل ※ انما يتذكر اولوا الالباب ※ ذوو العقول المبرأة عن مشايعة
الالف ومعارضة الوهم ※ الذين يوفون بعهد الله ※ ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف
بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ※ ولا ينقضون الميثاق ※
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ※ والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل ※ من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء
ويندرج في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس ※ ويخشون ربهم ※ وعيده عموما ※
ويخافون سوء الحساب ※ خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا ※ والذين
صبروا ※ على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ※ ابتغاء وجه ربهم ※ طلبا لرضاه لا
لجزاء وسمعة ونحوهما ※ واقاموا الصلوة ※ المفروضة ※ وانفقوا مما رزقناهم ※
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه ※ سرا ※ لمن لا يعرف بالمال ※ وعلانية ※ لمن عرف به
※ ويدرؤن بالحسنة السيئة ※ ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها ※ اولئك لهم عقبى الدار ※ عاقبة الدنيا وما ينبغي
ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت
صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات ※ جنات عدن ※
بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره ※ يدخلونها ※ والعدن الاقامة اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان في الجنة ※ ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
※ عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى
انه يلحق بهم من صلح من آبائهم واهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم

وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب بدون العمل لا ينفع ※ والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب ※ من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين ※ سلام
عليكم بما صبرتم ※ بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا
بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او للبدلية ※ فنعم عقبى الدار ※
وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرها الى الفاء وبغيره ※
والذين ينقضون عهد الله ※ يعني مقابلي الاولين ※ من بعد ميثاقه ※ من بعد ما اوثقوه
به من الاقرار والقبول ※ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
※ بالظلم وتهييج الفتن ※ اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ※ عذاب جهنم او سوء
عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ※ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ※
يوسعه ويضيقه ※ وفرحوا ※ اي اهل مكة ※ بالحيوة الدنيا ※ بما بسط لهم في الدنيا
※ وما الحيوة الدنيا في الآخرة ※ في جنب الآخرة ※ الا متاع ※ الا متعة لا تدوم
كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
※ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ※
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ※ ويهدي اليه من اناب ※ اقبل الى الحق ورجع
عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان
الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية
ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات ※ الذين آمنوا ※ بدل
من من او خبر مبتدأ محذوف ※ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ※ انسا به واعتمادا عليه
ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده
ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات ※ الا بذكر الله تطمئن القلوب
※ تسكن اليه ※ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ※ مبتدأ خبره ※ طوبى لهم ※ وهو فعلى
من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه
الرفع والنصب ولذلك قرئ ※ وحسن مآب ※ بالنصب ※ كذلك ※ مثل ذلك
يعني ارسال الرسل قبلك ※ ارسلناك في امة قد خلت من قبلها ※ تقدمتها ※ امم ※

ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها ﴿لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك﴾ لتقرأ عليهم
الكتاب الذي اوحينا اليك ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة
الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل
نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴿قل هو ربي﴾
اي الرحمن خالقي ومتولي امري ﴿لا اله الا هو﴾ لا مستحق للعبادة سواه ﴿عليه توكلت﴾
في نصرتي عليكم ﴿واليه متاب﴾ مرجعي ومرجعكم ﴿ولو ان قرآنا سيرت به الجبال﴾
شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم
اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها ﴿او قطعت به الارض﴾ تصدعت
من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿او كلم به الموتى﴾ فتقرأه
او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير
والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب
وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل
الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقي ﴿بل لله الامر جميعا﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما
تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله ﴿افلم ييأس الذين آمنوا﴾
عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لقوله
على ما رواه ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرأوا افلم يتبين
وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤوس عنه
لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ﴿ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾
فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول
متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾
من الكفر وسوء الاعمال ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم وتقلعهم ﴿او تحل قريبا من دارهم﴾

فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين
بما صنعوا برسول الله عليه السلام فانه كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف
مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه السلام فانه حل بجيشه
قريبا من دارهم عام الحديبية ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ اي الموت او القيامة او فتح
مكة ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ لامتناع الكذب في كلامه ﴿ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا﴾ تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للمستهزئين
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ﴿ثم اخذتهم فكيف
كان عقاب﴾ اي عقابي اياهم ﴿افمن هو قائم على كل نفس﴾ رقيب عليها ﴿بما كسبت﴾
من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ استئناف او عطف على الخبر المقدر
للمبتدأ اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه
موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على ان هؤلاء
الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون
الشركة ﴿ام تنبئونه﴾ بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم في الارض﴾
بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل
شيء ﴿ام بظاهر من القول﴾ ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز
﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام
بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين
﴿ومن يضلل الله﴾ يخذله ﴿فما له من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة اشق﴾ لشدته
ودوامه ﴿وما لهم من الله﴾ من عذابه او من رحمته ﴿من واق﴾ من حافظ ﴿مثل الجنة
التي وعد المتقون﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿تجري من تحتها الانهار﴾ على طريقة
قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة

اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك
اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن
من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله عليه السلام بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما
انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما
تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على
الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم
بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي
بآية يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت
الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت
ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت
الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب

اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وإما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه
وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء
في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا
اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره
يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين
حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام
تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين
كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من
الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ
وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي
الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على الاول من مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على القراءة الثانية
ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة
الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم

سورة ابرهيم مكية [illegible] احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال

الى النور: الى الهدى :: باذن ربهم :: بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله :: الى صراط العزيز الحميد :: بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن سال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله :: الله الذي له ما في السموات وما في الارض :: على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق :: وويل للكافرين من عذاب شديد :: وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات :: الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة :: يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره :: ويصدون عن سبيل الله :: بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية :: ويبغونها عوجا :: ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره :: اولئك في ضلال بعيد :: اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته :: وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه :: الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم :: ليبين لهم :: ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عليه السلام بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه الصلوة والسلام وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبيين للعرب :: فيضل الله من يشاء :: فيخذله عن الايمان :: ويهدي من يشاء :: بالتوفيق له :: وهو العزيز :: فلا يغلب

على مشيئته :: الحكيم :: الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة :: ولقد ارسلنا موسى باياتنا :: يعني اليد والعصا وسائر معجزاته :: ان اخرج قومك من الظلمات الى النور :: بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة :: وذكرهم بايام الله :: بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه :: ان في ذلك لايات لكل صبار شكور :: يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن :: واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون :: اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان يكون منتصبا بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال :: يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم :: احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة :: وفي ذلكم :: من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه :: بلاء من ربكم عظيم :: ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة :: واذ تأذن ربكم :: ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة :: لئن شكرتم :: يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح :: لازيدنكم :: نعمة الى نعمة :: ولئن كفرتم ان عذابي لشديد :: فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه :: وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا :: من الثقلين :: فان الله لغني :: عن شكركم :: حميد :: مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد :: الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود :: من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله عز وجل :: والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله :: جملة وقعت اعتراضا او الا

من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا
الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون :: جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
ايديهم في افواههم :: فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا
تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا
يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي
مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها
فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه :: وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به :: على زعمكم
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه :: من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام :: مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء :: قالت
رسلهم افي الله شك :: ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك
لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها
عليه واشار الى ذلك بقوله :: فاطر السموات والارض :: وهو صفة او بدل وشك
مرتفع بالظرف :: يدعوكم :: الى الايمان ببعثه ايانا :: ليغفر لكم :: او يدعوكم الى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به :: من ذنوبكم :: بعض ذنوبكم
وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون
المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم :: ويؤخركم الى اجل مسمى :: الى وقت سماه
وجعله آخر اعماركم :: قالوا ان انتم الا بشر مثلنا :: لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة
دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل :: تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا :: بهذه الدعوة :: فاتونا بسلطان مبين :: يدل
على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا
من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا :: قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده :: سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح

الجائزات على بعض بمشيئة الله :: وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله :: اي
ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو
امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات :: وعلى الله فليتوكل المؤمنون ::
فلنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر اشعارا بما يوجب التوكل وقصدوا
انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله :: وما لنا الا نتوكل على الله :: اي اي عذر لنا في الا
نتوكل :: وقد هدانا سبلنا :: التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو
بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت :: ولنصبرن على ما آذيتمونا :: جواب قسم محذوف اكدوا
توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم :: وعلى الله فليتوكل المتوكلون :: فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم :: وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا :: حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم
للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز
ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد :: فاوحى اليهم
ربهم :: اي رسلهم :: لنهلكن الظالمين :: على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع
منه :: ولنسكننكم الارض من بعدهم :: اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن :: ذلك :: اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين :: لمن خاف مقامي :: موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة
يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم :: وخاف وعيد :: اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار :: واستفتحوا :: اي سألوا من الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم
سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن :: وخاب
كل جبار عنيد :: اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند
للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين كان اوقع ::
من ورائه جهنم :: اي بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها
في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك :: ويسقى من ماء :: عطف على
محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء :: صديد :: عطف بيان لماء

وهو ما يسيل من جلود أهل النار ❊ يتجرعه ❊ يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في
يسقى ❊ ولا يكاد يسيغه ❊ ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه
والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ❊ ويأتيه الموت من كل مكان ❊
أي أسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول
شعره وإبهام رجله ❊ وما هو بميت ❊ فيستريح ❊ ومن ورائه ❊ أي ومن بين يديه
عذاب غليظ ❊ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار
وقيل حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح
الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم و
وعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار ❊ مثل الذين كفروا بربهم ❊
مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة أو قوله ❊ أعمالهم كرماد ❊
وهي على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ❊
اشتدت به الريح ❊ حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح ❊ في يوم عاصف ❊
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم
في حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة الله والتوجه بها إليه أو أعمالهم للأصنام برماد
طيرته الريح العاصف ❊ لا يقدرون ❊ يوم القيامة ❊ مما كسبوا ❊ من أعمالهم ❊ على شيء ❊
لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ❊ ذلك ❊ إشارة إلى ضلالهم مع
حسبانهم أنهم محسنون ❊ هو الضلال البعيد ❊ فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق ❊ ألم تر ❊
خطاب للنبي عليه السلام والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ❊ أن الله
خلق السموات والأرض بالحق ❊ بالحكمة والوجه الذي يحق أن يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي
خالق السموات ❊ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ❊ يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم
رتب ذلك على كونه خالق السموات والأرض استدلالا به عليه فإن من خلق أصولهم و
ما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر
ولم يمتنع عليه ذلك كما قال ❊ وما ذلك على الله بعزيز ❊ بمتعذر أو متعسر فإنه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء
لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء ❊ وبرزوا لله جميعا ❊ أي يبرزون من قبورهم
يوم القيامة لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش

ويظنون أنها تخفى على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وإنما ذكر
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ❊ فقال الضعفاء ❊ الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي
وإنما كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ❊ للذين استكبروا ❊
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم ❊ إنا كنا لكم تبعا ❊ في تكذيب الرسل
والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة
أو على إضمار مضاف ❊ فهل أنتم مغنون عنا ❊ دافعون عنا ❊ من عذاب الله
من شيء ❊ من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع
المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض أي بعض شيء
هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل أن يكون الأولى مفعولا والثانية
مصدرا أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء ❊ قالوا ❊ أي الذين استكبروا
جوابا عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا بهم ❊ لو هدانا الله ❊ للإيمان و
وفقنا له ❊ لهديناكم ❊ ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا
أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن
سد دوننا طريق الخلاص ❊ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ❊ مستويان علينا الجزع
والصبر ❊ ما لنا من محيص ❊ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة
الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز أن يكون
قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء
علينا الآية ❊ وقال الشيطان لما قضي الأمر ❊ أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار خطيبا في الأشقياء من الثقلين ❊ إن الله وعدكم وعد
الحق ❊ وعدا من حقه أن ينجز أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ❊
ووعدتكم ❊ وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع
لكم ❊ فأخلفتكم ❊ جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه ❊ وما كان لي عليكم من سلطان ❊
تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي ❊ إلا أن دعوتكم ❊ إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز أن يكون
الاستثناء منقطعا ❊ فاستجبتم لي ❊ أسرعتم إجابتي ❊ فلا تلوموني ❊ بوسوستي
فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ❊ ولوموا أنفسكم ❊ حيث أطعتموني إذ

دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد
بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في
فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ❊ ما انا بمصرخكم ❊ بمغيثكم من العذاب ❊ وما انتم
بمصرخي ❊ بمغيثي ❊ وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل
في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم
تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة
اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربه واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ❊
اني كفرت بما اشركتموني من قبل ❊ ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت
اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله
ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا
ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم
اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم
واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ❊ ان الظالمين لهم عذاب
اليم ❊ من تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين
وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم ❊ وادخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ❊ باذن الله وامره
والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله ❊
تحيتهم فيها سلام ❊ اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم ❊ الم تر كيف ضرب الله مثلا
❊ كيف اعتمده ووضعه ❊ كلمة طيبة كشجرة طيبة ❊ اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو
تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ
محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت
بالرفع على الابتداء ❊ اصلها ثابت ❊ في الارض ضارب بعروقه فيها ❊ وفرعها ❊
واعلاها ❊ في السماء ❊ ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس
لاكتسابها الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ ❊ تؤتي اكلها ❊ تعطي ثمرها ❊ كل حين ❊ اقته الله لاثمارها
❊ باذن ربها ❊ بارادة خالقها وتكوينه ❊ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون ❊ لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من

الحس ❊ ومثل كلمة خبيثة ❊ كمثل شجرة ❊ خبيثة اجتثت ❊ استؤصلت واخذت
جثتها بالكلية ❊ من فوق الارض ❊ لان عروقها قريبة منه ❊ ما لها من قرار ❊ استقرار
واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل
المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة
ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة
في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك ❊ يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت ❊ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ❊ في الحيوة
الدنيا ❊ فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين
فتنهم اصحاب الاخدود ❊ وفي الآخرة ❊ فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في
الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك
ومن نبيك وما دينك فيقول ربي الله ونبيي محمد عليه الصلوة والسلام وديني الاسلام
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت ❊ ويضل الله الظالمين ❊ الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد
فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ❊ ويفعل الله ما يشاء ❊ من
تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ❊ الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا ❊ اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا بانهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم
حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عليه الصلوة والسلام
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين ❊
واحلوا قومهم ❊ الذين شايعوهم في الكفر ❊ دار البوار ❊ دار الهلاك بحملهم على الكفر
❊ جهنم ❊ عطف بيان ❊ يصلونها ❊ حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم ❊ وبئس القرار ❊ وبئس المقر جهنم ❊ وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله ❊ الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس

يعقوب بفتح الياء، وليس الضلال والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان
نتيجته جعل كالغرض ﴿قل تمتعوا﴾ بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل
الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
﴿فان مصيركم الى النار﴾ وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع
﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا
اقيموا الصلوة وانفقوا ﴿يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم﴾ فيكون ايذانا
بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له
ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في
قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل
هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط
وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ﴿سرا
وعلانية﴾ منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي
سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به ﴿من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك
تقصيره او يفدي به نفسه ﴿ولا خلال﴾ ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل
ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام ﴿الله الذي خلق السموات
والارض﴾ مبتدأ وخبر ﴿وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾
تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس وهو مفعول لاخرج ومن الثمرات
بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره﴾ بمشيئته الى حيث
توجهتم ﴿وسخر لكم الانهار﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء
تعليم كيفية اتخاذها ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحان من المكونات ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه

شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان
حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة
او موصوفة او مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي
وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع
الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه ﴿وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾ لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد
يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ان الانسان لظلوم﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها
او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿كفار﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد﴾
بلدة مكة ﴿آمنا﴾ ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان
المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة
﴿واجنبني وبني﴾ بعدني واياهم ﴿ان نعبد الاصنام﴾ واجعلنا منها في جانب
وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان
عصمة الانبياء بتوفيق الله اياهم وحفظه لهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع
ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة
يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته
﴿رب انهن اضللن كثيرا من الناس﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا
﴿فمن تبعني﴾ على ديني ﴿فانه مني﴾ اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ﴿ومن عصاني
فانك غفور رحيم﴾ تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه
دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين
غيره ﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي﴾ بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿بواد غير ذي زرع﴾
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت ﴿عند بيتك المحرم﴾ الذي حرم التعرض له و
التهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول
عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك
باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها لابرهيم

وورث اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوها
وعندها عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا
ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي
البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء
وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة
وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة
الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس
وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل
من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم
شوقا ووِدادا وقرئ تُهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى
يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا
لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ
الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي
يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا
لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك
كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او الى فاعله

على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه
ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب
اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في
اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته
كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي
وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون خطاب لرسول الله عليه السلام والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على
احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل
من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء
مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف
ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن
الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه
ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق
وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت
فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك
والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك
ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب الامر ونظيره لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون
الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا

ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى الحالة الاخرى
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام و
قد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم
بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم
الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه
او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة
لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله
وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي عليه السلام ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة
والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا من آيات الله وشرائعه وقرأ
الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم
وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله
مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف
الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر
قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب
بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره و
السموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله
بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت
شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا
من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى
ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي
لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على هذا الوجه ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا

وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به
قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من
اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة
على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر
اذا كان لواحد غلاب لا يغلب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين
يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله
واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة
والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون
تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال
من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل: وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران
وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى
يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع
النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها
انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب
والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار
وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي
خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره
قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين
يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب
لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة
والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام

متعلقة بالبلاغ ويجوز أن يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به أنزل أو تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به إذا علم به واستعد له ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ بالنظر والتأمل
فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾
فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث
فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي
منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا
الله من الفائزين بهما وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ الإشارة إلى آيات
السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً
وقرآناً يبين الرشد من الغي بياناً غريباً ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ حين
عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم
ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالتاء والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد و
التخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه
أن يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في إخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الإيذان
بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه كل
ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيمة فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ﴿ذرهم﴾ دعهم ﴿يأكلوا
ويتمتعوا﴾ بدنياهم ﴿ويلههم الأمل﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال
عن الاستعداد للمعاد ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه والغرض إقناط
الرسول من ارعوائهم وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان وأن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته
وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ﴿وما أهلكنا من قرية
إلا ولها كتاب معلوم﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والأصل أن لا تدخلها الواو كقوله إلا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها
صورة الحال أدخلت عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون﴾ وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة للحمل على المعنى ﴿وقالوا يا أيها الذي

نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبي عليه السلام على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم
﴿إنك لمجنون﴾ ونظيره ذلك قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى
إنك لتقول قول المجانين حتى تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن ﴿لو ما
تأتينا﴾ ركب لو مع ما كما ركب لو مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض
﴿بالملائكة﴾ ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه
نذيراً أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل ﴿إن كنت من الصادقين﴾
في دعواك ﴿ما ننزل الملائكة﴾ بالياء مسنداً إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
﴿إلا بالحق﴾ إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في
أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبساً ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم
ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب ﴿وما كانوا إذاً
منظرين﴾ إذاً جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله
﴿وإنا له لحافظون﴾ من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزاً مبايناً لكلام
البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان
الحفظ كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي ﴿ولقد أرسلنا من
قبلك في شيع الأولين﴾ في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا
رجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيما بينهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام وما للحال لا يدخل إلا مضارعاً بمعنى الحال أو
ماضياً قريباً منه وهذا على حكاية الحال الماضية ﴿كذلك نسلكه﴾ ندخله ﴿في قلوب المجرمين﴾
والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله
﴿لا يؤمنون به﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك
الذكر في قلوب المجرمين مكذباً غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج
ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون
الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكون حالاً من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى

الاول بل نجوه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك
الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو
فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون
اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم
يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا
سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد
كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان
ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها
على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان
يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق
السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة
من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب
وحركاتها وعن ابن عباس رضي انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث السموات فلما ولد محمد عليه الصلوة والسلام منعوا من كلها بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع
اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق
والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا
فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين
تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة

بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته
والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره
او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد
وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات
لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر
او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا
الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين
في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء
في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض
الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة
وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام
والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه
بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول
الله عليه السلام في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء
كانت تصلي خلف رسول الله عليه السلام فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر
بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء

يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ❊ إنه حكيم ❊ باهر الحكمة متقن في افعاله ❊ عليم ❊ وسع
علمه كل شيء ❊ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال ❊ من طين يابس يصلصل اي يصوت
اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل ❊ من حمإ ❊ طين تغير واسود
من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ ❊ مسنون ❊ مصور من سنة
الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن
وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر
صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت
الحجر على الحجر اذا حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا ❊ والجان ❊
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس
لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه
بفعل يفسره ❊ خلقناه من قبل ❊ من قبل خلق الانسان ❊ من نار السموم ❊ من نار
الحر الشديد النافذة في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها
اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم
من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو
للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
❊ واذ قال ربك ❊ واذكر وقت قوله ❊ للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من
حمإ مسنون فاذا سويته ❊ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ❊ ونفخت فيه من روحي
❊ حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر
ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة
الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن
نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء ❊ فقعوا له ❊ فاسقطوا له ❊ ساجدين ❊
امر من وقع يقع ❊ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ❊ اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا ❊ الا ابليس ❊ ان جعل منقطعا
اتصل به قوله ❊ ابى ان يكون مع الساجدين ❊ اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا
كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد ❊ قال يا ابليس ما لك الا تكون ❊ اي

اي غرض لك في ان لا تكون ❊ مع الساجدين ❊ لآدم ❊ قال لم اكن لاسجد ❊ واللام
لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد وانا ملك روحاني لطيف ❊ لبشر
❊ جسماني كثيف ❊ خلقته من صلصال من حمإ مسنون ❊ وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه
في سورة الاعراف ❊ قال فاخرج منها ❊ من السماء او الجنة او من زمر الملائكة ❊ فانك
رجيم ❊ مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ❊ وان عليك اللعنة ❊ هذا الطرد والابعاد
❊ الى يوم الدين ❊ فانه منتهى امد اللعن لانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر تنسى
منه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه
بما ينسى اللعنة معه فيصير كالزائل ❊ قال رب فانظرني ❊ فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ❊ الى يوم يبعثون ❊ اراد ان
يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى
الاول دون الثاني ❊ قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ❊
المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل
العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين
ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في
تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان
خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال ❊ قال رب بما اغويتني ❊ الباء للقسم
وما مصدرية وجوابه ❊ لازينن لهم في الارض ❊ والمعنى اقسم باغوائك اياي لا
زينن لهم في الارض المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى
الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا
عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى
علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في

الجبار لم ينعيا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وتضعيف ذلك لا يخفى على ذوي
الالباب ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ ولأحملنهم أجمعين على الغواية ﴿إلا عبادك
منهم المخلصين﴾ أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ
ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن أي الذين أخلصوا أنفسهم لله
﴿قال هذا صراط علي﴾ حق علي أن أراعيه ﴿مستقيم﴾ لا انحراف عنه والاشارة
إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق علي
يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ﴿إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ تصديق لإبليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فإن منتهى تزيينه
التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل
من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثنائين ﴿وإن جهنم لموعدهم﴾ لموعد الغاوين أو
المتبعين ﴿أجمعين﴾ تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدرا على
تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل ﴿لها سبعة أبواب﴾
يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق
﴿لكل باب منهم﴾ من الأتباع ﴿جزء مقسوم﴾ أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة
وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم
حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم على موصوفها
﴿إن المتقين﴾ من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة ﴿في جنات و
عيون﴾ لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منها كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء
غير آسن الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث

وقع والباقون بكسرها ﴿ادخلوها﴾ على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة
وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين ﴿بسلام﴾ سالمين أو مسلما عليكم
﴿آمنين﴾ من الآفة والزوال ﴿ونزعنا﴾ في الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة
بتطييب نفوسهم ﴿ما في صدورهم من غل﴾ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو أن
أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
﴿إخوانا﴾ حال من ضمير جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف
إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ويجوز أن يكونا
صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين
حالا من المستقر في على سرر ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ استئناف أو حال بعد حال
أو حال من الضمير في متقابلين ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ فإن تمام النعمة بالخلود
﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين
من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة
دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي نسلم
عليك سلاما أو سلمنا سلاما ﴿قال إنا منكم وجلون﴾ خائفون وذلك لأنهم دخلوا
بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع
ما تكره ﴿قالوا لا توجل﴾ وقرئ لا تاجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله
﴿إنا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه
وقرأ حمزة نبشرك من البشر ﴿بغلام﴾ هو إسحاق لقوله وبشرناه بإسحاق
﴿عليم﴾ إذا بلغ ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ تعجب من أن يولد له مع مس
الكبر إياه أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿فبم تبشرون﴾
أي فبأي أعجوبة تبشروني أو فبأي شيء تبشروني فإن البشارة بما لا
يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل
القرآن على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية على الياء
﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي

حتى وهي قول الله تعالى وأمره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فإن
الله تعالى قادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان
استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن
يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله
وكمال قدرته وعلمه كما قال الله تعالى لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما
خطبكم أيها المرسلون فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله علم أن
كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عدداً والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل
ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم
لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعاً إذ القوم مقيد بالإجرام
وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلاً والقوم والإرسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم
لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله إنا لمنجوهم أجمعين أي مما نعذب
القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن إذا انقطع
وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى
الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضاً وقرأ
حمزة والكسائي لمنجوهم مخففاً قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرأ أبو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق من خواص أفعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجري مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى القضاء قول
وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم إياه إلى أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب
الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون
فيما أخبرناك به فأسر بأهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة

من الليل وقيل في آخره قال: افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم
ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما
أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن
الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث
أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا إلى حيث وتؤمرون
إلى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا وأوحينا إليه مقضياً ولذلك
عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه وفي ذلك تفخيم الأمر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى
أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح
وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في
معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم يستبشرون بأضياف
لوط طمعاً فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى
ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون
ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء
قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم أحداً أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم
كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس
وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه
ذكرت في هود إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة
المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي
وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم
لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين
خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون
نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني صيحة
هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة
بهم وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل

وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ﴿إن في ذلك لآيات
للمتوسمين﴾ للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته ﴿وإنها﴾ وإن المدينة أو القرى ﴿لبسبيل مقيم﴾ ثابت
يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ بالله ورسله
﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة
فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة
﴿فانتقمنا منهم﴾ بالإهلاك ﴿وإنهما﴾ يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين
فإنه كان مبعوثاً إليهما وكان ذكر أحدهما منبهاً على الآخر ﴿لبإمام مبين﴾ لبطريق
واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنها مما يؤتم
﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني ثمود كذبوا صالحاً ومن كذب واحداً من
الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يراد بالمرسلين صالحاً ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾
من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط
غفلتهم وحسبانهم أن الجبال تحميهم منه ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما
كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد
﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق لا يلائم
استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء
وإزاحة فسادهم من الأرض ﴿وإن الساعة لآتية﴾ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم
وبيده أمرك وأمرهم ﴿العليم﴾ بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم بينكم
أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبي هو
الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ولقد آتيناك سبعاً﴾
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة
فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الأسباع ﴿من المثاني﴾ بيان للسبع
والمثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه
ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته
العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن كله أو كتب الله كلها فتكون
من للتبعيض ﴿والقرآن العظيم﴾ إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف
الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين
على الآخر ﴿لا تمدن عينيك﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب طامع ﴿إلى ما متعنا به
أزواجاً منهم﴾ أصنافاً من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال
مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات وفي حديث أبي بكر من أوتي القرآن
فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً روي
أنه عليه السلام وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع
البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال
لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من
هذه القوافل السبع ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أنهم لم يؤمنوا وقيل أنهم المتمتعون به
﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل إني أنا النذير
المبين﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا
﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذي أنزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير
أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم
لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا
أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً وقيل هو صفة مصدر محذوف دل عليه ولقد
آتيناك فإنه بمعنى أنزلنا إليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث
قالوا عناداً بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه
إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا
ببعض على أن القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله عليه السلام
وقوله لا تمدن إلخ اعتراضاً ممداً له ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أجزاء جمع عضة
وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته إذا بهته
وفي الحديث لعن رسول الله عليه السلام العاضهة والمستعضهة وقيل أسحاراً وعن

فرقة العضة السحر واقاح جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة
للمقتسمين او مبتدا خبره ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون﴾ من
التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما
تؤمر به من الشرائع ﴿واعرض عن المشركين﴾ فلا تلتفت الى ما يقولون ﴿انا
كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله امرت
ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة
فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا
فمات والى اسود وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى عيني اسود بن المطلب فعمي ﴿الذين يجعلون مع الله
الها اخر فسوف يعلمون﴾ عاقبة امرهم في الدارين ﴿ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك ﴿فسبح
بحمد ربك﴾ فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك
او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق ﴿وكن من الساجدين﴾ من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ﴿واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين﴾ اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما
دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين به عليه السلام

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وعشرون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اتى امر الله فلا تستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ما اوعدهم
الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون
ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود
بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم

ولا خلاص لكم عنه ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ تبرأ وجل عن ان يكون له
شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه
والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم
لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزل
فلا تستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحي او القرآن فانه يحيي القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى ان الطريق
الذي به علم الرسول عليه السلام بالحق توعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿من امره﴾ بامره او من اجله
﴿على من يشاء من عباده﴾ ان يتخذه رسولا ﴿ان انذروا﴾ بان انذروا اي
من انذرت بكذا اذا اعلمته ﴿انه لا اله الا انا فاتقون﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع
الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول
الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية
والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات
التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم
وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿تعالى عما يشركون﴾ منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه
اليها او مما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿خلق الانسان
من نطفة﴾ جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿فاذا هو خصيم﴾
منطيق مناظر مجادل ﴿مبين﴾ للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي
رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم رميم وقال اترى الله يحيي
هذا بعد ما قد رم فنزلت ﴿والانعام﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره
﴿خلقها لكم﴾ او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له
﴿فيها دفء﴾ ما يدفأ به فيقي البرد ﴿ومنافع﴾ نسلها ودرها وظهورها وانما عبر

عنها بالمنافع ليتناول عوضها :: ومنها تأكلون :: اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم
والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد
المعتمد عليه في المعاش واما الاكل في سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه
ولكم فيها جمال :: زينة :: حين تريحون :: حين تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي
وحين تسرحون :: تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين
ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل
ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان
تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه :: وتحمل اثقالكم ::
احمالكم :: الى بلد لم تكونوا بالغيه :: اي ان لم تكن الانعام فضلا من ان تحملوها على ظهوركم
اليه :: الا بشق الانفس :: الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل
المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب
نصف قوته بالتعب :: ان ربكم لرؤف رحيم :: حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم :: والخيل والبغال والحمير :: عطف على الانعام :: لتركبوها وزينة
:: اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم
لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل
على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر
الاهلية حرمت عام خيبر :: ويخلق ما لا تعلمون :: لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها
غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له
من الخلايق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر
:: وعلى الله قصد السبيل :: بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل
وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل
قصد وقاصد اي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك ولا يميل عنه و
المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال :: ومنها جائر :: مائل عن
القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة

او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ
ومنكم جائر اي عن القصد :: ولو شاء لهديكم اجمعين :: اي ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء :: هو الذي انزل من السماء
:: من السحاب او جانب السماء :: ماء لكم منه شراب :: ما تشربونه ولكم صلة
انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه
ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض
:: ومنه شجر :: ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض
شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر :: فيه تسيمون ::
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات :: ينبت لكم به الزرع :: وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات :: وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض
كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا
هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها
:: ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون :: على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان
الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها وينشق اعلاها ويخرج منه
ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد
المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا
بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك
:: وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم :: بان هيأها لمنافعكم ::
مسخرات بامره :: حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان
سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر ميمي بمعنى التسخير جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات
على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا

إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعاً من الدلالة
الظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات
۞ وما ذرأ لكم في الأرض ۞ عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان
ونبات ۞ مختلفاً ألوانه ۞ أصنافه فإنها تتخالف باللون غالباً ۞ إن في ذلك
لآية لقوم يذكرون ۞ أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع
صانع حكيم ۞ وهو الذي سخر البحر ۞ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص ۞ لتأكلوا منه لحماً طرياً ۞ هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه
أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذباً طرياً
في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على أن من حلف لا يأكل لحماً حنث بأكل السمك
وأجيب عنه بأن مبنى الأيمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله
سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه ۞ وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها ۞ كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم و
لأنهن يتزين بها لأجلهم ۞ وترى الفلك ۞ السفن ۞ مواخر فيه ۞ جواري فيه
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ۞ ولتبتغوا من
فضله ۞ من سعة رزقه بركوبها للتجارة ۞ ولعلكم تشكرون ۞ أي تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث إنه
جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش ۞ وألقى في الأرض رواسي ۞ جبالاً
رواسي ۞ أن تميد بكم ۞ كراهة أن تميد بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن
يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة
كالأفلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله
الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال
۞ وأنهاراً ۞ وجعل فيها أنهاراً لأن ألقى فيه معناه ۞ وسبلاً لعلكم تهتدون ۞
لمقاصدكم أو لمعرفة الله ۞ وعلامات ۞ ومعالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل
وريح ونحو ذلك ۞ وبالنجم هم يهتدون ۞ بالليل في البوادي والبحار والمراد بالنجم
الجنس ويدل عليه أنه قرئ بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين

بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم وإخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام
الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم ۞ أفمن يخلق كمن لا يخلق ۞ إنكار بعد إقامة الدلائل
المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساويه
ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما وكان حق الكلام
أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيهاً بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلباً فيه أولو العلم منهم
أو الأصنام وأجروها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم
أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي
العلم فكيف بما لا علم عنده ۞ أفلا تذكرون ۞ فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل
للعقل الذي يحضر عنده بأدنى تذكر والتفات ۞ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ۞
لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام
الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيهاً على أن وراء ما عدد نعماً لا تنحصر وأن حق
عبادته غير مقدور ۞ إن الله لغفور ۞ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها
رحيم ۞ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ۞ والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون ۞ من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم ۞
والذين يدعون من دون الله ۞ أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ
أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء ۞ لا يخلقون شيئاً ۞ لما نفى المشاركة
بين من يخلق ومن لا يخلق بيّن أنهم لا يخلقون شيئاً لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك
بأن أثبت لهم صفات تنافي الإلهية فقال ۞ وهم يخلقون ۞ لأنها ذوات ممكنة
مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود ۞ أموات ۞
هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً ۞ غير أحياء ۞ بالذات ليتناول
كل معبود والإله ينبغي أن يكون حياً بالذات لا يعتريه الممات ۞ وما يشعرون أيان
يبعثون ۞ ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على
عبادتهم والإله ينبغي أن يكون عالماً بالغيوب مقدراً للثواب والعقاب وفيه تنبيه
على أن البعث من توابع التكليف ۞ إلهكم إله واحد ۞ تكرير للمدعى بعد إقامة الحجة
۞ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۞ بيان لما اقتضى

اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون
طالبا للدلايل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون على العكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي
النظر والاستدلال والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين ❁ لا جرم ❁ حقا
❁ ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ❁ فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه
مصدر او فعل ❁ انه لا يحب المستكبرين ❁ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع
رسوله ❁ واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم ❁ القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم
او المسلمون ❁ قالوا اساطير الاولين ❁ اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير
لا تحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون ❁ ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ❁
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
في الضلال ❁ ومن اوزار الذين يضلونهم ❁ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو
حصة التسبب ❁ بغير علم ❁ حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
❁ الا ساء ما يزرون ❁ بئس شيئا يزرونه فعلهم ❁ قد مكر الذين من قبلهم ❁ اي
سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله ❁ فاتى الله بنيانهم من القواعد ❁ فاتاها امره
من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت ❁ فخر عليهم السقف من فوقهم ❁ وصار سبب
هلاكهم ❁ واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ❁ لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على
سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف
ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ❁ ثم يوم القيمة
يخزيهم ❁ يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
❁ ويقول اين شركاي ❁ اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة
في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير الهمزة والباقون بالهمزة ❁
الذين كنتم تشاقون فيهم ❁ تعادون المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون
بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله ❁ قال الذين اوتوا العلم ❁
اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم

او الملائكة ❁ ان الخزي اليوم والسوء ❁ الذلة والعذاب ❁ على الكافرين ❁
وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه
❁ الذين تتوفاهم الملائكة ❁ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع
الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ❁ ظالمي انفسهم ❁ بان عرضوها للعذاب المخلد ❁ فالقوا
السلم ❁ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ❁ ما كنا نعمل من سوء ❁ قائلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول
الدال على الاستسلام ❁ بلى ❁ اي فتجيبهم الملائكة بلى ❁ ان الله عليم بما كنتم تعملون ❁
فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح
حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن
في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد هو الله او اولوا العلم ❁
فادخلوا ابواب جهنم ❁ كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها
❁ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ❁ جهنم ❁ وقيل للذين اتقوا ❁ يعني المؤمنين
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ❁ اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب
واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب
كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ❁ للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة ❁ مكافاة في الدنيا ❁ ولدار الآخرة خير ❁ اي ولثوابهم في الآخرة خير
منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا
وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ❁ ولنعم دار المتقين ❁ دار الآخرة فحذفت
لتقدم ذكرها وقوله ❁ جنات عدن يدخلونها ❁ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح ❁ تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن ❁ من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة ❁ كذلك
يجزي الله المتقين ❁ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ❁ الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين ❁ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي
انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه
نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ❁ يقولون سلام عليكم ❁ لا يحيقكم بعد مكروه
❁ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ❁ حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل

هذا الفوق وحالة الحشر لان الامر بالدخول ح * هل ينظرون * ما ينتظر الكفار
المار ذكرهم * الا ان تأتيهم الملائكة * لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء
* او يأتي امر ربك * القيامة او العذاب المستأصل * كذلك * مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب * فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم * وما ظلمهم
الله * بتدميرهم * ولكن كانوا انفسهم يظلمون * بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه
* فاصابهم سيئات ما عملوا * اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او
تسمية الجزاء باسمها * وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * واحاط بهم جزاؤه و
الحيق لا يستعمل الا في الشر * وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء * انما قالوا ذلك استهزاء او
منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح
ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله
صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده
تنبيه على الجواب عن الشبهتين * كذلك فعل الذين من قبلهم * فاشركوا بالله و
حرموا حله وردوا رسله * فهل على الرسل الا البلاغ المبين * الا الابلاغ الموضح
للحق وانه لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء
وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة
الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله
كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله *
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * يأمر بعبادة
الله واجتناب الطاغوت * فمنهم من هدى الله * وفقهم للايمان بارشادهم *
ومنهم من حقت عليه الضلالة * اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث
انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى * فسيروا في الارض * يا معشر
قريش * فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص * يا محمد * على هداهم فان الله لا يهدي من يضل * من يريد ضلاله
وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول
وهو ابلغ * وما لهم من ناصرين * من ينصرهم بدفع العذاب عنهم * واقسموا بالله

جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت * عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم
كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ورد
الله عليهم ابلغ رد فقال * بلى * يبعثهم الله * وعدا * مصدر مؤكد لنفسه وهو
ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله * عليه * انجازه لامتناع الخلف في وعده او
البعث مقتضى حكمته * حقا * صفة اخرى للوعد * ولكن اكثر الناس لا يعلمون *
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور
نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال * ليبين لهم *
اي يبعثهم ليبين لهم بعثه * الذي يختلفون فيه * وهو الحق * وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين * فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال * انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون *
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له
على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء
بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا
وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر * والذين هاجروا في الله من بعد ما
ظلموا * هم رسول الله عليه السلام واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله عليه السلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله في الله اي في حق الله ولوجهه * لنبوئنهم في الدنيا حسنة *
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة * ولاجر الآخرة اكبر * مما تعجل لهم
في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك
الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل *
لو كانوا يعلمون * الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم *
الذين صبروا * على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح * وعلى ربهم يتوكلون * منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله *
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم * رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون

رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا
يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم
فيه :: فاسألوا اهل الذكر :: اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم :: ان كنتم
لا تعلمون :: وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وقوله
جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى
الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لم يعلم :: بالبينات والزبر
:: اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا
ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا
اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام :: وانزلنا اليك الذكر
:: اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه :: لتبين للناس ما نزل اليهم ::
في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم
من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل :: ولعلهم يتفكرون
:: وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق :: افأمن الذين مكروا السيئات :: اي
المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله ﷺ
وراموا صد اصحابه عن الايمان :: ان يخسف الله بهم الارض :: كما خسف بقارون ::
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون :: بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط :: او
يأخذهم في تقلبهم :: اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم :: فما هم بمعجزين او يأخذهم
على تخوف :: على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او
على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي
ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير
يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم :: فان ربكم لرؤف رحيم :: حيث لا يعاجلكم بالعقوبة :: اولم يروا الى ما خلق الله

من شيء :: استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها
ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها :: يتفيؤ ظلاله ::
اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء
وابو عمرو تتفيؤا بالتاء :: عن اليمين والشمائل :: عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد
منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ
والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله :: سجدا لله وهم داخرون :: وهما حالان
من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت
النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او
واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي
صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او
لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي
المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض
وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض :: ولله يسجد ما في
السموات وما في الارض :: اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله :: من دابة ::
بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء :: والملائكة ::
عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات
وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في
السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا
للعقلاء :: وهم لا يستكبرون :: عن عبادته :: يخافون ربهم من فوقهم :: يخافونه ان
يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر
عن عبادته :: ويفعلون ما يؤمرون :: من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة

يسلكون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ ذكر
العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله ﴿إنما هو إله واحد﴾ للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية ﴿فإياي فارهبون﴾
نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كأنه قال فانا ذلك
الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير ﴿وله ما في السموات والأرض﴾ خلقا وملكا
﴿وله الدين﴾ اي الطاعة ﴿واصبا﴾ لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء
اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿أفغير الله تتقون﴾
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ اي واي شيء
اتصل بكم من نعمة فمن الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها
منه ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع
الصوت في الدعاء والاستغاثة ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم
يشركون﴾ وهو كفار بكم ﴿ليكفروا﴾ لعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال فاذا فريق منهم وهم انتم و
ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴿بما
آتيناهم﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها
من الله ﴿فتمتعوا﴾ امر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
والفاء للجواب ﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾ اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان
العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
﴿نصيبا مما رزقناهم﴾ من الزروع والانعام ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾
من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ﴿ويجعلون لله البنات﴾
كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيه له من قولهم و
تعجب منه ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء

والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف
﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ اخبر بولادتها ﴿ظل وجهه﴾ صار او دام
النهار كله ﴿مسودا﴾ من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن
الاغتمام والتشوير ﴿وهو كظيم﴾ مملوء غيظا من المرأة ﴿يتوارى من القوم﴾
يستخفي منهم ﴿من سوء ما بشر به﴾ من اجل سوء المبشر به عرفا ﴿أيمسكه﴾
محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه ﴿على هون﴾ ذل ﴿أم يدسه في التراب﴾
ام يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم ﴿للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء﴾ صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت و
استبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية املاق
﴿ولله المثل الأعلى﴾ وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ المتفرد بكمال القدرة
والحكمة ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ما ترك عليها﴾
على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها ﴿من دابة﴾
قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود ره كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم
او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ﴿ولكن
يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ سماه الله لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ بل هلكوا او عذبوا
ح لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين
حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في
الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾
مع ذلك وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ اي عند الله لقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة الالسنة
﴿لا جرم أن لهم النار﴾ رد لكلامهم واثبات لضده ﴿وأنهم مفرطون﴾
مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء

على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء و
مكسورا من التفريط في الطاعات ❊ تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم
الشيطان اعمالهم ❊ فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين ❊ فهو وليهم اليوم
❊ اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم اعمالهم او
يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي
زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم فهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ❊ ولهم عذاب اليم ❊ في القيمة ❊ وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم ❊ للناس ❊ الذي اختلفوا فيه ❊ من التوحيد والقدر واحوال المعاد
واحكام الافعال ❊ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ❊ معطوفان على محل لتبين فانهما
فعلا المنزل بخلاف التبيين ❊ والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها
❊ انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ❊ ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ❊ سماع
تدبر وانصاف ❊ وان لكم في الانعام لعبرة ❊ دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم ❊ نسقيكم
مما في بطونه ❊ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هاهنا للفظ وانثه
في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن
لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر
وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين ❊ من بين فرث ودم لبنا ❊
فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء
المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد
ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان
في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع
الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان
الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع

الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى
الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية
لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة ❊ خالصا ❊ صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ❊ سائغا للشاربين ❊ سهل
المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ❊ ومن ثمرات النخيل والاعناب
❊ متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله ❊
تتخذون منه سكرا ❊ استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا
او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات
بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ❊ ورزقا حسنا ❊ كالتمر والزبيب والدبس والخل
والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل
ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ❊ ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
❊ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات ❊ واوحى ربك الى النحل ❊ الهمها وقذف
في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ❊ ان اتخذي ❊ بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر ❊ من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون ❊ ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش
من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء
الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات
وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن
عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ❊ ثم كلي من كل الثمرات ❊ من كل ثمرة تشتهيها مرها
وحلوها ❊ فاسلكي ❊ ما اكلت ❊ سبل ربك ❊ في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك

سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل
اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما
امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس
لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل
لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل
في باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة
صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها
شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر
واسود واحمر بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل
جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا
جاء الى رسول الله عليه السلام فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال عليه السلام اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل
الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم
قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال
مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه
الطفولية في نقصان القوة والعقل قيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم
ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم
الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا
المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنهم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي
رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي
جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم

لانه يجلي المعنى او مقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما
الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار
على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له
شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحد انه من عند الله
او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود
معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق
حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او اولاد اولاد
فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم
الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف
لتغاير الوصف ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم
يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل لهم وتقديم الصلة على الفعل
اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من
دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات و
رزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه
او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى
الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا
من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او
تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون
عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما
تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه
يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله
الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا

لنفسه ولمن عبد دونه تعالى ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن
رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون﴾ مثّل ما يشرك به
بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثّل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما
مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات
وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق
وتقييد العبد بالمملوك للتمييز عن الحر فإنه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن
المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك
والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنس فإن المعنى
هل يستوي الأحرار والعبيد ﴿الحمد لله﴾ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لأنه مولى النعم كلها ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها
﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾ ولد أخرس لا يفهم ولا يُفهم ﴿لا يقدر
على شيء﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿وهو كلّ على مولاه﴾ عيال وثقل على
من يلي أمره ﴿أينما يوجهه﴾ حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجَّه على البناء للمفعول ويوجِّهُ
بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجَّهْ بلفظ الأمر ﴿لا يأت بخير﴾ بنجح وكفاية
مهم ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾ ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع
الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ وهو في نفسه على طريق
مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لأنهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه
وبينها أو للمؤمن والكافر ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ يختص به علمه لا يعلمه غيره
وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة
فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض ﴿وما أمر الساعة﴾ وما أمر قيام القيامة
في سرعته وسهولته ﴿إلا كلمح البصر﴾ إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها
﴿أو هو أقرب﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي
تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى
بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر
أو هو أقرب مبالغة في استقرابه ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر أن يحيي الخلائق

دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾
وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو إتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم
والهاء مزيد مثلها في إهراق ﴿لا تعلمون شيئا﴾ جاهلين مستصحبين جهل الجمادية
﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات
الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى
يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ﴿لعلكم تشكرون﴾
كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ﴿ألم يروا إلى الطير﴾ وقرأ ابن عامر
وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب العامة ﴿مسخرات﴾ مذللات للطيران بما خلق
لها من الأجنحة والأسباب المواتية له ﴿في جو السماء﴾ في الهواء المتباعد من الأرض
﴿ما يمسكهن﴾ فيه ﴿إلا الله﴾ فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة
تحتها تمسكها ﴿إن في ذلك لآيات﴾ تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها
الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طبعها
﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم هم المنتفعون ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ موضعا تسكنون
فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول ﴿وجعل لكم من جلود
الأنعام بيوتا﴾ هي القباب المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها ﴿تستخفونها﴾
تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ وقت ترحالكم ﴿ويوم
إقامتكم﴾ ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصري يوم
ظعَنكم بالفتح وهو لغة ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ الصوف للضائنة
والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها ﴿أثاثا﴾ ما يلبس
ويفرش ﴿ومتاعا﴾ ما يتجر به ﴿إلى حين﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى
مدة أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾
من الشجر والجبل والأبنية وغيرها ﴿ظلالا﴾ تتقون بها حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿وجعل لكم سرابيل﴾
ثيابا من الصوف والقطن والكتان وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ خصه بالذكر اكتفاء بأحد
الضدين أو لأن وقايته هي كانت أهم عندهم ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس ﴿كذلك﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت

ويتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون :: أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ
تسلمون من السلامة أي تشكرون وتسلمون أي من العذاب أو تنظرون فيها فتسلموا
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع :: فإن تولوا :: فإن أعرضوا
ولم يقبلوا منكم :: فإنما عليك البلاغ المبين :: فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد
بلغت وهذا من إقامة السبب مقام المسبب :: يعرفون نعمة الله :: أي يعرف
المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبأنها من الله
ثم ينكرونها :: بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو بإعراضهم
عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد المعرفة :: وأكثرهم الكافرون :: الجاحدون عنادا و
ذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم
عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل كقوله تعالى بل أكثرهم
لا يعلمون :: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا :: وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان
والكفر :: ثم لا يؤذن للذين كفروا :: في الاعتذار إذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع إلى
الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الإقناط الكلي على
ما يمنون به من شهادة الأنبياء عليهم :: ولا هم يستعتبون :: ولا هم يسترضون من
العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم أو يحيق بهم ما
يحيق وكذا قوله :: وإذا رأى الذين ظلموا العذاب :: عذاب جهنم :: فلا يخفف
عنهم :: أي العذاب :: ولا هم ينظرون :: يمهلون :: وإذا رأى الذين أشركوا
شركاءهم :: أوثانهم التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في
الكفر بالحمل عليه :: قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ::
نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس أن يشطر
عذابهم :: فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون :: أي أجابوهم بالتكذيب في أنهم
شركاء الله أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وإنما عبدوا أهواءهم لقوله كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع إنطاق الله الأصنام به حينئذ أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم
إياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي :: وألقوا ::
وألقى الذين ظلموا :: إلى الله يومئذ السلم :: الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في
الدنيا :: وضل عنهم :: وضاع عنهم وبطل :: ما كانوا يفترون :: من أن آلهتهم ينصرونهم

ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم :: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
:: بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر :: زدناهم عذابا :: لصدهم :: فوق العذاب
المستحق بكفرهم :: بما كانوا يفسدون :: بكونهم مفسدين بصدهم :: ويوم نبعث
في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم :: يعني نبيهم فإن نبي كل أمة بعث منهم :: وجئنا بك
يا محمد :: شهيدا على هؤلاء :: على أمتك :: ونزلنا عليك الكتاب :: استئناف
أو حال بإضمار قد :: تبيانا :: بيانا بليغا :: لكل شيء :: من أمور الدين على التفصيل
أو الإجمال بالإحالة إلى السنة أو القياس :: وهدى ورحمة :: للجميع وإنما حرمان
المحروم من تفريطه :: وبشرى للمسلمين :: خاصة :: إن الله يأمر بالعدل ::
بالتوسط في الأمور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك و
القول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ::
والإحسان :: إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب
الكيفية كما قال عليه السلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك :: وإيتاء ذي القربى :: وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة :: وينهى عن الفحشاء :: عن الإفراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فإنه
أقبح أحوال الإنسان وأشنعها :: والمنكر :: ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية
:: والبغي :: والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فإنها الشيطنة التي هي
مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الإنسان شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام
صادر بتوسط هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القرآن غير
هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل إيرادها عقيب
قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه :: يعظكم :: بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر
:: لعلكم تذكرون :: تتعظون :: وأوفوا بعهد الله :: يعني البيعة لرسول الله عليه السلام
لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه
قوله :: إذا عاهدتم :: وقيل النذور وقيل الإيمان بالله :: ولا تنقضوا الأيمان ::
أيمان البيعة أو مطلق الأيمان :: بعد توكيدها :: بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب
الواو همزة :: وقد جعلتم الله عليكم كفيلا :: شاهدا بتلك البيعة فإن الكفيل مراع لحال المكفول

رقيب عليه إن الله يعلم ما تفعلون في نقض الأيمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت أي
نقضت غزلها من بعد إبرام وإحكام أنكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحال من غزلها أو المفعول الثاني لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه
الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا أو في
الجار الواقع موقع الخبر أي ولا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم
مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أن تكون أمة هي
أربى من أمة بأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة
في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به الضمير لأن
تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل
الضمير للأربى وقيل للأمر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون إذا
جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقة
على الإسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق
ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا أيمانكم دخلا
بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن
محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن
زلل قدم واحد عظيم فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا
بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من نقض
البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو
ما كانت قريش يعدون ضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد إنما عند
الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم
إن كنتم تعلمون إن كنتم من أهل العلم والتمييز ما عندكم من أعراض الدنيا
ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل

للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم
على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون
بأحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو
بجزاء أحسن من أعمالهم من عمل صالحا من ذكر أو أنثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص
وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها
تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان
موسرا فظاهر وإن كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع
الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا
لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون من الطاعة فإذا قرأت القرآن فإذا أردت قراءته كقوله
إذا قمتم إلى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله أن يعيذك
من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن
المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر
العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن
مسعود رضي قرأت على رسول الله عليه السلام فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح
المحفوظ إنه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
على أولياء الله المؤمنين المتوكلين فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه
إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر
بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا عليهم إنما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا
بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما
والله أعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده
فينسخه وما لا يكون مصلحة حتى يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول على الله تأمر بشيء
ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار
على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون

بحكم الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب * قل نزله روح القدس * يعني
جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وزيد الخير
روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح
مما يقتضي التبديل * من ربك بالحق * ملتبسا بالحكمة * ليثبت الذين آمنوا * على الايمان
بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقائدهم واطمأنت قلوبهم * وهدى وبشرى للمسلمين * المنقادين لحكمه وهما
معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد
ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف * ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر *
يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل
عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
* لسان الذي يلحدون اليه اعجمي * لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ
من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء * لسان اعجمي غير بين * وهذا *
وهذا القرآن * لسان عربي مبين * ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال
طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن
تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه
لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم
فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه
بعض اوقات مروره كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم في القرآن بامثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم * ان الذين لا يؤمنون بآيات الله *
لا يصدقون انها من عند الله * لا يهديهم الله * الى الحق او الى سبيل النجاة
وقيل الى الجنة * ولهم عذاب اليم * في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط
شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال * انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله * لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه * واولئك * اشارة الى الذين كفروا
او الى قريش * هم الكاذبون * اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم

الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر
* من كفر بالله من بعد ايمانه * بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك
او من الكاذبين او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله * الا من اكره * على
الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان * وقلبه
مطمئن بالايمان * لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب
* ولكن من شرح بالكفر صدرا * اعتقده وطاب به نفسا * فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم * اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا
وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك
اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله عليه السلام
وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم
بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب
عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
عليه جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له * ذلك * اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد * بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة * بسبب انهم آثروها عليها * وان الله لا يهدي
القوم الكافرين * اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم
من الزيغ * اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم * فأبت عن
ادراك الحق والتأمل فيه * واولئك هم الغافلون * الكاملون في الغفلة اذ
اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب * لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون *
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد * ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا * اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر ثم لنا عن حال هؤلاء او لك
وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى

ارتدوا ثم أسلموا وهاجروا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم من المشاق
إن ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل
رحيم منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم
أو باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون أجورهم وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم
فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج أهلها
خوف يأتيها رزقها أقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها
فكفرت بأنعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم
كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع
الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون
الرداء لما يلقى عليه وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف
الرداء نظرا إلى المستعار له وقد ينظر إلى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا أخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا إلى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم
بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون أي حال التباسهم بالظلم
والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها
الفاسدة واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون تطيعون أو إن صح زعمكم
أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لما أمرهم
بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن
التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا

حرام كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليها دليل كالسباع
والحمر الأهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه
أو متعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا
بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم
بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر
بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على
الذم أو بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن
الغرض إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري
لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل أي ما يفترون لأجله
أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب أليم في الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك أي في سورة الأنعام في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا أو بحرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا عليه
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله
وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوات والسوء يعم الافتراء على الله
وغيره ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الإنابة إن إبراهيم كان أمة
لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا متفرقة في أشخاص كثيرة كقوله وليس على الله
بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي
جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب
ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما
أحله أو لأنه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هو فعلة بمعنى مفعول

كان جملة من أمة أو قصده أو المقتدى به فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله إني جاعلك للناس إماما :: قانتا لله :: مطيعا له قائما بأوامره
:: حنيفا :: مائلا عن الباطل :: ولم يك من المشركين :: كما زعموا فإن قريشا كانوا
يزعمون أنهم على ملة إبراهيم :: شاكرا لأنعمه :: ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان
لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة :: اجتباه :: للنبوة :: وهداه إلى صراط مستقيم
:: في الدعوة إلى الله :: وآتيناه في الدنيا حسنة :: بأن حببه إلى الناس حتى أن
أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة و
الطاعة :: وإنه في الآخرة لمن الصالحين :: لمن أهل الجنة كما سأله عليه السلام بقوله
وألحقني بالصالحين :: ثم أوحينا إليك :: يا محمد وثم إما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل
ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته أو لتراخي أيامه :: أن اتبع ملة إبراهيم
حنيفا :: في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة
مع كل أحد على حسب فهمه :: وما كان من المشركين :: بل كان قدوة الموحدين ::
إنما جعل السبت :: أي تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة :: على الذين اختلفوا فيه
:: على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عم أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا
نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض فألزمهم السبت
وشدد عليهم الأمر وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ها هنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله :: وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون :: بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه ::
ادع :: من بعثت إليه :: إلى سبيل ربك :: إلى الإسلام :: بالحكمة :: بالمقالة المحكمة
وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة :: والموعظة الحسنة :: الخطابات المقنعة
والعبر النافعة فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة
عوامهم :: وجادلهم :: وجادل معانديهم :: بالتي هي أحسن :: بالطريقة التي هي أحسن
طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر
فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم :: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بالمهتدين :: أي وإنما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية
والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم

وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به :: لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار إليه
وإلى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك
عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين
الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به
قال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه
دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوز وحث على العفو تعريضا
بقوله وإن عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله :: ولئن صبرتم لهو :: أي الصبر
:: خير للصابرين :: من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به
لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال :: واصبر وما صبرك إلا بالله :: إلا بتوفيقه و
تثبيته :: ولا تحزن عليهم :: على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم :: ولا تك
في ضيق مما يمكرون :: في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل
وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق :: إن الله مع
الذين اتقوا :: المعاصي :: والذين هم محسنون :: في أعمالهم بالولاية والفضل
أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن
مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

:: سورة بني إسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات ::

بسم الله الرحمن الرحيم :: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا :: سبحان اسم
بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الإضافة ويمنع عن الصرف
قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك إظهاره
وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب
على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من
الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به :: من المسجد الحرام :: بعينه لما روي أنه عليه السلام
قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل
بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ
المنتهى لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء
فأسري به ورجع في ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم

ثم عرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى
رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال فقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك
قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة ساروا الى
بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او جسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السماوات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين
طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها
الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن
النبي عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات ﴿الى المسجد الاقصى﴾
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾ ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار
﴿لنريه من آياتنا﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل
الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿انه هو السميع﴾ لاقوال محمد عليه الصلاة والسلام
﴿البصير﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا﴾ على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ
ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا ﴿من دوني وكيلا﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيري
﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا
بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو
يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم
مع نوح في السفينة ﴿انه﴾ ان نوحا ﴿كان عبدا شكورا﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته

وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به
وقيل الضمير لموسى عليه السلام ﴿وقضينا الى بني اسرائيل﴾ واوحينا اليهم وحيا
مقضيا مبتوتا ﴿في الكتاب﴾ في التوراة ﴿لتفسدن في الارض﴾ جواب
قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿مرتين﴾
افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد
قتل عيسى وقيل ارمياء ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله او
لتظلمن الناس ﴿فاذا جاء وعد اولاهما﴾ وعد عقاب اولاهما ﴿بعثنا عليكم
عبادا لنا﴾ بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل
سنحاريب من اهل نينوى ﴿اولي بأس شديد﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد
﴿فجاسوا﴾ فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان ﴿خلال الديار﴾ وسطها
للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة
لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿وكان
وعدا مفعولا﴾ وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ اي الدولة
والغلبة ﴿عليهم﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار
لما ورث الملك من جده كشتاسب بن لهراسف شفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام
وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط
داود على جالوت فقتله ﴿وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا﴾
مما كنتم والنفير من ينفر من الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى
العدو ﴿ان احسنتم احسنتم لانفسكم﴾ لان ثوابه لها ﴿وان اسأتم فلها﴾
فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد عقوبة
المرة الآخرة ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه
الاربع على انه جواب اذا واللام في قوله ﴿وليدخلوا المسجد﴾ متعلق بمحذوف هو
بعثناهم ﴿كما دخلوه اول مرة وليتبروا﴾ وليهلكوا ﴿ما علوا﴾ ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم ﴿تتبيرا﴾ وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم

ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني
فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا
إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب
قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ :: عسى ربكم
أن يرحمكم بعد المرة الآخرة :: وإن عدتم :: نوبة أخرى :: عدنا :: مرة ثالثة
إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام وقصد قتله فعاد الله بتسليطه
عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا ::
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا :: محبسا لا يقدرون الخروج منها أبد الآباد وقيل
بساطا كما يبسط الحصير :: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم :: للحالة أو الطريقة التي
هي أقوم الحالات أو الطرق :: ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا
:: وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف :: وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم
عذابا أليما :: عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر :: ويدع الإنسان بالشر :: ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر :: دعاءه
بالخير :: مثل دعائه بالخير :: وكان الإنسان عجولا :: يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عليه السلام فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط
روي أنه عليه السلام دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه
فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة فأجيب له فضربت عنقه يوم بدر صبرا :: وجعلنا الليل
والنهار آيتين :: تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره
فمحونا آية الليل :: أي الآية التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة
العدد إلى المعدود :: وجعلنا آية النهار مبصرة :: مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصره
أو مبصرا أهله كقولهم أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس
وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين أو وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين

وآية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور في نفسه نورها شيئا
فشيئا إلى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الأشياء
بضوئها :: لتبتغوا فضلا من ربكم :: لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا
إلى استبانة أعمالكم :: ولتعلموا :: باختلافهما أو بحركاتهما :: عدد السنين والحساب ::
وجنس الحساب :: وكل شيء :: تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا :: فصلناه تفصيلا
:: بيناه بيانا غير ملتبس :: وكل إنسان ألزمناه طائره :: عمله وما قدر له كأنه طير إليه
من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد :: في عنقه :: لزوم الطوق
في عنقه :: ونخرج له يوم القيامة كتابا :: هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن
الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات
وانتصابه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج ونصبه على الحال وقرئ ويخرج أي الله عز وجل :: يلقاه منشورا :: لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا :: اقرأ كتابك :: على إرادة القول
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا :: أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته
لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من ضرب
عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن
والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص :: من اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها :: لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر أخرى :: ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل
وزرها :: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا :: يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة
وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع :: وإذا أردنا أن نهلك قرية :: وإذا
تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا
أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة :: أمرنا مترفيها :: متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه إليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن الفسق هو الخروج
عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق
لقوله :: ففسقوا فيها :: كقولك أمرته فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن

الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم
الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا
يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة
اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز في معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية
امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء و
تخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها
وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح
كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها
وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة
مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية
والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر
بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه
لله تعالى حتى يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل
الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء
عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك
الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اي كل واحد من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه
هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما
كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال
وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها

بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول
والمراد به امته او لكل واحد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها
حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك
الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله وتعقيبه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا
الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل
لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا
بان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش
ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق
نون التأكيد للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما واحدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز
ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكون في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف
فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم
الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ
ابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى
وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عليه السلام
حذيفة عن قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما
ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه
واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا او للقرة زماما
وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل
وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك
عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله

أي ارحمهما برحمتك الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن
تهديهما. كما ربياني صغيرا: رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاء
بوعدك للراحمين. روي أن رجلا قال لرسول الله عليه السلام إن أبوي بلغا من الكبر
أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما. ربكم أعلم بما في نفوسكم: من قصد
البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا.
إن تكونوا صالحين: قاصدين الصلاح. فإنه كان للأوابين: للتوابين
غفورا: ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن
يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده
على أثره. وآت ذا القربى حقه: من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم. و
قال أبو حنيفة رحمه الله حقهم إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم. وقيل المراد بذي القربى
أقارب الرسول عليه السلام. والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا:
بصرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وأصل التبذير التفريق. وعن
النبي عليه السلام أنه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال أفي الوضوء سرف
قال نعم وإن كنت على نهر جار. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين: أمثالهم
في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم
في الإسراف والصرف في المعاصي. روي أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها
ويبذرون أموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربات.
وكان الشيطان لربه كفورا: مبالغة في الكفر فينبغي أن لا يطاع. وإما تعرضن
عنهم: وإن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد و
يجوز أن يراد بالإعراض عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية. ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها: لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق
بالجواب الذي هو قوله. فقل لهم قولا ميسورا: أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله
برحمتك عليهم بإجمال القول لهم. والميسور من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس وقيل
القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل أغناكم الله ورزقنا وإياكم.
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط: تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف

المبذر نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم. فتقعد ملوما: عند الله
وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير. محسورا: نادما أو منقطعا بك
لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه. وعن جابر بينا رسول الله عليه السلام
إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة فعد إلينا فذهب
إلى أمه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فأنزل الله
ذلك ثم سلاه بقوله. إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: يوسعه
ويضيقه بمشيئته التابعة لحكمته فليس ما يرهقك من الإضاقة إلا لمصلحتك.
إنه كان بعباده خبيرا بصيرا: يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم
ويجوز أن يريد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر فأما
العباد فعليهم أن يقتصدوا أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته
ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يكون تمهيدا لقوله. ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق: مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال. نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم
كان خطأ كبيرا: ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع. والخطء الإثم
يقال خطئ خطأ كإثم إثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم
من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير
خطاء بالمد والكسر وهو إما لغة أو مصدر خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطأ
في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو يشهد
عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا. ولا تقربوا
الزنا: بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلا أن تباشروه. إنه كان فاحشة:
فعلة ظاهرة القبح زائدته. وساء سبيلا: وبئس طريقا طريقه وهو الغصب
على الأبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن. ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله إلا بالحق: إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا. ومن قتل مظلوما: غير مستوجب للقتل. فقد جعلنا لوليه:
للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث. سلطانا: تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله مظلوما يدل على أن القتل عمدا.

عدوان فإن الحق لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن
يقتل من لا يحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة وقتل
غير القاتل ويؤيد الأول قراءة أبي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف
على خطاب أحدهما إنه كان منصورا علة النهي على الاستئناف والضمير إما للمقتول
فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب وإما لوليه فإن الله
نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته وإما للذي يقتله الولي إسرافا
بإيجاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم
فضلا أن تتصرفوا فيه إلا بالتي هي أحسن إلا بالطريقة التي هي أحسن
حتى يبلغ أشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء وأوفوا بالعهد
بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره إن العهد كان مسؤولا مطلوبا
يطلب من العاهد أن لا يضيعه ويفي به أو مسؤولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه
أو يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم
ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب
ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم
في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة تفعيل
من آل إذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره إذا قفاه
ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به
من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل إنه مخصوص بالعقائد وقيل
بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو
الحواصن إن قفينا إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الأعضاء
فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء
وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد أولئك الأيام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل أي كان كل واحد

منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند إلى عنه كقوله غير المغضوب
عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه
دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد
الضمة ثم إبدالها بالفتح ولا تمش في الأرض مرحا ذا مرح وهو الاختيال وقرئ
مرحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت إنك لن تخرق
الأرض لن تجعل فيها خرقا لشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك
وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في
التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله ولا
تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس أنها المكتوبة في ألواح موسى عليه السلام
كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورة مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان و
البصري سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة
وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى
فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان
أو في الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى
الأحكام المتقدمة مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته و
الخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر
ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصده بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه
رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا
ما نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا
من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله و
الهمزة للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة
إناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا
عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها وبتفضيل
أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم أشرف خلق الله
أدونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن

في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه ويريد و
لقد صرفنا هذا القرآن في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
«ليذكروا» ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر
«وما يزيدهم إلا نفورا» عن الحق وقلة طمأنينة إليه «قل لو كان معه آلهة كما
يقولون» أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن
الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثاني
على أن الأول مما أمر الرسول أن يخاطب به المشركين والثاني تنزيه منه تعالى عن
مقالتهم «إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا» جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى
لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب
إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة «سبحانه» ينزه تنزيها «وتعالى عما يقولون علوا» تعاليا
«كبيرا» متباعدا غاية البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب
الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه
«تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده»
ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها و
حدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» أيها المشركون
لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ
والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر يسبح بالياء «إنه كان حليما»
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم «غفورا» لمن تاب منكم «وإذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا» يحجبهم
عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا أي ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو هي
مستور أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفي
عنهم أن يفقهوا ما أنزل إليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه لدلالات المصنوعات في
الأنفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله
«وجعلنا على قلوبهم أكنة» تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله «أن يفقهوه»
كراهة أن يفقهوه «وفي آذانهم وقرا» يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا

من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ «وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده» واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال
وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده «ولوا على أدبارهم نفورا» هربا عن استماع
التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود «نحن أعلم بما
يستمعون به» بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن «إذ يستمعون إليك»
ظرف لأعلم وكذا «وإذ هم نجوى» أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين
هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر
ويحتمل أن يكون جمع نجي «إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا»
مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على
أن تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة أي إلا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم «انظر كيف ضربوا لك
الأمثال» مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون «فضلوا» عن الحق في
جميع ذلك «فلا يستطيعون سبيلا» إلى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد «وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا»
حطاما «أئنا لمبعوثون خلقا جديدا» على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي
ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه
لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال «قل» جوابا لهم «كونوا حجارة أو
حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم» مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها
فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا
كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما
لم يعهد فيه «فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة» وكنتم ترابا
وما هو أبعد منه من الحياة «فسينغضون إليك رؤوسهم» فسيحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء «ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا» فإن كل ما هو آت
قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم
عسى أو خبره والاسم مضمر «يوم يدعوكم فتستجيبون» أي يوم يبعثكم فتنبعثون
استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير أمرهما وأن المقصود
منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء «بحمده» حال منهم أي حامدين لله على كمال قدرته

كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه ❊ وتظنون ان لبثتم الا قليلا ❊ وتستقصرون مدة
لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول ❊ وقل لعبادي
❊ يعني المؤمنين ❊ يقولوا التي هي احسن ❊ الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا
المشركين ❊ ان الشيطان ينزغ بينهم ❊ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة
بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ❊ ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا ❊ ظاهر العداوة ❊ ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم ❊
تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امره غيب لا يعلمه الا الله
❊ وما ارسلناك عليهم وكيلا ❊ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي
ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل
شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو ❊ وربك اعلم بمن في السموات والارض
❊ وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان
يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ❊ ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض ❊ على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من
الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلام
وقوله ❊ وآتينا داود زبورا ❊ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل
فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو
كالعباس والفضل او لان المراد وآتينا بعض الزبور فيه ذكر الرسول ❊
قل ادعوا الذين زعمتم ❊ انها آلهة ❊ من دونه ❊ كالملائكة والمسيح وعزير
❊ فلا يملكون ❊ فلا يستطيعون ❊ كشف الضر عنكم ❊ كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ❊ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ❊ اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ❊ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ❊ ايهم

اقرب ❊ بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة
فكيف بغير الاقرب ❊ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ❊ كسائر العباد
فكيف يزعمون انهم آلهة ❊ ان عذاب ربك كان محذورا ❊ حقيقا
بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة ❊ وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيامة ❊ بالموت والاستئصال ❊ او معذبوها عذابا شديدا ❊
بالقتل وانواع البلية ❊ كان ذلك في الكتاب ❊ في اللوح المحفوظ ❊
مسطورا ❊ مكتوبا ❊ وما منعنا ان نرسل بالآيات ❊ وما صرفنا عن ارسال
الآيات التي اقترحتها قريش ❊ الا ان كذب بها الاولون ❊ الا تكذيب
الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان
لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب
الآيات المقترحة فقال ❊ وآتينا ثمود الناقة ❊ بسؤالهم ❊ مبصرة ❊ بينة
ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح ❊
فظلموا بها ❊ فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها ❊ وما نرسل بالآيات ❊
المقترحة ❊ الا تخويفا ❊ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير
المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت
اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف ❊
واذ قلنا لك ❊ واذكر اذ اوحينا اليك ❊ ان ربك احاط بالناس
❊ فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو
بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ❊ وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
❊ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة
فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية
مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله اذ
يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماء بدر قال لكأني انظر الى
مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا
منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال
هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله ❊ الا فتنة

للناس :: لما حدث في ايامهم :: والشجرة الملعونة في القرآن :: عطف على الرؤيا
وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تأكله
النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديدة المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز
للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية
من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي
العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن
كذلك :: ونخوفهم :: بانواع التخويف :: فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا :: الا
عتوا متجاوز الحد :: واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال
أأسجد لمن خلقت طينا :: لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي أأسجد له واصله طين وفيه
على الوجوه ايماء بعلة الانكار :: قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي :: الكاف
لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود
له لم كرمته علي :: لئن اخرتني الى يوم القيمة :: كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم
وجوابه :: لأحتنكن ذريته الا قليلا :: اي لأستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا
اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب
:: قال اذهب :: امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له
نفسه :: فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم :: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات :: جزاء موفورا ::
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما
في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا :: واستفزز :: واستخف
:: من استطعت منهم :: ان تستفزه والفز الخفيف :: بصوتك :: بدعائك
الى الفساد :: واجلب عليهم :: وصح عليهم من الجلبة وهو الصياح :: بخيلك ورجلك ::

باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي
والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والصاحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه
على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى
استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس
معناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك :: وشاركهم في الاموال ::
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي :: والاولاد ::
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة :: وعدهم :: المواعيد
الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل ::
وما يعدهم الشيطان الا غرورا :: اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ
بما يوهم انه صواب :: ان عبادي :: يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله
الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم :: ليس لك عليهم سلطان :: اي على اغوائهم قدرة
:: وكفى بربك وكيلا :: يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة :: ربكم الذي
يزجي :: هو الذي يجري :: لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله :: الربح وانواع الامتعة
التي لا تكون عندكم :: انه كان بكم رحيما :: حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل
عليكم ما يعسر من اسبابه :: واذا مسكم الضر في البحر :: خوف الغرق :: ضل من
تدعون :: ذهب عن خواطركم كل ما تدعونه في حوادثكم :: الا اياه :: وحده فانكم
حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن
اغاثتكم الا الله :: فلما نجاكم :: من الغرق :: الى البر اعرضتم :: عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
:: وكان الانسان كفورا :: كالتعليل للاعراض :: أفأمنتم :: الهمزة فيه
للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره :: ان نخسف بكم
جانب البر :: ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن
كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم
لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل
يؤمن فيه من اسباب الهلاك :: او يرسل عليكم حاصبا :: ريحا تحصب اي ترمي

الحاصب ثم لا تجدوا لكم وكيلاً يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله أم أمنتم أن
يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم الى أن ترجعوا فتركبوه
فيرسل عليكم قاصفاً من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن
يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم
نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً مطالباً يتبعنا بانتصار او صرف
ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة و
التمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش
والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب و
المسببات العلوية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه بيده الى فيه وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته
حملاً اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء
ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلاً بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده
والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب
باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب
الالف واواً على لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله وأسروا
النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي
قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال
وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف
والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد
الزنا فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن
كتابهم ابتهاجاً وتبجحاً بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلاً ولا ينقصون من اجورهم
ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء

الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه
أعمى فهو في الآخرة أعمى ايضاً مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن
كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة
وأضل سبيلاً منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل
لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من
عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه
بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظاً وحكماً فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة
والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن
قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي أوحينا إليك
من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذاً لاتخذوك
خليلاً ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياً لهم بريئاً من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون
فضلاً من ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي
اليها وهو دليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذاً لأذقناك اي لو قاربت
لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل
الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب

وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وإن كادوا وإن كاد اهل
مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الأرض ارض مكة ليخرجوك
منها وإذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلا
إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت
في اليهود حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن
كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذن على أنه معطوف
على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذن لا يعمل إذا كان معتمدا
ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو
لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة
من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة
وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل
لأنها من أجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن
الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف
ودله وقيل الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام
للتأقيت مثلها في لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء
الآخرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا
وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها قياسا إن قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت
بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة
للصلوات الخمس إن فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها إن
فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس

غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت يمتد إلى
غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة
والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور
أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال هو المقام الذي أشفع
فيه لأمتي ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة و
انتصابه على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال
بمعنى أن يبعثك ذا مقام وقل رب أدخلني أي في القبر مدخل صدق
إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق
إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله
مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخال الغار وإخراجه
منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منها مؤديا حقه وقيل
إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على
معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فإن
حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض وقل جاء الحق
الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا
خرج إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه عليه السلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد
منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمريض ومن للبيان فإنه كله كذلك وقيل إنه للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة
أعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن

مستبدا بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين وقرأ
ابن عامر وناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض ❊ وإذا مسه الشر ❊ من مرض أو
فقر ❊ كان يؤوسا ❊ شديد اليأس من روح الله ❊ قل كل يعمل على شاكلته ❊
قل كل يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله
التابعة لمزاج بدنه ❊ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ❊ أسد طريقا وأبين منهاجا
وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ❊ ويسألونك عن الروح
❊ الذي يحيى به بدن الإنسان ويدبره ❊ قل الروح من أمر ربي ❊ من الإبداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث
بتكوينه على أن السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي أن
اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن
أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل
وقيل خلق أعظم من الملائكة وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه ❊ وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا ❊ تستفيدونه بتوسط حواسكم فإن اكتساب العقل للمعارف
النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله المعرفة لذاته وهو
إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك
اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي
أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا
ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية
أن يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو
بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة
إليه كثير ❊ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ❊ اللام الأولى موطئة
للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن المصاحف والصدور ❊ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ❊ من يتوكل علينا
استرداده مسطورا محفوظا ❊ إلا رحمة من ربك ❊ فإنها إن نالتك فلعلها

تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بإبقائه بعد المنة في تنزيله ❊ إن فضله
كان عليك كبيرا ❊ كإرساله وإنزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ❊ في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى ❊ لا يأتون بمثله ❊ وفيهم العرب العرباء وأرباب
البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا
هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير ❊ وإن أتاه
خليل يوم مسغبة ❊ يقول لا غائب مالي ولا حرم ❊ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
❊ ولو تظاهروا على الإتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزا ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه ويجوز أن يكون الآية تقريرا لقوله
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ❊ ولقد صرفنا ❊ كررنا بوجوه مختلفة زيادة
في التقرير والبيان ❊ للناس في هذا القرآن من كل مثل ❊ من كل معنى هو كالمثل
في غرابته ووقوعه موقعا في الأنفس ❊ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ❊ إلا جحودا
وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي ❊ وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ❊ قالوه تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان
إعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات إليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر
بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع
الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر ❊ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ❊ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك ❊ أو تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا ❊ يعنون قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم
كسفا وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب
في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو إما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول
كالطحن بمعنى المطحون ❊ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ❊ كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على
صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال
الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله ❊ فإني وقيار بها لغريب ❊
أو جماعة فيكون حالا من الملائكة ❊ أو يكون لك بيت من زخرف ❊ من ذهب

وتؤمن به واصله الرقي او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك
وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد
في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول
هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم
ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر
في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا
عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان
بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون
كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك
والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون
حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي
او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه
تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون
عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على
وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق
وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم

ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة بهم كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم
اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على
ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح
الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه
وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا وهو يختار النفع لنفسه
ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله و
هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة
والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عليه السلام عنها فقال ان لا
تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من
الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله
فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك
لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعتدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق
الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم
معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله عليه السلام فسال
على لفظ الماضي بغير همزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على طريقة
الرواية او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او

الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لأن تظاهر الأدلة توجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان إذ نصبا بآتينا أو بإضمار اخبر أو يخبرك على أنه جواب الأمر أو بإضمار اذكر على الاستئناف ❁ فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ❁ سحرت فتخبط عقلك ❁ قال لقد علمت ❁ يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على إخباره عن نفسه ❁ ما أنزل هؤلاء ❁ يعني الآيات ❁ إلا رب السموات والأرض بصائر ❁ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ❁ وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ❁ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك أو هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فإن ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وإن أخالك يا فرعون لمثبورا على إن المخففة واللام هي الفارقة ❁ فأراد ❁ فرعون ❁ أن يستفزهم ❁ أن يستخف موسى وقومه وينفيهم ❁ من الأرض ❁ أرض مصر أو الأرض مطلقا بالقتل والاستئصال ❁ فأغرقناه ومن معه جميعا ❁ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق ❁ وقلنا من بعده ❁ من بعد فرعون وإغراقه ❁ لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ❁ التي أراد أن يستفزكم منها ❁ فإذا جاء وعد الآخرة ❁ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة ❁ جئنا بكم لفيفا ❁ مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ❁ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ❁ أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما أنزلناه من السماء إلا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان أول الأمر وآخره ❁ وما أرسلناك إلا مبشرا ❁ للمطيع بالثواب ❁ ونذيرا ❁ للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار ❁ وقرآنا فرقناه ❁ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة ❁ لتقرأه على الناس على مكث ❁ على مهل وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ❁ ونزلناه تنزيلا ❁ على حسب الحوادث ❁ قل آمنوا به أو لا

تؤمنوا ❁ فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ❁ إن الذين أوتوا العلم من قبله ❁ تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم ❁ إذا يتلى عليهم ❁ القرآن ❁ يخرون للأذقان سجدا ❁ يسقطون على وجوههم تعظيما لأمر الله وشكرا لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام على فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه ❁ ويقولون سبحان ربنا ❁ عن خلف الوعد ❁ إن كان وعد ربنا لمفعولا ❁ إنه كان وعده كائنا لا محالة ❁ ويخرون للأذقان يبكون ❁ كرره لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر وعند إنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام في لاختصاص الخرور به ❁ ويزيدهم ❁ سماع القرآن ❁ خشوعا ❁ كما يزيدهم علما ويقينا بالله ❁ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ❁ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة فالمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحد وإن اختلف اعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أجود لقوله ❁ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ❁ والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في فله للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام ❁ ولا تجهر بصلاتك ❁ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ❁ ولا تخافت بها ❁ حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين ❁ وابتغ بين ذلك سبيلا

بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان
ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عليه السلام ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر
ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا ؛ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ؛ في الالوهية ؛ ولم يكن له ولي من الذل ؛ ولي يواليه من اجل
مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه قوله ؛ وكبره تكبيرا ؛ وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي
انه عليه السلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من
قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ؛ يعني القرآن
رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال
العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ؛ ولم يجعل له عوجا ؛ شيئا
من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جانب الحق
وهو في المعاني كالعوج في الاعيان ؛ قيما ؛ مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط
او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة
يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب
على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف
فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما بالتخفيف
؛ لينذر باسا شديدا ؛ اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول
الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ؛ من لدنه ؛
صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام
ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ؛ ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ؛ هو الجنة ؛ ماكثين فيه ؛
في الاجر ؛ ابدا ؛ بلا انقطاع ؛ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ؛ خصهم بالذكر
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ؛
ما لهم به من علم ؛ اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط
وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا
يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بانه اذ لو علموه لما جوزوا نسبة
الاتخاذ اليه ؛ ولا لآبائهم ؛ الذين تقولوه بمعنى التبني ؛ كبرت كلمة ؛ عظمت مقالتهم
هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه
الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ
وادل على المقصود ؛ تخرج من افواههم ؛ صفة لها يفيد استعظام اجترائهم على اخراجها
من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص
بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ؛ ان يقولون الا كذبا ؛
فلعلك باخع نفسك ؛ قاتلها ؛ على آثارهم ؛ اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله
من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وقرئ باخع نفسك على الاضافة ؛ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ؛ بهذا القرآن ؛
اسفا ؛ للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان
بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية ؛ انا جعلنا ما على الارض
؛ من الحيوان والنبات والمعادن ؛ زينة لها ؛ ولاهلها ؛ لنبلوهم ايهم احسن
عملا ؛ في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي
وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام ؛ وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ؛ تزهيدا فيه
والجرز الارض التي قطع نباتها ماخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة
ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ؛ ام حسبت ؛ بل احسبت
؛ ان اصحاب الكهف والرقيم ؛ في ابقاء حياتهم مدة مديدة ؛ كانوا من آياتنا عجبا ؛
وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع
متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم رده اليها ليست بعجيب
مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او
الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها

او الرقيم لجاء وراء وصيدهم او القوم في الكهف او لوح رصاصي او حجري رقمت
فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا
يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال
احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم
فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم فترك
اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع
الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا
اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال الآخر
كان لي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو
دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك
فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله
فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت
لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت
فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما
فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ❊ اذ اوى الفتية
الى الكهف ❊ يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف ❊ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ❊ توجب لنا المغفرة والرزق والامن
من العدو ❊ وهيئ لنا من امرنا ❊ من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ❊ رشدا
❊ نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا
واصل التهيئة احداث هيئة الشيء ❊ فضربنا على آذانهم ❊ اي ضربنا عليها حجابا يمنع
السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى
على امرأته ❊ في الكهف سنين ❊ ظرفان لضربنا ❊ عددا ❊ اي ذوات عدد ووصف
السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ❊ ثم بعثناهم ❊
ايقظناهم ❊ لنعلم ❊ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا
❊ اي الحزبين ❊ المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم ❊ احصى لما لبثوا امدا

ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى
خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام
مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه لقوله واعلم
منا بالسيوف القوانسا ❊ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ❊ بالصدق ❊ انهم فتية
❊ شبان جمع فتى كصبي وصبية ❊ آمنوا بربهم وزدناهم هدى ❊ بالتثبيت ❊
وربطنا على قلوبهم ❊ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار
الحق والرد على دقيانوس الجبار ❊ اذ قاموا ❊ بين يديه ❊ فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ❊ والله لقد قلنا قولا ذا شطط
اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم ❊ هؤلاء ❊ مبتدأ ❊ قومنا ❊ عطف بيان ❊ اتخذوا
من دونه آلهة ❊ خبره وهو اخبار في معنى انكار ❊ لولا يأتون ❊ هلا يأتون ❊ عليهم
❊ على عبادتهم ❊ بسلطان بين ❊ ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل
على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز ❊ فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا ❊ بنسبة الشريك اليه ❊ واذ اعتزلتموهم ❊ خطاب بعضهم لبعض ❊
وما يعبدون الا الله ❊ عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون
ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه
اخبار من الله عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ❊ فاووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم ❊ يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم ❊ من رحمته ❊ في الدارين
❊ ويهيئ لكم من امركم مرفقا ❊ ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم
وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر
جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح ❊ وترى الشمس ❊ اي لو رأيتها والخطاب
لرسول الله عليه السلام او لكل احد ❊ اذا طلعت تزاور عن كهفهم ❊ تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله
تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور
كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ❊ ذات اليمين ❊ جهة اليمين و
حقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ❊ واذا غربت تقرضهم ❊ تقطعهم وتعدل عنهم ❊

ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه وهم في متسع من
الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس
وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى
محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على
جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم ذلك
من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك وإخبارك قصتهم أو ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي
الذي أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة
ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم
أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات
الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليهم من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء
والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم
هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال أنا أحب أحباء الله فناموا وأ
نا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أي
وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر
لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم
الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس ليس لك
ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع فبعث
أناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان ولملّئت بالتشديد للمبالغة وابن
عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم آية بعثناهم
آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا

ما أنعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب
ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى قالوا ربكم
أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار آخرين عليهم وقيل إنهم
لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده قالوا
ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك ثم لما علموا أن الأمر ملتبس
لا طريق إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة
والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر وروح
عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور
الواو مدغما وغير مدغم ورد الإدغام لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن
التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاما
أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف
في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن
ما يؤدي إلى الشعور إنهم إن يظهروا عليكم إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير
للأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم أو يصيروكم
إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
إذا أبدا إن دخلتم في ملتهم وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله
بالبعث أو الموعود الذي هو البعث حق لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم
يبعث وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في إمكانها
فإن من توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم
أرسلها إليها قادر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانهم فيردها
عليها إذ يتنازعون ظرف لأعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم أمر دينهم
وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف
ويتبين أنهما يبعثان معا أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس
ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله

ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم
او من المتنازعين على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم
وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك روي ان المبعوث لما دخل السوق
واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا
بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم
وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس
ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى
الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم
مسجدا ∴ سيقولون ∴ اي الخائضون في قصتهم في عهد رسول الله عليه السلام من اهل
الكتاب والمؤمنين ∴ ثلثة رابعهم كلبهم ∴ اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ∴ ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم ∴ قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا ∴ رجما بالغيب
∴ يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم
بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بتعليقه على ما هو فيه ∴ ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم ∴ انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله
∴ قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ∴ واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان
العلم بهم لطائفة بعد ما حكى اقوال الطوائف الثلثة المذكورة فان عدم ايراده
في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما با
فتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال
الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم ∴ فلا تمار فيهم ∴ فلا تجادل في شان
الفتية الا مراء ظاهرا ∴ الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد
عليهم ∴ ولا تستفت فيهم منهم احدا ∴ ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان

فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح
المسؤول او تزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ∴ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله ∴ نهي تأديب من الله لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم
يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء
من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي
الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله
بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير
سديد واعتراضها دونه لا يناسب النهي ∴ واذكر ربك ∴ مشيئة ربك
وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزلت قال عليه السلام ان شاء الله ∴ اذا نسيت
∴ اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم
يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك
لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية
والخبر ان الاستثناء المتدارك من القول السابق بل هو مقدر مدلول عليه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك
على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي ∴ وقل عسى ان
يهدين ربي ∴ يدلني ∴ ربي لاقرب من هذا رشدا ∴ لاقرب رشدا وادل
على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام
الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ∴ ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعا ∴ يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل
قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم
فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من
الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث
∴ قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ∴ له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها

مما خلق يخفى عليه علما أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره
في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود لله ومحلها الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة
الأمر بمعنى الإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في
كفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء
مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت للصيرورة ما لهم من دونه
الضمير لأهل السموات والأرض من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه أحدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن
يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة
أصحاب الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول على أنه وحي معجز
أمره أن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل لكلماته
لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه
إن هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه
أن غدوة علم في الأكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه
رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته
بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه والمراد نهي
الرسول أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة
زي الأغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن
في الفعل في غيرها ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع
هواه كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش
وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه
في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو أطاعه كان
مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال إلى الله تعالى قالوا إنه مثل أجبنته
إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه

ذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان واحتجوا على أن المراد لبس ظاهره
ما ذكر أولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ أغفلنا بإسناد الفعل
إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إياه بالمؤاخذة وكان أمره
فرطا أي متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز أن يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله
فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إنا أعتدنا للظالمين هيأنا نارا
أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة
التي حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من النار وإن يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو الضمير في الكاف بئس
الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق نصب
المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا خبر إن الأولى
هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه
بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقع
الظاهر فإن من أحسن عملا لا يحسن على الحقيقة إطلاقه إلا على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار وما بينهما اعتراض
وعلى الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر ثان يحلون فيها من أساور من ذهب
من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الإحاطة به
وهو جمع أسورة أو جمع أسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لأن الخضرة
أحسن الألوان وأكثرها طراوة من سندس وإستبرق ما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين
متكئين فيها على الأرائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب
الجنة ونعيمها وحسنت الأرائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا رجلين

حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه فطروس
ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر
بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله
وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن
وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله عليه السلام جعلنا لاحدهما
جنتين بساتين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا
اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك
غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه شيئا
ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا
وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا
كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون
بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام
من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة
لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة
التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في
واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد
ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما
اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت
لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده
انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما لقاه
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك

او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا
ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان
منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من
التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان
الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة
او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو
او الله خبره والجملة خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله
الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء
شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون
تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعولا ثانيا لترن وفي
قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك
في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك
لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى
الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا
زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها
غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء
الغائر ترددا واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه
وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى
عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه
ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب

لأن تقليب الكفين كناية عن الندم وكأنه قيل فأصبح يندم أو حال أي متحسرا على ما أنفق ∴ وهي خاوية ∴ أي ساقطة ∴ على عروشها ∴ بأن سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها ∴ ويقول يا ليتني ∴ عطف على يقلب أو حال من ضميره ∴ لم أشرك بربي أحدا ∴ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ∴ ولم تكن له فئة ∴ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ∴ ينصرونه ∴ يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو رد المهلك أو الإتيان بمثله ∴ من دون الله ∴ فإنه القادر على ذلك وحده ∴ وما كان منتصرا ∴ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه ∴ هنالك ∴ في ذلك المقام وتلك الحال ∴ الولاية لله الحق ∴ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وتعضده قوله ∴ هو خير ثوابا وخير عقبا ∴ أي لأوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ∴ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا ∴ واذكر لهم ما تشبهه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة ∴ كماء ∴ هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير ∴ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ∴ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته ∴ فأصبح هشيما ∴ مهشوما مكسورا ∴ تذروه الرياح ∴ تفرقه وقرئ تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ∴ وكان الله على كل شيء ∴ من الإنشاء والإفناء ∴ مقتدرا ∴ قادرا ∴ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ∴ يتزين بها الإنسان في دنياه ويفنى عنه عن قريب ∴ والباقيات الصالحات ∴ وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها

أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلم الطيب ∴ خير عند ربك ∴ من المال والبنين ∴ ثوابا ∴ عائدا ∴ وخير أملا ∴ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ∴ ويوم نسير الجبال ∴ واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت ∴ وترى الأرض بارزة ∴ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول ∴ وحشرناهم ∴ وجمعناهم إلى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوه ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال بإضمار قد ∴ فلم نغادر ∴ فلم نترك ∴ منهم أحدا ∴ يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء ∴ وعرضوا على ربك ∴ شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ∴ صفا ∴ مصطفين لا يحجب أحد أحدا ∴ لقد جئتمونا ∴ على إضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا في يوم نسير ∴ كما خلقناكم أول مرة ∴ عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله ∴ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ∴ وقتا لإنجاز الوعد بالبعث والنشور وأن الأنبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة إلى أخرى ∴ ووضع الكتاب ∴ صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب ∴ فترى المجرمين مشفقين ∴ خائفين ∴ مما فيه ∴ من الذنوب ∴ ويقولون يا ويلتنا ∴ ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات ∴ ما لهذا الكتاب ∴ تعجبا من شأنه ∴ لا يغادر صغيرة ∴ هنة صغيرة ∴ ولا كبيرة إلا أحصاها ∴ إلا عدها وأحاط بها ∴ ووجدوا ما عملوا حاضرا ∴ مكتوبا في الصحف ∴ ولا يظلم ربك أحدا ∴ فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله ∴ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ∴ كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل

الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة للزوال والاعمال الصالحة
خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن ❁ كان من الجن ❁ حال باضمار قد او استئناف للتعليل
كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ❁ ففسق عن امر ربه ❁ فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة ❁ أفتتخذونه ❁ أعقيب ما وجد منه
تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب ❁ وذريته ❁ اولاده او اتباعه وسماهم ذرية
مجازا ❁ اولياء من دوني ❁ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ❁ وهم لكم عدو
بئس للظالمين بدلا ❁ من الله ابليس وذريته ❁ ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم ❁ نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار
بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله ❁ وما كنت متخذ
المضلين عضدا ❁ اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة
فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ متخذا المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ❁
ويوم يقول ❁ اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون ❁ نادوا شركائي الذين زعمتم ❁
انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ
والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته ❁ فدعوهم ❁ فنادوهم للاغاثة ❁
فلم يستجيبوا لهم ❁ فلم يغيثوهم ❁ وجعلنا بينهم ❁ بين الكفار وآلهتهم ❁ موبقا ❁
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبوقا اذا هلك وقيل البين
الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في القيامة ❁ ورأى المجرمون النار
فظنوا ❁ فايقنوا ❁ انهم مواقعوها ❁ مخالطوها واقعون فيها ❁ ولم يجدوا عنها
مصرفا ❁ انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ❁ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل

مثل ❁ من كل جنس يحتاجون اليه ❁ وكان الانسان اكثر شيء ❁ يتأتى منه
الجدل ❁ جدلا ❁ خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز ❁ وما منع الناس ان
يؤمنوا ❁ من الايمان ❁ اذ جاءهم الهدى ❁ وهو الرسول الداعي والقرآن
المبين ❁ ويستغفروا ربهم ❁ ومن الاستغفار من الذنوب ❁ الا ان تأتيهم
سنة الاولين ❁ الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو
الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ❁ او يأتيهم العذاب ❁
عذاب الآخرة ❁ قبلا ❁ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل
بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا
وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب ❁ وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين ❁ للمؤمنين والكافرين ❁ ويجادل الذين كفروا بالباطل ❁ باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ❁
ليدحضوا به ❁ ليزيلوا بالجدال ❁ الحق ❁ عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو
ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو
ذلك ❁ واتخذوا آياتي ❁ يعني القرآن ❁ وما انذروا ❁ وانذارهم او والذي انذروا به
من العقاب ❁ هزوا ❁ استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ❁
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ❁ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ❁ ونسي
ما قدمت يداه ❁ من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ❁ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ❁
تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ❁ ان يفقهوه ❁ كراهة ان يفقهوه
وتذكير الضمير وافراده للمعنى ❁ وفي آذانهم وقرا ❁ يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه
❁ وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ❁ تحقيقا ولا تقليدا لانهم
لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا
ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه ❁ وربك الغفور ❁ البليغ المغفرة ❁
ذو الرحمة ❁ الموصوف بالرحمة ❁ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ❁
استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام
❁ بل لهم موعد ❁ وهو يوم بدر او يوم القيمة ❁ لن يجدوا من دونه موئلا ❁
منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه ❁ وتلك القرى ❁ يعني قرى عاد
وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره ❁ اهلكناهم ❁ او مفعول مضمر يفسره والقرى صفة

ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر ❊ لما ظلموا ❊ كقريش بالتكذيب
والمراء وانواع المعاصي ❊ وجعلنا لمهلكهم موعدا ❊ لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر
لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع
والمحيض ❊ واذ قال موسى ❊ مقدر باذكر ❊ لفتاه ❊ يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده ❊
لا ابرح ❊ لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله ❊ حتى ابلغ مجمع
البحرين ❊ من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه
فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء
الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر
علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
❊ او امضي حقبا ❊ او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى
ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل
سبعون روي ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة
فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا خضر وهو
بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي
الى ايام موسى عليه السلام وقيل سأل موسى ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني
قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان
في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند
الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا
فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان ❊ فلما بلغا مجمع بينهما ❊ اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل ❊ نسيا حوتهما ❊ نسي موسى ان يطلبه
ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وروي ان موسى عليه السلام
رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع

من عين

من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون
منه امارة على الظفر بالمطلوب ❊ فاتخذ سبيله في البحر سربا ❊ فاتخذ الحوت
طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على
الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من
السبيل ويجوز تعلقه باتخذ ❊ فلما جاوزا ❊ مجمع البحرين ❊ قال لفتاه آتنا غداءنا
❊ ما نتغدى به ❊ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ❊ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد
فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي
موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة ❊ قال ارأيت ❊ ارأيت
ما دهاني ❊ اذ اوينا الى الصخرة ❊ يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي
التي دون نهر الزيت ❊ فاني نسيت الحوت ❊ فقدته او نسيت ذكره بما رأيت
منه ❊ وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ❊ اي وما انساني ذكره الا الشيطان
فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل
الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة
امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار
وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة
وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها
باحدهما عن الآخر يعد من نقصان ❊ واتخذ سبيله في البحر عجبا ❊
سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف
وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من
تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا ❊ قال ذلك
❊ اي امر الحوت ❊ ما كنا نبغ ❊ نطلب لانه امارة المطلوب ❊ فارتدا على
آثارهما ❊ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه ❊ قصصا ❊ يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة ❊ فوجدا عبدا من عبادنا ❊ الجمهور على
انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس ❊ آتيناه رحمة
من عندنا ❊ هي الوحي والنبوة ❊ وعلمناه من لدنا علما ❊ مما يختص بنا ولا يعلم
الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ❊ قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن ❊ على
شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف ❊ مما علمت رشدا ❊ علما

ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه. قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره. قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى. قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة. فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها. قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل. لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم. قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل. قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد به شيء آخر نسيه. ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري

بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين. فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك. قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية ورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين. قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة. قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك. قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله عليه السلام رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد. فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال. فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا

كسر ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض
وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا :: فاقامه :: بعمارته
او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه :: قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا :: تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه
لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من
تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي
لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون :: قال هذا فراق
بيني وبينك :: الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض
الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة
الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل ۞
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا :: بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه
منكرا من حيث الظاهر :: اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر :: لمحاويج وهو
دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم
عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
:: فاردت ان اعيبها :: اجعلها ذات عيب :: وكان وراءهم ملك :: قدامهم او
خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدي
:: ياخذ كل سفينة غصبا :: من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان
اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب
وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك
رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل
سفينة صالحة والمعنى عليها :: واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
:: ان يغشيهما طغيانا وكفرا :: لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه فيرتدا باضلاله او
بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب
اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره
كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل ۞

فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه :: ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه :: زكوة ::
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية :: واقرب رحما :: رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا
نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتثقيل وانتصابه
على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة :: واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة :: قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور :: وكان تحته كنز لهما ::
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتها وما تعلق بها من الحقوق وقيل من كتب العلم
وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله :: وكان ابوهما صالحا :: تنبيه على ان سعيه في ذلك
كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظ فيه سبعة آباء وكان سياحا
واسمه كاشح :: فاراد ربك ان يبلغا اشدهما :: الحلم وكمال الراي :: ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك :: مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان
ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل
اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان
التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ
الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال
العارف في الالتفات الى الوسائط :: وما فعلته :: وما فعلت ما رايته :: عن امري ::
عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ::
ذلك تاويل ما لم تستطع عليه صبرا :: اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه
القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان
يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه و
يعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه :: ويسالونك عن ذي القرنين :: يعني اسكندر
الرومي ملك فارس والروم وقيل المغرب والمشرق ولذلك سمي ذا القرنين

او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على
ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة ﴿قل سأتلو
عليكم منه ذكرا﴾ خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله ﴿انا مكنا له في الارض﴾
اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿وآتيناه من كل شيء﴾
اراده وتوجه اليه ﴿سببا﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فاتبع
سببا﴾ اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر
بقطع الالف مخففة التاء ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾
ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية
على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ
لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن
عباس سمع معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ﴿ووجد عندها﴾ عند تلك العين
﴿قوما﴾ قيل لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله تعالى
بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب﴾
اي بالقتل على كفرهم ﴿واما ان تتخذ فيهم حسنا﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره
بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله ﴿قال اما من ظلم
فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ اي فاختار الدعوة فقال اما من دعوته
فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا
بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله ﴿واما من آمن وعمل صالحا﴾
وهو ما يقتضيه الايمان ﴿فله﴾ في الدارين ﴿جزاء الحسنى﴾ فعلته الحسنى وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى
مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون
على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز
ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب او الاحسان فالاول

لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان
غيره فبالالهام او على لسان نبي ﴿وسنقول له من امرنا﴾ مما نامره به ﴿يسرا﴾ سهلا
ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ثم اتبع سببا﴾ ثم اتبع طريقا
يوصله الى المشرق وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده
﴿حتى اذا بلغ مطلع الشمس﴾ يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿كذلك﴾ اي امر ذي القرنين كما وصفناه
في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك
القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم ﴿وقد احطنا بما لديه﴾ من الجنود والآلات
والعدد والاسباب ﴿خبرا﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك
بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ثم اتبع سببا﴾ يعني طريقا ثالثا معترضا
بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿حتى اذا بلغ بين السدين﴾
بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر
الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وحمزة و
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح
لما عمل الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ﴿وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لتلعثمهم ﴿قالوا يا ذا القرنين﴾ اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال
الذين من دونهم ﴿ان ياجوج وماجوج﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل
ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان
من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
﴿مفسدون في الارض﴾ اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا
يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما

واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر ❊ على أن
تجعل بيننا وبينهم سدا ❊ يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة
والكسائي ❊ قال ما مكني فيه ربي خير ❊ ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي
من الخراج فلا حاجة بي إليه وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل ❊ فأعينوني بقوة ❊ أي بقوة
فعلة أو بما أتقوى به من الآلات ❊ أجعل بينكم وبينهم ردما ❊ حاجزا حصينا وهو
أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاع فوق رقاع ❊ آتوني زبر الحديد ❊
قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء
بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أبي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء
الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل ❊ حتى إذا ساوى بين الصدفين
❊ بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين و
أبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات
من الصدف وهو الميل لأن كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ❊
قال انفخوا ❊ أي قال للعملة انفخوا في الأكوار والحديد ❊ حتى إذا جعله ❊ جعل المنفوخ فيه
❊ نارا ❊ كالنار بالإحماء ❊ قال آتوني أفرغ عليه قطرا ❊ أي آتوني قطرا أي نحاسا
مذابا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني وبه تمسك البصريون على أن إعمال
الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى إذ لو كان قطرا مفعول آتوني
لأضمر مفعول أفرغ حذرا من الإلباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال ايتوني موصولة الألف
❊ فما اسطاعوا ❊ بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالإدغام جامعا
بين ساكنين على غير حدهما وقرئ بقلب السين صادا ❊ أن يظهروه ❊ أن يعلوه
بالصعود لارتفاعه وانملاسه ❊ وما استطاعوا له نقبا ❊ لثخنه وصلابته وقيل حفر
الأساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها
الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب
النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا وقيل بناه
من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها ❊
قال هذا ❊ هذا السد أو الإقدار على تسويته ❊ رحمة من ربي ❊ على عباده ❊ فإذا
جاء وعد ربي ❊ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف

يوم القيامة ❊ جعله دكا ❊ مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض مصدر بمعنى مفعول و
منه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أي أرضا مستوية ❊
وكان وعد ربي حقا ❊ كائنا لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذي القرنين ❊ وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض ❊ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء
السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون
ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويؤيده ❊ ونفخ في الصور ❊ لقيام الساعة ❊
فجمعناهم جمعا ❊ للحساب والجزاء ❊ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ❊
وأبرزناها وأظهرناها لهم عرضا ❊ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ❊
عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم ❊ وكانوا لا يستطيعون سمعا
❊ استماعا لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق فإن الأصم قد يستطيع السمع
إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية ❊ أفحسب الذين كفروا ❊
أفظنوا والاستفهام للإنكار ❊ أن يتخذوا عبادي ❊ اتخاذهم الملائكة والمسيح ❊ من دوني
أولياء ❊ معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة
أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة
وأن بما في حيزها مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل
في العمل أو خبر له ❊ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ❊ ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن
لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه ❊ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ❊
نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم ❊ الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا ❊ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فإنهم خسروا دنياهم
وأخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البدل أو
النصب على الذم ❊ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ❊ لعجبهم واعتقادهم أنهم على
الحق ❊ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ❊ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد
والنبوة ❊ ولقائه ❊ بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه ❊ فحبطت أعمالهم ❊ بكفرهم
فلا يثابون عليها ❊ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ❊ فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا و
اعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها ❊ ذلك ❊ الأمر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي
جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا

واتخذوا آياتي ورسلي هزوا : اي بسبب ذلك : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا : فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى
درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل : خالدين فيها : حال مقدرة :
لا يبغون عنها حولا : تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان
يراد به تأكيد الخلود : قل لو كان البحر مدادا : ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر
للدواة والسليط للسراج : لكلمات ربي : لكلمات علمه وحكمته : لنفد البحر : لنفد جنس
البحر باسره لان كل جسم متناه : قبل ان تنفد كلمات ربي : فانها غير متناهية لا تنفد
كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء : ولو جئنا بمثله : بمثل البحر الموجود : مددا : زيادة
ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون
الا متناهيا للدليل القاطع على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي
لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا
وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا : قل انما انا بشر مثلكم : لا ادعي الاحاطة على كلماته
يوحى الي انما الهكم اله واحد : وانما تميزت عنكم بذلك : فمن كان يرجو لقاء ربه :
يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه : فليعمل عملا صالحا : يرتضيه الله : ولا يشرك
بعبادة ربه احدا : بان يرائيه ويطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال
لرسول الله عليه السلام اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع احد عليه سرني فقال ان الله لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة
وعن النبي عليه السلام من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ الى البيت
المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من
قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء :

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص أمال أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وأبو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ما قبله إن أول بالسورة أو القرآن فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الأمر عبده مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادى ربه نداء خفيا لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان والإخفاء أشد إخباتا وأكثر إخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب إني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا إيضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الإضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم أكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتادا فإجابته معتادة وأنه تعوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه وإني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا دينهم عليهم من ورائي بعد موتي وعن

ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الأمر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي أو خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فإنه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن إسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لأنه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وفعلا يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد بإجابة دعائه وإنما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد بيحيى قبله وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم والأظهر أنه أعجمي وإن كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه أو لأن دين الله حيي بدعوته قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل وأصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال أي الله أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الأمر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبا بقال في قال ربك وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الأول قراءة من قرأ وهو علي هين أي الأمر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون علي أو كما وعدت وهو علي هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم

لك شيئا :: بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرا
حمزة والكسائي وقد خلقناك :: قال رب اجعل لي اية :: علامة اعلم بها وقوع ما
بشرتني به :: قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا :: سوي الخلق
ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي ههنا والايام في آل عمران للدلالة على انه
استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن ::
فخرج على قومه من المحراب :: من المصلى او من الغرفة :: فاوحى اليهم :: فاومى اليهم
لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض :: ان سبحوا :: صلوا او نزهوا ربكم
بكرة وعشيا :: طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه
وان تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة :: يا يحيى :: على تقدير القول
خذ الكتاب :: التورية :: بقوة :: بجد واستظهار بالتوفيق :: واتيناه الحكم صبيا
:: يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه ::
وحنانا من لدنا :: ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على
الحكم :: وزكوة :: وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه
او مكنه ووفقه للتصدق على الناس :: وكان تقيا :: مطيعا متجنبا عن المعاصي :: وبرا
بوالديه :: وبارا بهما :: ولم يكن جبارا عصيا :: عاقا او عاصي ربه :: وسلام
من الله :: عليه يوم ولد :: من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم :: ويوم يموت
:: من عذاب القبر :: ويوم يبعث حيا :: من عذاب النار وهول القيامة ::
واذكر في الكتاب :: في القرآن :: مريم :: يعني قصتها :: اذ انتبذت :: اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد
بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة :: من اهلها
مكانا شرقيا :: شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت :: فاتخذت
من دونهم حجابا :: سترا :: فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا :: قيل قعدت
في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت
خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا
بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه ولعله لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها

الا رحيما :: قالت اني اعوذ بالرحمن منك :: من غاية عفافها :: ان كنت تقيا ::
تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة
منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت
تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك :: قال انما انا رسول
ربك :: الذي استعذت به :: لاهب لك غلاما :: لاكون سببا في هبته بالنفخ
في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر
عن نافع ويعقوب بالياء :: زكيا :: طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير او مترقيا
من سن الى سن على الخير والصلاح :: قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
:: ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال
فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله :: ولم اك بغيا ::
عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق ::
قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله :: اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به
قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات :: آية للناس :: علامة لهم
وبرهانا على كمال قدرتنا :: ورحمة منا :: على العباد يهتدون بارشاده :: وكان
امرا مقضيا :: تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا
بان يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة :: فحملته :: بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين
وقد حاضت حيضتين :: فانتبذت به :: فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن
الجار والمجرور في موضع الحال :: مكانا قصيا :: بعيدا من اهلها
وراء الجبل وقيل اقصى الدار :: فاجاءها المخاض :: فالجاها المخاض وهو في الاصل
منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما
مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج :: الى جذع النخلة :: لتستتر به
وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم
يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها

ما يسكن روعتها وتطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو
عمرو ومت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ
بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر
بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم للاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان
يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح
من بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة
ان لا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا
هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع
النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي
الثمرة به والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء
الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من
ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع
رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه
من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان
يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك
رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من
الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر
احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة
وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما و
كانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري و

انما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك
لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع لطعن الطاعن فأتت به مع ولدها
قومها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد اذا قطعه يا اخت هرون
يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به
تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من
وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى
صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات والرد على
من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا
نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه
كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيثما كنت
واوصاني وامرني بالصلاة والزكاة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ
بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني
برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا شقيا
عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه
فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم
اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم
عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة
للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان

ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر
مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول * الذي فيه يمترون * في امره يشكون او
يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
* ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه * تكذيب للنصارى وتنزيه عما بهتوه *
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون * تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده
بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر
فيكون بالنصب على الجواب * وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم *
سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وان بالفتح على ولانه
وقيل انه معطوف على الصلوة * فاختلف الاحزاب من بينهم * اليهود والنصارى
او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض
ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه * فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم * من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود
او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وايديهم وارجلهم واراؤهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او
مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه * اسمع بهم وابصر * تعجب معناه ان اسماعهم
وابصارهم * يوم يأتوننا * اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما وعميا
في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى
الثاني في موضع النصب * لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين * اوقع الظالمين
موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم
وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين * وانذرهم يوم الحسرة * يوم يتحسر الناس
المسيئ على اساءته والمحسن على قلة احسانه * اذ قضي الامر * فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة *
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون * حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل * انا نحن
نرث الارض ومن عليها * لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه * والينا يرجعون *

يردون للجزاء * واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا * ملازما للصدق
كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله * نبيا *
استنبأه الله * اذ قال * بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او
بصديقا نبيا * لابيه يا ابت * التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي
ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها * لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
* فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك * ولا يغني عنك شيئا * في جلب
نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده
برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة
ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا
تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم
عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه
الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي
فقال * يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا *
ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون
اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة
عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال * يا ابت لا تعبد الشيطان * واستجاز
ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله
* ان الشيطان كان للرحمن عصيا * ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص
حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره
اليه فقال * يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا * قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثانيا يليه في الولاية فانه اكبر من
العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب
اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء
همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته من

منه عليها: قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم: قابل استعطافه ولطفه في
الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وأخره
وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها
مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال: لئن لم تنته: عن مقالك فيها والرغبة
عنها: لأرجمنك: بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد مني
: واهجرني: عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني: مليا:
زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني: قال سلام عليك: توديع ومتاركة
ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن
: سأستغفر لك ربي: لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر
استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة: إنه كان
بي حفيا: بليغا في البر والألطاف: وأعتزلكم وما تدعون من دون الله:
بالمهاجرة بديني: وأدعو ربي: وأعبده وحده: عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا
: خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس
والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب
: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله: بالهجرة إلى الشام: وهبنا له إسحق و
يعقوب: بدل من فارقهم من الكفرة قيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج
بسارة وولدت له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء
أو لأنه أراد أن يذكر إسمعيل بفضله على الانفراد: وكلا جعلنا نبيا: وكلا منهما أو منهم
: ووهبنا لهم من رحمتنا: النبوة والأموال والأولاد: وجعلنا لهم لسان صدق
عليا: يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق
في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق
وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على
تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل: واذكر في الكتاب موسى إنه كان
مخلصا: موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه وأخلص
نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه: وكان رسولا
نبيا: أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص و
أعلى: وناديناه من جانب الطور الأيمن: من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي

تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة:
وقربناه: تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته: نجيا: مناجيا حال من
أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي أنه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم: ووهبنا له من رحمتنا: من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا: أخاه:
معاضدة أخيه ومؤازرته إجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من أهلي هارون
أخي فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل: هرون: عطف بيان له: نبيا
حال منه: واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد: ذكره بذلك لأنه المشهور به
والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على
الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين فوفى: وكان رسولا نبيا: يدل على أن
الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته:
وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة: اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه
ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر
أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم
: وكان عند ربه مرضيا: لاستقامة أقواله وأفعاله: واذكر في الكتاب إدريس
: هو سبط شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة
درسه إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم
النجوم والحساب: إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا: يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة: أولئك
إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس: الذين أنعم الله عليهم
: بأنواع النعم الدينية والدنياوية: من النبيين: بيان للموصول: من ذرية
آدم: بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن يكون من فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم
من الأنبياء وأخص من الذرية: وممن حملنا مع نوح: أي من ذرية من حملنا خصوصا
وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح: ومن ذرية إبراهيم
: الباقون: وإسرائيل: عطف على إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل وكان منهم
موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية
: وممن هدينا: ومن جملة من هديناه إلى الحق: واجتبينا: للنبوة والكرامة

اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول
صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم
من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ
يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف من
بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف
سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات
كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي وبنوا
المشيد وركبوا المنظور ولبسوا المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء
غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة
فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء
للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز
ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن
بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن
عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم
بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا
يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا
لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه
من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء
المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة
واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل

المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ
يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ واسترجاع ولا تبطل
برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار
لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا
بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله عليه السلام لما سئل عن
قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى
اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه
وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت
الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من
مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان
ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك
عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل
اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله
ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا
لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض
وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك
فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك
بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها
ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك
هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان
سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة
بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا

العبادة عقبه لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على
مشاقها ❁ ويقول الانسان ❁ المراد به الجنس باسره فان القول مقول فيما
بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم
المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا
نبعث بعد ما نموت ❁ ائذا ما مت لسوف اخرج حيا ❁ من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة
وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة
للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ
اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر ❁ اولا يذكر الانسان ❁ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه
وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف
وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل ❁ انا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا ❁ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل ❁ فوربك لنحشرنهم ❁
اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول ❁ والشياطين ❁
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى
الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا
معهم ❁ ثم لنحضرنهم حول جهنم ❁ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة
وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع
السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ❁ جثيا ❁ على ركبهم لما يدهمهم من هول
المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى
انهم يجثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرا حمزة والكسائي وحفص

جثيا بكسر الجيم ❁ ثم لننزعن من كل شيعة ❁ من كل امة شاعت دينا ❁ ايهم اشد
على الرحمن عتيا ❁ من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على
انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به
وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد
الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن
من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز
اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة واما على فمتعلق بافعل
وكذا الباء في قوله ❁ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ❁ اي الذين هم اولى بالصلي
او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص صليا بكسر الصاد ❁ وان منكم ❁ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده
انه قرئ وان منهم ❁ الا واردها ❁ الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون
وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها ❁ كان على ربك
حتما مقضيا ❁ كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به
وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ❁ ثم ننجي الذين اتقوا ❁ فيساقون الى الجنة وقرا
الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بالفتح اي هناك ❁ ونذر الظالمين فيها
جثيا ❁ منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا
بهم على هيئاتهم ❁ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ❁ مرتلات الالفاظ مبينات
المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز ❁ قال الذين كفروا ❁ للذين

لأجلهم أو معهم: أي الفريقين: المؤمنين والكافرين: خير مقاماً: موضع
قيام أو مكاناً، وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل: وأحسن ندياً:
مجلساً ومجتمعاً، والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة
حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم
بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضاً مع التهديد نقضاً بقوله: وكم
أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً: وكم مفعول أهلكنا ومن قرن
بيانه، وإنما سمي أهل كل عصر قرناً لأنه يتقدم من بعدهم، وهم أحسن صفة لكم
وأثاثاً تمييز عن النسبة وهو متاع البيت، وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث
والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز، وقرأ قالون وابن ذكوان
رياً على قلب الهمزة وإدغامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة، وأبو بكر ريئاً على
القلب، وقرئ رياً بحذف الهمزة وزياً من الزي وهو الجمع فإنه محاسن مجموعة ثم
إن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في
الآخرة بقوله: قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً: فيمده ويمهله بطول العمر
والتمتع به، وإنما أخرجه على لفظ الأمر إيذاناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً و
قطعاً لمعاذيره كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر: حتى إذا رأوا ما يوعدون: غاية المد، وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا
أي الفريقين خير: حتى إذا رأوا ما يوعدون: إما العذاب وإما الساعة: تفصيل
للموعود فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً
وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال: فسيعلمون من هو شر
مكاناً: من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلاناً و
وبالاً عليهم، وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى: وأضعف جنداً: أي فئة
وأنصاراً قابل به أحسن ندياً من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم
وظهور شوكتهم واستظهارهم: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى: عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد
أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو
خير له وعوضه منه، وقيل عطف على محل فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة

يزيد الله في ضلالته ويزيد المقابل له هداية: والباقيات الصالحات: الطاعات
التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر: خير عند ربك ثواباً: عائدة مما متع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما أشار بقوله: وخير مرداً: والخير هاهنا إما لمجرد الزيادة أو على
طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده: أفرأيت الذي
كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً: نزلت في عاص بن وائل كان لخباب عليه
مال فتقاضاه فقال له لا والله حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً
ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك ولما
كانت الرؤية أقوى سند الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار والفاء على أصلها
والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك، وقرأ حمزة والكسائي ولداً
وهو جمع ولد كأسد في أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب: أطلع الغيب: أقد
بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى
أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وتألى عليه: أم اتخذ عند الرحمن عهداً: أو اتخذ
من عالم الغيوب عهداً بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين
وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه
كلا: ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه: سنكتب ما يقول: سنظهر له
أنا كتبنا قوله على طريقة قوله: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة، أي تبين أني لم تلدني لئيمة
أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا
يتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد: ونمد له من العذاب
مداً: ونطول له من العذاب ما يستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه
واستهزائه على الله ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه: ونرثه
بموته: ما يقول: يعني المال والولد: ويأتينا فرداً: يوم القيامة لا يصحبه مال ولا ولد
كان له في الدنيا فضلاً أن يؤتى ثم زائداً، وقيل فرداً رافضاً لهذا القول منفرداً
عنه: واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً: ليتعززوا بهم حيث يكونون
لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده: كلا: ردع وإنكار لتعززهم بها: سيكفرون
بعبادتهم: ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا

وتستنكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين «ويكونون عليهم ضدا» يؤيد الاول اذا فسر الضد
بضد العز اي يكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان
توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف
الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل
يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم «الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين» بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء «تؤزهم ازا» تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة
وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة
«فلا تعجل عليهم» بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض
من فسادهم «انما نعد لهم» ايام آجالهم «عدا» والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم
الا ايام محصورة وانفاس معدودة «يوم نحشر المتقين» نجمعهم «الى الرحمن»
الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان
مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
«وفدا» وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
«ونسوق المجرمين» كما تساق البهائم «الى جهنم وردا» عطاشا فان من يرد
الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء «لا يملكون الشفاعة»
الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم
«الا من اتخذ عند الرحمن عهدا» الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع
للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها
كقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره
ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من
اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين فالمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا»
الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم

«لقد جئتم شيئا ادا» على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة
على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني
اثقلني وعظم علي «تكاد السموات» وقرأ نافع والكسائي بالياء «يتفطرن
منه» يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر
ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع
فعل ولان اصل التفعل للتكلف «وتنشق الارض وتخر الجبال هدا» تهد
هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول
هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام
وتفتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله تعالى بحيث لولا حلمه لخرب
العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها «ان دعوا للرحمن ولدا» يحتمل
النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار
اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك
ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي
الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب
الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه «وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا»
لا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم
بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها
ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله «ان كل من
في السموات والارض» اي ما منهم «الا آتي الرحمن عبدا» الا وهو مملوك له يأوي
اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل «لقد احصاهم» حصرهم و
احاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته «وعدهم عدا» عد اشخاصهم
وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار «وكلهم آتيه يوم القيامة فردا»
منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه
ليشرك به «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا»
سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه السلام اذا
احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء
ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين

لأن السورة مكية وكانوا ممتحنين بين جبابرة من الكفرة ثم وعده ذلك إذا دجا الإسلام
أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما
في صدورهم من الغل ❁ فإنما يسرناه بلسانك ❁ بأن أنزلناه بلغتك والباء
بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرناه معنى أنزلناه أي أنزلناه بلغتك ❁ لتبشر به
المتقين ❁ الصائرين إلى التقوى ❁ وتنذر به قوما لدا ❁ أشداء الخصومة آخذين
في كل لديد أي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر ❁ وكم أهلكنا قبلهم من
قرن ❁ تخويف للكفرة وتجسير للرسول على إنذارهم ❁ هل تحس منهم من أحد ❁ هل
تشعر بأحد منهم وتراه ❁ أو تسمع لهم ركزا ❁ وقرئ تُسمع من أسمعت والركز الصوت
الخفي وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال
المدفون عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من
كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين فيها وبعدد
من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله عز وجل

❁ سورة طه وهي مكية ومائة وأربع وثلثون آية ❁

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ طه ❁ فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص
ويعقوب على الأصل وفخم الطاء وحدها أبو عمرو وورش لاستعلائها
وأمالهما الباقون وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك
فإن صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله إن السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله أخلاق الملاعين ضعيف
لجواز أن يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول عليه السلام
بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه وأن أصله
طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطأ ألفا كقوله • لا هناك المرتع ثم بني
عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طاها والألف
مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الأرض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف
وكذا التفسير بيا رجل أو اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ❁ ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى ❁ خبر طه إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن
والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب إن جعلته مقسما به ومنادى له إن جعلته
نداء واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف

محكية والمعنى ما أنزلنا عليك لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك
إلا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع
بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل إليه
للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فإنهم لما رأوا كثرة
عبادته قالوا إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به ❁
إلا تذكرة ❁ لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلا
من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لأنزلنا فإن الفعل الواحد لا يتعدى
إلى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على
أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل
لتتعب بتبليغه ❁ لمن يخشى ❁ لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالإنذار أو لمن علم الله
منه أنه يخشى بالتخويف منه فإنه المنتفع به ❁ تنزيلا ❁ نصب بإضمار فعله أو بيخشى
أو على المدح أو البدل من تذكرة إن جعل حالا وإن جعل مفعولا له لفظا أو معنى
فلا لأن الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ❁ ممن خلق الأرض والسموات العلى ❁
مع ما بعده إلى قوله الأسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر
أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الأرض والسموات التي هي
أصول العالم وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات
العلى وهو جمع العليا تأنيث الأعلى ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها
بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير وأنزل منه الأسباب على ترتيب
ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال ❁ الرحمن على العرش
استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ❁ ليدل بذلك
على كمال قدرته وإرادته ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن
العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال ❁
وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ❁ أي وإن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم
أنه غني عن جهرك فإنه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع
الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه
فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع
لصفات الألوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ❁ الله لا إله إلا

هو له الأسماء الحسنى :: وممن إما من خلق صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم
إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد
العظيم الشأن ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب
الإيمان به والانقياد له من حيث إنه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية
كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش
استوى خبر محذوف وكذا إن رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون
خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الأرض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث
الأحسن وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء في الحسن لدلالتها على معان هي أشرف
المعاني وأفضلها :: وهل أتاك حديث موسى :: قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم
به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه السورة
من أوائل ما نزل :: إذ رأى نارا :: ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول لاذكر قيل
إنه استأذن شعيبا في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه
الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطور نارا :: فقال لأهله امكثوا :: أقيموا مكانكم
وقرأ حمزة لأهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها
:: إني آنست نارا :: أبصرتها إبصارا لا شبهة فيه وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به
:: لعلي آتيكم منها بقبس :: بشعلة من النار وقيل جمرة :: أو أجد على النار هدى ::
هاديا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها
في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان
محققا ولذلك حققه لهم بإن ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن
أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه
لصوق بمكان يقرب منه :: فلما أتاها :: أي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء
:: نودي يا موسى إني أنا ربك :: فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره الباقون
بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل إنه لما نودي قال
من المتكلم قال إني أنا الله فوسوس إليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال
أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء وهو إشارة إلى
أنه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس

المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة :: فاخلع نعليك :: أمره بذلك
لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه
فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال ::
إنك بالواد المقدس :: تعليل للأمر باحترام البقعة والتقديس يحتمل المعنيين ::
طوى :: عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل
هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين ::
وأنا اخترتك :: اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك :: فاستمع لما يوحى ::
للذي يوحى إليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين :: إنني أنا الله لا
إله إلا أنا فاعبدني :: بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو
منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل :: وأقم الصلاة لذكري :: خصها بالذكر
وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان
بذكره وقيل لذكري لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالثناء
أو لذكري خاصة لا تراني بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لأوقات ذكري وهي
مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه قال من نام عن صلاة أو نسيها
فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري :: إن الساعة
آتية :: كائنة لا محالة :: أكاد أخفيها :: أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها
فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت
به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا
أظهره :: لتجزى كل نفس بما تسعى :: متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير ::
فلا يصدنك عنها :: عن تصديق الساعة أو عن الصلاة :: من لا يؤمن بها :: نهي الكافر
أن يصد موسى عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن
فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنه وأنه ينبغي أن يكون راسخا
في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه :: واتبع هواه :: ميل نفسه إلى
اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره على غيرها :: فتردى :: فتهلك بالانصداد بصده
:: وما تلك :: استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب :: بيمينك ::
حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك :: يا موسى :: تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه
:: قال هي عصاي :: وقرئ عصي على لغة هذيل :: أتوكأ عليها :: أعتمد عليها إذا أعييت

او وقفت علی راس القطیع ﴿واهش بها علی غنمی﴾ واخبط الورق بها علی رؤس
غنمی وقرئ اهش وکلاهما من هش الخبز یهش اذا انکسر لهشاشته وقرئ بالسین
من الهس وهو زجر الغنم ای انحی علیها زاجرا لها ﴿ولی فیها مارب اخری﴾ حاجات
اخر مثل ان کان اذا سار القاها علی عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندین علی شعبتیها
والقی علیها الکساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع
لغنمه قاتل بها وکانه علیه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان یذکر حقیقتها وما
یری من منافعها حتی اذا راها بعد ذلک علی خلاف تلک الحقیقة ووجد منها خصائص
اخری خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها باللیل کالشمع وتصیر دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وینبع الماء برکزها وینضب بنزعها
وتورق وتثمر اذا اشتهی ثمرة فرکزها علم ان ذلک آیات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله تعالی فیها لاجله ولیست من خواصها فذکر حقیقتها ومنافعها مفصلا ومجملا
علی معنی انها من جنس العصی تنفع منافع امثالها لیطابق جوابه الغرض الذی فهمه
﴿قال القها یا موسی فالقاها فاذا هی حیة تسعی﴾ قیل لما القاها انقلبت حیة صفراء بغلظ
العصا ثم تورمت وعظمت فلذلک سماها جانا تارة نظرا الی المبدا وثعبانا مرة باعتبار
المنتهی وحیة اخری بالاسم الذی یعم الحالین وقیل کانت فی ضخامة الثعبان وجلادة الجان
ولذلک قال کانها جان ﴿قال خذها ولا تخف﴾ فانه لما رآها حیة تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها ﴿سنعیدها سیرتها الاولی﴾ هیئتها وحالتها
المتقدمة وهی فعلة من السیر تجوز بها للطریقة والهیئة وانتصابها علی نزع الخافض
او علی ان اعاد منقول من عاده بمعنی عاد الیه او علی الظرف ای سنعیدها فی
طریقتها او علی تقدیر فعلها ای سنعید العصا بعد ذهابها تسیر سیرتها الاولی
فتنتفع بها ما کنت تنتفع قبل قیل لما قال له ربه ذلک اطمانت نفسه حتی ادخل
یده فی فمها واخذ بلحییها ﴿واضمم یدک الی جناحک﴾ الی جنبک تحت العضد
یقال لکل ناحیتین جناحان کجناحی العسکر استعارة من جناحی الطائر سمیا بذلک لانه
یجنحهما عند الطیران ﴿تخرج بیضاء﴾ کانها مشعة ﴿من غیر سوء﴾ من غیر عاهة وقبح
کنی به عن البرص کما کنی بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿آیة اخری﴾
معجزة ثانیة وهی حال من ضمیر تخرج کبیضاء او من ضمیرها او مفعول باضمار خذ او دون
﴿لنریک من آیاتنا الکبری﴾ متعلق بهذا المضمر او بما دل علیه آیة او القصة ای

ولنریک بها او فعلنا ذلک لنریک والکبری صفة آیاتنا او مفعول لنریک ومن آیاتنا
حال منها ﴿اذهب الی فرعون﴾ بهاتین الآیتین وادعه الی العبادة ﴿انه طغی﴾
عصی وتکبر ﴿قال رب اشرح لی صدری ویسر لی امری﴾ لما امره الله تعالی
بخطب عظیم وامر جسیم ساله ان یشرح صدره ویفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر علی
مشاقه والتلقی لما ینزل علیه ویسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع
وفائدة لی ابهام المشروح والمیسر اولا ثم رفعه بذکر الصدر والامر تاکیدا
ومبالغة ﴿واحلل عقدة من لسانی یفقهوا قولی﴾ فانما یحسن التبلیغ من البلیغ و
فی لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلک ان فرعون حمله یوما فاخذ لحیته ونتفها
فغضب وامر بقتله فقالت آسیة انه صبی لا یفرق بین الجمر والیاقوت فاحضرا
بین یدیه فاخذ الجمرة ووضعها فی فیه ولعل تبییض یده کان لذلک وقیل احترقت
یده واجتهد فرعون فی علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الی ای رب تدعونی قال
الی الذی ابرأ یدی وقد عجزت عنه واختلف فی زوال العقدة بکمالها فمن قال به
تمسک بقوله قد اوتیت سؤلک ومن لم یقل احتج بقوله هو افصح منی لسانا وقوله
لا یکاد یبین واجاب عن الاول بانه لم یسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع
الافهام ولذلک نکرها وجعل یفقهوا جواب الامر ومن لسانی یحتمل ان یکون صفة عقدة
وان یکون صلة احلل ﴿واجعل لی وزیرا من اهلی هرون اخی﴾ یعیننی علی ما کلفتنی
واشتقاق الوزیر اما من الوزر لانه یحمل الثقل عن امیره او من الوزر وهو الملجأ لان
الامیر یعتصم برایه ویلتجئ الیه فی اموره ومنه الموازرة وقیل اصله ازیر من الازر بمعنی
القوة فعیل بمعنی مفاعل کالعشیر والجلیس قلبت همزته واوا کقلبها فی موازر ومفعولا
اجعل وزیرا وهرون قدم ثانیهما للعنایة به ولی صلة او حال او وزیرا وهرون ولی
عطف بیان للوزیر او وزیرا من اهلی ولی تبیین کقوله ولم یکن له کفوا احد واخی علی
الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره ﴿اشدد به ازری واشرکه فی امری کی
نسبحک کثیرا﴾ علی لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر علی انهما جواب الامر ﴿ونذکرک
کثیرا﴾ فان التعاون یهیج الرغبات ویؤدی الی تکاثر الخیر وتزایده ﴿انک کنت
بنا بصیرا﴾ عالما باحوالنا وان التعاون مما یصلحنا وان هرون نعم المعین لی فیما امرتنی
﴿قال قد اوتیت سؤلک یا موسی﴾ ای مسؤولک فعل بمعنی مفعول کالخبز والاکل
بمعنی المخبوز والماکول ﴿ولقد مننا علیک مرة اخری﴾ انعمنا علیک فی وقت آخر

إذ أوحينا إلى أمك بإلهام أو في منام أو على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على
وجه النبوة كما أوحي إلى مريم ما يوحى ما لا يعلم إلا بالوحي أو مما ينبغي أن يوحى
ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به أن اقذفيه في التابوت بأن اقذفيه
أو أي اقذفيه لأن الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للإلقاء
وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه
الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر إياه إلى الساحل أمرا واجب
الحصول لتعلق الإرادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب
مخرج الأمر والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر
والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو
له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع قيل إنها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم
وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان
وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح
فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه حبا شديدا كما قال وألقيت عليك
محبة مني أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك
فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته
القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه
لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى و
يحسن إليك وأنا راعيك ورقيبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف
عليك أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع
بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكون
عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك ظرف لألقيت أو
لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع فتقول هل أدلكم
على من يكفله وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بأمه فقبل ثديها
فرجعناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها وقتلت نفسا

نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا
من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين
وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة
على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى و
إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا
وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ما سبق ذكره فلبثت سنين في أهل
مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين على ثماني مراحل
من مصر ثم جئت على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته
المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء يا موسى
كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك
لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب أنت
وأخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي اذهبا
إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا موسى وحده وههنا إياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحي إلى
هارون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل
لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة
حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل
كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت لعله يتذكر أو يخشى متعلق باذهبا
أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فإن الراجي
مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه
لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم
يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل
علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه
الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته إذا حملته على العجلة أي نخاف
أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة

بالعقاب ويخوفونه من الافراط في الاذية :: او ان يطغى :: اي ان يزداد طغيانا
فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
قال لا تخافا انني معكما :: بالحفظ والنصرة :: اسمع وارى :: ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز
ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما وناصركما سامعا مبصرا والحافظ والناصر اذا
كان سميعا بصيرا تم الحفظ :: فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل
ولا تعذبهم :: بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي
القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون
عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم
الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة :: قد جئناك بآية من ربك :: جملة مقررة
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد
جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين :: والسلام على من اتبع الهدى ::
وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم :: انا قد اوحي
الينا ان العذاب على من كذب وتولى :: اي ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل
ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم
وانجع وبالواقع اليق :: قال فمن ربكما يا موسى :: اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به
ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة
ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين و
لا يكاد يبين :: قال ربنا الذي اعطى كل شيء :: من الانواع :: خلقه :: صورته وشكله
الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم
المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه :: ثم هدى :: ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي
وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا وطبعا وهو جواب في غاية البلاغة
لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر

بالذات المنعم على الاطلاق جوابه تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه
في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه
فلم ير الا صرف الكلام عنه :: قال فما بال القرون الاولى :: فما حالهم بعد الموت
من السعادة والشقاوة :: قال علمها عند ربي :: اي انه غيب لا يعلمه الا
الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به :: في كتاب :: مثبت في اللوح
المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده
:: لا يضل ربي ولا ينسى :: والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان
ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون
سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور
والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون
الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده
لا يضل ولا ينسى :: الذي جعل لكم الارض مهدا :: مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف
او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم
يختلفوا في الذي في النبأ :: وسلك لكم فيها سبلا :: وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال
والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها :: وانزل
من السماء ماء :: مطرا :: فاخرجنا به :: عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على
الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة
وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة :: ازواجا ::
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض :: من نبات :: بيان
او صفة لازواجا وكذلك :: شتى :: ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى
اي متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
فلذلك قال :: كلوا وارعوا انعامكم :: وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول

اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى ما هو الا انتفاعكم بالاكل
والعلف آذنين فيه: ان في ذلك لآيات لاولي النهى: لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية: منها خلقناكم: فان التراب
اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم: وفيها نعيدكم: بالموت وتفكيك
الاجزاء: ومنها نخرجكم تارة اخرى: بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب
على الصورة السابقة ورد الارواح اليها: ولقد اريناه آياتنا: بصرناه
اياها او عرفناه صحتها: كلها: تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد
عليه ما اوتي غيره من المعجزات: فكذب: موسى من فرط عناده: وابى: الايمان
والطاعة لعتوه: قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى: هذا تعلل
وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان
يخرج ملكا مثله من ارضه: فلنأتينك بسحر مثله: مثل سحرك: فاجعل بيننا و
وبينك موعدا: وعدا لقوله: لا نخلفه نحن ولا انت: فان الاخلاف لا
يلائم الزمان والمكان وانتصاب: مكانا سوى: بفعل دل عليه المصدر لا به
فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله: قال موعدكم يوم الزينة: من حيث المعنى فان يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان
موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ
يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بها المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي
مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن
عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم
النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على
رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار: وان يحشر الناس ضحى: عطف
على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء
على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه: فتولى فرعون فجمع
كيده: ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم: ثم اتى: بالموعد: قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا: بان تدعوا آياته سحرا: فيسحتكم بعذاب: فيهلككم و

ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من
الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز: وقد خاب من افترى:
كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه: فتنازعوا امرهم
بينهم: اى تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من
كلام السحرة: واسروا النجوى: بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا
فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله
قالوا ان هذان لساحران: تفسير لاسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه
حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم
جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان
اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه
ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن
كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام
بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان: يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بالاستيلاء عليها: بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى: بمذهبكم الذي هو افضل
المذاهب باظهار مذهبهما واعلاء دينهما لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل
ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم
لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم: فاجمعوا كيدكم: فازمعوه واجعلوه
مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله
فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض: ثم ائتوا
صفا: مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع
كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة: وقد افلح اليوم من استعلى:
فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض: قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون اول من ألقى: اى بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا: قال بل ألقوا: مقابلة ادب بادب وعدم

مبالاة بسحرهم وإسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم
وتغيير النظم إلى وجه أبلغ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم
يظهر الله سبحانه وتعالى سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه. فإذا حبالهم
وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى: أي فألقوا فإذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق
أنها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق
فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
فخيل إليه أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على
إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال أنها تسعى بدل الاشتمال وقرئ يخيل
على إسناده إلى الله وتخيل بمعنى تتخيل: فأوجس في نفسه خيفة موسى: فأضمر فيها
خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك
فلا يتبعوه: قلنا لا تخف: ما توهمت: إنك أنت الأعلى: تعليل للنهي وتقرير
لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو
الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل: وألق ما في يمينك: أبهمه ولم يقل
عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك
أو تعظيما لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها
أثرا فألقه: تلقف ما صنعوا: تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت
إحدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل إلى
المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف
وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء:
إنما صنعوا: إن الذي زوروا وافتعلوا: كيد ساحر: وقرئ بالنصب على
أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر أو بتسمية
الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم علم فقه وإنما وحد
الساحر لأن المراد به الجنس المطلق ولذلك قال: ولا يفلح الساحر: أي هذا الجنس
وتنكير الأول لتنكير المضاف كقول العجاج: يوم ترى النفوس ما أعدت ۞ في سعي
دنيا طالما قد مدت ۞ كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحري: حيث أتى: حيث كان وأين
أقبل: فألقي السحرة سجدا: أي فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر

وإنما هو من آيات الله ومعجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا
وإعتابا وتعظيما لما رأوا: قالوا آمنا برب هارون وموسى: قدم هارون لكبر سنه
أو لروي الآية أو لأن فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم
ذكره فربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع روي أنهم رأوا
في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها: قال آمنتم له: أي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى
الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم على الخبر والباقون على الاستفهام: قبل أن
آذن لكم: في الإيمان له: إنه لكبيركم: لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم
الذي علمكم السحر: وأنتم تواطأتم على ما فعلتم: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف:
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو
العضو وهي مع المجرور في حيز النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات وقرئ
لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف: ولأصلبنكم في جذوع النخل: شبه تمكن المصلوب
بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب: ولتعلمن أينا: يريد نفسه
وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضيع
موسى والهزء به فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به: أشد
عذابا وأبقى: وأدوم عذابا وعقابا: قالوا لن نؤثرك: لن نختارك
على ما جاءنا: موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما: من البينات: المعجزات
الواضحات: والذي فطرنا: عطف على ما جاءنا أو قسم: فاقض ما أنت قاض:
ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا: إنما تصنع
ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهي كالتعليل لما قبله
والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى بمعنى الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة:
إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا: من الكفر والمعاصي: وما أكرهتنا عليه من
السحر: في معارضة المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فأراهم
إياه نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره
فأبى إلا أن يعارضوه: والله خير وأبقى: جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا
إنه: إن الأمر: من يأت ربه مجرما: بأن يموت على كفره وعصيانه
فإن له جهنم لا يموت فيها: فيستريح: ولا يحيى: حياة مهناة: ومن يأته
مؤمنا قد عمل الصالحات: في الدنيا: فأولئك لهم الدرجات العلى: المنازل

الرفيعة: جنات عدن: بدل من الدرجات: تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها: حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار: وذلك جزاء من تزكى: تطهر من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى: ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي: أي من مصر: فاضرب لهم طريقا في البحر: فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله: يبسا: يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا أو لتعدده معنى فإنه جعل لكل سبط منهم طريقا: لا تخاف دركا: حال من المأمور أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على أنه جواب الأمر: ولا تخشى: أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أو حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق: فأتبعهم فرعون بجنوده: وذلك أن موسى خرج بهم أول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم: فغشيهم من اليم ما غشيهم: الضمير لجنوده أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك: وأضل فرعون قومه وما هدى: أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا: يا بني إسرائيل: خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم: قد أنجيناكم من عدوكم: فرعون وقومه: وواعدناكم جانب الطور الأيمن: لمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه وإنما عدى المواعدة إليهم وهي لموسى أو له وللسبعين المختارين للملابسة: ونزلنا عليكم المن والسلوى: يعني في التيه: كلوا من طيبات ما رزقناكم: لذائذه أو حلالاته وقرأ حمزة والكسائي

أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب: ولا تطغوا فيه: فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق: فيحل عليكم غضبي: فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه: ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى: فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل: وإني لغفار لمن تاب: من الشرك: وآمن: بما يجب الإيمان به: وعمل صالحا ثم اهتدى: ثم استقام على الهدى المذكور: وما أعجلك عن قومك يا موسى: سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم: قال هم أولاء على أثري: ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا: وعجلت إليك رب لترضى: فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك: قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك: ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا: وأضلهم السامري: باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم ضلالة لأنه كان ضالا مضلا وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا من الله تعالى عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا وقيل من قرية من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا: فرجع موسى إلى قومه: بعدما استوفى الأربعين وأخذ التورية: غضبان: عليهم: أسفا: حزينا بما فعلوه: قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا: بأن يعطيكم التورية فيها هدى ونور: أفطال عليكم العهد: أي الزمان يعني زمان مفارقته لهم: أم أردتم أن يحل عليكم: يجب عليكم: غضب من ربكم: بعبادة ما هو مثل في الغباوة: فأخلفتم موعدي: وعدكم إياي بالثبات على

الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت
الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب
الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه
وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها لغات في الاصل
في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط
التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد
كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على
الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم
لم تكن تحل بعد او لانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي
فقذفناها اي في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم
لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلفت موسى ميعادكم لما معكم
من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل
ما معنا فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف
فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا
يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي
فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار
الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما
ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد
افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم
ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما
وقع عليه بصره حين طلع من البحر توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم
بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات
على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى
يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هارون اي قال له
موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن
ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة

كانه قرر ما منعك الا تتبعن افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام
والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض
عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان موسى عليه السلام حديدا خشنا
متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت
اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم
فتدارك الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا
ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال
بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه
وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا
الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه
لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل
فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض واطلاقها
على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ
باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى
الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي
نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحياة عقوبة على ما فعلت
ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى
الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار
وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله و
ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر
اللام اي لن تخلف الواعد اياه وسياتيك لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها

لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا
برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا
وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك
زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم الله المستحق
لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اي لا احد يماثله ويدانيه في كمال العلم والقدرة
وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق و
ان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على
المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي
الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني
اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور
الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها
وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل
ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن
الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيامة وزرا
عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه
في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم
يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى
احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى
يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان
لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور بفتح الواو وهو جمع صورة وقد
سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ يحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى
العرب لان الروم كانوا اعداءهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو

اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت
خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون
مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون
وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا وعملا ان لبثتم الا يوما
استرجاع لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل
امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليه الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر
لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا
مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا
ولا نتوءا ان تأملت فيها بالمقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان
باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو
يخص المعاني والامت هو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين لما
يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان
يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو
اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى
صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة
من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة
تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن
يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن ورضي له قولا اي رضي لمكانه
عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه
يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه

ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد
الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت
الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد
الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون
اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال و
الاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض
الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص
او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه
الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا
فيه من الوعيد مكررين فيه من آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير
التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها
ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في
ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم
الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في
ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة
حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل
الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه
يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على
ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان
فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة
ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب
لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب

الامور وذاق شدها وازبها وعن النبي عليه السلام لو وزنت احلام
بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب
لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه
وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت
ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات الا ابليس قد سبق
القول فيه ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى
هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج
اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان
المراد من الشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك
الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة
من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا
عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق
سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه من حيث انه
حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ
نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس اليه الشيطان
فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة
التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه
وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو
ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب
حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو
وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقر

بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جنى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
واصل الكلمة الجمع. فتاب عليه. فقبل توبته لما تاب. وهدى. الى الثبات على
التوبة والتشبث باسباب العصمة. قال اهبطا منها جميعا. الخطاب لآدم وحوا
او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال. بعضكم لبعض عدو
لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين
بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله. فاما يأتينكم مني هدى. كتاب ورسول.
فمن اتبع هداي فلا يضل. في الدنيا. ولا يشقى. في الآخرة. ومن اعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي. فان له معيشة ضنكا. ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان
مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على
انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع
ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية وقال
ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب
القبر. ونحشره. وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له
معيشة لانه جواب الشرط. يوم القيمة اعمى. اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا. وامالهما حمزة والكسائي لان
الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير
قال كذلك. اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال. اتتك آياتنا. واضحة
نيرة. فنسيتها. فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها. وكذلك. اي ومثل
تركك اياها. اليوم تنسى. تترك في العمى والعذاب. وكذلك نجزي من
اسرف. بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات. ولم يؤمن بآيات
ربه. بل كذبها وخالفها. ولعذاب الآخرة. وهو الحشر على العمى وقيل عذاب
النار اي وللنار بعد ذلك. اشد وابقى. من ضنك العيش او منه ومن العمى
ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر
بها. افلم يهد لهم. مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه. كم اهلكنا قبلهم
من القرون. اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري
مجرى العلم ويدل عليه القراءة بالنون. يمشون في مساكنهم. ويشاهدون آثار

هلاكهم. ان في ذلك لآيات لاولي النهى. لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي. ولولا كلمة سبقت من ربك. وهي العدة بتأخير العذاب عن هذه
الامة الى الآخرة. لكان لزاما. لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة
وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم. واجل
مسمى. عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال
كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين له. فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك. وصل وانت
حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها. قبل طلوع الشمس. يعني الفجر
وقبل غروبها. يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده. ومن آناء
الليل. ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد. فسبح. يعني المغرب
والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس
اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واقوم قيلا. واطراف النهار. تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة
الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار. لعلك ترضى.
متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك
وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك. ولا تمدن عينيك.
اي نظر عينيك. الى ما متعنا به. استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله.
ازواجا منهم. اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي
الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم. زهرة الحيوة الدنيا. منصوب
بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من
ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب
بالفتح كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء
زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد. لنفتنهم فيه. لنبلوهم ونختبرهم فيه

أو لنعذبهم في الآخرة بسببه. ورزق ربك: وما ادخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنبوة. خير: مما منحهم في الدنيا. وأبقى: فإنه لا ينقطع. وأمر أهلك بالصلاة: أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة. واصطبر عليها: وداوم عليها. لا نسألك رزقا: أن ترزق نفسك ولا أهلك. نحن نرزقك: وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة. والعاقبة: المحمودة. للتقوى: لذوي التقوى. روي أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه: بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة، أو بآية مقترحة إنكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا، فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة، ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا، فكذا ما كان من هذا القبيل، ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه إعجازه المختصة بهذا الباب فقال: أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين، وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث إنه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: أولم تأتهم بالتاء، والباقون بالياء، وقرئ الصحف بالتخفيف. ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله: من قبل محمد أو البينة والتذكير لأنها في معنى البرهان أو القرآن. لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل: بالقتل والسبي في الدنيا. ونخزى: بدخول النار يوم القيامة، وقد قرئ بالبناء للمفعول. قل كل: أي كل واحد منا ومنكم. متربص: منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم. فتربصوا: وقرئ فتمتعوا. فستعلمون من أصحاب الصراط السوي: المستقيم، وقرئ السواء أي الوسط الجيد، والسوأى والسوء أي الشر، والسوي وهو تصغيره. ومن اهتدى: من الضلالة، ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء، ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنه الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على محل الصراط

على أن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم. وعنه عليه السلام: من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سورة الأنبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم. اقترب للناس حسابهم: بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله: إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا، وقوله: ويستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون، أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقرض ومضى. واللام صلة لاقترب أو تأكيد للإضافة، وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم، وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله: وهم في غفلة معرضون: أي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه، وهما خبران للضمير، ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون. ما يأتيهم من ذكر: ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة. من ربهم: صفة لذكر أو صلة ليأتيهم. محدث: تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا، وقرئ بالرفع حملا على المحل. إلا استمعوه وهم يلعبون: يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب، وهم يلعبون حال من الواو، وكذلك: لاهية قلوبهم: أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه، ويجوز أن يكون من واو يلعبون، وقرئت بالرفع على أنه خبر آخر للضمير. وأسروا النجوى: بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها. الذين ظلموا: بدل من واو وأسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به، أو فاعل له والواو لعلامة الجمع، أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره، وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم، أو منصوب على الذم. هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون: بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعول لقول مقدر، كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر، فأنكروا حضوره، وإنما أسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة. قال ربي يعلم القول في السماء والأرض: جهرا كان أو سرا فضلا عما أسروا به، وهو آكد من قوله: قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ولذلك اختير هاهنا، وليطابق قوله: وأسروا النجوى، وقرأ

حمزة والكسائي وحفص قال بالإخبار عن الرسول. وهو السميع العليم فلا يخفى ما
يسرون وما يضمرون. بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر إضراب
لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط الأحلام ثم إلى أنه كلام افتراه ثم إلى أنه قول شاعر و
الظاهر أن بل الأولى لتمام حكايته والابتداء بأخرى أو للإضراب عن تحاورهم في شأن
الرسول وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن والثانية والثالثة لإضرابهم
عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء
نفسه ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز أن
يكون الكل من الله تنزيلاً لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعراً أبعد من كونه مفترى
لأنه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه أحلاماً لأنه
مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الأحلام
ولأنهم جربوا رسول الله نيفاً وأربعين سنة وما سمعوا منه كذباً قط وهو من كونه سحراً
لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق. فليأتنا بآية كما أرسل الأولون مثل اليد البيضاء
والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان
بالآية. ما آمنت قبلهم من قرية من أهل قرية. أهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم
أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح
للإبقاء عليهم إذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم. وما
أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون جواب
لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول
عنهم الشبهة والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي
عليه السلام ويثقون بقولهم أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفاراً وقرأ
حفص نوحي بالنون. وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي
لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقاً لأنهم كانوا أبشاراً مثلهم وقيل
جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فإن التعيش
بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء وتوحيد الجسد لإرادة الجنس أو لأنه مصدر
في الأصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك
لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع
الشيء واشتداده. ثم صدقناهم الوعد أي في الوعد. فأنجيناهم ومن نشاء

يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته
ولذلك حميت العرب عن الاستئصال. وأهلكنا المسرفين في الكفر
والمعاصي. لقد أنزلنا إليكم يا قريش كتاباً يعني القرآن فيه ذكركم
صيتكم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر
من مكارم الأخلاق. أفلا تعقلون فتؤمنون. وكم قصمنا من قرية واردة
عن غضب عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم. كانت ظالمة
صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه. وأنشأنا بعدها بعد إهلاك أهلها
قوماً آخرين مكانهم. فلما أحسوا بأسنا فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك
المشاهد المحسوس والضمير للأهل المحذوف. إذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم. لا تركضوا
على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال والقائل
ملك أو من ثم من المؤمنين. وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من التنعم والتلذذ و
الإتراف إبطار النعمة. ومساكنكم التي كانت لكم. لعلكم تسألون غداً عن
أعمالكم أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين لما رأوا العذاب
ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل إن أهل حضور من قرى اليمن بعث
إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء
يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك. فما زالت تلك دعواهم فما زالوا
يرددون ذلك وإنما سماه دعوى لأن المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل
تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية. حتى جعلناهم
حصيداً مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع. خامدين ميتين
من خمدت النار وهو مع حصيداً بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلواً حامضاً
إذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وإنما خلقناها مشحونة بضروب
البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيباً لما ينتظم به أمور العباد
في المعاش والمعاد فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها
فإنها سريعة الزوال. لو أردنا أن نتخذ لهواً ما يتلهى به ويلعب. لاتخذناه

من لدنا: من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزيينها وتسوية الفرش
وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى:
إن كنا فاعلين: ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة
كالنتيجة للشرطية: بل نقذف بالحق على الباطل: اضراب عن اتخاذ اللهو و
تنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل
الذي من عداده اللهو: فيدمغه: فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي
البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه
المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب
كقوله: سأترك منزلي لبني تميم. والحق بالحجاز فأستريحا. ووجهه مع بعده الحمل على
المعنى والعطف على الحق: فإذا هو زاهق: هالك والزهوق ذهاب الروح
وذكره لترشيح المجاز: ولكم الويل مما تصفون: اي مما لا يجوز عليه وهو في موضع
الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة: وله من في السموات والارض
: خلقا وملكا: ومن عنده: يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه
او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره:
لا يستكبرون عن عبادته: لا يتعظمون عنها: ولا يستحسرون: ولا يعيون منها
وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة
بأن يستحسر منها ولا يستحسرون: يسبحون الليل والنهار: ينزهونه ويعظمونه دائما
: لا يفترون: حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله: ام اتخذوا
آلهة: بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم: من الارض: صفة لآلهة او متعلقة بالفعل
على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص: هم ينشرون: الموتى وهم
وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع
الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم: لو كان فيهما آلهة الا الله: غير الله وصف بالا لتعذر الاستثناء
لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد
ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على

البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب:
لفسدتا: لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في
المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت فيه تعاوقت عنه: فسبحان الله رب
العرش: المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير: عما يصفون
: من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد: لا يسأل عما يفعل: لعظمته وقوة
سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية: وهم يسألون: لانهم مملوكون
مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد: ام اتخذوا من دونه آلهة: كرره استعظاما
لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا
من النقل الى انكار ما يكون دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى
فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر
باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده
عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا: قل هاتوا برهانكم: على ذلك اما من العقل
او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا
ونقلا: هذا ذكر من معي وذكر من قبلي: من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون
فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل
وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل والمراد بمن معي امته وبمن قبلي الامم المتقدمة و
اضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال فيه وبه وبمن الجارة على ان
مع اسم هو ظرف كقبل وبعد: بل اكثرهم لا يعلمون الحق: ولا يميزون بينه
وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب
والمسبب: فهم معرضون: عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك:
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون: تعميم بعد تخصيص
فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر اسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو
الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون
بالياء وفتح الحاء: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا: نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله: سبحانه: تنزيه له عن ذلك: بل عباد: بل هم عباد من حيث انهم
مخلوقون وليسوا باولاد: مكرمون: مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم و
قرئ بالتشديد: لا يسبقونه بالقول: لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن

العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول
محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله و
انيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه ❁ وهم بامره يعملون ❁ لا يعملون قط ما لم يأمرهم
❁ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ❁ لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما
قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم
❁ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ❁ ان يشفع له مهابة منه ❁ وهم من خشيته ❁
عظمته ومهابته ❁ مشفقون ❁ مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر
وان عدي بعلى فبالعكس ❁ ومن يقل منهم ❁ من الملائكة او من الخلائق ❁
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ❁ يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن
الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية ❁ كذلك نجزي الظالمين ❁
من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية ❁ اولم ير الذين كفروا ❁ اولم يعلموا
وقرأ ابن كثير بغير واو ❁ ان السموات والارض كانتا رتقا ❁ ذات رتق
او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ❁
ففتقناهما ❁ بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات
المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها
واحوالها طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا
لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا
وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر
واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال
كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح
على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض ❁ وجعلنا من الماء كل شيء
حي ❁ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك
لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي
بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف

لغو والشيء المخصوص بالحيوان ❁ افلا يؤمنون ❁ مع ظهور الآيات ❁ وجعلنا
في الارض رواسي ❁ ثابتات من رسى اذا ثبت ❁ ان تميد بهم ❁ كراهة ان
تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالتباس ❁ وجعلنا فيها ❁
في الارض او الرواسي ❁ فجاجا سبلا ❁ مسالك واسعة وانما قدم فجاجا و
وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل السبل منه
فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد ❁ لعلهم يهتدون ❁
الى مصالحهم ❁ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ❁ عن الوقوع بقدرته او الفساد و
الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب ❁ وهم عن آياتها ❁
احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي
يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة ❁ معرضون ❁ غير متفكرين
❁ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ❁ بيان لبعض تلك الآيات ❁ كل
في فلك ❁ اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس
كقولهم كساهم الامير حلة ❁ يسبحون ❁ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح
على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس
والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم
❁ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون ❁ نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك ❁ كل نفس
ذائقة الموت ❁ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ❁ و
نبلوكم ❁ ونعاملكم معاملة المختبر ❁ بالشر والخير ❁ بالبلايا والنعم ❁ فتنة ❁ ابتلاء
مصدر من غير لفظه ❁ والينا ترجعون ❁ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر
وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا
لما سبق ❁ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ❁ ما يتخذونك الا
مهزوءا به ويقولون ❁ اهذا الذي يذكر آلهتكم ❁ اي بسوء وانما اطلقه لدلالة
الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء ❁ وهم بذكر الرحمن ❁ بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن ❁ هم كافرون ❁
منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة

وبين الكفر {خلق الانسان من عجل} كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك
خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك
قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت
في النضر بن الحارث حين استعجل {سأريكم آياتي} نقماتي في الدنيا كوقعة بدر و
في الآخرة عذاب النار {فلا تستعجلون} بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم
ليقعدوها عن مرادها {ويقولون متى هذا الوعد} وقت وعد العذاب او القيامة
{ان كنتم صادقين} يعنون النبي واصحابه {لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون} محذوف الجواب وحين مفعول
يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط
بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا
ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون
بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما
اوجب لهم ذلك {بل تأتيهم} العدة او النار او الساعة {بغتة} فجأة مصدر
او حال وقرئ بفتح الغين {فتبهتهم} فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء و
الضمير للوعد او الحين وكذا في قوله {فلا يستطيعون ردها} لان الوعد بمعنى النار او العدة
والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او البغتة {ولا هم ينظرون} يمهلون وفيه
تذكير بامهالهم في الدنيا {ولقد استهزئ برسل من قبلك} تسلية لرسول الله
{فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون} وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم
كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه {قل} للمستهزئين {من يكلؤكم}
يحفظكم {بالليل والنهار من الرحمن} من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على
ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته {بل هم عن ذكر ربهم معرضون}
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه {ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا} بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او
من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فان عن المعرض
الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد {لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون} استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره {بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر} اضراب عما

توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من
الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم
بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه
بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال {افلا يرون انا
نأتي الارض} ارض الكفرة {ننقصها من اطرافها} بتسليط المسلمين عليها وهو
تصوير لما يجريه تعالى على ايدي المسلمين {افهم الغالبون} رسول الله والمؤمنين
{قل انما انذركم بالوحي} بما اوحي الي {ولا يسمع الصم الدعاء} وقرأ ابن عامر
ولا تسمع الصم على خطاب النبي عليه السلام وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم
الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
{اذا ما ينذرون} منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او
للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم {ولئن مستهم نفحة} ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء
الدال على المرة {من عذاب ربك} من الذي ينذرون به {ليقولن يا ويلنا انا
كنا ظالمين} لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم {ونضع الموازين
القسط} العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به
للمبالغة {ليوم القيامة} لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون
من الشهر {فلا تظلم نفس شيئا} من حقها او من الظلم {وان كان مثقال حبة من
خردل} اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
{اتينا بها} احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب
من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب
وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة {وكفى بنا حاسبين} اذ
لا مزيد على علمنا وعدلنا {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء و
ذكرا للمتقين} اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به
في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع
وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
{الذين يخشون ربهم} صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع {بالغيب}

حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تقديم
الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك
كثير خيره أنزلناه على محمد أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد
آتينا إبراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد
مثله وأن له شأنا وقرئ رشَده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون أو
وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حين قال إني وجهت وكنا به عالمين علمنا
أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق وفيه إشارة
إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه
متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله
ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن
التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن
تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن تؤول بعلى
أو بتضمين العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم
وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال
لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق
قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا
أن ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به قال بل ربكم رب السموات
والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على
ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه
فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الأصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لأكيدن أصنامكم لأجتهدن في كسرها
ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل
بعد أن تولوا عنها مدبرين إلى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا
قطاعا فعال بمعنى المفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو
لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة

إلا كبيرا لهم للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لعلهم إليه يرجعون
لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم
فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو لأنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها
إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك أو إلى الله أي يرجعون إلى
توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن
الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالإعظام أو بإفراطه في حطمها أو بتوريط نفسه
للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع أو صفة
لفتى مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه يقال له إبراهيم هو
إبراهيم وصحة رفعه بالفعل لأن المراد به الاسم قالوا فأتوا به على أعين الناس
بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون
بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم
حين أحضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون أسند
الفعل إليه تجوزا لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه أو تقريرا
لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن
الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أو حكاية لما يلزم من مذهبهم
جوازه وقيل إنه في المعنى متعلق بقوله إن كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض أو إلى
ضمير فتى أو إبراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما
روي أنه عليه السلام قال لإبراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت
صورتها صورته فرجعوا إلى أنفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم
لبعض إنكم أنتم الظالمون بهذا السؤال أو بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا
ينفع لا من ظلمتموه بقولكم إنه لمن الظالمين ثم نكسوا على رءوسهم انقلبوا إلى
المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل
الشيء مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أي نكسوا أنفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول قال
أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم إنكار لعبادتهم لها
بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية أف لكم
ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين وأف

صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ﴿أفلا تعقلون﴾
قبح صنيعكم ﴿قالوا﴾ أخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة ﴿حرقوه﴾ فإن النار
أهول ما يعاقب به ﴿وانصروا آلهتكم﴾ بالانتقام لها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ إن
كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف
الأرض به وقيل نمرود ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما﴾ ذات برد وسلام أي
ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة
وإقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
وقيل نصب سلاما بفعله أي وسلمنا سلاما عليه روي أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا
فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال جبريل هل لك حاجة
فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة
قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال إني مقرب
إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إذ ذاك ابن ست عشرة
سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو
إذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه دفع عنه أذاها كما ترى في السمندر ويشعر به
قوله على إبراهيم ﴿وأرادوا به كيدا﴾ مكرا في إضراره ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾
أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق
وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب ﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض
التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات
الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي أنه نزل بفلسطين ونزل
لوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة﴾
عطية فهي حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو إسحق فتختص بيعقوب
ولا بأس به للقرينة ﴿وكلا﴾ يعني الأربعة ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم للصلاح
وحملناهم عليه صاروا كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم ﴿يهدون﴾
الناس إلى الحق ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين
﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم وأصله
أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله ﴿وإقام الصلاة﴾

وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الإقامة المعوضة من إحدى
الألفين لقيام المضاف إليه مقامها ﴿وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين﴾
موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ حكمة
أو نبوة أو فصلا بين الخصوم ﴿وعلما﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء ﴿ونجيناه من القرية﴾
قرية سدوم ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني اللواطة وصفها بصفة أهلها
وأسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه ويدل عليه ﴿إنهم كانوا قوم
سوء فاسقين﴾ فإنه كالتعليل له ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ في أهل رحمتنا أو
في جنتنا ﴿إنه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ونوحا إذ
نادى﴾ إذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ من قبل المذكورين ﴿فاستجبنا
له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الطوفان أو أذى قومه و
الكرب الغم الشديد ﴿ونصرناه﴾ مطاوع انتصر أي جعلناه منتصرا ﴿من
القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ لاجتماع
الأمرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم
الله ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ في الزرع وقيل في كرم تدلت
عناقيده ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعته ليلا ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾
لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ﴿ففهمناها سليمان﴾ الضمير للحكومة أو الفتوى
وقرئ فأفهمناها روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن
إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها
وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان
ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والأول نظير قول أبي حنيفة رح في العبد
الجاني والثاني مثل قول الشافعي رح بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق
وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط
الدواب ليلا ولذلك قضى النبي عليه السلام لما دخلت ناقة البراء حائطا
وأفسدته فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية
حفظها بالليل وعند أبي حنيفة لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله عليه السلام
جرح العجماء جبار ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح
فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل

لاحتمال توافقهما على ان فرق فهمهما بالاظهار ما تفضل عليه في صغره «وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن» يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف
لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بيسبحن «والطير» عطف على الجبال او
مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف
«وكنا فاعلين» لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم «وعلمناه
صنعة لبوس لكم» عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة
لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ولكم متعلق بعلم او صفة للبوس
«لتحصنكم من بأسكم» بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله تعالى «فهل انتم شاكرون» ذلك
امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع «ولسليمان الريح» وسخرنا له
ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول
امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه «عاصفة» شديدة الهبوب
من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر
وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته
«تجري بأمره» بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها «الى الارض
التي باركنا فيها» الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة «وكنا بكل شيء عالمين»
فنجريه على ما تقتضيه الحكمة «ومن الشياطين من يغوصون له» في البحار ويخرجون
نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة «ويعملون
عملا دون ذلك» ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل «وكنا لهم
حافظين» ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم «وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر» باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او
تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض
وهزال «وانت ارحم الراحمين» وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما
يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد

عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك
اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة
او ثلث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروي ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت
الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله
ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي «فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر» بالشفاء
من مرضه «وآتيناه اهله ومثلهم معهم» بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده
وولد له منهم نوافل «رحمة من عندنا وذكرى للعابدين» رحمة على ايوب و
تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين
فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم «واسمعيل وادريس وذا الكفل» يعني الياس
وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته او ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
«كل» اي كل هؤلاء «من الصابرين» على مشاق التكاليف وشدائد النوب
«وادخلناهم في رحمتنا» يعني النبوة او نعمة الآخرة «انهم من الصالحين» الكاملين
في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد «وذا النون»
وصاحب الحوت يونس بن متى «اذ ذهب مغاضبا» لقومه لما برم لطول
دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم
يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء
المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا
«فظن ان لن نقدر عليه» لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر
ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت
الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ
مثقلا «فنادى في الظلمات» في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل «ان لا اله الا انت» بانه لا اله الا انت «سبحانك»
من ان يعجزك شيء «اني كنت من الظالمين» لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة
وعن النبي عليه السلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له «فاستجبنا له»

ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه
وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من
غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام نجي ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها
تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت
النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من
حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي
إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف
اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفاً ورد بأنه
لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا إذ نادى ربه
رب لا تذرني فرداً وحيداً بلا ولد يرثني وأنت خير الوارثين فإن لم
ترزقني من يرثني فلا أبالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه
أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة
إنهم يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون إلى أبواب الخير ويدعوننا رغباً ورهباً ذوي رغب
أو راغبين في الثواب راجين للإجابة أو في الطاعات خائفين العقاب أو
المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين أو دائمي الوجل والمعنى أنهم
نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي أحصنت فرجها من الحلال و
الحرام يعني مريم فنفخنا فيها أي عيسى فيها أي أحييناه في جوفها وقيل
فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة
روحنا جبريل وجعلناها وابنها أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله
آية للعالمين فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى إن هذه
أمتكم أي إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها
أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء أو لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع
وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئ أمة بالرفع على
أنهما خبران وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا
أمرهم بينهم صرف إلى الغيبة التفاتاً لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا
أمره قطعاً موزعة يقبح فعلهم إلى غيرهم كل إلينا من الفرق المتحزبة

راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله
فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه
ونفي نفي الجنس للمبالغة وإنا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله
لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرأ
أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء وإسكان الراء أهلكناها
حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة أنهم لا يرجعون رجوعهم إلى التوبة أو
الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد
مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم
لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور
في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب
عليهم أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام أو بمحذوف
دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع
إلى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي
يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت
بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم من كل حدب
نشز من الأرض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من
نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة
فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا جواب الشرط وإذا للمفاجأة
تسد مسد الفاء الجزائية كقوله إذا هم يقنطون فإذا جاءت معها تظاهرت
على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار
يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا
لم نعلم أنه حق بل كنا ظالمين لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر
إنكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم
لهم في حكم عبدتهم لما روي أنه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى عبدوا المسيح و
بنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل
الله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولاً

بكم او بابه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون
قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تأخر عن الخطاب * حصب جهنم *
ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر * انتم لها واردون * استئناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها *
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها * لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها * وكل
فيها خالدون * لا خلاص لهم عنها * لهم فيها زفير * انين وتنفس شديد وهو
من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام *
وهم فيها لا يسمعون * من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم
* ان الذين سبقت لهم منا الحسنى * الخصلة الحسنى وهي السعادة او
التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة * اولئك عنها مبعدون * لانهم يرفعوا
الى اعلى عليين روي ان عليا رضي خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن
الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول * لا يسمعون حسيسها *
وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس
صوت يحس به * وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون * دائمون في غاية
التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به * لا يحزنهم الفزع الاكبر *
النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت * وتتلقيهم
الملائكة * تستقبلهم مهنئين * هذا يومكم الذي * يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول
* كنتم توعدون * في الدنيا * يوم نطوي السماء * مقدر باذكر او ظرف للا يحزنهم
او تتلقيهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر
او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم
فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول * كطي السجل
للكتاب * طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل

ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله وقرئ
السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه * كما بدأنا اول خلق نعيده *
اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن
العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس
على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة
لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي
بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف *
وعدا * مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة *
علينا * اي علينا انجازه * انا كنا فاعلين * ذلك لا محالة * ولقد كتبنا في الزبور
* في كتاب داود * من بعد الذكر * اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ * ان الارض * ارض الجنة او الارض
المقدسة * يرثها عبادي الصالحون * يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام * ان في
هذا * فيما ذكر من الاخبار والمواعظ * لبلاغا * لكفاية او لسبب بلوغ الى
البغية * لقوم عابدين * همهم العبادة دون العادة * وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين * لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم
ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال
* قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد * اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله
واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر
الحكم على الشيء والثانية على العكس * فهل انتم مسلمون * مخلصون العبادة
لله على ما يقتضيه الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته
بالسمع * فان تولوا * عن التوحيد * فقل آذنتكم * اعلمتكم
ما امرت به او حربي لكم * على سواء * مستوين في الاعلام به او مستوين
انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم
اني على سواء اي عدل واستقامة رأي في البرهان النير * وان ادري
اقريب * وما ادري * ام بعيد ما توعدون * من غلبة المسلمين او الحشر

لكن كائن لا محالة ❁ انه يعلم الجهر من القول ❁ ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام
❁ ويعلم ما تكتمون ❁ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ❁ وان ادري
لعله فتنة لكم ❁ وما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم
او امتحان لينظر كيف تعملون ❁ ومتاع الى حين ❁ وتمتع الى اجل مقدر تقتضيه
مشيئته ❁ قل رب احكم بالحق ❁ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال
العذاب او التشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله عليه السلام
وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام ❁ وربنا الرحمن ❁
كثير الرحمة على خلقه ❁ المستعان ❁ المطلوب منه المعونة ❁ على ما تصفون ❁ من الحال
بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو
كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم
عن النبي عليه السلام من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ما

❁ سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية ❁

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة ❁
تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة
معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل
هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
❁ شيء عظيم ❁ هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا
انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة
التقوى ❁ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ❁ تصوير لهولها والضمير
للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على
ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت
عنه وما موصولة او مصدرية ❁ وتضع كل ذات حمل حملها ❁ جنينها ❁ وترى الناس
سكارى ❁ كانهم سكارى ❁ وما هم بسكارى ❁ على الحقيقة ❁ ولكن عذاب الله
شديد ❁ فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى
بالضم من اريتك قائما بنصب الناس وقرئ برفعه على انه نائب الفاعل وتأنيثه على
تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل

احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل
❁ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ❁ نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد
الموت وهي تعم وامثاله ❁ ويتبع ❁ في المجادلة او في عامة احواله ❁ كل شيطان
مريد ❁ متجرد للفساد واصله العري ❁ كتب عليه ❁ على الشيطان ❁ انه
من تولاه ❁ تبعه والضمير للشأن ❁ فانه يضله ❁ خبر لمن او جواب له والمعنى
كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه
يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين
على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ❁ ويهديه الى
عذاب السعير ❁ بالحمل على ما يؤدي اليه ❁ يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث ❁ من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالحركة كالجلب
❁ فانا خلقناكم ❁ اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم ❁ من
تراب ❁ بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ❁ ثم من نطفة ❁
مني من النطف وهو الصب ❁ ثم من علقة ❁ قطعة من الدم جامدة ❁ ثم من
مضغة ❁ قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ ❁ مخلقة وغير مخلقة ❁
مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير
مصورة ❁ لنبين لكم ❁ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفناء
والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط
به الذكر ❁ ونقر في الارحام ما نشاء ❁ ان نقره ❁ الى اجل مسمى ❁ هو وقت الوضع
وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا
قوله ❁ ثم نخرجكم طفلا ❁ عطفا على نبين كأن خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء
رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت
على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ❁ ثم لتبلغوا
اشدكم ❁ كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنها شدة في الامور
في الامور ❁ ومنكم من يتوفى ❁ عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله

ومنكم من يرد الى ارذل العمر * الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم *
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا * ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة
العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث
بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان
من قدر على ذلك قدر على نظائره * وترى الارض هامدة * ميتة يابسة من
همدت النار اذا صارت رمادا * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت *
تحركت بالنبات * وربت * وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت *
وانبتت من كل زوج * من كل صنف * بهيج * حسن رائق وهذه دلالة ثالثة
كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة * ذلك * اشارة الى ما ذكر
من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض
بعد موتها وهو مبتدأ خبره * بان الله هو الحق * اي بسبب انه الثابت في نفسه
الذي به تتحقق الاشياء * وانه يحيي الموتى * والا لما احيى النطفة والارض الميتة
* وانه على كل شيء قدير * لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت
المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلها * وان الساعة آتية لا ريب فيها * فان التغير من مقدمات الانصرام
وطلائعه * وان الله يبعث من في القبور * بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف
* ومن الناس من يجادل في الله بغير علم * تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة
بقوله * ولا هدى ولا كتاب منير * على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول
في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب
عليه * ثاني عطفه * متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق
استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه * ليضل عن سبيل الله * علة للجدال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن
منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال فانه من حيث انه
مؤداه كالغرض له * له في الدنيا خزي * وهو ما اصابه يوم بدر * ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق * المحرق وهو النار * ذلك بما قدمت يداك *
على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب
بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي * وان الله ليس بظلام للعبيد * وانما هو مجازيهم

على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد * ومن الناس من يعبد الله على حرف *
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس
بظفر قر والا فر * فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه *
روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته
مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي عليه السلام فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال فنزلت * خسر الدنيا والآخرة * بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد
وقرئ خاسر بالنصب على الحال او الرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف * ذلك هو الخسران المبين *
اذ لا خسران مثله * يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه * يعبد جمادا لا
يضر بنفسه ولا ينفع * ذلك هو الضلال البعيد * عن المقصود مستعار من
ضلال من ابعد في التيه ضلالا * يدعو لمن ضره اقرب * بكونه معبودا لانه يوجب
القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة * من نفعه * الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع
اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء ليدعو مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول
ومن مبتدأ وخبره * لبئس المولى * الناصر * ولبئس العشير * اي الصاحب
* ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد * من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له
ولا مانع * من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة * كلام فيه اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه
من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن * فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
* فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ
جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه
بحبسه مجاريه او فليمدد حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها

فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ثم ليقطع
بكسر اللام * فلينظر * فليتصور في نفسه * هل يذهبن كيده * فعله ذلك
وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه * ما يغيظ * غيظه او الذي يغيظه من
نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر رسول الله عليه السلام
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين * وكذلك * ومثل ذلك الانزال
انزلناه * انزلنا القرآن كله * آيات بينات * واضحات * وان الله يهدي
* ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى * من يريد * هدايته او ثباته
انزله كذلك مبينا * ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة * بالحكومة بينهم و
اظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له
وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد * ان الله على كل
شيء شهيد * عالم به مراقب لاحواله * الم تر ان الله يسجد له من في السموات و
من في الارض * يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره
ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله * والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب * افردها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
* وكثير من الناس * عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه
واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل
على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه اي حق له
الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة * وكثير حق عليه
العذاب * بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة
في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا
بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا * ومن يهن الله * بالشقاوة *
فما له من مكرم * يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام * ان الله يفعل ما
يشاء * من الاكرام والاهانة * هذان خصمان * اي فوجان يختصمان ولذلك
قال * اختصموا * حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون
* في ربهم * في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون

فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت * فالذين كفروا * فصل لخصومتهم
وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة * قطعت * قدرت
على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف * لهم ثياب من نار * نيران تحيط بهم احاطة
الثياب * يصب من فوق رؤسهم الحميم * حال من الضمير في لهم او خبر ثان
والحميم الماء الحار * يصهر به ما في بطونهم والجلود * اي يؤثر من فرط حرارته في
باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة
حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير * ولهم مقامع من حديد *
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف
* كلما ارادوا ان يخرجوا منها * من النار * من غم * من غمومها بدل من الهاء
باعادة الجار * اعيدوا فيها * اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون
الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع
فيهوون فيها * وذوقوا * اي وقيل لهم ذوقوا * عذاب الحريق *
النار البالغة في الاحراق * ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار * غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله
واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم * يحلون فيها * من
حليت المرأة اذا البست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد * من اساور *
صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار * من ذهب *
بيان له * ولؤلؤا * عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه
الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب
مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وروى
حفص بهمزتين وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم
قلب الثانية ياء ولليا بقلبهما ياءين ولول كادل * ولباسهم فيها حرير *
غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على
هيئة الفواصل * وهدوا الى الطيب من القول * وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده او كلمة التوحيد * وهدوا الى صراط الحميد * المحمود

نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه
الاسلام ﴿ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ لا يريد به حالا ولا استقبالا
وانما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على
الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي
معذبون ﴿والمسجد الحرام﴾ عطف على سبيل الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا
بقوله ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد﴾ اي المقيم والطارئ
على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله الذين
اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم
والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه
حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل
من الناس ﴿ومن يرد فيه﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح
من الورود ﴿بالحاد﴾ عدول عن القصد ﴿بظلم﴾ بغير حق وهما حالان مترادفتان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام ﴿نذقه من عذاب اليم﴾ جواب لمن ﴿واذ بوأنا لابراهيم
مكان البيت﴾ اي واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان
ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ﴿ان لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ ان مفسرة لبوأنا من
حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادات او مصدرية موصولة
بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار
لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد
منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء ﴿
واذن في الناس﴾ ناد فيهم وقرئ آذن وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي
بالفتح ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين
المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله
عليه السلام امر بذلك في حجة الوداع ﴿يأتوك رجالا﴾ مشاة جمع راجل كقيام

وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقلا ورجالى كعجالى ﴿وعلى كل ضامر﴾
اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ﴿يأتين﴾ صفة لضامر محمولة على معناه
وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس ﴿من
كل فج﴾ طريق ﴿عميق﴾ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ﴿ليشهدوا
منافع لهم﴾ دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع
مخصوص بهذه العبادة ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا
وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على ان المقصود
مما يتقرب به الى الله تعالى ﴿في ايام معلومات﴾ هي عشر ذي الحجة وقيل
ايام النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿فكلوا منها﴾ من لحومها امر بذلك اباحة و
ازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم
وهذا في المتطوع به دون الواجب ﴿واطعموا البائس﴾ الذي اصابه بؤس
اي شدة ﴿الفقير﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ﴿ثم ليقضوا
تفثهم﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب
الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذي به
تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق﴾
القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه
﴿ذلك﴾ خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين
﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من
التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿فهو
خير له﴾ فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا ﴿واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم﴾ الا
المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها
غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ فاجتنبوا الرجس
الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير
عن عبادتها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس

الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف ومنصرف عن الواقع ﴿حنفاء لله﴾ مخلصين له ﴿غير مشركين به﴾ وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ فان الاهواء المردية توزع افكاره ﴿او تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا ليس بعده هلاك وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿فانها من تقوى القلوب﴾ فان تعظيمها منها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق﴾ اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ﴿ولكل امة﴾ ولكل اهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك

﴿ليذكروا اسم الله﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما ﴿فالهكم اله واحد فله اسلموا﴾ اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿والصابرين على ما اصابهم﴾ من الكلف والمصائب ﴿والمقيمي الصلوة﴾ في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير ﴿والبدن﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بداية ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ﴿جعلناها لكم﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ ﴿من شعائر الله﴾ من اعلام دينه التي شرعها الله ﴿لكم فيها خير﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿صواف﴾ قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابع لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها واطعموا القانع﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال ﴿والمعتر﴾ المعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه ﴿كذلك﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها ﴿لعلكم تشكرون﴾ انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾

المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء :: ولكن يناله التقوى منكم :: ولكن
يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص
وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم
المسلمون فنزلت :: كذلك سخرها لكم :: كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله
لتكبروا الله :: اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح :: على ما هداكم :: ارشدكم
الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر :: وبشر المحسنين :: المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ::
ان الله يدفع عن الذين آمنوا :: غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر و
الكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه :: ان الله لا يحب
كل خوان :: في امانة الله :: كفور :: لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا
يرتضي فعلهم ولا ينصرهم :: اذن :: رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
على البناء للفاعل وهو الله :: للذين يقاتلون :: المشركين والمأذون فيه محذوف
لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون
:: بانهم ظلموا :: بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله عليه السلام كان المشركون
يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي
عنه في نيف وسبعين آية :: وان الله على نصرهم لقدير :: وعد لهم بالنصر كما وعد
بدفع اذى الكفار عنهم :: الذين اخرجوا من ديارهم :: يعني مكة :: بغير حق :: بغير موجب
استحقوا به :: الا ان يقولوا ربنا الله :: على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع :: ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض :: بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين :: لهدمت :: لخربت باستيلاء
المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف ::
صوامع :: صوامع الرهابنة :: وبيع :: وبيع النصارى :: وصلوات :: وكنائس
اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت :: ومساجد
:: ومساجد المسلمين :: يذكر فيها اسم الله كثيرا :: صفة للاربع او لمساجد خصت
بها تفضيلا :: ولينصرن الله من ينصره :: من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط

المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم
ارضهم وديارهم :: ان الله لقوي :: على نصرهم :: عزيز :: لا يمانعه شيء
:: الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر :: وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر
الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره
:: ولله عاقبة الامور :: فان مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده :: وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين :: تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب
فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه :: وكذب موسى :: غير فيه النظم وبني
الفعل للمفعول لان قومه بني اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه
كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع :: فامليت للكافرين :: فامهلتهم
حتى انصرمت آجالهم المقدرة :: ثم اخذتهم فكيف كان نكير :: انكاري عليهم بتغيير
النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا :: فكأين من قرية اهلكناها :: باهلاك
اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم :: وهي ظالمة :: اي اهلها :: فهي خاوية على
عروشها :: ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة
على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها
ان نصبت كأين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبئر معطلة :: عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها وقرئ معطلة بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله :: وقصر مشيد ::
مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف
على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى
وعطلهما :: افلم يسيروا في الارض :: حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك :: فتكون
لهم قلوب يعقلون بها :: ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار

والاستدلال {او آذان يسمعون بها} ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير
بحال من شاهدوا آثارهم {فانها لا تعمى الابصار} الضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه {ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور} عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت
عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في
الآخرة اعمى فنزلت {ويستعجلونك بالعذاب} المتوعد به {ولن يخلف الله
وعده} لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور
لا يعجل بالعذاب {وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون} بيان
لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة
او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء
{وكأين من قرية} وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه
بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين
لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخيره لعادته تعالى {امليت لها}
كما امهلتكم {وهي ظالمة} مثلكم {ثم اخذتها} بالعذاب {والي المصير} والى
حكمي مرجع الجميع {قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين} اوضح لكم ما انذركم به
والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه
للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم {فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة} لما بدر منهم {ورزق كريم} هي الجنة والكريم من
كل نوع ما يجمع فضائله {والذين سعوا في آياتنا} بالرد والابطال {معاجزين}
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا
سابقه فسبقه لان كل واحد في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ
ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة {اولئك اصحاب الجحيم} النار
الموقدة وقيل اسم دركة {وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي}
الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير

شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك
شبه النبي عم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل
عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال
ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي
غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له
ولمن يوحى اليه في المنام {الا اذا تمنى} اذا زور في نفسه ما يهواه
{القى الشيطان في امنيته} في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام
وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة {فينسخ الله ما يلقي
الشيطان} فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
{ثم يحكم الله آياته} ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة
{والله عليم} باحوال الناس {حكيم} فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال
المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه
واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما
بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه
بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه
جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء
يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب
الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان
فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي عم
وقد رد ايضا بانه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء
وتطرق الوسوسة اليهم {ليجعل ما يلقي الشيطان} علة لتمكين الشيطان منه وذلك
يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل {فتنة للذين في
قلوبهم مرض} شك ونفاق {والقاسية قلوبهم} المشركين {وان
الظالمين} يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم
{لفي شقاق بعيد} عن الحق او عن الرسول والمؤمنين {وليعلم الذين اوتوا

العلم انه الحق من ربك: ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين
الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس
الانس من لدن آدم. فيؤمنوا به: بالقران او بالله. فتخبت له قلوبهم:
بالانقياد والخشية. وان الله لهادي الذين آمنوا: فيما اشكل. الى
صراط مستقيم: وهو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه. ولا يزال الذين
كفروا في مرية: في شك. منه: من القران او الرسول او مما القى الشيطان
في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. حتى تاتيهم الساعة: القيامة او
اشراطها او الموت. بغتة: فجاة. او ياتيهم عذاب يوم عقيم: يوم
حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم
او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانهم لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او
لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه
موضع ضميرها للتهويل. الملك يومئذ لله: التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت
عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم. يحكم بينهم: بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين و
الكافرين لتفصيله بقوله: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين. وادخال الفاء في خبر الثاني
دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب
الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب.
والذين هاجروا في سبيل الله: في الجهاد. ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا: الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف
انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل. روي ان بعض الصحابة قالوا
يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت. وان الله لهو خير الرازقين:
فانه يرزق بغير حساب. ليدخلنهم مدخلا يرضونه: هو الجنة فيها ما يحبونه.
وان الله لعليم: باحوالهم واحوال معاديهم. حليم: لا يعاجل في العقوبة.
ذلك: الامر ذلك. ومن عاقب بمثل ما عوقب به: ولم يزد في الاقتصاص
وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه. ثم بغي عليه

بالمعاودة الى العقوبة. لينصرنه الله: لا محالة. ان الله لعفو غفور:
للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى
مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه
قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده. ذلك: اي ذلك
النصر. بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل: بسبب ان الله قادر
على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة
ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل
في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها. وان الله سميع:
يسمع قول المعاقب والمعاقب. بصير: يرى افعالهما فلا يهملهما. ذلك:
الوصف بكمال القدرة والعلم. بان الله هو الحق: الثابت في نفسه الواجب لذاته
وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما
بذاته. وان ما يدعون من دونه: الها. وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر
بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه بمعنى الالهة.
هو الباطل: هو المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية. وان الله هو العلي
على الاشياء. الكبير: عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر
سلطانا. الم تر ان الله انزل من السماء ماء: استفهام تقرير ولذلك رفع
فتصبح الارض مخضرة: عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في
قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان. ان الله لطيف: يصل علمه او لطفه الى كل ما
جل ودق. خبير: بالتدابير الظاهرة والباطنة. له ما في السموات وما في الارض:
خلقا وملكا. وان الله لهو الغني: في ذاته عن كل شيء. الحميد: المستوجب
للحمد بصفاته وافعاله. الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض: جعلها مذللة لكم معدة
لمنافعكم. والفلك: عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء.
تجري في البحر بامره: حال منها او خبر. ويمسك السماء ان تقع على الارض:
من ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك. الا باذنه: الا بمشيئته

وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ❁ ان الله بالناس لرؤف رحيم ❁ حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار ❁ وهو الذي احياكم ❁ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ❁ ثم يميتكم ❁ اذا جاء اجلكم ❁ ثم يحييكم ❁ في الآخرة ❁ ان الانسان لكفور ❁ لجحود للنعم مع ظهورها ❁ لكل امة ❁ اهل دين ❁ جعلنا منسكا ❁ متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ❁ هم ناسكوه ❁ ينسكونه ❁ فلا ينازعنك ❁ سائر ارباب الملل ❁ في الامر ❁ في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته ❁ وادع الى ربك ❁ الى توحيده وعبادته ❁ انك لعلى هدى مستقيم ❁ طريق الى الحق سوي ❁ وان جادلوك ❁ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ❁ فقل الله اعلم بما تعملون ❁ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ❁ الله يحكم بينكم ❁ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات ❁ فيما كنتم فيه تختلفون ❁ من امر الدين ❁ الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ❁ فلا يخفى عليه شيء ❁ ان ذلك في كتاب ❁ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ❁ ان ذلك ❁ ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينهم ❁ على الله يسير ❁ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ❁ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ❁ حجة تدل على جواز عبادته ❁ وما ليس لهم به علم ❁ حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله ❁ وما للظالمين ❁ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ❁ من نصير ❁ يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم ❁ واذا تتلى عليهم آياتنا ❁ من القرآن ❁ بينات ❁ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية ❁ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ❁ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار

بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر ❁ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ❁ يثبون ويبطشون بهم ❁ قل افأنبئكم بشر من ذلكم ❁ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم ❁ النار ❁ اي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ❁ وعدها الله الذين كفروا ❁ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها ❁ وبئس المصير ❁ النار ❁ يا ايها الناس ضرب مثل ❁ بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة ❁ فاستمعوا له ❁ للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر ❁ ان الذين تدعون من دون الله ❁ يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين ❁ لن يخلقوا ذبابا ❁ لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ❁ ولو اجتمعوا له ❁ بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ❁ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ❁ جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ❁ ضعف الطالب والمطلوب ❁ عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ❁ ما قدروا الله حق قدره ❁ ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ❁ ان الله لقوي ❁ على خلق الممكنات باسرها ❁ عزيز ❁ لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها ❁ الله يصطفي من الملائكة رسلا ❁ يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ❁ ومن الناس ❁ يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر

رد لما انكروه ... في الالوهية ونفي ان يشاركه غيره في صفاتها بيّن ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك :: ان الله سميع بصير :: مدرك للاشياء كلها :: يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم :: عالم بواقعها ومترقبها :: والى الله ترجع الامور :: واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون :: يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا :: في صلاتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا :: واعبدوا ربكم :: بسائر ما تعبدكم به :: وافعلوا الخير :: وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل العبادات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق :: لعلكم تفلحون :: اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها :: وجاهدوا في الله :: لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر :: حق جهاده :: اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله :: هو اجتباكم :: اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله :: وما جعل عليكم في الدين من حرج :: اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد :: ملة ابيكم ابراهيم :: منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله عليه السلام وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة

او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم :: هو سماكم المسلمين من قبل :: من قبل القرآن في الكتب المتقدمة :: وفي هذا :: وفي هذا القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم المسلمين :: ليكون الرسول :: يوم القيامة متعلق بسماكم :: شهيدا عليكم :: بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى :: وتكونوا شهداء على الناس :: بتبليغ الرسل اليهم :: فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة :: فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف :: واعتصموا بالله :: وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه :: هو مولاكم :: ناصركم ومتولي اموركم :: فنعم المولى ونعم النصير :: هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى

:: سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثماني عشرة آية ::

بسم الله الرحمن الرحيم :: قد افلح المؤمنون :: قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وقرئ افلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول :: الذين هم في صلاتهم خاشعون :: خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه عليه السلام رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه :: والذين هم عن اللغو :: عما لا يعنيهم من قول وفعل :: معرضون :: لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله :: والذين هم للزكوة فاعلون :: وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات

البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه و
الزكاة يقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل
الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف ✻ والذين هم لفروجهم حافظون ✻
لا يبذلونها ✻ الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ✻ زوجاتهم او سرياتهم وعلى
صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال
الا في حال التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ
الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون
لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا ✻ فانهم غير ملومين ✻
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم
غير ملومين على ذلك ✻ فمن ابتغى وراء ذلك ✻ المستثنى ✻ فاولئك هم العادون
✻ الكاملون في العدوان ✻ والذين هم لاماناتهم وعهدهم ✻ لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق ✻ راعون ✻ قائمون بحفظها واصلاحها وقرا
ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر
✻ والذين هم على صلواتهم يحافظون ✻ يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس
تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف
وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها ✻ اولئك ✻ الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون ✻ الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم ✻ الذين يرثون
✻ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لما
الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من
الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار ✻ هم فيها خالدون ✻ انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا
✻ ولقد خلقنا الانسان من سلالة ✻ من خلاصة سلت من بين الكدر ✻ من
طين ✻ متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة
فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس
فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق
والسلالة نطفته ✻ ثم جعلناه ✻ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف ✻ نطفة ✻ بان خلقناه

منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او
الماء ✻ في قرار مكين ✻ مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر
وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ✻ ثم خلقنا النطفة علقة ✻ بان احلنا
النطفة البيضاء علقة حمراء ✻ فخلقنا العلقة مضغة ✻ فصيرناها قطعة لحم ✻
فخلقنا المضغة عظاما ✻ بان صلبناها ✻ فكسونا العظام لحما ✻ مما بقي من المضغة
او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات
والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما
اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ✻ ثم انشاناه خلقا
آخر ✻ وهو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين
الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده
لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ✻ فتبارك الله ✻ فتعالى شانه في قدرته
وحكمته ✻ احسن الخالقين ✻ المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه
✻ ثم انكم بعد ذلك لميتون ✻ لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت
الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ✻ ثم انكم يوم القيمة تبعثون ✻
للمحاسبة والمجازاة ✻ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ✻ سبع سموات لانها طورق
بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة
او الكواكب فيها مسيرها ✻ وما كنا عن الخلق ✻ عن ذلك المخلوق الذي هو السموات
او جميع المخلوقات ✻ غافلين ✻ مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال حتى تبلغ
منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ✻ وانزلنا من
السماء ماء بقدر ✻ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم ✻ فاسكناه
في الارض ✻ فجعلناه ثابتا مستقرا ✻ وانا على ذهاب به ✻ على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه ✻ لقادرون ✻ كما كنا قادرين على
انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد ولذلك جعل ابلغ
من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ✻ فانشانا لكم به ✻ بالماء
✻ جنات من نخيل واعناب لكم فيها ✻ في الجنات ✻ فواكه كثيرة ✻ تتفكهون بها ✻
ومنها ✻ ومن الجنات ثمارها وزروعها ✻ تاكلون ✻ تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير للنخيل والاعناب

اي لكم في ثمارها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير
والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئ بالرفع
على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى بين
مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين فلا يخلو من ان يكون الطور
للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع
صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين
اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب
فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر (تنبت بالدهن) اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز
ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير
رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير
انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء
للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وصبغ الآكلين وتنبت
بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ و
صباغ كدباغ في دبغ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون
بها (نسقيكم مما في بطونها) من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن
للتبعيض او للابتداء (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها واصوافها وشعورها
(ومنها تأكلون) فتنتفعون باعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحمل
عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه
كالضمير في هو احق بردها (وعلى الفلك تحملون) في البر والبحر (ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان
كفران الناس ما انعم عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (ما لكم من اله غيره)

استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ (افلا
تتقون) افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة
غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا
من قومه) لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) ان يطلب الفضل
عليكم ويسودكم (ولو شاء الله) ان يرسل رسولا (لانزل ملائكة) رسلا
(ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يعنون نوحا اي ما سمعنا انه نبي او ما كلمهم
به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط
عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) اي جنون ولا
ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق
من جنونه (قال) بعدما ايس من ايمانهم (رب انصرني) باهلاكهم او بانجاز ما
وعدتهم من العذاب (بما كذبون) اي بدل تكذيبهم اياي او بسببه (فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد
(ووحينا) وامرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء امرنا) بالركوب او نزول
العذاب (وفار التنور) روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب
انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن
يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها
في هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما
سلككم في سقر (من كل زوجين اثنين) من كل امتي الذكر والانثى واحدا
من زوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد
(واهلك) واهل بيتك او من آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم)
اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام
حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبني في الذين
ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي
ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم
بهلاكهم بقوله (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين (وقل رب انزلني) في السفينة او في الارض (منزلا مباركا)

يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ غير ابو بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال
﴿وانت خير المنزلين﴾ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا
الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ﴿ان في ذلك﴾ فيما فعل
بنوح وقومه ﴿لآيات﴾ يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار
﴿وان كنا لمبتلين﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه
الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾
هم عاد او ثمود ﴿فارسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هو صالح او هود وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين
اظهرهم ﴿ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾ تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان
الرسول اعبدوا الله ﴿افلا تتقون﴾ عذاب الله ﴿وقال الملأ من قومه الذين
وكذبوا﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح
حيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿بلقاء الآخرة﴾ بما فيها من الثواب والعقاب
او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿واترفناهم﴾ ونعمناهم ﴿في الحياة
الدنيا﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ في الصفة والحال
﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد
الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه
﴿ولئن اطعتم بشرا مثلكم﴾ فيما يأمركم ﴿انكم اذا لخاسرون﴾ حيث اذللتم
انفسكم واذن جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ﴿ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما﴾ مجردة عن اللحوم والاعصاب ﴿انكم مخرجون﴾
من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به
لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل
للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم
اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه
لا ان يكون الظرف لانه اسم جثة ﴿هيهات هيهات﴾ بعد التصديق او الصحة
﴿لما توعدون﴾ او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما
صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قال لما توعدون وقيل هيهات

بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم
منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين و
بالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ﴿ان هي الا حياتنا الدنيا﴾
اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي
النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على
هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس
﴿نموت ونحيا﴾ يموت بعضنا ويولد بعض ﴿وما نحن بمبعوثين﴾
بعد الموت ﴿ان هو﴾ ما هو ﴿الا رجل افترى على الله كذبا﴾ فيما يدعيه من
الرسالة له وفيما يعد لنا من البعث ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين
﴿قال رب انصرني﴾ عليهم وانتقم لي منهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم اياي
﴿قال عما قليل﴾ عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
﴿ليصبحن نادمين﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب ﴿فاخذتهم الصيحة﴾
صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على
ان القرن قوم صالح ﴿بالحق﴾ بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من
الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ شبههم
في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك
﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك
وبعدا من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من
دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ثم انشأنا من بعدهم
قرونا آخرين﴾ يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿ما تسبق من
امة اجلها﴾ الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿وما يستأخرون﴾
الاجل ﴿ثم ارسلنا رسلنا تترى﴾ متواترين واحدا بعد واحد من
الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان
الرسل جماعة وقرأ ابو بكر وابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى
المواترة وقع حالا ﴿كلما جاء امة رسولها كذبوه﴾ اضاف الرسول
مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي

هو مبدا الابار والجني الذي هو منتهاه اليبس :: فاتبعنا بعضهم بعضا ::
في الاهلاك :: وجعلناهم احاديث :: لم يبق منهم الا حكايات يسمر
بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا :: فبعدا
لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا :: بالايات التسع ::
وسلطان مبين :: وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به الجواب
وان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها
معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة و
رشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات
فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي :: الى فرعون وملائه فاستكبروا
:: عن الايمان والمتابعة :: وكانوا قوما عالين :: متكبرين :: فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا :: ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق
للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء
على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان
النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن
ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب
الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار
بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد :: وقومهما :: يعني
بنو اسرائيل :: لنا عابدون :: خادمون منقادون كالعباد :: فكذبوهما
فكانوا من المهلكين :: بالغرق في بحر قلزم :: ولقد اتينا موسى الكتاب :: التورية
:: لعلهم :: لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية
نزلت بعد اغراقهم :: يهتدون :: الى المعارف والاحكام :: وجعلنا ابن
مريم وامه اية :: بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما
او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت
من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها :: واويناهما الى ربوة ::

ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر
فان قراها على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بضم الراء وقرئ رباوة بالضم
والكسر :: ذات قرار :: مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع
فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها :: ومعين :: وماء معين ظاهر جار فعيل
من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون
وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ::
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات :: نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم
خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب
في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا او يكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان
اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا
على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى
الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم و
الطيبات ما يستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى
الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
:: واعملوا صالحا :: فانه المقصود منكم والنافع لكم عند ربكم :: اني بما تعملون
عليم :: فاجازيكم عليه :: وان هذه :: اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او
واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف و
الكوفيون بالكسر على الاستيناف :: امتكم امة واحدة :: اي ملتكم ملة واحدة
متحدة في الاعتقاد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال :: وانا ربكم فاتقون :: في
شق العصا ومخالفة الكلمة :: فتقطعوا امرهم بينهم :: فتقطعوا امر دينهم وجعلوه
اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز
والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها :: زبرا :: قطعا جمع زبور الذي
بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من
الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت
الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف

الباء كرسل في رسل :: كل حزب :: من المتحزبين :: بما لديهم :: من الدين
:: فرحون :: معجبون معتقدون أنهم على الحق :: فذرهم في غمرتهم :: في جهالتهم
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
:: حتى حين :: إلى أن يقتلوا أو يموتوا :: أيحسبون أنما نمدهم :: أنما نعطيهم
ونجعله مددا لهم :: به من مال وبنين :: بيان لما وليس خبرا له فإنه غير معاتب
عليه وإنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم فخبره :: نسارع لهم في الخيرات
:: والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه
خيرهم وإكرامهم :: بل لا يشعرون :: بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا
فيه فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في خير وقرئ يمدهم
على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به و
يسارع مبنيا للمفعول :: إن الذين هم من خشية ربهم :: من خوف عذابه ::
مشفقون :: حذرون :: والذين هم بآيات ربهم :: المنصوبة والمنزلة ::
يؤمنون :: بتصديق مدلولها :: والذين هم بربهم لا يشركون :: شركا
جليا ولا خفيا :: والذين يؤتون ما آتوا :: يعطون ما أعطوه من الصدقات
وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات :: وقلوبهم وجلة ::
خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به :: أنهم إلى
ربهم راجعون :: لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
أولئك يسارعون في الخيرات :: يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها
أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة
إليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون إثباتا لهم ما نفي عن أضدادهم
وهم لها سابقون :: لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الطاعة
أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم
في الدنيا كقوله هم لها عاملون :: ولا نكلف نفسا إلا وسعها :: قدر طاقتها يريد به
التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس :: ولدينا كتاب
:: يريد اللوح أو صحيفة الأعمال :: ينطق بالحق :: بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع :: وهم لا يظلمون :: بزيادة عقاب أو نقصان ثواب :: بل قلوبهم
:: قلوب الكفرة :: في غمرة :: في غفلة غامرة لها :: من هذا :: من الذي وصف

هؤلاء أو من كتاب الحفظة :: ولهم أعمال :: خبيثة :: من دون ذلك ::
متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك :: هم لها عاملون ::
معتادون فعلها :: حتى إذا أخذنا مترفيهم :: متنعميهم :: بالعذاب :: يعني القتل
يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول عليه السلام فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحرقة :: إذا هم يجأرون :: فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب
الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب :: لا تجأروا اليوم ::
فإنه مقدر بالقول أي قيل لهم لا تجأروا :: إنكم منا لا تنصرون :: تعليل للنهي
أي لا تجأروا فإنه لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا ::
قد كانت آياتي تتلى عليكم :: يعني القرآن :: فكنتم على أعقابكم تنكصون ::
معرضين مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
:: مستكبرين به :: الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه
أغنت عن سبق ذكره أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لأنه
بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله ::
سامرا :: أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الأصل مصدر جاء
على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر :: تهجرون :: من الهجر بالفتح
إما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه و
الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على
المبالغة :: أفلم يدبروا القول :: أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز
لفظه ووضوح مدلوله :: أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين :: من الرسول
والكتاب أو من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون
كإسمعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه :: أم لم يعرفوا رسولهم
:: بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك
مما هو صفة الأنبياء :: فهم له منكرون :: دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه
له غير ما ذكر فإن إنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع
أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد :: أم يقولون به جنة
:: فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم نظرا :: بل جاءهم

بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه
وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه
أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق أهواءهم بأن كان
في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والأرض ومن فيهن كما سبق
تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم و
انقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد أهواءهم
وانقلب شركاً لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم
بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك
السموات والأرض وهو على أصل المعتزلة بل أتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي
هو ذكرهم أو وعظهم أو صيتهم أو الذكر الذي تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكراً من الأولين
وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون إليه أم تسألهم
قيل إنه قسيم قوله أم به جنة خرجاً أجراً على أداء الرسالة فخراج ربك
رزقه في الدنيا أو ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن
عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في
الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك
عبر به عن عطاء الله إياه وقرأ ابن عامر خرجاً فخرج وحمزة والكسائي خراجاً
فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وإنك لتدعوهم
إلى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب
اتهامهم له واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلل في هذه الآيات بأن حصر أقسام
ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة
وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون
لعادلون عنه فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي
في الشيء في طغيانهم إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول
والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان
إلى رسول الله عليه السلام فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك
بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت

ولقد أخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون
لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته وليس
من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب
شديد يعني الجوع فإنه أشد من القتل والأسر إذا هم فيه مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك وهو الذي أنشأ لكم
السمع والأبصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والأفئدة لتتفكروا فيها
وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلاً ما تشكرون
تشكرونها شكراً قليلاً لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان
لمانحها من غير إشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الأرض خلقكم
وبثكم فيها بالتناسل وإليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو
الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر
عليه غيره فيكون رداً لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه تعاقبهما أو
انتقاص أحدهما وازدياد الآخر أفلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل
منا وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن
الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا أي كفار مكة مثل ما قال الأولون
آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون
استبعاداً ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فخلقوا لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين إلا أكاذيبهم التي
كتبوها جمع أسطورة لأنه يستطر فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك وقيل
جمع أسطار جمع سطر قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون إن كنتم من أهل
العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا
مثل هذا الجلي الواضح وإلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره ولذلك أخبر
عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال سيقولون لله لأن العقل الصريح قد اضطرهم
بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها قل أي بعد ما قالوه أفلا تذكرون
فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداءً قدر على إيجادها ثانياً فإن بدء الخلق
ليس أهون من إعادته وقرئ تتذكرون على الأصل قل من رب السموات السبع

ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله لان العقل
الصريح قد اضطرهم قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه
لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا بعض مخلوقاته ولا تنكروا
قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن
وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء
شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل
واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم
التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت
كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع
الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد و
الشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة
خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب و
حفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد
بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من
العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلنى في القوم الظالمين قرينا لهم
في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه
ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان
نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم

يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم
له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن
السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن
في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هي الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس
على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولى
في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل
لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق
بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان
يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال
تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون
ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل
في قفا واطرقا لعلى اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذى تركته اى لعلى
آتى بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا
عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب
الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعنى قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة
الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة
عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين
الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا
وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام
الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا
جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من

فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
او يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ ولا يسأل بعضهم
بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله ﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ لانه
عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار
﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال
صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر ﴿فاولئك هم المفلحون﴾ الفائزون
بالنجاة والدرجات ﴿ومن خفت موازينه﴾ ومن لم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ ﴿فاولئك الذين خسروا انفسهم﴾
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها
﴿في جهنم خالدون﴾ بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك ﴿تلفح وجوههم النار﴾
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا ﴿وهم فيها كالحون﴾ من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون ﴿الم تكن آياتي تتلى عليكم﴾
على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ تأنيب وتذكير
لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾
ملكتنا بحيث صارت مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي
شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة ﴿وكنا قوما ضالين﴾
عن الحق ﴿ربنا اخرجنا منها﴾ من النار ﴿فان عدنا﴾ الى التكذيب
﴿فانا ظالمون﴾ لانفسنا ﴿قال اخسئوا فيها﴾ اسكتوا سكوت هوان فانها
ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ولا تكلمون﴾
في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرجنا منها فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من
قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب
ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء ﴿انه﴾
ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه ﴿كان فريق من عبادي﴾ يعني المؤمنين
وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت﴾

خير الراحمين ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ هزوا وقرأ حمزة ونافع والكسائي هنا
وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند
الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
﴿حتى انسوكم ذكري﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي
﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء بهم ﴿اني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على اذاكم
﴿انهم هم الفائزون﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي
جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا ﴿قال﴾ اي الله او الملك المأمور
بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل
النار ﴿كم لبثتم في الارض﴾ احياء او امواتا في القبور ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم
﴿قالوا لبثنا يوما او بعض يوم﴾ استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم
في النار او لانها كانت ايام سرور وايام السرور قصار او لانها
منقضية والمنقضي في حكم المعدوم ﴿فاسأل العادين﴾ الذين يتمكنون من عد ايامها
ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او
الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون ﴿قال﴾ وفي قراءة حمزة والكسائي قيل والكوفيين قل ﴿ان
لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون﴾ تصديق لهم في مقالهم ﴿افحسبتم انما خلقناكم
عبثا﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم
تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
﴿وانكم الينا لا ترجعون﴾ معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ الذي يحق له الملك
مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال
دون حال ﴿لا اله الا هو﴾ فان ما عداه عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ الذي
يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ﴿ومن يدع مع
الله الها آخر﴾ يعبده ﴿لا برهان له به﴾ صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل
لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع

فصلا لما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فإنما حسابه عند ربه فهو مجازٍ له مقدار ما يستحقه إنه لا يفلح الكافرون أي إن الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

سورة النور مدنية وهي ثنتان وأربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون لها محل إلا إذا قدر اتل أو دونك أو نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الأحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها وأنزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لأجل الأمر والزان بلا ياء وإنما قدم الزانية لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه أو لأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما بالآخر نسخا مقبولا أو مردودا [illegible] الإحصان الحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الإسلام أيضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة

في دين الله في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فإن المشاكلة علة الألفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فإنه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني عن الزنا إلا بزانية والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالإحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والإحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن قذف

النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا تعتبر شهادة
زوج المقذوف خلافاً لأبي حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف
سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ أي شهادة
كانت لأنه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد
خلافاً لأبي حنيفة فإن الأمر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جواباً
للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوء مما بعده
﴿أبداً﴾ ما لم يتب وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾
المحكوم بفسقهم ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ من القذف ﴿وأصلحوا﴾
أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف والاستثناء
راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل
لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء
وقيل إلى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحله النصب لأنه
عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ علة للاستثناء
﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ نزلت في هلال بن
أمية رأى رجلاً على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير
﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات﴾ فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة
أحدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر
شهادة ﴿بالله﴾ متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها
﴿إنه لمن الصادقين﴾ أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت
إن وعلق العامل عنه باللام تأكيداً ﴿والخامسة﴾ والشهادة الخامسة
﴿أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بتخفيف
أن في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما
بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان أبداً وبتفريق
الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد إن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا
على المرأة لقوله ﴿ويدرؤا عنها العذاب﴾ أي الحد ﴿أن تشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الكاذبين﴾ فيما رماني به ﴿والخامسة أن غضب الله عليها
إن كان من الصادقين﴾ في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو

بالعطف

بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفاً على أربع وقرأ نافع أن لعنة الله
وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع اللام وقرأ نافع أيضاً أن غضب
بكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون
فيهما ونصب اللام وفتح الضاد وجر الهاء ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وأن الله تواب حكيم﴾ متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم أو عاجلكم بالعقوبة
﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب من الإفك وهو الصرف
لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها وذلك أنه عليه السلام
استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة
ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت
لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما
عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمي قد عرّس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلتها
فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به ﴿عصبة منكم﴾ جماعة منكم وهي من العشرة
إلى الأربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر إن وقوله
﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ مستأنف والخطاب للرسول وأبي بكر وعائشة وصفوان
والهاء للإفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم
فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾ لكل جزاء
ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به ﴿والذي تولى كبره﴾ معظمه وقرأ يعقوب
بالضم وهو لغة فيه ﴿منهم﴾ من الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه
عداوة لرسول الله عليه السلام أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح
والذي بمعنى الذين ﴿له عذاب عظيم﴾ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا
وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح
مكفوف البصر ﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم
خيراً﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل
فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير

بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم و
انما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه
ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على
ان لا يخلوا باوله :. وقالوا هذا افك مبين :. كما يقول المستيقن المطلع على الحال
:. لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
:. من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك
رتب الحد عليه :. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة :.
لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا
بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة
المقدران لكم :. لمسكم :. عاجلا :. فيما افضتم فيه :. خضتم :. عذاب عظيم
يستحقر دونه اللوم والجلد :. اذ :. ظرف لمسكم او افضتم :. تلقونه بالسنتكم
:. يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ
تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة و
تلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو
الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه :. وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم :. اي تقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من
القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم :. وتحسبونه هينا :. سهلا لا تبعة له :. وهو عند الله عظيم :. في الوزر
واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي
الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم :. ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا :. ما ينبغي لنا وما يصح :. ان نتكلم بهذا
:. يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف
آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول
الله عليه السلام :. سبحانك هذا :. تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر
عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يعجب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب
او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بالمقصود
بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله :. بهتان عظيم :. لعظمة المبهوت

عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها :. يعظكم الله ان
تعودوا لمثله :. كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا :. ابدا :. ما دمتم احياء
مكلفين :. ان كنتم مؤمنين :. فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع :.
ويبين الله لكم الآيات :. الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا
وتتأدبوا :. والله عليم :. بالاحوال كلها :. حكيم :. في تدابيره ولا يجوز
الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها :. ان الذين يحبون :. يريدون :. ان
تشيع :. ان تنتشر :. الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والآخرة :. بالحد والسعير الى غير ذلك :. والله يعلم :. ما في الضمائر :.
وانتم لا تعلمون :. فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب
على ما في القلوب من حب الاشاعة :. ولولا فضل الله عليكم ورحمته :. تكرير
للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله :. وان
الله رؤف رحيم :. على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب مستغنى عنه
بذكره مرة :. يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان :. باشاعة
الفاحشة وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكون الطاء وقرئ
بفتح الطاء :. ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر :.
بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع
:. ولولا فضل الله عليكم ورحمته :. بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع
الحدود المكفرة لها :. ما زكى :. ما طهر من دنسها :. منكم من احد :. آخر
الدهر :. ولكن الله يزكي من يشاء :. بحمله على التوبة وقبولها :. والله
سميع :. لمقالهم :. عليم :. بنياتهم :. ولا يأتل :. ولا يحلف افتعال من الالية او
ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد
حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين :.
اولو الفضل منكم :. في الدين :. والسعة :. في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر
وشرفه :. ان يؤتوا :. على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات
:. اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله :. صفات لموصوف
واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت
مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود :. وليعفوا :. ما فرط منهم :. وليصفحوا

بالانعام عليه :: ألا تحبون أن يغفر الله لكم :: على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء
اليكم :: والله غفور رحيم :: مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه السلام
قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته :: ان الذين يرمون
المحصنات :: العفائف :: الغافلات :: عما قذفن به :: المؤمنات :: بالله و
برسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي :: لعنوا
في الدنيا والآخرة :: لما طعنوا فيهن :: ولهم عذاب عظيم :: لعظم ذنوبهم وقيل
هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عليه السلام
ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ
مما نزل في افك عائشة :: يوم تشهد عليهم :: ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل :: ألسنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون :: يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيار
او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب :: يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق :: جزاءهم المستحق :: ويعلمون :: لمعاينتهم الامر :: ان الله هو الحق
المبين :: الثابت بذاته الظاهر الالوهية لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر
على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله و
من كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة :: الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات :: اي الخبائث يتزوجن
الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله :: اولئك ::
يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان :: مبرؤون مما يقولون ::
اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤون مما يقولون فيهم
او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم :: لهم مغفرة ورزق
كريم :: يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها
وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها
وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول
عليه السلام واعلاء منزلته :: يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ::
التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن :: حتى تستأنسوا ::

تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او هل يؤذن له او من الاستيناس
الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا
اذن له استأنس او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس :: وتسلموا على اهلها
:: بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام
عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع :: ذلكم خير لكم :: اي
الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن
على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن :: لعلكم تذكرون :: متعلق بمحذوف
اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم ::
فان لم تجدوا فيها احدا :: يأذن لكم :: فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم :: حتى يأتي من
يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما
يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما
اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها :: وان قيل لكم ارجعوا ::
ولا تلحوا :: فارجعوا هو ازكى لكم :: الرجوع اطهر لكم مما لا يخلو الالحاح والوقوف
على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم :: والله
بما تعملون عليم :: فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه :: ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة :: كالربط والحوانيت والخانات
فيها متاع لكم :: استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس
للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ::
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون :: وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على
عورات :: قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم :: اي عما يكون نظره محرم :: ويحفظوا
فروجهم :: الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة بسترها
:: ذلك ازكى لهم :: انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة :: ان الله خبير بما يصنعون

لا يحل عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون ∴ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ∴ فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ∴ ويحفظن فروجهن ∴ بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ∴ ولا يبدين زينتهن ∴ كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له ∴ الا ما ظهر منها ∴ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالعلاج وتحمل الشهادة ∴ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ∴ سترا لاعناقهن وقرا نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ∴ ولا يبدين زينتهن ∴ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له ∴ الا لبعولتهن ∴ فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ∴ او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن ∴ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم ∴ او نسائهن ∴ يعني المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف ∴ او ما ملكت ايمانهن ∴ يعم الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي ∴ او التابعين غير اولي الاربة من الرجال ∴ اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال ∴ او الطفل الذين

لم يظهروا على عورات النساء ∴ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ∴ ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ∴ ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ∴ وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ∴ اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب في الاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر ∴ لعلكم تفلحون ∴ بسعادة الدارين وقرا ابن عامر آية المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن ايها بالالف ووقف الباقون بغير الالف ∴ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ∴ لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ∴ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ∴ رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ∴ والله واسع ∴ ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته ∴ عليم ∴ يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته ∴ وليستعفف ∴ وليجتهد في العفة وقمع الشهوة ∴ الذين لا يجدون نكاحا ∴ اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه ∴ حتى يغنيهم الله من فضله ∴

يجد وإما بتزوج به ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ المكاتبة وهو أن يقول
الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى
المال أو لأنه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لأن العوض فيه يكون
منجماً بنجوم يضم بعضها إلى بعض ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبداً كان أو أمة والموصول
بصلته مبتدأ خبره ﴿فكاتبوهم﴾ أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والأمر فيه للندب عند أكثر العلماء لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق
فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لأن المطلق
لا يعم مع أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل
﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روي مثله
مرفوعاً وقيل صلاحاً في الدين وقيل مالاً وضعفه ظاهر لفظاً ومعنى وهو شرط
الأمر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾
أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئاً من أموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة
وهو للوجوب عند الأكثر ويكفي أقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس
الثلث وقيل ندب لهم إلى الإنفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وقيل أمر
لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وإن كان
غنياً لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ إماءكم ﴿على البغاء﴾
على الزنا كانت لعبد الله بن أبي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
الضرائب فشكا بعضهن إلى رسول الله عليه السلام فنزلت ﴿إن أردن
تحصناً﴾ تعففاً شرط للإكراه فإنه لا يوجد دونه وإن جعل شرطاً للنهي لم
يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي عنه لامتناعه وإيثار إن على
إذا لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا
ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن أو له إن تاب
والأول أوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد إكراههن لهن
غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة لأن الإكراه
لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه
القصاص ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني الآيات التي بينت

في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائي في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لأنها واضحات تصدقها
الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بيّن بمعنى تبيّن أو لأنها بينت الأحكام
والحدود ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي ومثلاً من أمثال من قبلكم أي
وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فإنها كقصة يوسف ومريم
﴿وموعظة للمتقين﴾ يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لأنهم المنتفعون
بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته ﴿الله نور السموات
والأرض﴾ النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات
كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى
لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على
تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض وقد قرئ به فإنه تعالى نورها بالكواكب
وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء أو مدبرها من قولهم للرئيس
الفائق في التدبير نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور أو موجدها فإن النور
ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله
سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه أو الذي به يدرك أهلها من حيث
إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على
البصيرة لأنها أقوى إدراكاً فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات
الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل
ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها فهي إذن من سبب يفيضها
عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنواراً
ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته
إليهما للدلالة على سعة إشراقه أو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور
الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما ﴿مثل نوره﴾ صفة نوره
العجيبة الشأن وإضافته إلى ضميره سبحانه دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره
﴿كمشكاة﴾ كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح في
زجاجة﴾ في قنديل من الزجاج ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ مضيء متلألئ كالزهرة

في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه
او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على
الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا : يوقد
من شجرة مباركة زيتونة : اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه
بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها
تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب : لا شرقية
ولا غربية : تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار
كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة
في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون
او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقنأة تغيب عنها دائما
فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى
يكاد زيتها يضيء : اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه :
ولو لم تمسسه نار نور على نور : نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته
صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل
وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور
ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات
اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه و
تشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من
المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي
مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة
التي منوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس
الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت
والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب و
اسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله ولكن جعلناه نورا

نهدي به من نشاء من عبادنا وانما الاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة و
الزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى
ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار
العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها
بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى
ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في
القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة
ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها
بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات
فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد
فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي
يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من
حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور : يهدي الله لنوره
لهذا النور الثاقب : من يشاء : فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها
تمامها : ويضرب الله الامثال للناس : ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا
وبيانا : والله بكل شيء عليم : معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه
وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها : في بيوت : متعلق بما قبله اي كمشكاة
في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة
فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد
ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل
فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها
وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم : اذن الله ان ترفع : بالبناء او التعظيم

ويذكر فيها اسمه :: عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه
:: يسبح له فيها بالغدو والآصال :: ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات
والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على
اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا
لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو :: رجال لا تلهيهم تجارة
:: لا تشغلهم معاملة رابحة :: ولا بيع عن ذكر الله :: مبالغة بالتعميم بعد التخصيص
ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح
يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها و
مبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه
ايماء بانهم تجار :: واقام الصلوة :: عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن
العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا :: وايتاء
الزكوة :: ما يجب اخراجه من المال للمستحقين :: يخافون يوما :: مع ما هم عليه من
الذكر والطاعة :: تتقلب فيه القلوب والابصار :: تضطرب وتتغير من
الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن
تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم :: ليجزيهم الله :: متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون
احسن ما عملوا :: احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة :: ويزيدهم من فضله
:: اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم :: والله يرزق من يشاء بغير
حساب :: تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان
:: والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة :: والذين كفروا اعمالهم على ضد ذلك
فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة
كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن
انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل
جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة :: يحسبه الظمآن ماء :: اي العطشان
وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة :: حتى اذا جاءه
ما توهمه ماء او موضعه :: لم يجده شيئا :: مما ظنه :: ووجد الله عنده ::

عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه :: فوفاه حسابه :: استوفاه وجازاه
:: والله سريع الحساب :: لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة
ابن ربيعة ابن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ::
او كظلمات :: عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة
لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر و
الامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب
وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا
والسراب في الآخرة :: في بحر لجي :: عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ::
يغشاه موج :: يغشى البحر :: من فوقه موج :: اي امواج مترادفة متراكمة ::
من فوقه :: من فوق الموج الثاني :: سحاب :: غطى النجوم وحجب انوارها و
الجملة صفة اخرى للبحر :: ظلمات :: اي هذه ظلمات :: بعضها فوق بعض :: وقرأ
ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى او باضافة السحاب اليها في رواية البزي
:: اذا اخرج يده :: وهي اقرب ما يرى اليه :: لم يكد يراها :: لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها كقول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى :: ومن لم يجعل الله له نورا
:: ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها :: فما له من نور :: خلاف الموفق
الذي له نور على نور :: ألم تر :: ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة
بالوحي او الاستدلال :: ان الله يسبح له من في السموات والارض :: ينزه
ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة
والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال :: والطير :: على الاول تخصيص لما
فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله :: صافات ::
فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها
بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
:: كل :: كل واحد مما ذكر او من الطير :: قد علم صلوته وتسبيحه :: اي قد علم الله دعاءه
وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله :: والله عليم بما يفعلون :: او علم كل على تشبيه
حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا
يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب

نفعها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ فانه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء
الى الواجب ﴿والى الله المصير﴾ مرجع الجميع ﴿الم تر ان الله يزجي سحابا﴾
يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ﴿ثم يؤلف بينه﴾ بان يكون
قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ﴿ثم يجعله
ركاما﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من
فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله ﴿وينزل من السماء﴾ من الغمام وكل
ما علاك فهو سماء ﴿من جبال فيها﴾ من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها
﴿من برد﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها
من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل
قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة
الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر
مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل
بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج
وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها
الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله ﴿فيصيب به
من يشاء ويصرفه عن من يشاء﴾ الضمير للبرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ ضوء برقه وقرئ
بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار
من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿يذهب بالابصار﴾ بابصار الناظرين اليه من فرط
الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من
الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او
بما يعم ذلك ﴿ان في ذلك﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لعبرة لاولي الابصار﴾
لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة اولى ﴿والله خلق كل
دابة﴾ حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة

﴿من ماء﴾ هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب
منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة
وليس صلة لخلق ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية وانما سمي الزحف مشيا على
الاستعارة او المشاكلة ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم
من يمشي على اربع﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب
فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير
عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة
﴿يخلق الله ما يشاء﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور و
الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر
بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ فيفعل ما يشاء ﴿لقد انزلنا آيات
مبينات﴾ للحقائق بانواع الدلائل ﴿والله يهدي من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر
فيها والتدبر لمعانيها ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك
الحق والفوز بالجنة ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه السلام وقيل
في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول ﴿واطعنا﴾
اي واطعناهما ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿من بعد ذلك﴾
من بعد قولهم هذا ﴿وما اولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين باسرهم
فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق
وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين
عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم﴾ اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة
على ان حكمه في الحقيقة حكم الله ﴿اذا فريق منهم معرضون﴾ فاجأ فريق منهم
الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة
فيه ﴿وان يكن لهم الحق﴾ اي الحكم لا عليهم ﴿يأتوا اليه مذعنين﴾ منقادين لعلمهم
بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص ﴿افي قلوبهم مرض﴾
كفر او ميل الى الظلم ﴿ام ارتابوا﴾ بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم
بك ﴿ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكومة ﴿بل اولئك هم

الظالمون. اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم
ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او
متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول
وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما
المدعو الى حكمه. انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون. على عادة الله تعالى في
اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع
وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم. ومن
يطع الله ورسوله. فيما يامرانه او في الفرائض والسنن. ويخش الله.
على ما صدر عنه من الذنوب. ويتقه. فيما بقي من عمره وقرا يعقوب وقالون
عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو وحفص بسكون القاف وقرا ابو عمرو وخلاد
بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء وقالون وهشام بخلاف عنه باختلاس كسرتها
فاولئك هم الفائزون. بالنعيم المقيم. واقسموا بالله جهد ايمانهم
انكار للامتناع عن حكمه. لئن امرتهم. بالخروج عن ديارهم واموالهم.
ليخرجن. جواب لاقسموا على الحكاية. قل لا تقسموا. على الكذب. طاعة
معروفة. اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منكم او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا
طاعة. ان الله خبير بما تعملون. فلا يخفى عليه سرائركم. قل اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول. امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم.
فان تولوا فانما عليه. اي على محمد. ما حمل. من التبليغ. وعليكم ما حملتم. من
الامتثال. وان تطيعوه. في حكمه. تهتدوا. الى الحق. وما على الرسول الا
البلاغ المبين. التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان
اديتم فلكم وان توليتم فعليكم. وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان. ليستخلفنهم في الارض.
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة
القسم. كما استخلف الذين من قبلهم. يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام

بعد الجبابرة وقرا ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدا ضم الالف
والباقون بفتحها واذا ابتدا واكسر والالف. وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم. وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت. وليبدلنهم من بعد خوفهم.
من الاعداء وقرا ابن كثير وابو بكر بالتخفيف. امنا. منهم وكان رسول الله
واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في
السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد
الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به و
خلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل
الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة. يعبدونني. حال من الذين
لتقييد الوعد بعزمهم بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف
والامن. لا يشركون بي شيئا. حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين
ومن كفر. ومن ارتد او كفر هذه النعمة. بعد ذلك. بعد الوعد او حصول
الخلافة. فاولئك هم الفاسقون. الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد
وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة. واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واطيعوا الرسول. في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله
فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد و
تعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى.
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض. لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله
عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرا ابن عامر وحمزة بالياء
على ان الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل و
المعنى ولا تحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه
او ولا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء
واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول
في الاحتمالات. ومأويهم النار. عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين
كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق
نفي الاعجاز. ولبئس المصير. المأوى الذي يصيرون اليه. يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم. رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد

الوازع عن الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها
والوعد عليها والوعيد على الإعراض عنها وأمر بخطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت
كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله عليه السلام مدلج بن عمرو الأنصاري
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه
فقال عمر لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا
هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي عليه السلام فوجده
وقد نزلت عليه هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين
لم يبلغوا من الأحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله ﴿ثلاث مرات﴾
في اليوم والليلة مرة ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع
وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات
أو الرفع خبرا لمحذوف أي هي من قبل ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي ثيابكم
لليقظة للقيلولة ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾
لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثلاث عورات لكم﴾
أي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده
وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة
والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾
بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان
فينسخها لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين
﴿طوافون عليكم﴾ أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك
الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا
في الفرق بين الأوقات الثلاث وغيرها بأنها عورات ﴿بعضكم على بعض﴾
بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين
﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي الأحكام ﴿والله عليم﴾ بأحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما شرع
لكم ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾
من الذين بلغوا قبلهم في الأوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد
البالغ على سيدته وجوابه أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك

فلا يستأذنون فيهم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ كرره تأكيدا
ومبالغة في الأمر بالاستئذان ﴿والقواعد من النساء﴾ العجائز اللاتي قعدن
عن الحيض والحمل ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فليس
عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه
لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو لوصفها بها ﴿غير متبرجات بزينة﴾
غير مظهرات زينة مما أمر بإخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف
في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه خص بكشف المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ من الوضع لأنه
أبعد من التهمة ﴿والله سميع﴾ لمقالتهن للرجال ﴿عليم﴾ بمقصودهن ﴿ليس على
الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ نفي لما كانوا يتحرجون
من مؤاكلة الأصحاء حذرا من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح
ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك
من طيب قلب أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم
فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت
بإذن أو قرينة أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي
إلا أن يؤذن لكم إلى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم
ما قبله وما بعده ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ من البيوت التي فيها
أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله
عليه السلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل المرء
من كسبه وإن ولده من كسبه ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت
إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت
أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ وهو ما يكون تحت أيديكم و
تصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه ﴿أو صديقكم﴾ أو بيوت صديقكم
فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط
هذا كله إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة ولذلك خصص

هؤلاء فانه يعتاد التبسط منهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا﴾ مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع في النزاهة والرغبة ﴿فاذا دخلتم بيوتا﴾ من هذه البيوت ﴿فسلموا على انفسكم﴾ على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿تحية من عند الله﴾ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم ﴿مباركة﴾ لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب ﴿طيبة﴾ تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال ﴿لعلكم تعقلون﴾ اي الحق والخير في الامور ﴿انما المؤمنون﴾ اي الكاملون في الايمان ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ من صميم قلوبهم ﴿واذا كانوا معه على امر جامع﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا رسول الله عليه السلام فيأذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق وان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ﴿ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿فاذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ تفويض للامر الى رأي الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ﴿واستغفر لهم الله﴾ بعد الاذن فان الاستئذان

ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ﴿ان الله غفور﴾ لفرطات العباد ﴿رحيم﴾ بالتيسير عليهم ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل ﴿لواذا﴾ ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره﴾ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿ان تصيبهم فتنة﴾ محنة في الدنيا ﴿او يصيبهم عذاب اليم﴾ في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب ﴿الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه﴾ ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ﴿ويوم يرجعون اليه﴾ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ﴿والله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه خافية عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي صدق عليه السلام

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ تكاثر

خيره من البركة وهي كثرة الخير أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله
فإن البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير
أو لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء
فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل
باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم
رسول الله عليه السلام وأمته كقوله لقد انزلنا اليكم أو الأنبياء عليهم السلام
على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية :: ليكون :: العبد أو الفرقان
:: للعالمين نذيرا :: للجن والانس منذرا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار
وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنه لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت
صلة :: الذي له ملك السموات والأرض :: بدل من الأول أو مدح مرفوع
أو منصوب :: ولم يتخذ ولدا :: كزعم النصارى :: ولم يكن له شريك في الملك
:: كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاوم فيه ثم نبه
على ما يدل عليه فقال :: وخلق كل شيء :: احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير حسب
ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة :: فقدره
تقديرا :: فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والأفعال كتهيئة الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال
المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا
يكون متفاوتا :: واتخذوا من دونه آلهة :: لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة
أخذ في الرد على المخالفين فيهما :: لا يخلقون شيئا وهم يخلقون :: لأن عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم :: ولا يملكون :: ولا يستطيعون :: لأنفسهم ضرا :: دفع
ضر :: ولا نفعا :: ولا جلب نفع :: ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ::
ولا يملكون اماتة أحد ولا احياءه أولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل
عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الاله يجب
أن يكون قادرا على البعث والجزاء :: وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ::
كذب مصروف عن وجهه :: افتريه :: اختلقه :: وأعانه عليه قوم آخرون ::

أي اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الأمم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار
وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر :: فقد جاؤا ظلما :: بجعل الكلام المعجز
افكا مختلقا متلقفا من اليهود :: وزورا :: بنسبة ما هو بريء منه اليه وأتى و
جاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته :: وقالوا أساطير الأولين :: ما سطره
المتقدمون :: اكتتبها :: أي كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لأنه في أصلها اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه :: فهي تملى عليه بكرة
وأصيلا :: ليحفظها فانه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب :: قل أنزله
الذي يعلم السر في السموات والأرض :: لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته و
تضمن أخبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الأسرار
فكيف تجعلونه أساطير الأولين :: انه كان غفورا رحيما :: فلذلك لا يعجل في عقوبتكم
على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا ::
وقالوا ما لهذا الرسول :: ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم :: يأكل
الطعام :: كما نأكل :: ويمشي في الأسواق :: لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح
دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات
فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وانما هو بأحوال نفسانية كما أشار
اليه بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد :: لولا أنزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا :: لنعلم صدقه بتصديق الملك :: أو يلقى اليه كنز :: فيستظهر به
ويستغني عن تحصيل المعاش :: أو تكون له جنة يأكل منها :: هذا على سبيل التنزل
أي ان لم يلق اليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش
بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون :: وقال الظالمون :: وضع الظالمين موضع
ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه :: ان تتبعون :: ما تتبعون :: الا رجلا مسحورا
:: سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لا ملكا :: انظر كيف
ضربوا لك الأمثال :: أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال
النادرة :: فضلوا :: عن الطريق الموصل الى خواص النبي المميز بينه وبين المتنبي
فخبطوا خبط عشواء :: فلا يستطيعون سبيلا :: الى القدح في نبوتك أو الى الرشد
والهدى :: تبارك الذي ان شاء جعل لك :: في الدنيا :: خيرا من ذلك :: مما قالوا

ولكن اخره لانه خير وابقى * جنات تجري من تحتها الانهار * بدل من خيرا
ويجعل لك قصورا * عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع
لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله * وان اتاه
خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم * ويجوز ان يكون استئنافا
بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو * بل كذبوا
بالساعة * فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال
فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او
فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا
تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه * واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا * نارا
شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان * اذا رأتهم
* اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان
بحيث تكون احداهما بمرأى من الآخر على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم
من مكان بعيد * هو اقصى ما يمكن ان ترى منه * سمعوا لها تغيظا وزفيرا * صوت
تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا
وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى
وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف *
واذا القوا منها مكانا * في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا * ضيقا * لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها كعرض السموات والارض * مقرنين * قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
* دعوا هنالك * في ذلك المكان * ثبورا * هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك * لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا * اي
يقال لهم ذلك * وادعوا ثبورا كثيرا * لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور
لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور * قل اذلك خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون * الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد
للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة
الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا * كانت لهم *

في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع * جزاء * على اعمالهم
بالوعد * ومصيرا * ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على
غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في
مقابلتهم * لهم فيها ما يشاؤون * ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة
على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي
وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة * خالدين * حال من احد
ضمائرهم * كان على ربك وعدا مسؤولا * الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود
اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤولا سأله الناس في
دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم
منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز
* ويوم يحشرهم * للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء * وما يعبدون من دون الله * يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما
لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف
كأنه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص
الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله
او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل * فيقول * اي للمعبودين
وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون * ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل * لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح
وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي
حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه فانه لا شبهة فيه
والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة * قالوا سبحانك * تعجبا
مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها
لله عن الانداد * وما كان ينبغي لنا * ما يصح لنا * ان نتخذ من دونك من اولياء
* للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك
وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم

جليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي
ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا
الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة
الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه و
عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما
بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء
اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون
وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل
حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم
منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من
كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط
بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة
المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز
ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء
والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية
لرسول الله على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون
علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا
بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملون
لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل
اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى

جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا انزل علينا الملائكة
فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا
بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها
ما يتفق لافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم
من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه
حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت
دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف
بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس
ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت
او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين
فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين
تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت
منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من طريق
البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة
في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع
للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم
وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى
حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص
بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه
بمحجور للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم
واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق
لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي
الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور
في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها

او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين :
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا : مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس
والتحادث : واحسن مقيلا : مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك
غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور
وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى
ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة
الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب
في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار :
ويوم تشقق السماء : اصله تتشقق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع
وابن عامر ويعقوب : بالغمام : بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور
في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة : ونزل الملائكة
تنزيلا : في ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ
ونزلت وانزل ونزل بحذف نون الكلمة : الملك يومئذ الحق للرحمن :
الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او
تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن
: وكان يوما على الكافرين عسيرا : شديدا : ويوم يعض الظالم على
يديه : من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها
كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل
عقبة ابن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل
طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت
فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال
لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات
: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا : طريقا الى النجاة او طريقا واحدا
وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة : يا ويلتا : وقرئ بالياء على الاصل

ليتني لم اتخذ فلانا خليلا : يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا
كناية عن الاجناس : لقد اضلني عن الذكر : عن ذكر الله او كتابه او موعظة
الرسول او كلمة الشهادة : بعد اذ جاءني : وتمكنت منه : وكان الشيطان
: يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من
تشيطن من جن او انس : للانسان خذولا : يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان : وقال الرسول : محمد يومئذ او في الدنيا
بثا الى الله تعالى : يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا : بان تركوه
وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني
وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون
اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه
تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب :
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين : كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا
وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع : وكفى بربك هاديا
: الى طريق قهرهم : ونصيرا : لك عليهم : وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن : اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله : جملة واحدة : دفعة
واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة
واحدة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله : كذلك لنثبت به
فؤادك : اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان
حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو
القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا
ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل
منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا
نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها
انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك
صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا
انزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون

حالا او الاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا ۝ وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة
او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ۝ ولا يأتونك
بمثل ۝ سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك ۝
الا جئناك بالحق ۝ الدافع له في جوابه ۝ واحسن تفسيرا ۝ وبما هو احسن بيانا
او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا
اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له ۝
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ۝ اي مقلوبين او مسحوبين عليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم
القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على
الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره ۝ اولئك شر مكانا
واضل سبيلا ۝ والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه
الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا و
اضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف
السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ۝ ولقد آتينا موسى الكتاب و
جعلنا معه اخاه هرون وزيرا ۝ يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي
مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه ۝ فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا بآياتنا ۝ يعني فرعون وقومه ۝ فدمرناهم تدميرا ۝ اي فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها
وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار
الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة
۝ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ۝ كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن
تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة ۝
اغرقناهم ۝ بالطوفان ۝ وجعلناهم ۝ وجعلنا اغراقهم او قصتهم ۝ للناس
آية ۝ عبرة ۝ واعتدنا للظالمين عذابا اليما ۝ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا
للظاهر موضع المضمر تظليما لهم ۝ وعادا وثمود ۝ عطف على هم في جعلناهم او على

الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودا على تأويل القبيلة ۝ واصحاب
الرس ۝ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم
حول الرس وهو البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل
الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا
وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة
بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا
اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر ۝ وقرونا ۝ واهل
اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل مائة وعشرون ۝ بين ذلك ۝ اشارة
الى ما ذكر ۝ كثيرا ۝ لا يعلمها الا الله ۝ وكلا ضربنا له الامثال ۝ بينا له القصص العجيبة
من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال ۝ وكلا تبرنا تتبيرا ۝
فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ۝ ولقد اتوا ۝ يعني قريشا مروا مرارا
في متاجرهم الى الشام ۝ على القرية التي امطرت مطر السوء ۝ يعني سدوم عظمى قرى
قوم لوط امطرت عليها الحجارة ۝ افلم يكونوا يرونها ۝ في مرار مرورهم فيتعظوا
بما يرون من آثار عذاب الله ۝ بل كانوا لا يرجون نشورا ۝ بل كانوا كفرة لا يتوقعون
نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون
نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية ۝
واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ۝ ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به
۝ اهذا الذي بعث الله رسولا ۝ في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية
الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعث الله رسولا
۝ ان كاد ۝ محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا
۝ ليضلنا عن آلهتنا ۝ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد
وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات ۝ لولا ان صبرنا عليها ۝
ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى
دون اللفظ ۝ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ۝ كالجواب

لقولهم ان كان ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له دقة وعيده ولانه
علة انه لا يهملهم وان امهلهم ○ ارايت من اتخذ الهه هواه ○ بان اطاعه وبنى عليه
دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به ○ افانت تكون
عليه وكيلا ○ حفيظا يمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير
والتعجيب والثاني للانكار ○ ام تحسب ○ بل اتحسب ○ ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
○ فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله
حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل
الحق وكابر استكبارا او خوفا على الرياسة ○ ان هم الا كالانعام ○ في عدم انتفاعهم
بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات ○
بل هم اضل سبيلا ○ من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن
يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا
ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي
الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير
منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم ○ الم تر الى
ربك ○ الم تنظر الى صنعه ○ كيف مد الظل ○ كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف
مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم
كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل
وذلك فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة
تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف
الجنة به فقال وظل ممدود ○ ولو شاء لجعله ساكنا ○ ثابتا من السكنى او غير متقلص من
السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ○ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ○
فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ○ ثم قبضناه الينا ○ اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر
عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف

قبضا يسيرا ○ قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون
ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل
مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا
مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه
فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى
ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من
الاجرام المظلة والمظل عليها ○ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا ○ شبه ظلامه باللباس
في ستره ○ والنوم سباتا ○ راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت
القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت
○ وجعل النهار نشورا ○ ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من
النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ○ وهو الذي ارسل الرياح ○
وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس ○ نشرا ○ ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر
وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشرا جمع بشور بمعنى مبشر ○ بين يدي رحمته ○ يعني
قدام المطر ○ وانزلنا من السماء ماء طهورا ○ مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء
احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة
وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول ولاسم
كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور
اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان
يطهروها فبواطنهم بذلك اولى ○ لنحيي به بلدة ميتا ○ بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة
في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ○ ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ○ يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك
نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع
فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء

فلا يعوزها الشرب غالباً مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة
فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم
منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب
لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسي
بحذف ياء وهو جمع إنسي أو إنسان كظرابي في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت
النون ياء ○ ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر
الكتب أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام أمطر من عام ولكن الله
قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية أو في الأنهار والمنابع ○
ليذكروا ○ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره
أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ○ فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ○ إلا كفران النعمة وقلة
الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء
كان كافراً بخلاف من يرى أنها من خلق الله تعالى والأنواء وسائط وأمارات بجعله تعالى
○ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ○ نبياً ينذر أهلها فتخف عليك أعباء النبوة
لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق ○ فلا تطع الكافرين ○
فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين ○ وجاهدهم به ○ بالقرآن أو بترك
طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في
مخالفتهم وإزاحة باطلهم ○ جهاداً كبيراً ○ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء
بالسيف أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لأنه
جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى ○ وهو الذي مرج البحرين ○ خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها ○ هذا عذب فرات ○
قامع للعطش من فرط عذوبته ○ وهذا ملح أجاج ○ بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل
ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد ○ وجعل بينهما برزخاً ○ حاجزاً من قدرته ○
وحجراً محجوراً ○ وتنافراً بليغاً كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حداً
محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل
المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول

بينهما من الأرض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة
أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية ○ وهو الذي خلق
من الماء بشراً ○ يعني الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزءاً من مادة البشر لتجتمع وتسلس
وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو النطفة ○ فجعله نسباً وصهراً ○ أي قسمه
قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن
كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ○ وكان ربك قديراً ○ حيث خلق من مادة
واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما
يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكراً وأنثى ○ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم ○ يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع
والضر ○ وكان الكافر على ربه ظهيراً ○ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هيناً مهيناً لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به
إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ○ وما أرسلناك
إلا مبشراً ونذيراً ○ للمؤمنين والكافرين ○ قل ما أسألكم عليه من أجر ○ على تبليغ الرسالة
الذي يدل عليه إلا مبشراً ونذيراً ○ إلا من شاء ○ إلا فعل من شاء ○ أن يتخذ إلى ربه
سبيلاً ○ أي يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة فصور ذلك
بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناه منه قلعاً لشبهة الطمع وإظهاراً
لغاية الشفقة حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب
أجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه وإشعاراً بأن طاعتهم تعود إليه بالثواب من حيث إنها
بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل ○
وتوكل على الحي الذي لا يموت ○ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم
فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من
توكل عليهم ○ وسبح بحمده ○ ونزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال
طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه ○ وكفى به بذنوب عباده ○ ما ظهر منها
وما بطن ○ خبيراً ○ مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا ○ الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ○ قد سبق الكلام فيه
ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف
فيه وتحريض على الثبات والتأني في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره

فكل يراد خلق الاشياء على تؤدة وتدريج ○ الرحمن ○ خبر للذي ان جعلته مبتدأ
او لمحذوف ان جعلته صفة للحي ○ فاسأل به خبيرا ○ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة
ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه
من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش
يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا ○ واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن ○ لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به
غيره ولذلك قالوا ○ انسجد لما تأمرنا ○ اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده او لامرك لنا
من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على
انه قول بعضهم لبعض ○ وزادهم ○ اي الامر بالسجود للرحمن ○ نفورا ○ عن الايمان
○ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ○ يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي
القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج
لظهوره ○ وجعل فيها سراجا ○ يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ
حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار ○ وقمرا منيرا ○ مضيئا بالليل
وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب ○ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ○ اي ذوي خلفة يخلف كل
منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل
والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة ○ لمن اراد ان يذكر ○ ان يتذكر آلاء
الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد
○ او اراد شكورا ○ ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين
والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى
تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه ○ وعباد الرحمن ○ مبتدأ خبره اولئك
يجزون الغرفة او ○ الذين يمشون على الارض ○ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص و
التفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار ○
هونا ○ هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
○ واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ○ تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم

ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال
لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام ○ والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما ○ في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق وابعد
من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه ○ والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ○ لازما ومنه الغريم لملازمته
وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون
من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على
استمرار احوالهم ○ انها ساءت مستقرا ومقاما ○ اي بئست مستقرا وفيها ضمير
مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما
يحتملان الحكاية والابتداء من الله ○ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ○ لم يجاوزوا حد الكرم
○ ولم يقتروا ○ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير
منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن
عامر ولم يقتروا من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد ○ وكان بين ذلك قواما ○
وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو
ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون
الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف
لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه ○ والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله ○ اي حرمها بمعنى حرم قتلها ○ الا بالحق ○ متعلق
بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ○ ولا يزنون ○ نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت
لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع
بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ○ ومن
يفعل ذلك يلق اثاما ○ جزاء اثم او اثاما بمعنى جزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال
يوم ذو ايام اي صعب ○ يضاعف له العذاب يوم القيامة ○ بدل من يلق لانه في
معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع
على الاستئناف او الحال وكذلك ○ ويخلد فيه مهانا ○ وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على

بناء المفعول مخففا وقرئ تخلد وتضعيف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام
المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله :: الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات :: بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها
لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه
لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا :: وكان الله غفورا
رحيما :: فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات :: ومن تاب :: عن المعاصي
بتركها والندم عليها :: وعمل صالحا :: يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في
الطاعة :: فانه يتوب الى الله :: يرجع اليه بذلك :: متابا :: مرضيا عند الله ماحيا
للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص :: والذين
لا يشهدون الزور :: لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل شركة فيه :: واذا مروا باللغو :: ما يجب ان يلغى ويطرح
مروا كراما :: معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك
الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ::
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم :: بالوعظ والقراءة :: لم يخروا عليها صما وعميانا
:: لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا
عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون
الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو :: والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين :: بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من
مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت
منك اسدا وقرا ابن عامر والحرميان ويعقوب وحفص وذرياتنا بالالف
وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم :: واجعلنا للمتقين اماما :: يقتدون بنا في امر الدين
باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله
ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم
كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه

قاصدين لهم مقتدين بهم :: اولئك يجزون الغرفة :: اعلى مواضع الجنة وهي
اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وقيل الغرفة وقيل
هي من اسماء الجنة :: بما صبروا :: بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات :: ويلقون فيها تحية وسلاما :: دعاء بالتعمير و
بالسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او
تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي
:: خالدين فيها :: لا يموتون ولا يخرجون :: حسنت مستقرا ومقاما :: مقابل
ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا :: قل ما يعبأ بكم ربي :: ما يصنع بكم من عبأت
الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم :: لولا دعاؤكم :: لولا عبادتكم فان شرف
الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل
معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب
على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم :: فقد كذبتم :: بما اخبرتكم به حيث خالفتموه
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد
كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في
جنسهم من العبادة والتكذيب :: فسوف يكون لزاما :: يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
والتنبيه على انه لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت وعن النبي عليه السلام من قرا سورة
الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب صدق عليه السلام

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم :: طسم :: قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع
بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل
عما بعده :: تلك آيات الكتاب المبين :: الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة
او القرآن على ما مر في اول البقرة :: لعلك باخع نفسك :: قاتل نفسك واصل البخع
ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ
باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها :: الا
يكونوا مؤمنين :: لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا :: ان نشأ ننزل عليهم من

السماء آية دلالة ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه فظلت أعناقهم لها
خاضعين منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل
المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة
فظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح
وما يأتيهم من ذكر موعظة أو طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه
إلى نبيه محدث مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير إلا كانوا عنه معرضين
إلا جددوا إعراضا عنه وإصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا أي بالذكر بعد
إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا
في قوله فسيأتيهم أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة
أنباء ما كانوا به يستهزئون من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بأن يصدق
ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره أولم يروا إلى الأرض أولم ينظروا
إلى عجائبها كم أنبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو
صفة لكل ما يحمد ويرضى في بابه وهاهنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على
القدرة وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره
وكل لإحاطة الأزواج وكم لكثرتها إن في ذلك إن في إنبات تلك الأصناف
أو في كل واحد لآية على أن منبتها تام القدرة وسابغ النعمة والرحمة
وما كان أكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه
الآيات العظام وإن ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة
الرحيم حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
وإذ نادى ربك موسى مقدر باذكر أو ظرف لما بعده أن ائت أي
ائت أو بأن ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني إسرائيل و
ذبح أولادهم قوم فرعون بدل من الأول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار
على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك ألا يتقون استئناف أتبعه
إرساله إليهم للإنذار تعجيبا له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء
على الالتفات إليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وإن كانوا غيبا حينئذ أجروا
مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ

إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر
النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله
ألا يسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فأرسل إلى هارون رتب استدعاء ضم أخيه وإشراكه له في الأمر على الأمور
الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض
الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة
إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الأمر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد
عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من
جملة ما خاف منه ولهم علي ذنب تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد
قتل القبطي وإنما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع
فأخاف أن يقتلون قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع
للبلية المتوقعة كما أن ذلك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله
قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون
لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم
وترقبا لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي
هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان
أو الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أفرد
الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى
أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل به أو لأنه أراد أن كل واحد منا أن
أرسل معنا بني إسرائيل أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى
القول والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام قال أي فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا
ذلك ألم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين
ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي
فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما إياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر

لا نعمائها انت فعلته بالوكز «وانت من الكافرين» بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي
او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين
ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه
بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم «قال فعلتها اذا وانا من الضالين»
من الجاهلين وقد قرئ به والمخطئين من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين
من قوله ان تضل احداهما «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما» حكمة
«وجعلني من المرسلين» رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه
من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان
في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال «وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني
اسرائيل» اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك
بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان
عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها
وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه
وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه «قال فرعون وما رب العالمين» لما سمع
جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل «قال رب السموات والارض وما بينهما» عرفه باظهر خواصه وآثاره
لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله «ان كنتم موقنين»
اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها
وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون
مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او
استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته
«قال لمن حوله الا تستمعون» جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم

افتقارها الى مؤثر «قال ربكم ورب آبائكم الاولين» عدل الى ما لا يمكن ان
يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح
عند المتأمل «قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون» اسأله عن شيء ويجيبني
عن آخر وسماه رسولا على السخرية «قال رب المشرق والمغرب وما بينهما» تشاهدونها
كل يوم اذ يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى
يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات «ان كنتم تعقلون»
ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة
شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم «قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين» عدل الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله «الا
تستمعون» من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا
او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي
ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل
ابلغ من لاسجننك «قال اولو جئتك بشيء مبين» اي اتفعل ذلك ولو جئتك
بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع
وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل
«قال فأت به ان كنت من الصادقين» في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي
النبوة لا بد له من حجة «فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين» ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر «ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين»
روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما فيها
فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق «قال
للملأ حوله» مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال «ان هذا لساحر عليم»
فائق في علم السحر «يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون» بهره سلطان
المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه «قالوا ارجه واخاه» اخر امرهما
وقيل احبسهما «وابعث في المدائن حاشرين» شرطا يحشرون السحرة
«يأتوك بكل سحار عليم» يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر «فجمع السحرة لميقات

يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم
الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا
على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد
رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة
المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا
الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر
والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا واذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء
وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعدما قالوا له
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط
اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه
عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم
تسمية للمافوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى
بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر
في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوا لم
يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق
قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد
رب موسى وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب
لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطاتم عليه اراد به التلبيس
على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
وروح اامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك

انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب
والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان
احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك
بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا
عتوا وفسادا وقرا ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى
وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر
بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم
قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه
عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين
العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت
مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي
وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون
لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه
من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن
كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرا ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول
للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان
ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء
من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تامو السلاح فان ذلك يوجب
حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم
عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس
البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا وهو مصدر او مثل ذلك المقام
الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف واورثناها

بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين: داخلين في وقت شروق الشمس.
فلما تراءى الجمعان: تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان. قال
أصحاب موسى إنا لمدركون: لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء إذا تتابع
ففني أي متتابعون في الهلاك على أيديهم. قال كلا: لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص
إن معي ربي: بالحفظ والنصرة. سيهدين: طريق النجاة منهم روي أن مؤمن
آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك
آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع. فأوحينا إلى موسى أن اضرب
بعصاك البحر: القلزم أو النيل. فانفلق: أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر
فرقا بينها مسالك. فكان كل فرق كالطود العظيم: كالجبل المنيف الثابت في
مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب. وأزلفنا: وقربنا. ثم الآخرين:
فرعون وقومه حتى دخلوا على إثرهم مداخلهم. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين:
بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا. ثم أغرقنا الآخرين: بإطباقه عليهم.
إن في ذلك لآية: أية آية. وما كان أكثرهم مؤمنين: وما تنبه عليها أكثرهم
إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. وإن ربك
لهو العزيز: المنتقم من أعدائه. الرحيم: بأوليائه. واتل عليهم: على مشركي
العرب. نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون: سألهم ليريهم أن ما يعبدونه
لا يستحق العبادة. قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين: فأطالوا جوابهم بشرح
حالهم معه تبجحا وافتخارا ونظل هاهنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل. قال هل يسمعونكم: يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة
إذ تدعون: عليه وقرئ يُسمعونكم أي يُسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا
مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها. أو ينفعونكم: على عبادتكم لها. أو
يضرون: من أعرض عنها. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون: أضربوا عن
أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد. قال أفرأيتم ما
كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون: فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به
الباطل حقا. فإنهم عدو لي: يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه أو أن المغري بعبادتهم أعدى عدوهم

وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح
وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه
في الأصل مصدر أو بمعنى النسب. إلا رب العالمين: استثناء منقطع أو متصل
على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله. الذي خلقني فهو
يهدين: لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال
والذي قدّر فهدى هداية مدرّجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من
جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى
امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله. والذي هو يطعمني
ويسقين: على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم. وإذا مرضت فهو يشفين: عطف على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من
حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب
المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت
من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه إنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال
وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن
والبلية ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه
وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها
والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم. والذي يميتني ثم يحيين:
في الآخرة. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين: ذكر ذلك هضما لنفسه
وتعليما للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم و
استغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله
كبيرهم وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا. رب هب لي حكما:
كمالا في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق. وألحقني بالصالحين:
ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم
كبير ذنب ولا صغيره. واجعل لي لسان صدق في الآخرين: جاها وحسن صيت

في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيمة ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او
صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد
عليه السلام ⁘ واجعلني من ورثة جنة النعيم ⁘ في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها ⁘
واغفر لأبي ⁘ بالهداية والتوفيق ⁘ انه كان من الضالين ⁘ طريق الحق وان كان
هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك
وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ⁘ ولا تخزني ⁘ بمعاتبتي على ما فرطت
او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب
عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحياء ⁘ يوم يبعثون ⁘ الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين
⁘ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ⁘ اي لا ينفعان احدا
الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من
هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على
الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة
من اتى الله بقلب سليم تنفعه ⁘ وازلفت الجنة للمتقين ⁘ بحيث يرونها من الموقف
فيتبجحون بانهم المحشورون اليها ⁘ وبرزت الجحيم للغاوين ⁘ فيرونها مكشوفة و
على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ⁘ وقيل لهم
اينما كنتم تعبدون من دون الله ⁘ اين آلهتكم الذين يزعمون انهم شفعاؤكم ⁘
هل ينصرونكم ⁘ بدفع العذاب عنكم ⁘ او ينتصرون ⁘ بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم
يدخلون النار ⁘ فكبكبوا فيها هم والغاوون ⁘ اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة
تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها
⁘ وجنود ابليس ⁘ متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه ⁘ اجمعون ⁘
تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله ⁘ قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين ⁘
على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله ⁘ اذ نسويكم
برب العالمين ⁘ اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما في
قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم

معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها ⁘ وما اضلنا الا المجرمون فما لنا
من شافعين ⁘ من الملائكة والانبياء ⁘ ولا صديق حميم ⁘ اذ الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء
او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق
لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى
الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل
⁘ فلو ان لنا كرة ⁘ تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
او شرط حذف جوابه ⁘ فنكون من المؤمنين ⁘ جواب للتمني او عطف على
كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ⁘ ان في ذلك ⁘ فيما ذكر من قصة ابرهيم ⁘
لآية ⁘ لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب
واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول
العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم
وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول ⁘ وما كان
اكثرهم ⁘ اكثر قومه ⁘ مؤمنين وان ربك لهو العزيز ⁘ القادر على تعجيل
الانتقام ⁘ الرحيم ⁘ بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم ⁘ كذبت قوم
نوح المرسلين ⁘ القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم
المرسلين ⁘ اذ قال لهم اخوهم نوح ⁘ لانه كان منهم ⁘ الا تتقون ⁘ الله فتتركوا
عبادة غيره ⁘ اني لكم رسول امين ⁘ مشهور بالامانة فيكم ⁘ فاتقوا الله واطيعون
⁘ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ⁘ وما اسألكم عليه ⁘ على ما انا عليه من الدعاء
والنصح ⁘ من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ⁘ كرره
للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم
اليه فكيف اذا اجتمعا ⁘ قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون ⁘ الاقلون جاها
ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى
جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه
واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة

فلذلك * قال وما علمي بما كانوا يعملون * انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما
علي الا اعتبار الظاهر * ان حسابهم الا على ربي * ما حسابهم على بواطنهم الا على الله
فانه المطلع عليها * لو تشعرون * لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
* وما انا بطارد المؤمنين * جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف
ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله * ان انا الا نذير مبين * كالعلة
اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او
اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا
بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم * قالوا لئن لم تنته يا نوح
عما تقول * لتكونن من المرجومين * من المشتومين او المضروبين بالحجارة *
قال رب ان قومي كذبون * اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم
واستخفافهم عليه * فافتح بيني وبينهم فتحا * فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة * ونجني ومن
معي من المؤمنين * من قصدهم او شؤم عملهم * فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون *
المملوء * ثم اغرقنا بعد * بعد انجائه * الباقين * من قومه * ان في ذلك لآية *
شاعت وتواترت * وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت
عاد المرسلين * انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم * اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين * تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة
على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان
الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية
والاغراض الدنيوية * اتبنون بكل ريع * بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها * آية * علما للمارة * تعبثون * ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم او
قصورا يفتخرون بها * وتتخذون مصانع * مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
* لعلكم تخلدون * فتحكمون بنيانها * واذا بطشتم * بسوط او سيف * بطشتم جبارين
* غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة * فاتقوا الله * بترك هذه الاشياء
* واطيعون * فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم * واتقوا الذي امدكم بما تعلمون *
كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه

بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل
بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث
على التقوى فقال * امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون * ثم اوعدهم فقال *
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم * في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر
على الانتقام * قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين * فانا لا نرعوي
عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه *
ان هذا الا خلق الاولين * ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا
الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا
الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي
نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها * وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه * فكذبوه فاهلكناهم * بسبب التكذيب بريح صرصر * ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين * اتتركون فيما هاهنا آمنين *
انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين
ثم فسره بقوله * في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم * لطيف لين للطف
الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر
اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين *
بطرين او حاذقين من الفراهة فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ونافع فرهين وهو ابلغ * فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين *
استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره
مجازا * الذين يفسدون في الارض * وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
* ولا يصلحون * على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم * قالوا انما انت من
المسحرين * الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي
من الاناسي فيكون * ما انت الا بشر مثلنا * تأكيدا له * فأت بآية ان كنت من الصادقين

في دعواك. قال هذه ناقة: أي بعدما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها
لها شرب: نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت، وقرئ
بالضم. ولكم شرب يوم معلوم: فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها
ولا تمسوها بسوء: كضرب وعقر. فيأخذكم عذاب يوم عظيم: عظم اليوم لعظم
ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب. فعقروها: أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها
إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعا. فأصبحوا نادمين: على عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة، أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم. فأخذهم العذاب
أي العذاب الموعود. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين: في نفي الإيمان
عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب
وأن قريشا إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم. وإن ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون
الذكران من العالمين: أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم
أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم
فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس. وتذرون ما خلق لكم
ربكم: لأجل استمتاعكم. من أزواجكم: لبيان ما إن أريد به جنس الإناث أو للتبعيض
إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا
بل أنتم قوم عادون: متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس
بل الحيوانات، أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك، أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان
لارتكابكم هذه الجريمة. قالوا لئن لم تنته يا لوط: عن نهينا وتقبيح أمرنا
لتكونن من المخرجين: من المنفيين من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على
عنف وسوء حال. قال إني لعملكم من القالين: من المبغضين غاية البغض لا
أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد، وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال لدلالته على أنه معدود
في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم. رب نجني وأهلي مما يعملون: أي من شؤمه وعذابه
فنجيناه وأهله أجمعين: أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم. إلا عجوزا في الغابرين: مقدرة في الباقين في العذاب إذ هلكها
جوف اللاحق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم، وقيل كانت فيمن

بقيت في القرية فإنها لم تخرج مع لوط. ثم دمرنا الآخرين: أهلكناهم. وأمطرنا
عليهم مطرا: قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم. فساء مطر المنذرين: اللام
فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء، والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
كذب أصحاب الأيكة المرسلين: الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب
مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان أجنبيا منهم
فلذلك قال: إذ قال لهم شعيب ألا تتقون: ولم يقل أخوهم شعيب. وقيل الأيكة
شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف
الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم
وإنما كتبت هاهنا وفي ص بغير الألف اتباعا للفظ. إني لكم رسول أمين فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. أوفوا الكيل
أتموه. ولا تكونوا من المخسرين: حقوق الناس بالتطفيف. وزنوا بالقسطاس
المستقيم: بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير
العين وإلا ففعلال، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف. ولا تبخسوا الناس
أشياءهم: ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم. ولا تعثوا في الأرض مفسدين: بالقتل
والغارة وقطع الطريق. واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين: وذوي الجبلة
الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق. قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر
مثلنا: أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في
تكذيبه. وإن نظنك لمن الكاذبين: في دعواك. فأسقط علينا كسفا من السماء
قطعة منها، ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. وقرأ حفص بفتح السين
إن كنت من الصادقين: في دعواك. قال ربي أعلم بما تعملون: وبعذاب منزل
عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقت المقدر له لا محالة. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة
على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم فأظلتهم
سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا. إنه كان عذاب يوم عظيم إن
في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. هذا آخر
القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديدا
للمكذبين به، واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له

استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان
ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم ﴿وانه لتنزيل رب العالمين﴾ ﴿نزل به الروح الامين
على قلبك﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد عليه السلام
فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به
الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا
على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ
فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرا
ابن عامر وابو بكر والكسائي بالتشديد ونصب الروح والامين ﴿لتكون من
المنذرين﴾ عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك ﴿بلسان عربي مبين﴾
واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه وهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين
اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد
عليه السلام ﴿وانه لفي زبر الاولين﴾ وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة
﴿اولم يكن لهم آية﴾ على صحة القرآن او نبوة محمد عليه السلام ﴿ان يعلمه علماء بني
اسرائيل﴾ ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر
تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان
يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ﴿ولو نزلناه
على بعض الاعجمين﴾ كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم ﴿فقراه عليهم ما كانوا به
مؤمنين﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع
العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿كذلك سلكناه﴾
ادخلناه ﴿في قلوب المجرمين﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين
فدلت الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه
واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ الملجئ
الى الايمان ﴿فيأتيهم بغتة﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وهم لا يشعرون﴾ باتيانه
﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ تحسرا وتأسفا ﴿افبعذابنا يستعجلون﴾ فيقولون
امطر علينا حجارة فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿افرأيت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه ﴿وما اهلكنا من قرية الا لها

منذرون﴾ انذروا اهلها الزاما للحجة ﴿ذكرى﴾ تذكرة ومحلها النصب على
العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار
ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية
﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾
كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة ﴿وما ينبغي لهم﴾
وما يصح لهم ان ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ وما يقدرون ﴿انهم عن السمع﴾
لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان
الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات
لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
﴿فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين﴾ تهييج لازدياد الاخلاص ولطف
لسائر المكلفين ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان
الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى
اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان
من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان ﴿فان عصوك﴾ ولم يتبعوك ﴿فقل اني بريء مما تعملون﴾
مما تعملونه او من الهكم ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الذي يقدر على قهر اعدائه و
نصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل
على الابدال من جواب الشرط ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ الى التهجد ﴿وتقلبك
في الساجدين﴾ وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام
الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى
بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه
تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه ﴿انه هو السميع﴾ لما تقوله ﴿العليم﴾ بما تنويه
﴿هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم﴾ لما بين ان القرآن

لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام لا يصلح
لان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال
الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد عليه السلام على خلاف
ذلك وثانيهما قوله :: يلقون السمع واكثرهم كاذبون :: اي الافاكون يلقون السمع الى
الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد
طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم
على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي
يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به
الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم
اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم
:: والشعراء يتبعهم الغاوون :: واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه
شاعرا وقرره بقوله :: الم تر انهم في كل واد يهيمون :: لان اكثر مقدماتهم خيالات
لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض
والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء
فيه واليه اشار بقوله :: وانهم يقولون ما لا يفعلون :: وكانه لما كان اعجاز القرآن
من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه
من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول
لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها
لبعه بعضد :: الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد
ما ظلموا :: استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو هجوا ارادوا به
الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن
مالك انه عليه السلام قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل ::
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون :: تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد

البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت
من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي
منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عليه
السلام من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهما السلام

:: سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية ::

بسم الله الرحمن الرحيم :: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين :: الاشارة الى
آي السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن
وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف
احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه :: هدى وبشرى للمؤمنين :: حالان من
الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف
:: الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة :: الذين يعملون الصالحات من الصلوة
والزكوة :: وهم بالآخرة هم يوقنون :: من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير
النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل
المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص
:: ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم :: زينا لهم اعمالهم القبيحة بان جعلناها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات
عليها :: فهم يعمهون :: عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع :: اولئك الذين لهم
سوء العذاب :: كالقتل والاسر يوم بدر :: وهم في الآخرة هم الاخسرون ::
اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة :: وانك لتلقى القرآن ::
لتؤتاه :: من لدن حكيم عليم :: اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل
في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها
ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات

ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله: إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا: أي اذكر قصته إذ قال، ويجوز أن يتعلق بعليم: سآتيكم منها بخبر: أي عن حال الطريق لأنه قد ضله، وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل، والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالإتيان وإن أبطأ: أو آتيكم بشهاب قبس: شعلة نار مقبوسة، وإضافة الشهاب إليه لأنه يكون قبسا وغير قبس، ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس، والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه، والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده: لعلكم تصطلون: رجاء أن تستدفئوا بها، والصلاء النار العظيمة:

فلما جاءها نودي أن بورك: أي بورك فإن النداء فيه معنى القول، أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة، والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة: من في النار ومن حولها: من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله في البقعة المباركة ومن حول مكانها، والظاهر أنه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى، وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون، وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضي له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار الشام: وسبحان الله رب العالمين: من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها، وللتعجب من عظمة ذلك الأمر، أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته: يا موسى إنه أنا الله: الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له، أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له: العزيز الحكيم: صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره، يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية، الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير: وألق عصاك: عطف على بورك أي نودي أن بورك وأن ألق عصاك، ويدل عليه قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله بتكرير أن: فلما رآها تهتز: تتحرك باضطراب: كأنها جان: حية خفيفة سريعة، وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين: ولى مدبرا ولم يعقب: ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار، وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به، ويدل عليه قوله: يا موسى لا تخف: أي من غيري ثقة بي أو مطلقا

لقوله: إني لا يخاف لدي المرسلون: حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق فإنهم أخوف الناس أي من الله، أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه: إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم: استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة، وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي، وقيل متصل، وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة: وأدخل يدك في جيبك: لأنه كان مدرعة صوف لا كم لها، وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع: تخرج بيضاء من غير سوء: آفة كبرص: في تسع آيات: في جملتها أو معها، على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم، ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدا ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون، أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به: إلى فرعون وقومه: وعلى الأول يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا: إنهم كانوا قوما فاسقين: تعليل للإرسال: فلما جاءتهم آياتنا: بأن جاءهم موسى بها: مبصرة: بينة، اسم فاعل أطلق للمفعول إشعارا بأنها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا أن تهدي، أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها، وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر: قالوا هذا سحر مبين: واضح سحريته: وجحدوا بها: وكذبوا بها: واستيقنتها أنفسهم: وقد استيقنتها لأن الواو للحال: ظلما: لأنفسهم: وعلوا: ترفعا عن الإيمان، وانتصابهما على العلة من جحدوا: فانظر كيف كان عاقبة المفسدين: وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة: ولقد آتينا داود وسليمان علما: طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع، أو علما أي علم: وقالا الحمد لله: عطفه بالواو إشعارا بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله: الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين: يعني من لم يؤت علما أو مثل علمهما، وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير: وورث سليمان داود: النبوة أو العلم أو

الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر :: وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء :: تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه
والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا و
قد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق
والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها
ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي
صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال
يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت
الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن
مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة
الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان
يقصده كل احد ويعلم كل شيء :: ان هذا لهو الفضل المبين :: الذي لا يخفى على
احد :: وحشر لسليمان :: وجمع :: جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ::
يحبسون بحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا :: حتى اذا اتوا على واد النمل :: واد بالشام
كثير النمل وتعديه الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم
اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي ::
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم :: كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم
مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه
مخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل و
النطق :: لا يحطمنكم سليمان وجنوده :: نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث
يحطمونها كقولهم لا ارينك هاهنا وهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا يدخله في السعة :: وهم لا يشعرون :: انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت
عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون ::
فتبسم ضاحكا من قولها :: تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا
بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ::

وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي :: اي اجعلني
ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه
وادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه
يرجع نفعها اليهما سيما الدينية :: وان اعمل صالحا ترضاه :: اتماما للشكر واستدامة للنعمة
:: وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين :: في عدادهم الجنة :: وتفقد الطير :: وتعرف
الطير فلم يجد فيها الهدهد :: فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين :: ام منقطعة
كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط
فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له
:: لاعذبنه عذابا شديدا :: كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل يأكله
او جعله مع ضده في قفص :: او لاذبحنه :: ليعتبر به ابناء جنسه :: او ليأتيني بسلطان
مبين :: بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث
لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ
ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة :: فمكث غير بعيد :: زمانا
غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف :: فقال
احطت بما لم تحط به :: يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق
الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام
الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق :: وجئتك من سبأ :: وقرأ ابن كثير برواية
البزي وابو عمرو غير منصرف على تأويل القبيلة او البلدة :: بنبأ يقين :: بخبر محقق
روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء
ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها
ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق
حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له
ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اتم
اعظم من ذلك ليستكبر العالم بجنب علمه ويستكبر ما حذر بمكر :: اني وجدت امرأة تملكهم ::
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها :: واوتيت
من كل شيء :: يحتاج اليه الملوك :: ولها عرش عظيم :: عظمه بالنسبة اليها او الى عروش
امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب

وحفته مكللا بالجواهر :: وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله :: كأنهم
كانوا يعبدونها :: وزين لهم الشيطان أعمالهم :: عبادة الشمس وغيرها من مقابح
أفعالهم :: فصدهم عن السبيل :: سبيل الحق والصواب :: فهم لا يهتدون :: إليه
ألا يسجدوا لله :: أي فصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل
من أعمالهم أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا
بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله
وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة :: فقلت سميعا فانطقي وأصيبي :: وعلى هذا صح أن يكون
استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى
الأول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ
هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب :: الذي يخرج الخبء
في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون :: وصفه بما يوجب
اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من
يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب
وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل
والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص
بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء :: الله لا إله إلا هو
رب العرش العظيم :: الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون
عظيم :: قال سننظر :: سنتعرف من النظر بمعنى التأمل :: أصدقت أم كنت من
الكاذبين :: أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل :: اذهب بكتابي هذا
فألقه إليهم ثم تول عنهم :: ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه :: فانظر ماذا
يرجعون :: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول :: قالت :: أي بعد ما ألقي إليها ::
يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم :: لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوما أو
لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة
فألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به :: إنه من سليمان :: استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما
هو فقالت إنه أي إن الكتاب أو العنوان من سليمان :: وإنه :: وإن المكتوب أو
المضمون وقرئ بالفتح على الإبدال من كتاب أو التعليل لكرمه :: بسم الله الرحمن الرحيم
أن لا تعلوا علي :: أن مفسرة أو مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف أي هو أو المقصود

صورت مكتوب سليمان عليه السلام
من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين
كذا في

أن لا تعلوا أو بدل من كتاب :: وأتوني مسلمين :: مؤمنين أو منقادين وهذا الكلام
في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات
الصانع وصفاته صريحا أو التزاما والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر
بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته
حتى يكون استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة
:: قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري :: أجيبوني في أمري الفتي واذكروا ما تستصوبون
فيه :: ما كنت قاطعة أمرا :: ما أبت أمرا :: حتى تشهدون :: إلا بمحضركم استعطفتهم
بذلك ليمالئوها على الإجابة :: قالوا نحن أولو قوة :: بالأجساد والعدد :: وأولو بأس
شديد :: نجدة وشجاعة :: والأمر إليك :: موكول :: فانظري ماذا تأمرين :: من
المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك :: قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
:: تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه
من أموالهم وعماراتهم ثم إن الحرب سجال لا يدرى عاقبتها :: وجعلوا أعزة أهلها
أذلة :: بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر ::
وكذلك يفعلون :: تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة
المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل :: وإني مرسلة إليهم بهدية :: بيان لما
ترى تقديمه في المصالحة والمعنى إني مرسلة رسلا بهدية أدفع بها عن ملكي :: فناظرة
بم يرجع المرسلون :: من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روي أنها بعثت منذر بن عمرو
في وفد وأرسلت معهم غلمانا على زي الجواري والجواري على زي الغلمان وحقا
فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان و
الجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا إلى معسكره
ورأوا عظمة شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال
طلب الحق وأخبر بما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة
بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله
في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية ::
فلما جاء سليمان :: أي الرسول وما أهدت إليه وقرئ فلما جاؤوا :: قال أتمدونن بمال
:: خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب

بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء :: فما آتاني الله من النبوة
والملك الذي لا مزيد عليه :: خير مما آتاكم :: فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي ::
بل انتم بهديتكم تفرحون :: لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما
يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار
الامداد وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة
بالدنيا والزيادة فيها :: ارجع اليهم :: ايها الرسول الى بلقيس وقومها :: فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها :: لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم :: ولنخرجنهم
منها :: من سبا :: اذلة :: بذهاب ما كانوا فيه من العز :: وهم صاغرون :: اسراء
مهانون :: قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها :: اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه
الله تعالى به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها
بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره :: قبل ان يأتوني مسلمين :: فانها اذا اتت
مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها :: قال عفريت :: خبيث مارد :: من الجن :: بيان له لانه
يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا :: انا آتيك به قبل
ان تقوم من مقامك :: مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار :: واني عليه لقوي
امين :: لا اختزل منه شيئا ولا ابدله :: قال الذي عنده علم من الكتاب :: آصف بن
برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير
عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب ::
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك :: للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك او اراد
اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن
غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية
والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف
كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف
برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر
عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه :: فلما رآه :: اي العرش ::
مستقرا عنده :: حاصلا بين يديه :: قال :: تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله ::
هذا من فضل ربي :: تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش
في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر

في آية الاسراء :: ليبلوني أأشكر :: بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا
قوة واقوم بحقه :: ام اكفر :: بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه و
محلها النصب على البدل من الياء :: ومن شكر فانما يشكر لنفسه :: لانه به يستجلب لها
دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ::
ومن كفر فان ربي غني :: عن شكره :: كريم :: بالانعام عليه ثانيا :: قال نكروا لها عرشها ::
بتغيير هيئته وشكله :: ننظر :: جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف :: أتهتدي
ام تكون من الذين لا يهتدون :: الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس ::
فلما جاءت قيل أهكذا عرشك :: تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت
عنده بسخافة العقل :: قالت كأنه هو :: ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من
كمال عقلها :: واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين :: من تمة كلامها كأنها ظنت انه اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة
نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان وقومه
عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون
ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر
الا على الانبياء اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا
منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم
في ذلك شكرا له :: وصدها ما كانت تعبد من دون الله :: اي وصدها عبادتها
الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان :: انها
كانت من قوم كافرين :: وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها
نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له :: قيل لها ادخلي الصرح :: القصر وقيل عرصة الدار
فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها :: روي انه امر قبل قدومها فبني قصر
صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره
في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير بالهمز
قبل ساقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق واسؤق :: قال انه :: ان ما ظننته ماء ::
صرح ممرد :: مملس :: من قوارير :: من الزجاج :: قالت رب اني ظلمت نفسي ::
بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة :: واسلمت

مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها
من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله
بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال
يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل
التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا
حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ
قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع
بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عند الله بل انتم قوم تفتنون تختبرون
بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى
ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا
للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد
الخالص عن شوب الاصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر
مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص
فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له
عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت رجلا بل رجلين
ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا
يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ
منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة
حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه
قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت

ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد
وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه
خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل
فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم
ان في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن
معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا
او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على
الثاني أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف
القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون
افحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة
للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون
النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون
سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف في
معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه
واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من
اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون
الزام لهم وتهكم به وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن
بينه وبين ما هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن خلق
بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع
وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا

حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه
على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي
البساتين من الإحداق وهي الإحاطة أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً
وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلهاً بإضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون و
بتوسيط مدة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الأرض قراراً بدل من أمن خلق السموات
وجعلها قراراً بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الإنسان والدواب
عليها وجعل خلالها وسطها أنهاراً جارية وجعل لها رواسي جبالاً تتكون
فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والملح أو خليجي
فارس والروم حاجزاً برزخاً وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل أكثرهم
لا يعلمون الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر إذا دعاه المضطر الذي
أحوجه شدة ما به إلى اللجاء إلى الله تعالى من الاضطراب وهو افتعال من الضرورة واللام
فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه إجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن
الإنسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الأرض خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف
فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلاً ما
تذكرون أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة
المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وهشام بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف
الذال أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الأرض والظلمات ظلمات
الليالي أضافها إلى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي
لا منار بها ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح أن السبب
الأكثري في تكون الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية كذلك من خلق الله
والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما
يشركون تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق ثم
يعيده والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن
يرزقكم من السماء والأرض أي بأسباب سماوية وأرضية أإله مع الله يفعل ذلك

قل هاتوا برهانكم على أن غيره يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشراككم
فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله
لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم
الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان
ممن في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم أو متصل على أن المراد
ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه
يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف وما يشعرون أيان يبعثون
متى ينشرون مركبة من أي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة
بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم
لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في أمر
لا يجد عليه دليلاً بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وإن اختص
بالمشركين ممن في السموات والأرض نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل و
الإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكميل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة
عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكماً بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من
قولهم أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك
بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك وأبو بكر ادّرك وأصلهما تفاعل وتفعل وقرئ أأدرك
بهمزتين وآادرك بألف بينهما وبل أدرك وبل تدارك وبلى أدرك وبلى أأدرك و
أم أدرك وأم تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات
لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه
ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل إنهم منها عمون أو رد وإنكار
وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في
إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لأن كلاً من الهمزة وإن واللام مانعة
من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار والمراد بالإخراج الإخراج من الأجداث
أو من حال الفناء إلى الحياة وقرأ نافع إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر
والكسائي إننا لمخرجون بهمزتين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من

قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود
المبعوث ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ التي هي كالاسمار ﴿قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم
مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم
﴿ولا تحزن عليهم﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ولا تكن في ضيق﴾ في حرج صدر وقرا
ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم
فان الله يعصمك من الناس ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ العذاب الموعود ﴿إن كنتم
صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل
مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿بعض الذي تستعجلون﴾
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها
وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه
جرى وعد الله ووعيده ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ بتاخير عقوبتهم على المعاصي
والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾
لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن
صدورهم﴾ ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت ﴿وما يعلنون﴾ من عداوتك
فيجازيهم عليه ﴿وما من غائبة في السماء والأرض﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة و
التاء فيهما للمبالغة كالراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة ﴿إلا في كتاب
مبين﴾ بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ﴿إن هذا
القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ كالتشبيه والتنزيه واحوال
الجنة والنار وعزير والمسيح ﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ فانهم المنتفعون به
﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ بين بني اسرائيل ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه
انه قرئ بحكمه ﴿وهو العزيز﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿العليم﴾ بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه
﴿فتوكل على الله﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿إنك على الحق المبين﴾ وصاحب الحق حقيق
بالوثوق بحفظ الله ونصره ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث
انه يقطع طمعه من مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾
فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم ﴿وما أنت بهادي

العمي عن ضلالتهم﴾ حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر ﴿إن تسمع﴾ اي ما يجدي اسماعك
﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ من هو في علم الله كذلك ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون من اسلم
وجهه لله ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من
البعث والعذاب ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وهي الجساسة روي ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا
يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة
على الله يعني المسجد الحرام ﴿تكلمهم﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي
انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض
وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ﴿أن الناس كانوا بآياتنا﴾
خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله وقيل القرآن وقرا الكوفيون ان
بالفتح ﴿لا يوقنون﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة
خروجها او تكلمها على حذف الجار ﴿ويوم نحشر من كل أمة﴾ يعني يوم القيامة ﴿فوجا ممن
يكذب بآياتنا﴾ بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي وا
كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ﴿فهم يوزعون﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا
وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ﴿حتى إذا جاءوا﴾ الى المحشر ﴿قال أكذبتم
بآياتي ولم تحيطوا بها علما﴾ الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها
نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿أماذا كنتم تعملون﴾ ام اي شيء
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون
ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ووقع القول عليهم﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو
كبهم في النار بعد ذلك ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله
﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب ﴿ألم يروا﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين
بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة
قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه
سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم
﴿أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصرا﴾ فان اصله ليبصروا

فيه فيتوقع فيه تبدل الابصار حالا الى احوال الحصول عليها بحيث لا يبعث عنها ان في
ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور
في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق
ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه
الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق
مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او
راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه توحيدا للفظ الكل
داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها
وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في
سمت واحد لا تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة
المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي
انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من
جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام
خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف
عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم
ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع
ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع
يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت
وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت
بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار
القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر
الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا
بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة
ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي حرمها
وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على

ملة الاسلام وان اتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في
ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل
انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد
بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته
القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الآخرة فتعرفونها
فتعرفون انها آيات الله ولكن لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا
تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح و
ابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله صدق رسول الكريم

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه
بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض
نبائهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون
علا في الارض استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها
شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في
استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه
يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة
شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك
لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك
غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
فلذلك اجترأ على قتل كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية
حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال
من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لها لجواز ان
يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة
الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقتدين في امر الدين

ونجعلهم الوارثين: لما كان في ملك فرعون وقومه. ونمكن لهم في الأرض: أرض
مصر والشام، وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط وإطلاق
الأمر. ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم: من بني إسرائيل. ما كانوا يحذرون:
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم. وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء، وفرعون
وهامان وجنودهما بالرفع. وأوحينا إلى أم موسى: بإلهام أو رؤيا. أن أرضعيه:
ما أمكنك إخفاؤه. فإذا خفت عليه: بأن يحس به. فألقيه في اليم: في البحر
يريد النيل. ولا تخافي: عليه ضيعة ولا شدة. ولا تحزني: لفراقه. إنا رادوه
إليك: عن قريب بحيث تأمنين عليه. وجاعلوه من المرسلين. روي أنها لما ضربها
الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض
هالها نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية
فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت
له تابوتا فقذفته في النيل. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا: تعليل لالتقاطهم
إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي حزنا.
إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين: في كل شيء فليس ببدع منهم أن قتلوا
ألوفا لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. أو مذنبين فعاقبهم
الله بأن ربى عدوهم على أيديهم، فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما
ابتلوا به. وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ. وقالت
امرأت فرعون: أي لفرعون حين أخرجته من التابوت. قرت عين لي ولك: هو قرة
عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه، أو لأنه كانت لها ابنة برصاء
وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان فلطخت برصها بريقه فبرئت.
وفي الحديث أنه قال لك لا لي، ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها. لا تقتلوه:
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم. عسى أن ينفعنا: فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك
لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه. أو نتخذه ولدا:
أو نتبناه فإنه أهل له. وهم لا يشعرون: حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له
أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني، أو من أحد
ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه.
وأصبح فؤاد أم موسى فارغا: صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت

بوقوعه في يد فرعون كقوله: وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها، ويؤيده أنه قرئ
فزعا. من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر. أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله
أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه. إن كادت لتبدي به: إنها كادت
لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه. لولا أن ربطنا على
قلبها: بالصبر والثبات. لتكون من المؤمنين: من المصدقين بوعد الله أو الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه. وقرئ مؤسى إجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء
همزها همز واو وجوه، وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله.
وقالت لأخته: مريم. قصيه: اتبعي أثره وتتبعي خبره. فبصرت به عن جنب: عن
بعد. وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه. وهم لا يشعرون: أنها تقص أو أنها
أخته. وحرمنا عليه المراضع: ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع
وهو الرضاع أو موضعه يعني الثدي. من قبل: من قبل قصصها أثره. فقالت
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم: لأجلكم. وهم له ناصحون: لا يقصرون في
إرضاعه وتربيته. روي أن هامان لما سمعه قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر
بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون أن تأتي بمن يكفله فأتت
بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم
ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح
طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها
من يومها وهو قوله: فرددناه إلى أمه كي تقر عينها: بولدها. ولا تحزن: بفراقه.
ولتعلم أن وعد الله حق: علم مشاهدة. ولكن أكثرهم لا يعلمون: أن
وعده حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع
وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون. ولما بلغ أشده:
مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل
حينئذ. وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين. واستوى: قده أو عقله.
آتيناه حكما: نبوة. وعلما: بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه
فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه. وهو أوفق لنظم القصة لأنه استنبأه بعد الهجرة
في المراجعة. وكذلك: ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه. نجزي المحسنين:
على إحسانهم. ودخل المدينة: ودخل مصر آتيا من قصر فرعون، وقيل منف أو حابين

او عين الشمس من نواحيها ○ على حين غفلة من اهلها ○ في وقت لا يعتادون دخولها
ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين ○ فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ○ احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو
اسرائيل والآخر من خالفه وهم القبط والاشارة على الحكاية ○ فاستغاثه الذي
من شيعته على الذي من عدوه ○ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ
استعانه ○ فوكزه موسى ○ فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره
○ فقضى عليه ○ فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ○ قال
هذا من عمل الشيطان ○ لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما
واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم ○ انه عدو مضل مبين
○ ظاهر العداوة ○ قال رب اني ظلمت نفسي ○ بقتله ○ فاغفر لي ○ ذنبي ○ فغفر له
○ لاستغفاره ○ انه هو الغفور ○ لذنوب عباده ○ الرحيم ○ بهم ○ قال رب
بما انعمت علي ○ قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن
○ فلن اكون ظهيرا للمجرمين ○ او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون
معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
○ فاصبح في المدينة خائفا يترقب ○ يترصد الاستقادة ○ فاذا الذي استنصره
بالامس يستصرخه ○ يستغيثه مشتق من الصراخ ○ قال له موسى انك لغوي مبين ○
بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ○ فلما ان اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما ○ لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
بني اسرائيل ○ قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ○ قاله الاسرائيلي
لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي فكأنه توهم من قوله انه الذي قتل
القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ○ ان تريد ○ ما تريد ○ الا ان تكون جبارا في الارض
○ تطاول على الناس ولا تنظر العواقب ○ وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى
فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال ○
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ○ يسرع صفة لرجل او حال منه اذ جعل من اقصى

المدينة صفة لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف ○ قال يا موسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك ○ يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان
كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ○ فاخرج اني لك من الناصحين ○ اللام للبيان
وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول ○ فخرج منها ○ من المدينة ○
خائفا يترقب ○ لحوق طالب ○ قال رب نجني من القوم الظالمين ○ خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ○ ولما توجه تلقاء مدين ○ قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن
ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ○ قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل ○ توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق
فعن له ثلاث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخريين ○ ولما ورد
ماء مدين ○ وصل اليه وهو بئر يسقون منها ○ وجد عليه ○ وجد فوق شفيرها ○ امة
من الناس ○ جماعة كثيرة مختلفين ○ يسقون ○ مواشيهم ○ ووجد من دونهم امرأتين ○
في مكان اسفل من مكانهم ○ تذودان ○ تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم ○
قال ما خطبكما ○ ما شأنكما تذودان ○ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ○ يصرف الرعاة
مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل
على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال ○ وابونا شيخ كبير ○ كبير السن لا يستطيع ان
يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا ○ فسقى لهما ○ مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى
منها ○ ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي ○ اي شيء انزلت ○ من خير
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام ○ فقير ○ محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل
معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند
فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك ○ فجاءته احداهما تمشي على استحياء ○
مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي
تزوجها موسى ○ قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ○ ليكافئك ○ اجر ما سقيت لنا ○
جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا
في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه الطعام فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع

ويثاب الى المباح حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا واهدى بشيء لم يحرم اخذه. فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه. قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه. قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج. فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعده ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك. وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته. ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة. قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدي علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي. وقرئ ايما كقوله: تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره. واي الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر. والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ. فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخرى ثم عزم على الرجوع. آنس من جانب الطور نارا

ابصر من الجهة التي تلي الطور. قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن ولذلك بينت حيث قال: باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر. وقال: القى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها. ولذلك بينه بقوله من النار. وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات. لعلكم تصطلون تستدفئون بها. فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود. وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون. اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكرارا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات. فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس. برهانان من ربك حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن. الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم. قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها. واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء

وقرأ نافع رِدًا بالتخفيف {يصدقني} بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة
{إني أخاف أن يكذبون} ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني
بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف {قال سنشد عضدك بأخيك} سنقويك به فإن
قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها
بشدة العضد {ونجعل لكما سلطانا} غلبة أو حجة {فلا يصلون إليكما} باستيلاء
أو حجاج {بآياتنا} متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها
أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله
{أنتما ومن اتبعكما الغالبون} بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه
للتعريف لا بمعنى الذي {فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى}
سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء
كسائر أنواع السحر {وما سمعنا بهذا} يعنون السحر أو ادعاء النبوة {في آبائنا الأولين}
كائنا في أيامهم {وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده} فيعلم أني محق وأنتم مبطلون
وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد {ومن تكون له عاقبة
الدار} العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت
مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصد بالعرض وقرأ
حمزة والكسائي يكون بالياء {إنه لا يفلح الظالمون} لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن
العاقبة في العقبى {وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري} نفى علمه بإله
غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح
ليصعد إليه ويطلع على الحال بقوله {فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
أطلع إلى إله موسى} كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال
{وإني لأظنه من الكاذبين} أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا
من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا
كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه

يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام
{واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق} بغير استحقاق {وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون}
بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم {فأخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم} كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع
كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم
القيامة والسماوات مطويات بيمينه {فانظر} يا محمد {كيف كان عاقبة الظالمين} وحذر
قومك عن مثلها {وجعلناهم أئمة} قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أو بمنع الألطاف الصارفة عنه {يدعون
إلى النار} إلى موجباتها من الكفر والمعاصي {ويوم القيامة لا ينصرون} بدفع العذاب عنهم
{وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة} طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
{ويوم القيامة هم من المقبوحين} من المطرودين أو ممن قبح وجوههم {ولقد آتينا
موسى الكتاب} التوراة {من بعد ما أهلكنا القرون الأولى} أقوام نوح وهود و
لوط {بصائر للناس} أنوار القلوب تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل
{وهدى} إلى الشرائع التي هي سبيل الله {ورحمة} لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله
{لعلهم يتذكرون} ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالإرادة وفيه
ما عرفت {وما كنت بجانب الغربي} يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب
من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله عليه السلام أي ما كنت حاضرا
{إذ قضينا إلى موسى الأمر} إذ أوحينا إليه الأمر وما تعريفه {وما كنت
من الشاهدين} للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون للميقات
والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا
بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله {ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر}
أي ولكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت
الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه
{وما كنت ثاويا} مقيما {في أهل مدين} شعيب والمؤمنين به {تتلو عليهم} تقرؤ
عليهم تعلما منهم {آياتنا} التي فيها قصتهم {ولكنا كنا مرسلين} إياك ومخبرين لك
بها {وما كنت بجانب الطور إذ نادينا} لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة
وبالأول حين ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة {ولكن رحمة من ربك}

رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة ۝ لتنذر قوما ۝ متعلق بالفعل المحذوف ۝ ما أتاهم
من نذير من قبلك ۝ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة
أو بينك وبين إسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل
وما حواليهم ۝ لعلهم يتذكرون ۝ يتعظون ۝ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت
أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ۝
لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها لما أجيبت بالفاء
شبهت بالأمر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى
تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب
كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من
المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعا لعذرهم وإلزاما للحجة عليهم ۝ فلما جاءهم
الحق ۝ يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ۝ من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي
موسى ۝ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ۝ أولم يكفروا بما أوتي
موسى من قبل ۝ يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون
عربيا من أولاد عاد ۝ قالوا ساحران ۝ يعنون موسى وهرون أو موسى ومحمد ۝
تظاهرا ۝ تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران
بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب
الإعجاز وقرئ اظّاهرا على الإدغام ۝ وقالوا إنا بكل كافرون ۝ أي بكل منهما أو
بكل الأنبياء ۝ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ۝ مما نزل على موسى وعلى
وإضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد ۝ أتبعه إن كنتم
صادقين ۝ أنا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت
ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم ۝ فإن لم يستجيبوا لك ۝ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب
الأهدى فحذف المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام
إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب إلى الندا
فلم يستجبه عند ذاك مجيب ۝ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ۝ إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها
۝ ومن أضل ممن اتبع هواه ۝ استفهام بمعنى النفي ۝ بغير هدى من الله ۝ في
موضع الحال للتأكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق ۝ إن الله لا يهدي

القوم الظالمين ۝ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ۝ ولقد وصلنا
لهم القول ۝ أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة
بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر ۝ لعلهم يتذكرون ۝ فيؤمنون ويطيعون
۝ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ۝ نزلت في مؤمني أهل الكتاب
وقيل في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من
الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في ۝ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ۝ أي بأنه
كلام الله ۝ إنه الحق من ربنا ۝ استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به ۝ إنا كنا من قبله
مسلمين ۝ استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو
أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل
نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة ۝ أولئك يؤتون أجرهم
مرتين ۝ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن ۝ بما صبروا ۝ بصبرهم و
ثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم
من أهل دينهم ۝ ويدرءون بالحسنة السيئة ۝ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله
عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ۝ ومما رزقناهم ينفقون ۝ في سبيل الخير
۝ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ۝ تكرما ۝ وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
سلام عليكم ۝ متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه ۝ لا نبتغي الجاهلين
۝ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها ۝ إنك لا تهدي من أحببت ۝ لا تقدر أن تدخله
في الإسلام ۝ ولكن الله يهدي من يشاء ۝ فيدخله في الإسلام ۝ وهو أعلم بالمهتدين
۝ بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول
الله عليه السلام وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد
علمت إنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ۝ وقالوا إن نتبع الهدى معك
نتخطف من أرضنا ۝ نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى
النبي عليه السلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب
وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله ۝ أولم نمكن لهم
حرما آمنا ۝ أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله
وهم آمنون فيه ۝ يجبى إليه ۝ يحمل إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية
بالتاء ۝ ثمرات كل شيء ۝ من كل أوب ۝ رزقا من لدنا ۝ فإذا كان هذا حالهم وهم

عبدة الاصنام فكيف يعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
التوحيد ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله تعالى
على ما هم عليه بقوله ﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ اي وكم من قرية كانت حالهم كحالهم
في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم ﴿فتلك
مساكنهم﴾ خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما
او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم ﴿وكنا نحن
الوارثين﴾ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او
باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت ﴿وما كان
ربك مهلك القرى﴾ وما كان عادته ﴿حتى يبعث في امها رسولا﴾ في اصلها
التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ لالزام الحجة و
قطع المعذرة ﴿وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون﴾ بتكذيب الرسل والعتو
في الكفر ﴿وما اوتيتم من شيء﴾ من اسباب الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾
تتمتعون وتتزينون مدة حياتكم المنقضية ﴿وما عند الله﴾ وهو ثوابه ﴿خير﴾ في نفسه
من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿وابقى﴾ لانه ابدي ﴿افلا تعقلون﴾ فتستبدلوا
الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة ﴿افمن وعدناه
وعدا حسنا﴾ وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه
لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية ﴿كمن
متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر
على الانقطاع ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب او العذاب وثم للتراخي في
الزمان او الرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ﴿ويوم يناديهم﴾
عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر ﴿فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾
اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿قال الذين

حق عليهم القول﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من
الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ﴿ربنا هؤلاء الذين اغوينا﴾
اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ﴿اغويناهم كما غوينا﴾
اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم
فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم
الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من
اللوازم ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة
المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ اي ما كانوا
يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا
من عبادتهم ايانا ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ ﴿فدعوهم﴾ من فرط الحيرة ﴿فلم يستجيبوا
لهم﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ لازما بهم ﴿لو انهم كانوا يهتدون﴾
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي
تمنوا انهم كانوا مهتدين ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين﴾ عطف على
الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿فعميت عليهم
الانباء يومئذ﴾ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء
لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا
اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها
واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول يفوضون الى علم الله
تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء ﴿فهم لا يتساءلون﴾
لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله ﴿فاما من تاب﴾
من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحا﴾ وجمع بين الايمان والعمل ﴿فعسى ان يكون من المفلحين﴾
عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿و
ربك يخلق ما يشاء﴾ لا موجب عليه ولا مانع له ﴿ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ اي التخير
كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار
العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه

محذوف والمعنى والخيار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح ○ سبحان الله
تنزه ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار ○ وتعالى عما يشركون ○
عن اشراكهم او مشاركة ما يشركون به ○ وربك يعلم ما تكن صدورهم ○ كعداوة
الرسول وحقده ○ وما يعلنون ○ كالطعن فيه ○ وهو الله ○ المستحق للعبادة ○
لا اله الا هو ○ لا احد يستحقها الا هو ○ له الحمد في الاولى والآخرة ○ لانه المولى للنعم
كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقوله الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
○ وله الحكم ○ القضاء النافذ في كل شيء ○ واليه ترجعون ○ بالنشور ○ قل ارأيتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا ○ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم
دلامص ○ الى يوم القيمة ○ باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر
○ من اله غير الله يأتيكم بضياء ○ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن
ابن كثير بضئاء بهمزتين ○ افلا تسمعون ○ سماع تدبر واستبصار ○ قل ارأيتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة ○ باسكانها في وسط السماء او تحريكها على
مدار فوق الافق ○ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ○ استراحة عن متاعب
الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا
تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ○ ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ○ في الليل ○ ولتبتغوا من فضله ○ في النهار بانواع المكاسب
○ ولعلكم تشكرون ○ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ○ ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون ○ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من
الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان
محض تشهي وهوى ○ ونزعنا ○ واخرجنا ○ من كل امة شهيدا ○ وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه ○ فقلنا ○ للامم ○ هاتوا برهانكم ○ على صحة ما كنتم تدينون به ○ فعلموا ○ حينئذ
ان الحق لله ○ في الالهية لا يشاركه فيها احد ○ وضل عنهم ○ وغاب عنهم غيبة الضائع ○
ما كانوا يفترون ○ من الباطل ○ ان قارون كان من قوم موسى ○ كان ابن عمه يصهر
فاهث بن لاوي وكان ممن آمن به ○ فبغى عليهم ○ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره
او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي
انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر ○ وآتيناه

من الكنوز ○ من الاموال المدخرة ○ ما ان مفاتحه ○ مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح ○ لتنوء بالعصبة اولي القوة ○
خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى امال والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه ○ اذ قال له قومه ○ منصوب بتنوء ○ لا تفرح ○ لا تبطر والفرح بالدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن
عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا
بانه مانع من محبة الله فقال ○ ان الله لا يحب الفرحين ○ اي بزخارف الدنيا ○ وابتغ
فيما آتاك الله ○ من الغنى ○ الدار الآخرة ○ بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه
ان يكون وصلة اليها ○ ولا تنس ○ ولا تترك ترك المنسي ○ نصيبك من الدنيا ○
وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك ○ واحسن ○ الى عباد الله ○ كما
احسن الله اليك ○ فيما انعم الله عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك
بالانعام ○ ولا تبغ الفساد في الارض ○ بامر يكون علة للظلم والبغي ○ ان الله لا
يحب المفسدين ○ لسوء افعالهم ○ قال انما اوتيته على علم عندي ○ فضلت به على الناس
واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة
وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب
وقيل العلم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي
اي في ظني واعتقادي ○ اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا ○ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه
قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا
العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ○ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ○ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى
منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مطلبهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم
معاقبهم عليها لا محالة ○ فخرج على قومه في زينته ○ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه ○ قال الذين يريدون الحيوة

الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها ۞ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد ۞ إنه لذو حظ عظيم ۞ من الدنيا ۞ وقال الذين
أوتوا العلم ۞ بأحوال الآخرة ۞ ولا يلقاها ۞ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء
أو للثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة
والطريقة ۞ إلا الصابرون ۞ على الطاعات وعن المعاصي ۞ فخسفنا به وبداره الأرض
۞ روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت
الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد أن يفضح موسى بين بني إسرائيل
ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق
قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت
قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها
موسى بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على أن أرميك بنفسي فخر موسى
شاكيا منه إلى ربه فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فقال يا أرض خذيه فأخذته إلى
الركب ثم قال خذيه فأخذته إلى الوسط ثم قال خذيه فأخذته إلى العنق ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه ما أفظك استرحمك
مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لأجبته ثم قال بنو إسرائيل إنما فعله ليرثه فدعا
الله حتى خسف بداره وأمواله ۞ فما كان له من فئة ۞ أعوان مشتقة من فأوت
رأسه إذا ميلته ۞ ينصرونه من دون الله ۞ يدفعون عنه عذابه ۞ وما كان من
المنتصرين ۞ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع ۞
وأصبح الذين تمنوا مكانه ۞ منزلته ۞ بالأمس ۞ منذ زمان قريب ۞ يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ۞ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته
لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي
للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط وقيل من ويك
بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم أن الله ۞ لولا أن من الله علينا ۞ فلم يعطنا
ما تمنينا ۞ لخسف بنا ۞ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لأجله وقرأ حفص بفتح الخاء و
السين ۞ ويكأنه لا يفلح الكافرون ۞ لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعد لهم
من ثواب الآخرة ۞ تلك الدار الآخرة ۞ إشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت
خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر ۞ نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ۞

غلبة وقهرا ۞ ولا فسادا ۞ ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون ۞ والعاقبة
المحمودة ۞ للمتقين ۞ لا بما يرضاه الله تعالى ۞ من جاء بالحسنة فله خير منها ۞ ذاتا وقدرا
ووصفا ۞ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ۞ فوضع
فيه الظاهر موضع المضمر تهجينا لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم وحذف المثل وأقام
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ۞ إن الذي فرض عليك القرآن ۞ أوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ۞ لرادك إلى معاد ۞ أي معاد وهو المقام المحمود
الذي وعدك أن يبعثك فيه أو مكة التي اعتدت بها ظاهرا من العادة رده إليها يوم
الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين
وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده
ومولد آبائه فنزلت ۞ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ۞ وما يستحقه من الثواب والنصر
من منتصب بفعل يفسره أعلم ۞ ومن هو في ضلال مبين ۞ وما يستحقه من العذاب
والإذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ۞ وما كنت
ترجو أن يلقى إليك الكتاب ۞ أي سيردك إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت
ترجوه ۞ إلا رحمة من ربك ۞ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا
على المعنى كأنه قال وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة ۞ فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۞
بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم ۞ ولا يصدنك عن آيات الله ۞ عن
قراءتها والعمل بها ۞ بعد إذ أنزلت إليك ۞ وقرئ يصدنك من أصده ۞ وادع
إلى ربك ۞ إلى عبادته وتوحيده ۞ ولا تكونن من المشركين ۞ بمساعدتهم ۞ ولا تدع
مع الله إلها آخر ۞ هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم
لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ۞ إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم ۞ له الحكم ۞ القضاء النافذ في الخلق ۞ وإليه ترجعون ۞ للجزاء بالحق عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى عليه السلام
وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

۞ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الم ۞ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه أو بما يضمر معه ۞ أحسب الناس ۞ الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون: فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك
حسبت ضربه للتأديب أو أحسبوا أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله
بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات
وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت
في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان
وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي أنها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل
في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتل فجزع عليه
أبواه وامرأته. ولقد فتنا الذين من قبلهم: متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى
أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه. فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين: فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به
الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك
قيل المعنى وليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الناس
أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها. أم حسب الذين
يعملون السيئات: الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. أن يسبقونا
أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وأم منقطعة
والإضراب فيها لأن هذا الحسبان أبطل من الأول ولهذا عقبه بقوله: ساء ما يحكمون
أي بئس الذي يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم. من كان يرجو
لقاء الله: في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول إلى ثوابه أو إلى العاقبة من الموت
والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد
اطلع السيد على أحواله فإما أن يلقاه ببشر لما رضي من أفعاله أو بسخط لما سخط منها.
فإن أجل الله: فإن الوقت المضروب للقائه. لآت: لجاء وإذا كان وقت اللقاء آتيا
كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب القربة و
الرضا. وهو السميع: لأقوال العباد. العليم: بعقائدهم وأفعالهم. ومن جاهد
نفسه بالصبر على مضض الطاعات والكف عن الشهوات. فإنما يجاهد لنفسه: لأن منفعته
لها. إن الله لغني عن العالمين: فلا حاجة به إلى طاعتهم وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة

لصلاحهم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم: الكفر بالإيمان
والمعاصي بما يتبعها من الطاعات. ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون: أي أحسن جزاء
أعمالهم. ووصينا الإنسان بوالديه حسنا: بإيتائهما فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته حسن
لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال أي وقلنا أحسن
بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي قلنا
أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا وإحسانا. وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم: بإلهيته عبر عن
نفيها بنفي العلم بها إشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلا
عما علم بطلانه. فلا تطعهما: في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من
إضمار القول إن لم يضمر قبل. إلي مرجعكم: مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر
بوالديه ومن عق. فأنبئكم بما كنتم تعملون: بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن أبي
وقاص وأمه حمنة فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا
تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في لقمان والأحقاف. والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين: في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى
درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين أو في مدخلهم وهو الجنة. ومن
الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله: بأن عذبهم الكفرة على الإيمان.
جعل فتنة الناس: ما يصيبهم من أذيتهم في الصرف عن الإيمان. كعذاب الله: في
الصرف عن الكفر. ولئن جاء نصر من ربك: فتح وغنيمة. ليقولن إنا كنا معكم: في الدين
فأشركونا فيه والمراد المنافقون أو قوم ضعف إيمانهم فارتدوا من أذى المشركين
ويؤيد الأول: أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين: من الإخلاص والنفاق.
وليعلمن الله الذين آمنوا: بقلوبهم. وليعلمن المنافقين: فيجازي الفريقين. وقال
الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا: الذي نسلكه في ديننا. ولنحمل خطاياكم: إن كان ذلك
خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذة وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع
مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت تشجيعا
لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله: وما هم بحاملين من خطاياهم من
شيء إنهم لكاذبون: من الأولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين
شيئا من خطاياهم. وليحملن أثقالهم: أثقال ما اقترفته أنفسهم. وأثقالا مع أثقالهم

وأثقالاً أخر لما تسببوا له بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينتقص من أثقال
من تبعهم شيء ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾
من الأباطيل التي أضلوا بها ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة
إلا خمسين عاماً﴾ بعد المبعث إذ روي أنه بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول
المدة إلى السامع فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة ﴿فأخذهم
الطوفان﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من السيل والظلام ونحوهما ﴿وهم
ظالمون﴾ بالكفر ﴿فأنجيناه﴾ أي نوحاً ﴿وأصحاب السفينة﴾ ومن أركب معه من
أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وخمسين وقيل عشرة نصفهم ذكور
ونصفهم إناث ﴿وجعلناها﴾ أي السفينة أو الحادثة ﴿آية للعالمين﴾ يتعظون و
يستدلون بها ﴿وإبراهيم﴾ عطف على نوح أو نصب بإضمار اذكر وقرئ بالرفع
على تقدير ومن المرسلين إبراهيم ﴿إذ قال لقومه اعبدوا الله﴾ ظرف لأرسلنا أي
أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أو بدل منه بدل الاشتمال
إن قدر باذكر ﴿واتقوه ذلكم خير لكم﴾ مما أنتم عليه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير والشر
وتميزون ما هو خير مما هو شر أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل
﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾ وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة
وادعاء شفاعتها عند الله أو تعملونها وتنحتونها للإفك وهو استدلال على شرارة
ما هم عليه من حيث إنه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق
للتكلف وإفكاً على أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقاً ذا إفك ﴿إن الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل
ورزقاً يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ كله فإنه المالك له ﴿واعبدوه واشكروا له﴾
متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه
فإنه ﴿إليه ترجعون﴾ وقرئ بفتح التاء ﴿وإن تكذبوا﴾ تكذبوني ﴿فقد كذب أمم من
قبلكم﴾ من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم

من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ الذي زال معه الشك
وما عليه أن يصدق ولا يكذب ألبتة وما بعدها من جملة قصة إبراهيم إلى قوله فما كان
جواب قومه ويحتمل أن تكون اعتراضاً بذكر شأن النبي عليه السلام وقريش وهدم مذهبهم
والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث إن مساقها لتسلية الرسول
والتنفيس عنه بأن أباه خليل كان ممنواً بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه
حاله فيهم بحال إبراهيم في قومه ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ من مادة ومن غيرها
وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ﴿ثم يعيده﴾
إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ فإن الرؤية غير واقعة
عليه ويجوز أن يؤول الإعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من
النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ﴿إن ذلك﴾ الإشارة إلى الإعادة أو إلى
ما ذكر من الأمرين ﴿على الله يسير﴾ إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء ﴿قل سيروا في الأرض﴾ حكاية
كلام الله تعالى لإبراهيم أو محمد عليهما السلام ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ على اختلاف
الأجناس والأحوال ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء
فإنه والإعادة نشأتان من حيث إن كلاً منهما اختراع وإخراج من العدم والإفصاح باسم
الله مع إيقاعه مبتدأ بعد إضماره في بدأ والقياس عكسه للدلالة على أن المقصود
بيان الإعادة وأن من عرف بالقدرة على الإبداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الإعادة
لأنها أهون والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة كالرآفة
﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء
فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه
﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته ﴿وإليه تقلبون﴾ تردون ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾
ربكم عن إدراككم ﴿ولا في السماء﴾ إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض أو الهبوط
في مهاويها أو التحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول
حسان: أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ﴿وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿والذين
كفروا بآيات الله﴾ بدلائل وحدانيته أو بكتبه ﴿ولقائه﴾ بالبعث ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾
أي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة أو أيسوا في الدنيا
لإنكار البعث والجزاء ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ بكفرهم ﴿فما كان جواب قومه﴾ قوم

ابرهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك
قول بعضهم ولكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار
اي فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك
في انجائه منها لآيات لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص والتأمل فيها هي حفظه
من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا لتتوادوا بينكم و
تتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان تكون المودة
المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة
بينكم وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير
وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي
مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرأ ابن مسعود انما مودة بينكم ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار اي يقوم التناكر والتلاعن
بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به
وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي
الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا
بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا
في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة
وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة
واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه
في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم
او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام

واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف
مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس
حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعوا سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الجامعة
ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من
القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الخذف بالحصى والرمي بالبنادق فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك
او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة
في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكو اهل هذه
القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا
ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي
قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع
ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه
واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته
كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد
الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته
كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع
ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن انا منجوك
واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه و
منجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار و
نصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز

اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلوا بالتشديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾
بسبب فسقهم ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة و
قيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة ﴿لقوم
يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية
﴿والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ وافعلوا
ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ﴿ولا
تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل
لان القلوب رجفت لها ﴿فاصبحوا في دارهم﴾ في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس
﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وعادا وثمودا﴾ منصوبان باضمار اذكر او فعل
دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف على تأويل
القبيلة ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها ﴿وزين لهم الشيطان اعمالهم﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فصدهم
عن السبيل﴾ السوي ﴿وكانوا مستبصرين﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل اليهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا ﴿وقارون
وفرعون وهامان﴾ معطوفة على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ﴿ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين﴾ فائتين بل ادركهم امر
من سبق طالبه اذا فاته ﴿فكلا﴾ من المذكورين ﴿اخذنا بذنبه﴾ عاقبنا بذنبه ﴿فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا﴾ ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ﴿ومنهم من
اخذته الصيحة﴾ كمدين وثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الارض﴾ كقارون ﴿ومنهم من اغرقنا﴾
كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بالتعريض للعذاب ﴿مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء﴾ فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ﴿كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا﴾ فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم
بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع
على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب و
عنكب وعكاب وعكبة واعكب ﴿وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ لا بيت
اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يرجعون الى علم لعلموا ان هذا

مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم
سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى فان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ﴿ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء﴾ على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ عاصم
وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم
معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء
مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على
الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم ﴿وهو العزيز الحكيم﴾
تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان
الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم ﴿وتلك الامثال﴾ يعني هذا المثل ونظائره
﴿نضربها للناس﴾ تقريبا لما بعد من افهامهم ﴿وما يعقلها﴾ ولا يعقل حسنها وفائدتها
﴿الا العالمون﴾ الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الآية
فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السموات والارض
بالحق﴾ محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته
وصفاته كما اشار اليه بقوله ﴿ان في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لانهم المنتفعون بها ﴿اتل ما
اوحي اليك من الكتاب﴾ تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان
القاري المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه ﴿واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية روي ان فتى من الانصار
كان يصلي مع رسول الله عليه السلام الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه
فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ﴿ولذكر الله اكبر﴾ والصلوة
اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها
مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعتكم
﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ﴿ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن﴾ الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة
اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم ﴿الا الذين ظلموا منهم﴾

بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع
الجزية ❊ وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ❊ هو من المجادلة التي هي احسن
وعن النبي عليه السلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه
ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ❊ والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون ❊ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله ❊ وكذلك ❊ ومثل ذلك الانزال ❊ انزلنا اليك الكتاب ❊ وحيا مصدقا
لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله ❊ فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ❊ هم عبد الله
ابن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ❊ ومن هؤلاء ❊ ومن
العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين ❊ من يؤمن به ❊ بالقران ❊ وما
يجحد باياتنا ❊ مع ظهورها وقيام الحجة عليها ❊ الا الكافرون ❊ الا المتوغلون في الكفر فان
جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار
اليه بقوله ❊ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ❊ فان ظهور هذا الكتاب
الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر
اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد ❊ اذا لارتاب المبطلون ❊ اي لو كنت
ممن يخط ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب المتقدمين وانما سماهم مبطلين
لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب
اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون
المقدر ❊ بل هو ❊ بل القران ❊ ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ❊ يحفظونه لا
يقدر احد تحريفه ❊ وما يجحد باياتنا الا الظالمون ❊ الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد
وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها ❊ وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه ❊ مثل
ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات ❊
قل انما الايات عند الله ❊ ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحونه ❊ وانما انا
نذير مبين ❊ ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات ❊ اولم يكفهم
اية مغنية عما اقترحوه ❊ انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ❊ تدوم تلاوته عليهم متحدين
به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك ❊ ان في ذلك ❊ في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة
لرحمة ❊ لنعمة عظيمة ❊ وذكرى لقوم يؤمنون ❊ وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت

وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت
❊ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ❊ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به
اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت ❊ يعلم ما في السموات والارض
فلا يخفى عليه حالي وحالكم ❊ والذين امنوا بالباطل ❊ وهو ما يعبد من دون الله
وكفروا بالله ❊ منكم ❊ اولئك هم الخاسرون ❊ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
❊ ويستعجلونك بالعذاب ❊ بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ❊ ولولا اجل مسمى
لكل عذاب او قوم ❊ لجاءهم العذاب ❊ عاجلا ❊ وليأتينهم بغتة ❊ فجاءة في الدنيا
كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم ❊ وهم لا يشعرون ❊ باتيانه ❊ يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ❊ ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة
بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ❊ يوم
يغشاهم العذاب ❊ ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت ❊ من فوقهم ومن تحت
ارجلهم ❊ من جميع جوانبهم ❊ ويقول ❊ الله او بعض ملائكته بامره وقرا ابن كثير وابن عامر
والبصريين بالنون ❊ ذوقوا ما كنتم تعملون ❊ اي جزاءه ❊ يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون ❊ اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم
يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد والفاء
جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها ❊ كل نفس ذائقة الموت ❊ تنالها لا محالة ❊ ثم الينا ترجعون ❊ للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرا ابو بكر بالياء ❊ والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم ❊ لننزلنهم ❊ من الجنة غرفا ❊ علالي وقرا حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم
من الثواء فيكون انتصابها باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف
الموقت بالمبهم ❊ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين ❊ وقرئ فنعم
والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله ❊ الذين صبروا ❊ على اذية المشركين والهجرة
للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق ❊ وعلى ربهم يتوكلون ❊ ولا يتوكلون الا على الله
❊ وكاين من دابة لا تحمل رزقها ❊ لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها

الله يرزقها وإياكم ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم
سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها
وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم
بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم
أهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب
الوجود فأنى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه
واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع الضمير موضع
من يشاء وإبهامه لأن من يشاء مبهم إن الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض
مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه
الضلالة أو على تصديقك وإظهار حجتك بل أكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بأنه المبدأ لكل ما عداه ثم إنهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد
بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله
جناح بعوضة إلا لهو ولعب إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به
ساعة ثم يتفرقون متعبين وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية
لامتناع طريان الموت عليها أو جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر
حيي سمي به ذو الحيوة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحيوة
لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير ههنا لو كانوا
يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة
الزوال فإذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم أي هم على ما وصفوا
من الشرك فإذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من
أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه
لا يكشف الشدائد إلا هو فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون فاجؤوا المعاودة إلى
الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم

نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها أو لام
الأمر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا
بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون أولم يروا يعني أهل مكة
أنا جعلنا حرما آمنا أي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا أهله
من القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا إذ كانت
العرب حوله في تغاور وتناهب أفبالباطل يؤمنون أبعد هذه النعمة
المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله بالصنم أو الشيطان يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص
على طريقة المبالغة ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن زعم أن له شريكا
أو كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول أو الكتاب وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا
ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه أليس
في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا أي ألا
يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل
هذا التكذيب أو لاجترائهم أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا
هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا وإطلاق الجهاد ليعم جهاد الأعادي
الظاهرة والباطنة بأنواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير إلينا والوصول
إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وإن
الله لمع المحسنين بالنصرة والإعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين صدق الرسول

سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الأرض أرض العرب
منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من
الإضافة وهم من بعد غلبهم من إضافة المصدر إلى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة
كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم
بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم
وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب

ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال
لهم ابو بكر رضي لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين
فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص
من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله عليه السلام فقال
البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات
ابي من جرح رسول الله عليه السلام بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل به
الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة
من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى
الفاعل ○ لله الامر من قبل ومن بعد ○ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون
ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا
وبعدا اي اولا واخرا ○ ويومئذ ○ ويوم تغلب الروم ○ يفرح المؤمنون بنصر الله
○ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل واظهار صدقهم فيما اخبروا به
المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين
باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ○ ينصر من يشاء ○ فينصر
هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى ○ وهو العزيز الرحيم ○ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة
ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى ○ وعد الله ○ مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد
○ لا يخلف الله وعده ○ لامتناع الكذب عليه ○ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ○ وعده
ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم ○ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ○ ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها ○ وهم عن الاخرة ○ التي هي غايتها والمقصود منها ○ هم
غافلون ○ لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة
خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة ومحققه لمقتضى الجملة
المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها

وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها
واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا ○ اولم يتفكروا
في انفسهم ○ اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب
اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق قدرة
مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ○ ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق ○ متعلق بيقول او بعلم محذوف يدل الكلام عليه ○ واجل مسمى ○ ينتهي عنده
ولا تبقى بعده ○ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم ○ بلقاء جزائه عند انقضاء
الاجل او قيام الساعة ○ لكافرون ○ جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان
الاخرة لا تكون ○ اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
○ تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين من قبلهم ○ كانوا اشد
منهم قوة ○ كعاد وثمود ○ واثاروا الارض ○ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وزرع البذور وغيرها ○ وعمروها ○ وعمروا الارض ○ اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم
بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار
امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع
العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع له ○ وجاءتهم رسلهم بالبينات
○ بالمعجزات او الايات الواضحات ○ فما كان الله ليظلمهم ○ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة
فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ○ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ○ حيث عملوا ما ادى الى
تدميرهم ○ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ○ اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى
او الخصلة فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم
وانهم جاؤوا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها
○ ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤون ○ علة او بدل او عطف بيان للسوأى
او خبر كان والسوأى مصدر اساؤوا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة
ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤوا بها ويجوز ان يكون السوأى
صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة
لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول

وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوآى وان كذبوا على الوجوه المذكورة. الله يبدؤا الخلق: ينشئهم. ثم يعيده: يبعثهم. ثم اليه ترجعون: للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل. ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون: يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بالفتح من ابلسه اذا اسكته. ولم يكن لهم من شركائهم: ممن اشركوهم بالله. شفعاء: يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. وكانوا بشركائهم كافرين: يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوآى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها. ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون: اي المؤمنون والكافرون لقوله. فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة: ارض ذات ازهار وانهار. يحبرون: يسرون سرورا تهللت له وجوههم. واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون: مدخلون لا يغيبون عنه. فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون: اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه.

يخرج الحي من الميت: كالانسان من النطفة والطائر من البيضة. ويخرج الميت من الحي: النطفة والبيضة اي يعقب الحيوة الموت وبالعكس. ويحيي الارض بالنبات بعد موتها: يبسها. وكذلك: ومثل ذلك الاخراج. تخرجون: من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء. ومن آياته ان خلقكم من تراب: اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه. ثم اذا انتم بشر تنتشرون: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض. ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا: لان حوا خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر. لتسكنوا اليها: لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر. وجعل بينكم: اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس. مودة ورحمة: بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا. ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون: فيعلمون ما في ذلك من الحكم. ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم: لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية. والوانكم: بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيأتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة. ان في ذلك لآيات للعالمين: لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله: منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه. ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون: سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة. ومن آياته يريكم البرق: مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير

من ان نراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم البرق بها كقوله وما الدهر الا
تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ﴿خوفا﴾ من الصاعقة وقيل
للمسافر ﴿وطمعا﴾ في الغيث وقيل للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان
اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او
تأويل الخوف بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل
كلمته شفاها ﴿وينزل من السماء ماء﴾ وقرئ بالتشديد ﴿فيحيي به الارض﴾ بالنبات
﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في
استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ﴿ومن آياته
ان تقوم السماء والارض بامره﴾ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما
المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة
﴿ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون﴾ عطف على ان تقوم على تأويل
مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا
دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول
ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي
المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك
دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لم يعمل فيما قبلها واذا
الثانية للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفاء في جواب الاولى ﴿وله من في السموات
والارض كل له قانتون﴾ منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه ﴿وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وهو اهون عليه﴾ والاعادة اسهل عليه من الاصل
بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء
للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد
﴿وله المثل الاعلى﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول
لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية ﴿الاعلى﴾ الذي ليس لغيره ما يساويه او
يدانيه ﴿في السموات والارض﴾ يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا ﴿وهو العزيز﴾
القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ﴿الحكيم﴾ الذي يجري الافعال على مقتضى
حكمته ﴿ضرب لكم مثلا من انفسكم﴾ منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم
﴿هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم﴾ من الاموال وغيرها

﴿فانتم فيه سواء﴾ فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم
بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة
لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ﴿تخافونهم﴾ ان تستبدوا بتصرف فيه
﴿كخيفتكم انفسكم﴾ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التفصيل
﴿نفصل الآيات﴾ نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ﴿لقوم يعقلون﴾
يستعملون عقولهم في تدبر الامثال ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالاشراك ﴿اهواءهم
بغير علم﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه
﴿فمن يهدي من اضل الله﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿وما لهم من ناصرين﴾
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها ﴿فاقم وجهك للدين حنيفا﴾ فقومه
غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة على الدين والاهتمام به
﴿فطرة الله﴾ خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها ﴿التي
فطر الناس عليها﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته
﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ﴿ذلك﴾ اشارة
الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة ﴿الدين القيم﴾
المستوي الذي لا عوج فيه ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ استقامته لعدم تدبرهم
﴿منيبين اليه﴾ راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه
من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية
خطاب للرسول والامة لقوله ﴿واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾
غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين
وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا
بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا تشايع كل امامها الذي
اصل دينها ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون
صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا ﴿واذا مس الناس ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم
منيبين اليه﴾ راجعين اليه من دعاء غيره ﴿ثم اذا اذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من
تلك الشدة ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم
الذي عافاهم ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله

فتمتعوا غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض أم أنزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان
أي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو نطق
بما كانوا به يشركون بإشراكهم وصحته أو بالأمر الذي بسببه يشركون في ألوهيته
وإذا أذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وإن
تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم بشؤم معاصيهم إذا هم يقنطون
فاجؤوا القنوط من رحمته أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه
كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين
وابن السبيل ما وظف لهما من الزكاة والخطاب للنبي أو لمن بسط له ولذلك
رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته أو جهته أي يقصدون
بمعروفهم إياه خالصا أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى وأولئك هم المفلحون
حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة أو
عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من إعطاء
ربوا ليربوا في أموال الناس ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عند الله
ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي
ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فأولئك
هم المضعفون ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر
لذي القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح
العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به
الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون
والراجع منه محذوف إن جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به أو فمؤتوه أولئك
هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء أثبت له لوازم الألوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من
الأصنام وغيرها مؤكدا بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق
ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون

ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لأنه
بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد
في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الغاصة و
محق البركات وكثرة المضار والضلالة وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وجزائر
البحور بما كسبت أيدي الناس بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه وقيل
ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة
غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة
أو العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان أكثرهم مشركين استئناف للدلالة على أن
سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل أن
يأتي يوم القيامة لا مرد له لا يقدر أن يرده أحد وقوله من الله متعلق بيأتي
ويجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه
يومئذ يصدعون يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
من كفر فعليه كفره أي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون أو ليصدعون و
الاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله
إنه لا يحب الكافرين فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين
وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم تعليل له وقوله من
فضله دال على أن الإثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب
عدول عن الظاهر ومن آياته أن يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على إرادة الجنس
مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب

السابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة
محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل
دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام
لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من
امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد
يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر
بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم و
اراضيهم اذا هم يستبشرون لمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
المطر من قبله تكرير للاول للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام
يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى
اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده
الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني ان الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى
لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل
ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها
في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات
على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر والزرع فانه مدلول عليه
بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على
حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر
بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وتسرعهم
الى الكفر لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله
ويلتجؤوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى

الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار و
ان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا
تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم
يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا
من يؤمن باياتنا فان ايمانه يدعوه الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان
يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم
من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق
الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى
لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله عليه السلام من ضعف فاقرأني من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق
ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال
المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت
بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما بالغلبة
كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون
وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة
عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق
كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح
او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي
فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون

بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ○ ولا هم
يستعتبون ○ لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما
دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ○
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ○ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات
التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال
لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم
على التوحيد والبعث وصدق الرسول ○ ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ○
ليقولن الذين كفروا ○ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ○ ان انتم ○ يعنون الرسول
والمؤمنين ○ الا مبطلون ○ مزورون ○ كذلك ○ مثل ذلك الطبع ○ يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون ○ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ○ فاصبر ○ على اذاهم ○ ان وعد
الله ○ بنصرتك واظهار دينك على الدين كله ○ حق ○ لا بد من انجازه ○ ولا يستخفنك ○
ولا يحملنك على الخفة والقلق ○ الذين لا يوقنون ○ بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي
لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الروم
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا الآية هي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ○ الم تلك آيات الكتاب الحكيم ○ سبق بيانه في يونس
هدى ورحمة للمحسنين ○ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة
ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف ○ الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ○ بيان لاحسانهم او تخصيص
لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه
وبين خبره ○ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ○ لاستجماعهم
العقيدة الحقة والعمل الصالح ○ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ○
ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها
والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد

بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث
اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث
عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري
القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ○ ليضل عن سبيل الله ○
دينه او كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه
بغير علم ○ بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ○ ويتخذها
هزوا ○ ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على
ليضل ○ اولئك لهم عذاب مهين ○ لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه ○
واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا ○ متكبرا لا يعبأ بها ○ كان لم يسمعها ○ مشابها
حاله حال من لم يسمعها ○ كان في اذنيه وقرا ○ مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر
ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من
المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين ○ فبشره بعذاب اليم ○
اعلمه بان العذاب يحيق به لا محالة وقرا نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم
○ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ○ اي لهم نعيم جنات فعكس
للمبالغة ○ خالدين فيها ○ حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به
اللام ○ وعد الله حقا ○ مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان
قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا ○ وهو العزيز ○ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه
عن انجاز وعده ووعيده ○ الحكيم ○ الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته ○ خلق
السموات بغير عمد ترونها ○ قد سبق في الرعد ○ والقى في الارض رواسي ○ جبالا
شوامخ ○ ان تميد بكم ○ كراهة ان تميل بكم فان تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها
واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معين
○ وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ○
من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته
التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقرره بقوله ○ هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه ○ هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا
وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه ○
بل الظالمون في ضلال مبين ○ اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال

لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ○ ولقد آتينا لقمان الحكمة ○ يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يد غيري وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ○ ان اشكر لله ○ لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ○ ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ○ لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ○ ومن كفر فان الله غني ○ لا يحتاج الى الشكر ○ حميد ○ حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال ○ واذ قال لقمان لابنه ○ انعم او اشكم او ماثان ○ وهو يعظه يا بني ○ تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي في الاخيرة والباقون في الثلاثة بكسر الياء ○ لا تشرك بالله ○ قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ○ ان الشرك لظلم عظيم ○ لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ○ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ○ ذات وهن او تهن وهنا على وهن ○ اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا ○ وفصاله في عامين ○ وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ○ ان اشكر لي ولوالديك ○ تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك ○ الي المصير ○

فاحاسبك على شكرك وكفرك ○ وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ○ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه ○ فلا تطعهما ○ في ذلك ○ وصاحبهما في الدنيا معروفا ○ صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ○ واتبع ○ في الدين ○ سبيل من اناب الي ○ بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ○ ثم الي مرجعكم ○ مرجعك ومرجعهما ○ فانبئكم بما كنتم تعملون ○ بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر فانه اسلم بدعوته ○ يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل ○ اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة ○ فتكن في صخرة او في السموات او في الارض ○ في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته ○ يأت بها الله ○ يحضرها فيحاسب عليها ○ ان الله لطيف ○ يصل علمه الى كل خفي ○ خبير ○ عالم بكنهه ○ يا بني اقم الصلوة ○ تكميلا لنفسك ○ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ○ تكميلا لغيرك ○ واصبر على ما اصابك ○ من الشدائد سيما في ذلك ○ ان ذلك ○ اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به ○ من عزم الامور ○ مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ○ ولا تصعر خدك للناس ○ لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه ○ ولا تمش في الارض مرحا ○ اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ○ ان الله لا يحب كل مختال فخور ○ علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤوس الآي ○ واقصد في مشيك ○ توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي

يذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب
المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية ○ واغضض
من صوتك ○ وانقص منه واقصر ○ ان انكر الاصوات لصوت الحمير ○ والحمار
مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت
المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت
لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لأنه مصدر في الاصل ○ الم
تروا ان الله سخر لكم ما في السموات ○ بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم ○ وما في
الارض ○ بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط ○ واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ○ محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها
في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين
او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة
○ ومن الناس من يجادل في الله ○ في توحيده وصفاته ○ بغير علم ○ مستفاد
من دليل ○ ولا هدى ○ راجع الى رسول ○ ولا كتاب منير ○ انزله الله بل بالتقليد
كما قال ○ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
○ منع صريح من التقليد في الاصول ○ اولو كان الشيطان يدعوهم ○ يحتمل ان
يكون الضمير لهم ولابائهم ○ الى عذاب السعير ○ الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ○ ومن يسلم
وجهه الى الله ○ بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى
الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص ○
وهو محسن ○ في عمله ○ فقد استمسك بالعروة الوثقى ○ تعلق باوثق ما يتعلق به وهو
تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى في شاهق جبل فتمسك باوثق
عرى الحبل المتدلي منه ○ والى الله عاقبة الامور ○ اذ الكل صائر اليه ○ ومن
كفر فلا يحزنك كفره ○ فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن
وليس بمستفيض ○ الينا مرجعهم ○ في الدارين ○ فننبئهم بما عملوا ○ بالاهلاك والتعذيب
○ ان الله عليم بذات الصدور ○ فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر ○ نمتعهم قليلا ○
تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ○ ثم نضطرهم الى
عذاب غليظ ○ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ○

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ○ لوضوح الدليل
المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه ○ قل الحمد لله ○ على الزامهم
والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ○ بل اكثرهم لا يعلمون ○ ان ذلك
يلزمهم ○ لله ما في السموات والارض ○ لا يستحق العبادة فيهما غيره ○ ان الله هو
الغني ○ عن حمد الحامدين ○ الحميد ○ المستحق للحمد وان لم يحمد ○ ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام ○ ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لأن المراد
تفصيل الآحاد ○ والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ○ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا
بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف والواو للحال و
نصبه البصري بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده
ويمده بالياء والتاء ○ ما نفدت كلمات الله ○ بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد
وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ○ ان الله عزيز ○
لا يعجزه شيء ○ حكيم ○ لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول
الله عليه السلام او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ○ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
○ الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادة
الواجب مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون ○ ان الله سميع ○ يسمع كل مسموع ○ بصير ○ يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
بعضها عن بعض فكذلك الخلق ○ الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري ○ كل من النيرين يجري في فلكه ○ الى اجل
مسمى ○ الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل
الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري
وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات ○ وان الله بما تعملون
خبير ○ عالم بكنهه ○ ذلك ○ الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع
واختصاص الباري بها ○ بان الله هو الحق ○ بسبب انه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته ○ وان ما يدعون من دونه الباطل
المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ

البصريون والكوفيون غير أبي بكر بالياء ﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ مترفع على
كل شيء ومتسلط عليه ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾ بإحسانه في تهيئة
أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه والباء
للصلة أو الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز
في مثله الكسر والفتح والسكون ﴿ليريكم من آياته﴾ دلائله ﴿إن في ذلك لآيات
لكل صبار﴾ على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والأنفس ﴿شكور﴾
يعرف النعم ويتعرف مانحها أو للمؤمنين فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر ﴿وإذا غشيهم﴾ علاهم وغطاهم ﴿موج كالظلل﴾ كما يظل من جبل أو سحاب
أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾
لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد ﴿فلما نجاهم
إلى البر فمنهم مقتصد﴾ مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد أو متوسط في الكفر
لانزجاره بعض الانزجار ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري
أو لما كان في البحر والختر أشد الغدر ﴿كفور﴾ للنعم ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم و
اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده﴾ لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من أجزأ إذا
أغنى والراجع إلى الموصوف محذوف أي لا يجزي فيه ﴿ولا مولود﴾ عطف على والد
أو مبتدأ خبره ﴿هو جاز عن والده شيئا﴾ وتغيير النظم للدلالة على أن المولود
أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن يشفع لأبيه الكافر في الآخرة
﴿إن وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حق﴾ لا يمكن خلفه ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي
﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ علم وقت قيامها لما روي أن الحارث بن عمرو أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء
تمطر وحمل امرأتي ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه السلام
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿وينزل الغيث﴾ في إبانه المقدر له والمحل
المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾
أذكر أم أنثى أتام أو ناقص ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ من خير أو
شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾
كما لا تدري في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى

رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه
يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان نظري إليه تعجبا
إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وإنما جعل العلم لله والدراية
للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على أنه إن عمل
حيلة وأنفذ وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب
له دليلا عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن
﴿إن الله عليم﴾ يعلم الأشياء كلها ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه
عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف

سورة السجدة وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم﴾ إن جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره
﴿تنزيل الكتاب﴾ على أن التنزيل بمعنى المنزل وإن جعل تعديدا للحروف كان
تنزيل خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لا ريب فيه﴾ فيكون ﴿من رب العالمين﴾
حالا من الضمير في فيه لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا ثانيا
ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ﴿أم يقولون افتراه﴾ فإنه إنكار لكونه من رب العالمين وقوله
﴿بل هو الحق من ربك﴾ فإنه تقرير له ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولا
إلى إعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب
عنه ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكارا له وتعجيبا
منه فإن أم منقطعة ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله وبين
المقصود من تنزيله فقال ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ إذ كانوا
أهل الفترة ﴿لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك إياهم ﴿الله الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ مر بيانه في الأعراف
﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ ما لكم إذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم
ويشفع لكم أو ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن نصركم على أن الشفيع متجوز به للناصر فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي
ولا ناصر ﴿أفلا تتذكرون﴾ بمواعظ الله ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾
يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض

ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين
التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه
في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه
الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض
بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين و
الاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد
في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء
خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل
من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن
معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف
فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان
يعني آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة ذريته سميت به لانها تنسل
اي تنفصل من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما
ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب
وان له شأنا له مناسبة الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف
ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض
اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا
بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على
الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ
نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى
جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده
كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا

او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته
وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم
ثم الى ربكم ترجعون للجزاء والحساب ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم
عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا
وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون
اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا
ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع
ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر
ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن
حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق
الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم
العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب
ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح
بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة
والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا
ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه
عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام
وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا
تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم
يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته عن النبي عليه السلام
في تفسيرها قيام العبد في الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين
والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع

يقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً الى الجنة ثم يحاسب سائر
الناس وقيل كانت اناس من الصحابة يصلون المغرب الى العشاء فنزلت
فيهم ❊ ومما رزقناهم ينفقون ❊ في وجوه الخير ❊ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم ❊
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ❊ من قرة اعين ❊ مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام
يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي
واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى جل شانه وقرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل ❊ جزاء بما
كانوا يعملون ❊ اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل
هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم ❊ افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ❊
خارجا عن الايمان ❊ لا يستوون ❊ في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع
للحمل على المعنى ❊ اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ❊ فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان ❊
نزلا ❊ سبق في آل عمران ❊ بما كانوا يعملون ❊ بسبب اعمالهم او على اعمالهم ❊ واما
الذين فسقوا فمأواهم النار ❊ مكان جنة المأوى للمؤمنين ❊ كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها ❊ عبارة عن خلودهم فيها ❊ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون ❊ اهانة لهم وزيادة في غيظهم ❊ ولنذيقنهم من العذاب الادنى ❊
عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ❊ دون
العذاب الاكبر ❊ عذاب الآخرة ❊ لعلهم ❊ لعل من بقي منهم ❊ يرجعون ❊ يتوبون عن
الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ❊ ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ❊ فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها
مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في
بيت الحماسة ❊ لا يكشف الغماء الا ابن حرة ❊ يرى غمرات الموت ثم يزورها ❊
انا من المجرمين منتقمون ❊ فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ❊ ولقد آتينا موسى
الكتاب ❊ كما آتيناك ❊ فلا تكن في مرية ❊ شك ❊ من لقائه ❊ من لقائك الكتاب

لقوله وانك لتلقى القرآن فانا لقيناك من الكتاب مثل ما لقيناه منه وليس
ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك
موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا
جعدا كانه من رجال شنوءة ❊ وجعلناه ❊ اي المنزل على موسى ❊ هدى لبني
اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون ❊ الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام
❊ بامرنا ❊ اياهم او بتوفيقنا له ❊ لما صبروا ❊ وقرأ حمزة والكسائي ورويس
لما صبروا والصبر هو على الطاعة او عن الدنيا ❊ وكانوا بآياتنا يوقنون ❊
لامعانهم فيها النظر ❊ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة ❊ فيميز الحق من
الباطل بتمييز المحق من المبطل ❊ فيما كانوا فيه يختلفون ❊ من امر الدين ❊ اولم
يهد لهم ❊ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون ❊ اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير
الله بدلالة القراءة بالنون ❊ يمشون في مساكنهم ❊ يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم
على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ❊ ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ❊ سماع
تدبر واتعاظ ❊ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز ❊ التي جرز نباتها
اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله ❊ فنخرج به زرعا ❊ وقيل اسم موضع باليمن
تاكل منه ❊ من الزرع ❊ انعامهم ❊ كالتبن والورق ❊ وانفسهم ❊ كالحب والثمر
❊ افلا يبصرون ❊ فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ❊ ويقولون متى هذا
الفتح ❊ النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ❊ ان كنتم صادقين ❊
في الوعد به ❊ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ❊ وهو يوم
القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح
مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانهم لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا
يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم
لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بالمنع من الاستعجال ❊ فاعرض عنهم ❊
ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف ❊ وانتظر ❊ النصرة عليهم ❊
انهم منتظرون ❊ الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي عليه السلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك
اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره
بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا
عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين
روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة
التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب ابن قشير وجد بن قيس
فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع
ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح
اليك ما يصلحه ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو
ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر
جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل
ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله عليه السلام
ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض
وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين
لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو
اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله
وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء
الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف
وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد

وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من
الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا
في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الايلاء
وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر
الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء
جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة
الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي
والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل
الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقوال الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق
فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين
ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس
عليكم جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي
او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت
او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم
ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب
لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها
فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق
فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم
عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس
بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي
في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار
المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم
وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء واولوا
الارحام وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان
في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله

في اللوح أو فيما أنزل فهو نسخ الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله ﴿من المؤمنين
والمهاجرين﴾ بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي أولو الأرحام بحق القرابة
أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة ﴿إلا أن تفعلوا
إلى أوليائكم معروفا﴾ استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل
المعروف التوصية أو منقطع ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ كان ما ذكر في الآيتين
ثابتا في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾
مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ﴿ومنك
ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ خصهم بالذكر لأنهم مشاهير أرباب
الشرائع وقدم نبينا تعظيما له ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ عظيم الشأن أو مؤكدا
باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أي
فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه
لقومهم أو تصديقهم إياهم تبكيتا لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق
الصادق صادق أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على
أنفسهم عن صدقهم عهدهم ﴿وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ عطف على أخذنا من
حيث إن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين أو على ما دل عليه
ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفا ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ ريح الصبا
﴿وجنودا لم تروها﴾ الملائكة روي أنه لما سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة
ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب
شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال
طلحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أي بما يعمل المشركون
من التحزب والمحاربة ﴿بصيرا﴾ رائيا ﴿إذ جاؤوكم﴾ بدل من إذ جاءتكم ﴿من فوقكم﴾
من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ﴿ومن أسفل منكم﴾ من أسفل الوادي

من قبل المغرب قريش ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة
وشخوصا ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ رعبا فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع
فيرتفع بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب
﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ الأنواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب
أن الله ينجز وعده في إعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والألف مزيدة في أمثاله تشبيها للفواصل
وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبو عمرو
وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ اختبر فظهر
المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ من شدة
الفزع وقرئ زلزالا بالفتح ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾
ضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الظفر وإعلاء الدين ﴿إلا غرورا﴾
وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم و
أحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾
يعني أوس بن قيظي وأتباعه ﴿يا أهل يثرب﴾ أهل المدينة وقيل هو اسم أرض
وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لا مقام﴾ موضع قيام ﴿لكم﴾ هاهنا وقرأ حفص بالضم
على أنه مكان أو مصدر من أقام ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام
لكم على دين محمد فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا
كفارا ليمكنكم المقام بها ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ للرجوع ﴿يقولون إن
بيوتنا عورة﴾ غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت
الدار إذا اختلت وقد قرئ بها ﴿وما هي بعورة﴾ بل هي حصينة ﴿إن يريدون
إلا فرارا﴾ ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال ﴿ولو دخلت عليهم﴾ دخلت
المدينة أو بيوتهم ﴿من أقطارها﴾ من جوانبها وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول
هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب
عليه ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ الردة ومقاتلة المسلمين ﴿لآتوها﴾ لأعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها ﴿وما تلبثوا بها﴾ بالفتنة أي بإعطائها
﴿إلا يسيرا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا
يسيرا ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ يعني بني حارثة عاهدوا

رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا
عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
فانه لابد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى
عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم
يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كقوله
متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين
منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من
ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون
البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما
امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم
الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة
جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه
او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة
سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط
بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل
او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا
لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة

عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة
وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا
حديدا اى هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اى ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة
او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان
يوم الآخرة يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة
لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان الضمير المخاطب لا يبدل منه
وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان
المؤتسي بالرسول عليه السلام من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا الآية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة
لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله
ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا
في البلاء واظهار الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء
الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق
فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان
ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه
تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام
يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين
قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى

والتوبة عليهم شرط بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ﴿إن الله كان
غفورا رحيما﴾ لمن تاب ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ يعني الاحزاب ﴿بغيظهم﴾
متغيظين ﴿لم ينالوا خيرا﴾ غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ﴿وكفى
الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة ﴿وكان الله قويا﴾ على احداث ما يريده
﴿عزيزا﴾ غالبا على كل شيء ﴿وانزل الذين ظاهروهم﴾ ظاهروا الاحزاب
﴿من اهل الكتاب﴾ يعني قريظة ﴿من صياصيهم﴾ من حصونهم جمع صيصية
وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك ﴿وقذف
في قلوبهم الرعب﴾ الخوف وقرئ بالضم ﴿فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا﴾ وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله عليه السلام صبيحة
الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لأمتك والملائكة لم يضعوا السلاح
ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه الصلاة والسلام
وقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر
سبعمائة ﴿واورثكم ارضهم﴾ مزارعهم ﴿وديارهم﴾ حصونهم ﴿واموالهم﴾
نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين
فتكلم فيه الانصار وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه
لي طعمة ﴿وارضا لم تطؤها﴾ كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح
الى يوم القيامة ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ فيقدر على ذلك ﴿يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا﴾ السعة والتنعم فيها ﴿وزينتها﴾
زخارفها ﴿فتعالين امتعكن﴾ اعطكن المتعة ﴿واسرحكن سراحا جميلا﴾
طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح
بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا
اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن

علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده
طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان
الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية
واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن
بالرفع على الاستيناف ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما﴾ يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن
كن محسنات ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة﴾ بكبيرة ﴿مبينة﴾ ظاهرة قبحها
﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب
منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل
حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان
يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب
﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو
سببه ﴿ومن يقنت منكن﴾ ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله﴾ ولعل
ذكر الله للتعظيم لقوله ﴿وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة ومرة
على طلبهن رضاء النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل
بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله ﴿واعتدنا لها رزقا
كريما﴾ في الجنة زيادة على اجرها ﴿يا نساء النبي لستن كاحد من النساء﴾ اصل احد وحد
بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا
مثل قول المريبات ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ فجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
﴿وقلن قولا معروفا﴾ حسنا بعيدا عن الريبة ﴿وقرن في بيوتكن﴾ من وقر يقر
وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر
وهو لغة ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ﴿ولا تبرجن﴾ ولا تتبخترن في مشيكن
﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل

هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر :: واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله :: في سائر ما امركم به ونهاكم عنه :: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس :: الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم :: اهل البيت :: نصب على النداء او المدح :: ويطهركم تطهيرا :: عن المعاصي واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم :: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة :: من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار بما كلفن به :: ان الله كان لطيفا خبيرا :: يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته :: ان المسلمين والمسلمات :: الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله :: والمؤمنين والمؤمنات :: المصدقين بما يجب ان يصدق :: والقانتين والقانتات :: المداومين على الطاعة :: والصادقين والصادقات :: في القول والعمل :: والصابرين والصابرات :: على الطاعات وعن المعاصي :: والخاشعين والخاشعات :: المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم :: والمتصدقين والمتصدقات :: بما وجب في مالهم :: والصائمين والصائمات :: الصوم المفروض :: والحافظين فروجهم والحافظات :: عن الحرام :: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات :: بقلوبهم والسنتهم :: اعد الله لهم مغفرة :: لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات :: واجرا عظيما :: على طاعتهم والآية

وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات :: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة :: ما صح له :: اذا قضى الله ورسوله امرا :: اي قضى رسول الله شيئا وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من زيد :: ان يكون لهم الخيرة من امرهم :: ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول للعموم من مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء :: ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا :: بين الانحراف عن الصواب :: واذ تقول للذي انعم الله عليه :: بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه :: وانعمت عليه :: بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة :: امسك عليك زوجك :: زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك :: واتق الله :: في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها :: وتخفي في نفسك ما الله مبديه :: وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها :: وتخشى الناس :: تعييرهم اياك به :: والله احق ان تخشاه :: ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه :: فلما قضى زيد منها وطرا :: حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها :: زوجناكها :: وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي

وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر تزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد
ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه :: لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا :: علة للتزويج
وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل :: وكان امر الله :: امره
الذي يريده :: مفعولا :: مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب :: ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له :: قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العساكر
لارزاقهم :: سنة الله :: سن ذلك سنة :: في الذين خلوا من قبل :: من الانبياء وهو
نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم :: وكان امر الله قدرا مقدورا :: قضاء مقضيا وحكما
مبتوتا :: الذين يبلغون رسالات الله :: صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او
مرفوع وقرئ رسالة الله :: ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله :: تعريض بعد التصريح
:: وكفى بالله حسيبا :: كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه :: ما كان
محمد ابا احد من رجالكم :: على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا
مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم :: ولكن رسول الله :: وكل رسول ابو
امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم
ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد
على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر :: وخاتم النبيين
:: وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق
بمنصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا
يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ
:: وكان الله بكل شيء عليما :: فيعلم من يليق ان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه ::
يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا :: يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله
من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد :: وسبحوه بكرة واصيلا :: اول النهار
وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة :: هو الذي يصلي عليكم :: بالرحمة :: وملائكته :: بالاستغفار

لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم و
ظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من
الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة
ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ::
ليخرجكم من الظلمات الى النور :: من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة ::
وكان بالمؤمنين رحيما :: حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك
ملائكته المقربين :: تحيتهم :: من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون :: يوم يلقونه ::
يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة :: سلام :: اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وآفة :: واعد لهم اجرا كريما :: هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل
والمبالغة فيما هو اهم :: يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا :: على من بعثت اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة :: ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
:: الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته :: باذنه :: بتيسيره وقيل
من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من
جناب قدسه :: وسراجا منيرا :: يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره
انوار البصائر :: وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا :: على سائر الامم او على
اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك :: ولا تطع الكافرين
والمنافقين :: تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم :: ودع اذاهم :: ايذاءهم اياك
ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ
بآية السيف :: وتوكل على الله :: فانه يكفيهم :: وكفى بالله وكيلا :: موكولا اليه الامر
في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه
فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر
بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي
الى الله تعالى بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره
برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره :: يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن :: تجامعوهن :: فما لكم عليهن من عدة ::
ايام يتربصن فيها بانفسهن :: تعتدونها :: تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج

لما سوبه فالكم وقرأ ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء او على
انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة
وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا
لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر
في النسب يؤثر في العدة ❊ فمتعوهن ❊ اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض
لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك
بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها ❊ وسرحوهن ❊ اخرجوهن
من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة ❊ سراحا جميلا ❊ من غير ضرار ولا منع حق ولا
يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن ❊ يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن ❊ مهورهن لان المهر اجر
على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة ليس لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل
كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله ❊ وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك ❊
فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات
معه في قوله ❊ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك ❊ ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ
بنت ابي طالب خطبني رسول الله عليه الصلوة والسلام فاعتذرت اليه فعذرني
ثم انزل هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء ❊ وامرأة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي ❊ نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه
التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة
مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية و
ام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة
ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ❊ ان اراد النبي ان يستنكحها ❊ شرط
للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب حلها الا بارادته
نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع
اليه في قوله ❊ خالصة لك من دون المؤمنين ❊ ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته
وتقرير لاستحقاق الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ

الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح
طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها واحلال ما احللنا
لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر
محذوف اي هبة خالصة ❊ قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم ❊ من شرائط العقد
ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم ❊ وما ملكت ايمانهم ❊ من توسيع الامر
فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله ❊ لكيلا يكون عليك
حرج ❊ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك
لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة و
العكس اخرى ❊ وكان الله غفورا ❊ لما يعسر التحرز عنه ❊ رحيما ❊ بالتوسعة في
مظان الحرج ❊ ترجي من تشاء منهن ❊ تؤخرها وتترك مضاجعتها ❊ وتؤوي اليك
من تشاء ❊ وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة
والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ❊ ومن ابتغيت ❊ طلبت ❊ ممن عزلت ❊
طلقت بالرجعة ❊ فلا جناح عليك ❊ في شيء من ذلك ❊ ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ❊ ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن
وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ
تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين
وقرئ بالنصب تأكيدا لهن ❊ والله يعلم ما في قلوبكم ❊ فاجتهدوا في احسانه ❊
وكان الله عليما ❊ بذات الصدور ❊ حليما ❊ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ❊
لا يحل لك النساء ❊ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء
❊ من بعد ❊ من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو
ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ❊ ولا ان تبدل بهن من ازواج ❊ فتطلق واحدة
وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ❊ ولو اعجبك حسنهن ❊ حسن
الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها
قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة

اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر :: الا ما ملكت
يمينك :: استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع :: وكان
الله على كل شيء رقيبا :: فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم :: يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم :: الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم
:: الى طعام :: متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول
على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله :: غير ناظرين اناه :: غير منتظرين
وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون
جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة
والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك :: ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا :: تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول
الله عليه السلام فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم :: ولا
مستانسين لحديث :: لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع عطف على
ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين :: ان ذلكم :: اللبث
:: كان يؤذي النبي :: لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه :: فيستحيي
منكم :: من اخراجكم لقوله :: والله لا يستحيي من الحق :: يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك
حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء
حركتها على الحاء :: واذا سالتموهن متاعا :: شيئا ينتفع به :: فاسالوهن :: المتاع
:: من وراء حجاب :: ستر روي ان عمر رض قال يا رسول الله يدخل عليك البر و
الفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت :: ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ::
من الخواطر الشيطانية :: وما كان لكم :: وما صح لكم :: ان تؤذوا رسول الله :: ان تفعلوا
ما يكرهه :: ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا :: من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم
يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رض فهم برجمها
فاخبر انه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير :: ان ذلكم :: يعني ايذاءه
ونكاح نسائه :: كان عند الله عظيما :: ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال :: ان تبدوا شيئا :: كنكاحهن على

السنتكم :: او تخفوه :: في صدوركم :: فان الله كان بكل شيء عليما :: فيعلم ذلك
فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد
:: لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن :: استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال
الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت
وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله
ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاها
لابنائهما :: ولا نسائهن :: يعني نساء المؤمنات :: ولا ما ملكت ايمانهن :: من العبيد و
الاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور :: واتقين الله :: فيما امرتن
:: ان الله كان على كل شيء شهيدا :: لا يخفى عليه خافية :: ان الله وملائكته يصلون
على النبي :: يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه :: يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه :: اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد :: وسلموا
تسليما :: وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية
تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره
لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره
استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز و جل
وان كان عزيزا وجليلا :: ان الذين يؤذون الله ورسوله :: يرتكبون ما يكرهانه
من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر ومجنون ونحو
ذلك وذكر الله للتعظيم ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولين :: لعنهم الله :: ابعدهم من رحمته :: في الدنيا والاخرة واعد لهم
عذابا مهينا :: يهينهم مع الايلام :: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما
اكتسبوا :: بغير جناية استحقوا بها :: فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا :: ظاهرا قيل انها
نزلت في المنافقين يؤذون عليا رض وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا
يتبعون النساء وهن كارهات :: يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن :: يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن
اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض

ذلك أدنى أن يعرفن يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن
أهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي
مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم
مرض ضعف إيمان وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم
والمرجفون في المدينة يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم
وأصل الإرجاف التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الأخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت
لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك
عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم
فيها في المدينة إلا قليلا زمانا أو جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم
أو الحال والاستثناء شامل له أيضا أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب
عن قوله أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الأمم الماضية
وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا لأنه لا يبدلها أو لا يقدر أحد أن يبدلها يسألك الناس
عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أو امتحانا قل إنما علمها عند الله
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا أو تكون
الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى
اليوم وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين وأعد لهم
سعيرا نارا شديدة الإيقاد خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا
نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة إلى جهة
كاللحم يشوى بالنار أو من حال إلى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ
ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا لأنهم ضلوا وأضلوا
والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظم
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فأظهر براءته

من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها
فعصمه الله كما مر في القصص أو اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات
هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته
أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه
بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله
وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله
وقولوا قولا سديدا قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن
ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها
بالقبول والإثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل
ومن يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في
الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة
وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على
هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين إنه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها
وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب وقيل المراد بالأمانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من
غيره وبحملها الخيانة والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الأمانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرأ ذمته فيكون الإباء عنه إتيانا بما يمكن أن يأتي منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير
وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت
جنة لمن أطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا
نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما
يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن
اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة و
الاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من
القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل

ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود
التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث
انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بأن كونهم
ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب
على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت
يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر صدق النبي عليه الصلوة والسلام

سورة سبا مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا ونعمة
فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لأن ما في الآخرة أيضا
كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فإن الوصف بما يدل على أنه المنعم
بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد
يكون بوساطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم
الذي أحكم أمور الدارين الخبير ببواطن الأشياء يعلم ما يلج في الأرض
كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والأموات وما يخرج
منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء
كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق وما يعرج فيها
كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين
في شكر نعمته مع كثرتها أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء
بالوعد به قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب
تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه
وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة
ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ
خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقرأ الكسائي لا
يعزب بالكسر ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة مؤكدة
لنفي العزوب ورفعهما للابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز

عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت
في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب
شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة
لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك لهم مغفرة ورزق كريم
لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس
فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي
مثبطين عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب
أليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين أوتوا العلم
ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من مسلمي أهل الكتاب
الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ
والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد
بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي أي
وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا
ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى
وقال الذين كفروا يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا
مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أنكم تنشئون خلقا جديدا بعد أن تمزق
كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة
فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف
أو محجوب بينه وبينه بأن وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت
بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كجدد من جد
وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه افترى على الله كذبا أم
به جنة جنون يوهم ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء
غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون
عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين حيث أن الافتراء أخص من الكذب بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم

واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث
لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما
عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به
على الاسناد المجازي ○ افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ○ تذكير بما يعاينونه مما
يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء
وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض
ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف
ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ○ ان في ذلك ○ النظر
والفكر فيهما وما يدلان عليه ○ لآية ○ لدلالة ○ لكل عبد منيب ○ راجع الى ربه فانه
يكثر التأمل في امره ○ ولقد آتينا داود منا فضلا ○ اي على سائر الانبياء وهو
ما ذكر بعده او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت
الحسن ○ يا جبال اوبي معه ○ رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك
اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل فيها او سيري
معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو
بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا ○ والطير ○ عطف على محل جبال ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية
او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره
وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال
والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها ○ والنا له الحديد ○
جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته ○ ان
اعمل ○ امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية ○ سابغات ○ دروعا واسعات
وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها ○ وقدر في السرد ○ وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بانها
دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد ○ واعملوا صالحا ○ الضمير فيه

لداود واهله ○ اني بما تعملون بصير ○ فاجازيكم عليه ○ ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ
الرياح ○ غدوها شهر ورواحها شهر ○ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها ○ واسلنا له عين القطر ○ النحاس المذاب
اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك
باليمن ○ ومن الجن من يعمل بين يديه ○ عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة
او جملة من مبتدأ وخبر ○ باذن ربه ○ بامره ○ ومن يزغ منهم عن امرنا ○ ومن
يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه ○ نذقه من عذاب
السعير ○ عذاب الآخرة ○ يعملون له ما يشاء من محاريب ○ قصورا حصينة ومساكن
شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها ○ وتماثيل ○ وصورا
او تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوه من العبادات ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما ○ وجفان ○ وصحاف ○ كالجواب ○ كالحياض الكبار
جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة ○ وقدور راسيات ○
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها ○ اعملوا آل داود شكرا ○ حكاية لما قيل
لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل
شكر او الوصف له او الحال او المفعول به ○ وقليل من عبادي الشكور ○ المتوفر
على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
○ فلما قضينا عليه الموت ○ اي على سليمان ○ ما دلهم على موته ○ ما دل الجن وقيل آله
○ الا دابة الارض ○ اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة
من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت الخشبة ارضا مثل
اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا ○ تأكل منسأته ○ عصاه من نسأت
البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على
غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة ومن
سأته اي طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة

نافع وأبو عمرو منساته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة
وحمزة إذا وقف جعلها بين بين ﴿فلما خر تبينت الجن﴾ علمت الجن بعد التباس
الأمر عليهم ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أنهم لو كانوا
يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره
إلى أن خر أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب وذلك أن داود عليه السلام أسس بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد
إذ دنا أجله فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير
ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك
حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة
على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة
بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ﴿لقد كان لسبأ﴾ لأولاد سبأ بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وعن
ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب
﴿في مسكنهم﴾ في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع ﴿آية﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار وأنه
قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق
كما في قصتي داود وسليمان ﴿جنتان﴾ بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين ﴿عن يمين
وشمال﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضامها
كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله ﴿كلوا من رزق
ربكم واشكروا له﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء
بأن يقال لهم ذلك ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ استئناف للدلالة على موجب
الشكر أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت أخصب

البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة ﴿فأعرضوا﴾ عن الشكر ﴿فأرسلنا عليهم سيل
العرم﴾ سيل الأمر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه
وصعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف إليه السيل لأنه نقب عليهم سكرا ضربت لهم
بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون إليه أو المسناة التي عقدت
سكرا على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك
بين عيسى ومحمد عليهما السلام ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ ثمر بشع فإن الخمط
كل نبت أخذ طعما من مرارة وقيل الأراك أو كل شجر لا شوك له والتقدير أكل أكل خمط
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلا أو عطف بيان ﴿وأثل وشيء
من سدر قليل﴾ معطوفان على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا
بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فإن جناه وهو النبق مما يطيب
أكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ
أبو عمرو ذواتي أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف الأكل ﴿ذلك جزيناهم
بما كفروا﴾ بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيا
فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾
وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة
يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل ﴿وقدرنا فيها السير﴾
بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام ﴿سيروا
فيها﴾ على إرادة القول بلسان المقال أو الحال ﴿ليالي وأياما﴾ متى شئتم من ليل
ونهار ﴿آمنين﴾ لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا آمنين وإن
طالت مدة سفركم فيها أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن
﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ أشروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل فسألوا
الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا على الفقراء فيها بركوب الرواحل
وتزود الأزواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام
بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطا في الترفه و
عدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء

واسفاراً الفعل الى بين. وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها.
فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا.
ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان. ان في ذلك فيما ذكر. لآيات لكل صبار
عن المعاصي شكور على النعم. ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او
صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده
لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقاً وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقاً والتخفيف بمعنى قال له
ظنه الصدق حين خيل اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين
رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب
فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم
فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين الا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون.
وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقاً يترتب عليه الجزاء
او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول
العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى. وربك على كل شيء حفيظ
محافظ والزنتان متآخيتان. قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة
وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الصلة والثاني لقيام صفته وهي من دون الله
مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاماً ولا لا يملكون لانهم
لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح
دعواكم ثم اجاب عنهم اشعاراً بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون
بانفسهم واختيارهم. مثقال ذرة من خير او شر. في السموات ولا في الارض.
في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب و
بعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية و
الجملة استئناف لبيان حالهم. وما لهم فيهما من شرك. من شركة لا خلقاً ولا ملكاً.
وما له منهم من ظهير. يعينه على تدبير امرهما. ولا تنفع الشفاعة عنده. ولا تنفعهم

شفاعتهم ايضاً كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله. الا لمن اذن له. اذن له ان
يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في
قولك الكرم لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة وعلى الثاني كاللام في جئتك
لزيد. حتى اذا فزع عن قلوبهم. غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفاً وانتظاراً للاذن
اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن
وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمناً وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء
للفاعل وقرئ فرغ اي نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فني. قالوا. قال بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم في الشفاعة. قالوا الحق. قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق. وهو العلي الكبير. ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه. قل من يرزقكم من السموات
والارض. يريد به تقرير قوله لا يملكون. قل الله. اذ لا جواب سواه وفيه اشعار
بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم. وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين. اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد
بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب
الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ
الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان: اتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي
كمن صعد مناراً ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جواداً يركضه حيث يشاء والضال
كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئاً او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى
منها. قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون. هذا ادخل في الانصاف وابلغ
في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين. قل يجمع بيننا
ربنا. يوم القيامة. ثم يفتح بيننا بالحق. يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار. وهو الفتاح. الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة. العليم. بما ينبغي ان
يقضى به. قل اروني الذين الحقتم به شركاء. لارى باي صفة الحقتموهم به في
استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم.
كلا. ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة. بل هو الله العزيز الحكيم. الموصوف

بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأساً والضمير لله أو للشأن. وما أرسلناك إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو إلا جامعاً لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالاً من الناس على المختار. بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك. ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا. إن كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين. قل لكم ميعاد يوم وعد يوم أو زمان وعد وإضافته إلى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ على البدل وقرئ يوماً بإضمار أعني. لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار. وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة. ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم أي في موضع المحاسبة. يرجع بعضهم إلى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول. يقول الذين استضعفوا يقول الأتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا أنتم لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الإنكار على الاسم. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إضراب عن إضرابهم أي لم يكن إجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتى أغرتم علينا رأينا. إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً والعاطف يعطفه على كلامهم الأول وإضافة المكر إلى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور. وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها فإنه من الأضداد إذ الهمزة تصلح للإثبات وللسلب كما في أشكيته. وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويهاً بذمهم

وإشعاراً بموجب أغلالهم. هل يجزون إلا ما كانوا يعملون أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم وتعديته يجزى إما لتضمين معنى يقضى أو لنزع الخافض. وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها تسلية لرسول الله عليه السلام مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب فقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع. وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً فنحن أولى بما تدعون إن أمكن. وما نحن بمعذبين إما لأن العذاب لا يكون أو لأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب. قل رداً لحسبانهم إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته. ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة وكثيراً ما يكون للاستدراج كما قال. وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي إما لأن المراد وما جماعة أموالكم وأولادكم أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي أي بالشيء الذي يقربكم. إلا من آمن وعمل صالحاً استثناء من مفعول تقربكم أي الأموال والأولاد لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف. فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أن يجازوا الضعف إلى عشر فما فوقه والإضافة إضافة المصدر إلى المفعول وقرئ بالإعمال على الأصل وعن يعقوب رفعهما على إبدال الضعف ونصبه على التمييز أو المصدر لفعله الذي دل عليه لهم. وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس. والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا. أولئك في العذاب محضرون. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير. وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً. وهو خير الرازقين فإن غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيته. ويوم نحشرهم جميعاً المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون تقريعاً للمشركين وتبكيتاً لهم وإقناطاً لهم عما يتوقعون

من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن
عبادتهم مبدأ الشرك واصله ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ انت
الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا
بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم في الحقيقة بقولهم ﴿بل كانوا يعبدون
الجن﴾ اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم و
يخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ الضمير الاول للانس
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾
اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ﴿ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ عطف على لا يملك مبين للمقصود من
تمهيده ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا﴾ يعنون محمدا عليه السلام
﴿إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه ﴿وقالوا ما هذا﴾
يعنون القرآن ﴿إلا إفك﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع ﴿مفترى﴾ باضافته الى الله
عز وجل سبحانه ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ لامر النبوة او للاسلام او للقرآن
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ ظاهر
سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ فيها دليل على صحة الاشراك ﴿وما أرسلنا
إليهم قبلك من نذير﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن
اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال
﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ كما كذبوا ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ وما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما
آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ فحين كذبوا رسلي
جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب
لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه
بالفاء ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه
﴿أن تقوموا لله﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله
معرضا عن المراء والتقليد ﴿مثنى وفرادى﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا

قوله او البيان اعترض ابو حيان على الزمخشري بان واحدة نكرة وان تقوموا معرفة
تقديره فيام ... وعطف البيان فيه مذهبان احدهما انه يشترط فيه ان يكونا معرفة
من معرفة ... مذهب البصريين والثاني انه لا يمتنع ... التعريف و
التنكير وهو مذهب الكوفيين واما التخالف فلم يذهب اليه
ذاهب واعتذر عنه ... في مغنى اللبيب بانه
عبر بالبدل بعطف البيان ...
يمشي هذا الاعتذار في كلام المصنف
لجمعه بين البدل وعطف
البيان سعدي

فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ﴿ثم تتفكروا﴾ في امر محمد وما جاء به
لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو واعني
﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما
عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير و
خطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي
نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى
ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾
قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ اي شيء سألتكم على
الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفي السؤال كأنه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما
الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان
يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من
اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى و
اتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ﴿إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾
مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ يلقيه وينزله على من
يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا
باظهار الاسلام وافشائه ﴿علام الغيوب﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل
من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا
باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالعشور
وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب ﴿قل جاء الحق﴾ اي الاسلام ﴿وما
يبدئ الباطل وما يعيد﴾ وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر
مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله
عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا
ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها
﴿قل إن ضللت﴾ عن الحق ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها
اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله
﴿وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه ﴿إنه سميع قريب﴾
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ عند الموت

أو البعث أو يوم بدر، وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعاً. فلا فوت: فلا يفوتون
الله بهرب أو تحصن. وأخذوا من مكان قريب: من ظهر الأرض إلى بطنها أو من
الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القليب، والعطف على فزعوا أو لا فوت، ويؤيده
أنه قرئ وأخذٌ عطفاً على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ. وقالوا آمنا به: بمحمد
وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم. وأنى لهم التناوش: ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان
تناولاً سهلاً. من مكان بعيد: فإنه في حيز التكليف وقد بعد عنهم، وهو تمثيل حالهم في
الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم، أو أنه بحال من يريد أن يتناول الشيء
من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة. وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب
الواو لضمها، أو أنه من نأشت الشيء إذا طلبته، قال رؤبة: أقحمني جار أبي الخاموش إليك
نأش القدر النؤوش، أو من نأشت إذا تأخرت، ومنه قوله: تمنى نئيشاً أن يكون أطاعني
وقد حدثت بعد الأمور أمور، فيكون بمعنى التناول من بعد. وقد كفروا به: بمحمد أو بالعذاب
من قبل: ذلك أوان التكليف. ويقذفون بالغيب: ويرجمون بالظن ويتكلمون بما
لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن، أو في العذاب من البت على نفيه. من مكان بعيد:
من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي تمحلوها في أمر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من
قبل، ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه. وقرئ ويُقذَفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك، والعطف على
وقد كفروا على حكاية الحال الماضية، أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل
ما ضيعوا من الإيمان في الدنيا. وحيل بينهم وبين ما يشتهون: من نفع الإيمان والنجاة من
النار. وقرأ ابن عامر والكسائي بإشمام الضم للحاء. كما فعل بأشياعهم من قبل: بأشباههم
من كفرة الأمم الدارجة. إنهم كانوا في شك مريب: موقع في الريبة أو ذي ريبة
منقول من المشكك أو الشاك، نعت به الشك للمبالغة. عن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً

سورة الملائكة وآيها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله فاطر السموات والأرض: مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه
شق العدم بإخراجهما منه، والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي. جاعل الملائكة رسلاً:
وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي
والإلهام والرؤيا الصادقة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. أولي أجنحة

مثنى وثلاث ورباع: ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب
ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما
أمرهم به، ولعله لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها لما روي أنه عليه السلام
رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. يزيد في الخلق ما يشاء: استئناف
للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم
لأن اختلاف الأصناف والأنواع بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة
تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو محال، والآية متناولة زيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس. إن الله على
كل شيء قدير: وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض إنما هو من جهة الإرادة.
ما يفتح الله للناس: ما يطلق لهم ويرسل، وهو من تجوز السبب للمسبب. من رحمة:
كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة. فلا ممسك لها: يحبسها. وما يمسك فلا مرسل له:
يطلقه، واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب
وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه. من بعده: من بعد إمساكه. وهو العزيز:
الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه. الحكيم: لا يفعل إلا بعلم وإتقان، ثم لما
بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه
فقال: يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم: احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها
وطاعة موليها، ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله:
هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون: فمن أي
وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به. ورفع غير للحمل على محل خالق بأنه وصف
أو بدل فإن الاستفهام بمعنى النفي، أو لأنه فاعل خالق. وجره حمزة والكسائي حملاً على
لفظه، وقد نصب على الاستثناء. ويرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له، أو كلام
مبتدأ، وعلى الأخير يكون إطلاق هل من خالق مانعاً من إطلاقه على غير الله. وإن
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك: أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم، فوضع
فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب، وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة
التسلية والحث على المصابرة. وإلى الله ترجع الأمور: فيجازيك وإياهم على الصبر
والتكذيب. يا أيها الناس إن وعد الله: بالحشر والجزاء. حق: لا خلف فيه.
فلا تغرنكم الحياة الدنيا: فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. ولا يغرنكم بالله

الغرور: الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت
لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو
مصدر او جمع كقعود: ان الشيطان لكم عدو: عداوة عامة قديمة: فاتخذوه عدوا
في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم: انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير: تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى
والركون الى الدنيا: الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير: وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني
الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله: افمن زين له سوء عمله
فرآه حسنا: تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله
حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف
الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة: فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء: وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات:
ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات
الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية
للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان
للمتحسر عليه: ان الله عليم بما يصنعون: فيجازيهم عليه: والله الذي ارسل الرياح
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح: فتثير سحابا: على حكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية
ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر:
فسقناه الى بلد ميت: وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء: فاحيينا به
الارض: بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر
مطرا: بعد موتها: بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص
لما فيهما من مزيد الصنع: كذلك النشور: اي مثل احياء الموات نشور الاموات
في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك
لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه اجساد

الخلق: من كان يريد العزة: اي الشرف والمنعة: فلله العزة جميعا: اي فليطلبها
من عنده فان كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول: اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه: بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل
لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول و
هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة
القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا
قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل
والذين يمكرون السيئات: المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي عليه السلام
في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلث حبسه وقتله واجلائه: لهم عذاب
شديد: لا يؤبه دونه بما يمكرون به: ومكر اولئك هو يبور: يفسد ولا ينفذ لان
الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله: والله خلقكم من تراب: بخلق آدم منه
ثم من نطفة: بخلق ذريته منها: ثم جعلكم ازواجا: ذكرانا واناثا: وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه: الا معلومة له: وما يعمر من معمر: وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر
ولا ينقص من عمره: من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من
عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على
التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل
الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان
يكتب فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره
وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل
الا في كتاب: هو علم الله او اللوح او الصحيفة: ان ذلك على الله يسير:
اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص: وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج: ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر
العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ
بالتشديد والتخفيف وملح على فعل: ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها: استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما

اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات
من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر
وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية
العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر بما
يشارك العذب في المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه
في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام
متعلقة بمواخر ويجوز أن يتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك
وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى هي مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة
ذلكم الله ربكم له الملك الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء وفيها إشعار بأن فاعليته
لها موجبة لثبوت الأخبار المترادفة ويحتمل أن يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالألوهية والربوبية
والقطمير لفافة النواة إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم
ويوم القيامة يكفرون بشرككم بإشراككم لهم يقرون ببطلانه ويقولون ما كنتم إيانا
تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالأمر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه
فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي
ما يدعون لهم يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار
سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الإنسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق
عليهم الحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم
آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر ولا تزر وازرة
وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا
مع أثقالهم ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم
وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع مثقلة نفس
أثقلها الأوزار إلى حملها إلى حمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تحمل شيء منه نفي

أن يحمل غيرها شيئا منها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان
المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة إن تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر
وهو أولى من جعل كان تامة فإنها لا تلائم نظم الكلام إنما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه وأقاموا
الصلاة فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن
تطهر عن دنس المعاصي فإنما يتزكى لنفسه إذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو
اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنها من جملة التزكي وإلى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الأعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم و
عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور
ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد
والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب
ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من
الأول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء إن الله يسمع من يشاء هدايته
فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من في القبور ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه عنهم إن أنت إلا نذير
فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على
قلوبهم إنا أرسلناك بالحق محقين أو محقا أو إرسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يكون
صلة لقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق وإن من أمة أهل عصر إلا خلا
مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة
البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولأن الإنذار هو المقصود الأهم من البعثة
وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة
على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل على إرادة
التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم أخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها له أصناف
مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد أي ذو جدد
أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع

جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح :: بيض وحمر مختلف ألوانها
:: بالشدة والضعف :: وغرابيب سود :: عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل
ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر
يفسره سود فإن الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير
ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد
لما فيه من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار :: ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك :: كاختلاف الثمار والجبال :: إنما يخشى الله من عباده العلماء
:: إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان
أخشى منه ولذلك قال عليه السلام إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولهذا أتبعه ذكر
أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو
أخر انعكس الأمر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة
للتعظيم فإن المعظم يكون مهيبا :: إن الله عزيز غفور :: تعليل لوجوب الخشية
لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه :: إن الذين يتلون
كتاب الله :: يداومون قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا و
المراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم
بعد اقتصاص حال المكذبين :: وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية :: كيف اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
:: يرجون تجارة :: تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن :: لن تبور :: لن تكسد ولن
تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله :: ليوفيهم أجورهم :: علة لمدلوله أي ينتفي عنها
الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم
نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون :: ويزيدهم من فضله :: على ما يقابل أعمالهم
:: إنه غفور :: لفرطاتهم :: شكور :: لطاعتهم أي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية و
الزيادة أو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا :: والذي أوحينا إليك من
الكتاب :: يعني القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض :: هو الحق مصدقا
لما بين يديه :: أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته
تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام :: إن الله بعباده لخبير بصير ::
عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل

هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على أن
العمدة في ذلك الأمور الروحانية :: ثم أورثنا الكتاب :: حكمنا بتوريثه منك
أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو أورثناه من الأمم السالفة والعطف على إن الذين
يتلون والذي أوحينا إليك اعتراض لبيان كيفية التوريث :: الذين اصطفينا
من عبادنا :: يعني علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله
اصطفاهم على سائر الأمم :: فمنهم ظالم لنفسه :: بالتقصير في العمل به :: ومنهم مقتصد
:: يعمل به في أغلب الأوقات :: ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله :: بضم التعليم
والإرشاد إلى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت
حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام أما الذين سبقوا
فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك
يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا فأولئك يحبسون في طول المحشر
ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة
الظالمين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد
والسبق عارضان :: ذلك هو الفضل الكبير :: إشارة إلى التوريث أو الاصطفاء
أو السبق :: جنات عدن يدخلونها :: مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو
للمقتصد والسابق فإن المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة
بفعل يفسره الظاهر وقرأ أبو عمرو يدخلونها على بناء المفعول :: يحلون فيها
:: خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية :: من أساور
من ذهب :: من الأولى للتبعيض والثانية للتبيين :: ولؤلؤا :: عطف على ذهب
أي من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محل من أساور :: ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
:: همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته أو من وسوسة إبليس
وغيرها وقرئ الحزن :: إن ربنا لغفور :: للمذنبين :: شكور :: للمطيعين :: الذي
أحلنا دار المقامة من فضله :: من إنعامه وتفضله إذ لا واجب عليه :: لا يمسنا
فيها نصب :: تعب :: ولا يمسنا فيها لغوب :: كلال إذ لا تكليف فيها ولا كد أتبع
نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة :: والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم :: لا يحكم عليهم

بموت ثان :: فيموتوا :: فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون :: ولا يخفف عنهم من عذابها :: بل كلما خبت
زيد اسعارها :: كذلك :: مثل ذلك الجزاء :: نجزي كل كفور :: مبالغ في الكفر او
الكفران وقرا ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى
:: وهم يصطرخون فيها :: يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل
في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته :: ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ::
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح
والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح
والآن تحقق لهم خلافه :: اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير :: جواب من الله
وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين
العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون
سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو
النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب :: فذوقوا فما للظالمين
من نصير :: يدفع العذاب عنهم :: ان الله عالم غيب السموات والارض ::
لا يخفى عليه خافية فلا تخفى عليه احوالهم :: انه عليم بذات الصدور :: تعليل له لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره :: هو الذي جعلكم خلائف
في الارض :: ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء
جمع خليف :: فمن كفر فعليه كفره :: جزاء كفره :: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم
الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا :: بيان له والتكرير للدلالة على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه
والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة :: قل
ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله :: يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم
جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكون :: اروني ماذا خلقوا من الارض ::
بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء
اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه :: ام لهم شرك في السموات :: ام لهم
شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية :: ام
آتيناهم كتابا :: ينطق على انا اتخذناهم شركاء :: فهم على بينة منه :: على حجة من ذلك الكتاب

بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون لهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى
ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل :: بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا :: لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف
الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ::
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا :: كراهة ان تزولا فان الممكن حال
بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع :: ولئن زالتا ان امسكهما
ما امسكهما :: من احد من بعده :: من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء :: انه كان حليما غفورا :: حيث امسكهما
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض و
تخر الجبال هدا :: واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم :: وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود
والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود
والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها
في الهدى والاستقامة :: فلما جاءهم نذير :: يعني محمدا عليه السلام :: ما زادهم :: اي النذير
او مجيئه على التسبب :: الا نفورا :: تباعدا عن الحق :: استكبارا في الارض :: بدل من
نفورا او مفعول له :: ومكر السيء :: اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف
استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف :: ولا يحيق :: ولا يحيط
المكر السيء الا باهله :: وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق
الله :: فهل ينظرون :: ينتظرون :: الا سنة الاولين :: سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم :: فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا :: اذ لا يبدلها بجعله غير
التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله :: اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم :: استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم
الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين :: وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله
ليعجزه من شيء :: ليسبقه ويفوته :: في السموات ولا في الارض انه كان عليما :: بالاشياء
كلها :: قديرا :: عليها :: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا :: من المعاصي :: ما ترك على ظهرها ::
على ظهر الارض :: من دابة :: من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة

الانس اصلح لتوقر ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة :: فاذا جاء اجلهم
فان الله كان بعباده بصيرا :: فيجازيهم على اعمالهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة
الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت
تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي

سورة يس وهي مكية وآيها ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم :: يس :: كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان
بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله
في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او
باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس
وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو :: والقرآن
الحكيم :: ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش وهي واو القسم او العطف ان
جعل يس مقسما به :: انك لمن المرسلين على صراط مستقيم :: لمن الذين ارسلوا
على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط
خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة
صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما :: تنزيل العزيز الرحيم :: خبر محذوف
والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار
اعني او على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن :: لتنذر قوما :: متعلق
بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين :: ما انذر آباؤهم :: قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين
لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارسال او الذي انذر به
او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على
المصدر :: فهم غافلون :: متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله
انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون ::
لقد حق القول على اكثرهم :: يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ::
فهم لا يؤمنون :: لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون :: انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ::
تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم
بالذين غلت اعناقهم :: فهي الى الاذقان :: فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم
يطأطئون رؤوسهم له :: فهم مقمحون :: رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم

لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له ::
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ::
وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في
انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف
ابو جهل ان يرضخ رأس النبي عليه السلام فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع
يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال
مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله :: وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون :: سبق في البقرة تفسيره :: انما تنذر :: انذارا يترتب عليه البغية
المرومة :: من اتبع الذكر :: اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به :: وخشي الرحمن بالغيب
:: وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو
رحمن منتقم قهار :: فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى :: الاموات بالبعث
او الجهال بالهداية :: ونكتب ما قدموا :: ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة ::
وآثارهم :: الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس
ظلم :: وكل شيء احصيناه في امام مبين :: يعني في اللوح المحفوظ :: واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
المفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما :: مثلا اصحاب القرية :: على حذف مضاف اي اجعل
مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ
او بيانا له والقرية انطاكية :: اذ جاءها المرسلون :: بدل من اصحاب القرية والمرسلون
رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله :: اذ ارسلنا اليهم اثنين ::
لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما :: فكذبوهما فعززنا :: فقوينا
وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود
ذكر المعزز به :: بثالث :: هو شمعون :: فقالوا انا اليكم مرسلون :: وذلك انهم كانوا
عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى
غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص و
كان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ

حتى بعثها الى الملك وقال لهما ان الٓه سوى آلهتنا قالا من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين وهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا ۞ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا ۞ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا ۞ وما انزل الرحمن من شيء ۞ وحي ورسالة ۞ ان انتم الا تكذبون ۞ في دعوى رسالته ۞ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ۞ استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم ۞ وما علينا الا البلاغ المبين ۞ الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ... ۞ قالوا انا تطيرنا بكم ۞ تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه ۞ لئن لم تنتهوا ۞ عن مقالتكم هذه ۞ لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ۞ سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم ۞ ائن ذكرتم ۞ وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ ۞ بل انتم قوم مسرفون ۞ قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به ۞ وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى ۞ وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة

وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل خرج واظهر دينه ۞ قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا ۞ على النصح وتبليغ الرسالة ۞ وهم مهتدون ۞ الى خير الدارين ۞ وما لي لا اعبد الذي فطرني ۞ على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال ۞ واليه ترجعون ۞ مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ۞ أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ۞ لا تنفعني شفاعتهم ۞ ولا ينقذون ۞ بالنصر والمظاهرة ۞ اني اذا لفي ضلال مبين ۞ فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء ۞ اني آمنت بربكم ۞ الذي خلقكم ۞ فاسمعون ۞ فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه ۞ قيل ادخل الجنة ۞ قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون بيان المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك ۞ قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ۞ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم ۞ وما انزلنا على قومه من بعده ۞ من بعد اهلاكه او رفعه ۞ من جند من السماء ۞ لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام ۞ وما كنا منزلين ۞ وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة او ريح وامطار شديدة ۞ ان كانت ۞ ما كانت الاخذة او العقوبة ۞ الا صيحة واحدة ۞ صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة ۞ فاذا هم خامدون ۞ ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي

كالنار الساطع والميت كرماده كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور
رماداً بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها
ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان
المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا
او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون
تحسراً من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة
يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف
وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم
من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم
اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير
راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم
القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او
لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها خبر الارض و
الجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف
لبيان كونها آية واخرجنا منها حباً جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى من العيون اي شيئاً من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما
ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه
وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما
عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل
ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص

بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار
لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض
من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجاً لم يطلعهم
الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف
عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر
اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك
وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل
يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند
خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائماً ولا مستقر على ان لا بمعنى
ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه
قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك
الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد
الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد
منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع
دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون
كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعداً لا الشمس ينبغي لها
يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون
النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها
الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد
بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكساً للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض

عن المضاف اليه والتغيير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في
الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط
وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية يقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم
في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك
المشحون المملوء وقيل فلك نوح وحمل الله ذرياتهم انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي
اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع
الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر
او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن
الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت
الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحياة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا
قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او
نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنب
وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا
العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما
بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم
وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا
على ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب
منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين
حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب
المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث
ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فتأتيهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين

وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء
حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد
فكأنه جوز الجمع بين ساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله
فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل
يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين
فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون
وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا
من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة
الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم
الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث
وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب
عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية
فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ
فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في
الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل

على الأرائك: على السرر المزينة. متكئون: وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الأرائك
جملة مستأنفة أو خبر ثان أو متكئون والجار صلة له أو تأكيد للضمير في شغل
أو فاكهون وعلى الأرائك متكئون خبر آخر لأن وأزواجهم عطف على هم للمشاركة
في الأحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه. لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون: ما يدعون به لأنفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل إذا شوى
وجمل لنفسه، أو ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه، أو يتمنون من قولهم ادع
علي ما شئت أي تمن علي، أو ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها، وما موصولة
أو موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها، وقوله: سلام: بدل منها أو صفة أخرى
ويجوز أن يكون خبرها أو خبر محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي ولهم سلام، وقرئ
بالنصب على المصدر أو الحال أي لهم مرادهم خالصا. قولا من رب رحيم: أي يقوله
الله أو يقال لهم قولا كائنا من جهته، والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو
بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم، ويحتمل نصبه على الاختصاص.
وامتازوا اليوم أيها المجرمون: وانفردوا عن المؤمنين، وذلك حين يسار بهم إلى
الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون، وقيل اعتزلوا من كل خير، أو تفرقوا في
النار فإن لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى. ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا
تعبدوا الشيطان: من جملة ما يقال لهم تقريعا وإلزاما للحجة، وعهده إليهم ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره، وجعلها عبادة
الشيطان لأنه الآمر بها المزين لها، وقرئ إعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد
على لغة تميم. إنه لكم عدو مبين: تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه.
وأن اعبدوني: عطف على أن لا تعبدوا. هذا صراط مستقيم: إشارة إلى ما عهد
إليهم أو إلى عبادة، والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه أو بالشق الآخر
والتنكير للمبالغة والتعظيم أو للتبعيض فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم.
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون: رجوع إلى بيان معاداة الشيطان
مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي، والجبل الخلق، وقرأ
يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بضمتين مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو
بضم وسكون مع تخفيف اللام والكل لغات، وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق و
جبلا واحد الأجبال. هذه جهنم التي كنتم توعدون. اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون

ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا. اليوم نختم على أفواههم: نمنعها من الكلام
وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون: بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على أفعالها أو بإنطاق الله إياها، وفي الحديث أنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم
وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم. ولو نشاء لطمسنا على أعينهم: لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة
فاستبقوا الصراط: فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه، وانتصابه بنزع الخافض
أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار، أو جعل المسبوق إليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف
فأنى يبصرون: الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره. ولو نشاء لمسخناهم: بتغيير صورهم
وإبطال قواهم. على مكانتهم: مكانهم بحيث يجمدون فيه، وقرأ أبو بكر مكاناتهم. فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون: ولا رجوعا، فوضع الفعل موضعه للفواصل، وقيل ولا يرجعون
عن تكذيبهم، وقرئ مضيا بإتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا
كالصبي، والمعنى أنهم بكفرهم ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول
الرحمة لهم واقتضاء الحكمة إمهالهم. ومن نعمره: ومن نطل عمره. ننكسه في الخلق: نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره، وقرأ عاصم وحمزة
ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر. أفلا يعقلون: أن من قدر على ذلك قدر
على الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدريج، وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله. وما علمناه الشعر: رد لقولهم إن محمدا شاعر
أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فإنه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه
الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها. وما ينبغي له: وما يصح له الشعر
ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة، وقوله أنا النبي
لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وقوله هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما
لقيت، اتفاقي من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف
المنثورات على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي أنه حرك
الباءين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية، وقيل الضمير في له للقرآن أي
ما يصح للقرآن أن يكون شعرا. إن هو إلا ذكر: عظة وإرشاد من الله. وقرآن
مبين: وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز
لينذر: القرآن أو الرسول، ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء.
من كان حيا: عاقلا فهما فإن الغافل كالميت، أو مؤمنا في علم الله فإن الحياة الأبدية

بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ❊ ويحق القول ❊ ويجب كلمة العذاب ❊ على الكافرين ❊ المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة ❊ اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا ❊ مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث ❊ انعاما ❊ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ❊ فهم لها مالكون ❊ متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
❊ وذللناها لهم ❊ وصيرناها منقادة لهم ❊ فمنها ركوبهم ❊ مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ❊ ومنها ياكلون ❊ اي ياكلون لحمه ❊ ولهم فيها منافع ❊ من الجلود والاصواف والاوبار ❊ ومشارب ❊ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر ❊ افلا يشكرون ❊ نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة ❊ واتخذوا من دون الله آلهة ❊ اشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها ❊ لعلهم ينصرون ❊ رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه ❊ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم ❊ لآلهتهم ❊ جند محضرون ❊ معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار ❊ فلا يحزنك ❊ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن ❊ قولهم ❊ في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين ❊ انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ❊ فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز ❊ اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ❊ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراط في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعم التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم بال يفتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه ❊ وضرب لنا مثلا ❊ امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه

قوله امرا عجيبا تفسير بهذا المعنى لا راده مولانا الزمخشري جوز تفسيره بمعنى التشبيه ايضا لانه الملائم المناسب للمقام

قوله ونسي خلقه اي ذهل عنه او ترك ذكره على طريق اللدد والمكابرة

بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ❊ ونسي خلقه ❊ خلقنا اياه ❊ قال من يحيي العظام وهي رميم ❊ منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء ❊ قل يحييها الذي انشاها اول مرة ❊ فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها ❊ وهو بكل خلق عليم ❊ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها ❊ الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ❊ كالمرخ والعفار يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار ❊ فاذا انتم منه توقدون ❊ لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون ❊ اوليس الذي خلق السموات والارض ❊ مع كبر جرمها وعظم شأنها ❊ بقادر على ان يخلق مثلهم ❊ في الصغر والحقارة بالاضافة اليها او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر ❊ بلى ❊ جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه ❊ وهو الخلاق العليم ❊ كثير المخلوقات والمعلومات ❊ انما امره ❊ انما شأنه ❊ اذا اراد شيئا ان يقول له كن ❊ اي تكون ❊ فيكون ❊ فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول ❊ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ❊ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء ❊ واليه ترجعون ❊ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات

فان اللازم منه حصول الاجر بلا شك لقارئها ولا محذور فيه فافهم

الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة

سورة الصافات مكية وآيها مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا﴾ أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الأنوار الإلهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الأجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والأرواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله: يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب، فإن الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الإشاقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضة أو الرتبة كقوله عليه السلام: رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس. وأدغم أبو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فإنها من طرف اللسان وأصول الثنايا. ﴿إن إلهكم لواحد﴾ جواب القسم والفائدة تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم وأما تحقيقه فبقوله: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ فإن وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل مع إمكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة، ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على أنها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال. ﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ القربى منكم ﴿بزينة الكواكب﴾ بزينة هي الكواكب والإضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه أو بزينة هي لها كأضوائها وأوضاعها أو بأن زينا الكواكب فيها على إضافة المصدر إلى

المفعول فإنها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة أبي بكر بالتنوين والنصب على الأصل أو بأن زينتها الكواكب على إضافته إلى الفاعل وكون الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا إن تحقق لم يقدح في ذلك فإن أهل الأرض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق بأشكال مختلفة. ﴿وحفظا﴾ منصوب بإضمار فعله أو العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا لها ﴿من كل شيطان مارد﴾ خارج من الطاعة برمي الشهب. ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فإنه يقتضي أن يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك أن تكرمني ثم حذف أن وإهدارها كقوله: ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى، فإن اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الأعلى الملائكة أو أشرافهم. ﴿ويقذفون﴾ ويرمون ﴿من كل جانب﴾ من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده. ﴿دحورا﴾ علة أي للدحور وهو الطرد أو مصدر لأنه والقذف متقاربان أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كالقبول أو صفة له أي قذفا دحورا. ﴿ولهم عذاب﴾ أي عذاب آخر ﴿واصب﴾ دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة. ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل. ﴿فأتبعه شهاب﴾ والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف وأتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين إن صح لم يناف ذلك إذ ليس فيه ما يدل على أنه ينقض من الفلك ولا في قوله: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين، فإن كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض وزينة للسماء من حيث إنه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد أن يصير الحادث كما ذكر في بعض الأوقات رجما لشيطان يتصعد إلى قرب الفلك للتسمع وما روي أن ذلك حدث بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام إن صح فلعل المراد كثرته أو مصيره دحورا واختلف في أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب

كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة أو لبني آدم أهم أشد خلقا أم من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه إطلاقه والتعقيب بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله إنا خلقناهم من طين لازب فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم ولمن قبلهم سواء وتقريره أن استحالة ذلك إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا أن الإنسان الأول إنما تولد منه إما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك وإما لعدم قدرة الفاعل فإن من قدر على خلق هذه الأشياء قدر على ما لا يعتد به بالإضافة إليها سيما ومن ذلك بدأهم أولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وإنكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي أني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به أو إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم وإذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها وقالوا إن هذا يعنون ما يرونه إلا سحر مبين ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أصله أنبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعارا بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الأولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية أوآباؤنا الأولون عطف على محل إن واسمها أو على الضمير

في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وأنتم داخرون صاغرون وإنما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أي الله أو الرسول وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر أي إذا كان ذلك فإنما البعثة زجرة أي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كأمر كن في الإبداء ولذلك رتب عليها فإذا هم ينظرون فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل منه إلى الجحيم وأزواجهم وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدته كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام وغيرها زيادة في تحسرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم إلى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف إنهم مسؤولون عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز أن موقفهم بعد الهدى والتعريف للسؤال ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن أقوى الوجوه وأيمنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أقوى الجانبين وأشرفه وأنفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم إنهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين

اجابهم الرؤساء اولاً بمنع اضلالهم بأنهم كانوا ضالين في انفسهم وثانياً بأنهم ما اجبروهم
على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوماً مختارين الطغيان
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال
الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امراً مقضياً لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا
بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان
غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم
فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه
ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعني محمداً صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق
وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه
المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب
العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام
وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه
باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضاً بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق
معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان
الفاكهة ما يقصد به التلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا
على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله
يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات
ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
كذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالاً من المستكن فيه او في
مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالاً من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس
باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او
نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع
وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما
يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما

ايضاً صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ
كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب
عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة
والكسائي بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد
يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله فنزحت الركية حتى نزفتها وعندهم
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشرب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه
فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم
في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول
ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
ائذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال
اي ذلك هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله
او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف
على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد او
خاطب به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه
او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه
قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناول لما في القبر بعد الاحياء للسؤال
نصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار

وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله او تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿طلعها﴾ حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ من الشجرة او من طلعها ﴿فمالئون منها البطون﴾ لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ﴿ثم إن لهم عليها﴾ اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش فطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ﴿لشوبا من حميم﴾ لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ﴿ثم إن مرجعهم﴾ مصيرهم ﴿لإلى الجحيم﴾ الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ﴿ولقد ضل قبلهم﴾

قبل قومك ﴿أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ انبياء انذروهم من العواقب ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ من الشدة والفظاعة ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ﴿ولقد نادانا نوح﴾ شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين أيس من قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الغرق واذى قومه ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ من الامم ﴿سلام على نوح﴾ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء ﴿في العالمين﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعني كفار قومه ﴿وإن من شيعته﴾ ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة ﴿لإبراهيم﴾ ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح ﴿إذ جاء ربه﴾ متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف وهو اذكر ﴿بقلب سليم﴾ من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن

من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله :: فنظر نظرة في النجوم :: فرأى مواقعها
واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين
سألوه ان يعيد معهم :: فقال اني سقيم :: اراهم انه استدل بها لانهم كانوا
منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم
الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج
المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء
فتولوا عنه مدبرين :: هاربين مخافة العدوى :: فراغ الى آلهتهم :: فذهب اليها
في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة :: فقال :: اي للاصنام استهزاء
الا تأكلون :: يعني الطعام الذي كان عندهم :: ما لكم لا تنطقون :: بجوابي
فراغ عليهم :: فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه :: ضربا
باليمين :: مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم
وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين
بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم :: فاقبلوا اليه :: الى ابرهيم بعدما
رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم :: يزفون :: يسرعون من زفيف النعام
وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي
يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا
حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه :: قال اتعبدون ما تنحتون :: ما تنحتونه
من الاصنام :: والله خلقكم وما تعملون :: اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها
وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف
عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث
فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك
وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما
فيهما من حذف او مجاز :: قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم :: في النار الشديدة من الجحمة
وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان :: فارادوا به كيدا ::
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم :: فجعلناهم الاسفلين ::

الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا
وسلاما :: وقال اني ذاهب الى ربي :: الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث
اتجرد فيه لعبادته :: سيهدين :: الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت
القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى
حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع :: رب
هب لي من الصالحين :: بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني
في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله :: فبشرناه بغلام حليم
:: بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون
حليما واي حليم مثله حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عم
وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه :: فلما بلغ معه السعي :: اي فلما وجد وبلغ ان يسعى
معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه
ولا يبلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه
لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة :: قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك :: يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية
ان قائلا يقول ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
وقال له ذلك ولذلك سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب
اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة
بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر
ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ
بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت
الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها
في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي النسب
اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله

ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد
من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت :: فانظر
ماذا ترى :: من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله
فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب
المثوبة بالانقياد له قبل نزوله :: قال يا ابت افعل ما تؤمر :: اي ما تؤمر به فحذفا
او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور
ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل
ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر
الرؤيا :: ستجدني ان شاء الله من الصابرين :: على الذبح او على قضاء الله ::
فلما اسلما :: استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصله
سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه :: وتله للجبين :: صرعه على
شقه فوقع جبينه على الارض وهو احدى جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته
لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف
على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم :: وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا :: بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه
مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به
المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق
لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير
ذلك :: انا كذلك نجزي المحسنين :: تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به
من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم
يحصل :: ان هذا لهو البلاء المبين :: الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من
غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها :: وفديناه بذبح :: بما يذبح بدله
فيتم به الفعل :: عظيم :: عظيم الجثة سمينا او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن
نبي واي نبي وان من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه
فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي والآمر

على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه
ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه :: وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم ::
سبق بيانه في قصة نوح :: كذلك نجزي المحسنين :: لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره
مرة في هذه القصة :: انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
:: مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة
الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط
مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل
عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع
ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم
وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر
الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم
لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق ::
وباركنا عليه :: على ابرهيم في اولاده :: وعلى اسحق :: بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا :: ومن ذريتهما محسن :: في عمله او على نفسه بالايمان
والطاعة :: وظالم لنفسه :: بالكفر والمعاصي :: مبين :: ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على
ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما
بنقيصة وعيب :: ولقد مننا على موسى وهرون :: انعمنا عليهما بالنبوة
وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية :: ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ::
من تغلب فرعون وقومه او الغرق :: ونصرناهم :: الضمير لهما مع القوم :: فكانوا
هم الغالبين :: على فرعون وقومه :: وآتيناهما الكتاب المستبين :: البليغ
في بيانه وهو التوراة :: وهديناهما الصراط المستقيم :: الطريق الموصل الى
الحق والصواب :: وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين :: سبق مثله :: وان الياس لمن
المرسلين :: هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل
ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ
ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس :: اذ قال لقومه الا تتقون :: عذاب

الله: أتدعون بعلا: أتعبدونه أو تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل
بك من الشام وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن
والمعنى أتدعون بعض البعول: وتذرون أحسن الخالقين: وتتركون عبادة
وقد أشار فيه إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله: الله ربكم ورب
آبائكم الأولين: وقرأ حمزة ويعقوب وحفص بالنصب على البدل: فكذبوه
فإنهم لمحضرون: أي في العذاب وإنما أطلقه اكتفاء بالقرينة أو لأن الإحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا: إلا عباد الله المخلصين: مستثنى من الواو لا من المحضرين
لفساد المعنى: وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين: لغة في إلياس كسينا
وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم إذا جمع يجب
تعريفه باللام أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وهو قليل ملبس
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف
مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن
أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله: إنا كذلك
نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين: إذ الظاهر أن الضمير لإلياس:
وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا
الآخرين: سبق بيانه: وإنكم: يا أهل مكة: لتمرون عليهم: على منازلهم في
متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه: مصبحين: داخلين في الصباح
وبالليل: أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد لها مساء: أفلا تعقلون: أفليس فيكم عقل تعتبرون به
وإن يونس لمن المرسلين: وقرئ بكسر النون: إذ أبق: هرب وأصله
الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه:
إلى الفلك المشحون: المملوء: فساهم: فقارع أهله: فكان من المدحضين:
فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا
هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء:
فالتقمه الحوت: فابتلعه من اللقمة: وهو مليم: داخل في الملامة أو
آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب:

فلولا أنه كان من المسبحين: الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت
وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين: للبث
في بطنه إلى يوم يبعثون: حيا وقيل ميتا وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم شأنه ومن
أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء: فنبذناه: بأن حملنا الحوت على لفظه
بالعراء: بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر فلفظه واختلف في مدة
لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون:
وهو سقيم: مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد: وأنبتنا عليه: أي فوقه
مظلة عليه: شجرة من يقطين: من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه
يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثر على أنها كانت الدباء غطته بأوراقها
عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله عليه السلام إنك لتحب
القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل
بأغصانه وأفطر على ثماره: وأرسلناه إلى مائة ألف: هم قومه الذين هرب عنهم
وهم أهل نينوى والمراد ما سبق من إرساله أو إرسال ثان إليهم أو إلى غيرهم:
أو يزيدون: في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم قال هي مائة ألف أو أكثر والمراد الوصف
بالكثرة وقرئ بالواو: فآمنوا: فصدقوه أو جددوا الإيمان به بمحضره: فمتعناهم
إلى حين: إلى أجلهم المسمى ولعله إنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص
تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم
الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة: فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون:
معطوف على مثله في أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه إنكار
البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم
أمره باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز البنات على الله
فإن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا
أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله
إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض
وتخر الجبال هدا والإنكار هاهنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لأن

فسادا وجهالة لا يدرك العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم
أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك
لا تعلم إلا به فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه
من الاستهزاء والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ألا إنهم
من إفكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وإنهم لكاذبون
فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث أصطفى البنات على البنين استفهام إنكار واستبعاد
والاصطفاء أخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة
أم بعدها عليها أو على الإثبات بإضمار القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو إبداله
من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل أفلا تذكرون أنه منزه عن ذلك
أم لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته فأتوا
بكتابكم الذي أنزل عليكم إن كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل
قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان إخوان ولقد
علمت الجنة إنهم إن الكفرة أو الإنس والجن إن فسرت بغير الملائكة لمحضرون
في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب إلا عباد الله المخلصين
استثناء من المحضرين منقطع أو متصل إن فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من يصفون
فإنكم وما تعبدون عود إلى خطابهم ما أنتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس
بالإغواء إلا من هو صال الجحيم إلا من سبق في علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة وأنتم
ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون وما تعبدون لما فيه
من معنى المقارنة سادا مسد الخبر أي إنكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على
ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة إلا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ
صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين أو تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك أو المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم بالبث به بالة فإن أصلها
بالية كعافية وما منا أحد إلا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد
على عبدتهم والمعنى ما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في
تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد

علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بأن الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
وأقيمت الصفة مقامه وإنا لنحن الصافون في أداء الطاعة ومنازل الخدمة
وإنا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم
في الطاعات وهذا في المعارف وما في إن واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص
لأنهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين
والمعنى وما منا إلا له مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيامة وإنا لنحن الصافون له في الصلاة
والمنزهون له عن السوء وإن كانوا ليقولون أي مشركو قريش لو أن عندنا
ذكرا من الأولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لأخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به لما جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
أي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون
وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وإنما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى
واحد فتول عنهم فأعرض عنهم حتى حين وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر
وقيل يوم الفتح وأبصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك
كائن قريب كأنه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة
والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون روي أنه
لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فإذا نزل بساحتهم فإذا نزل العذاب
بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على إسناده
إلى الجار والمجرور ونزل أي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت
نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن
وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد إلى تأكيد
وإطلاق بعد تقييد للإشعار بأنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف
المسرة وأنواع المساءة أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان
ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة وإضافة

الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد ﴿وسلام على المرسلين﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبي عليه السلام من قرأ والصافات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ص﴾ وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر على تأويل الكتاب ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ الواو للقسم ان جعل ص اسم الحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه ﴿كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا ﴿فنادوا﴾ استغاثة او توبة واستغفارا ﴿ولات حين مناص﴾ اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر

كقوله طلبوا صلحنا ولات أوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان أوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته ﴿وعجبوا ان جاءهم منذر منهم﴾ بشر مثلهم او امي من عدادهم ﴿وقال الكافرون﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول ﴿هذا ساحر﴾ فيما يظهره معجزة ﴿كذاب﴾ فيما يقول على الله ﴿اجعل الآلهة الها واحدا﴾ بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ﴿ان هذا لشيء عجاب﴾ بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام وروي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله عليه السلام وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال عليه السلام قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله عليه السلام ﴿ان امشوا﴾ قائلين بعضهم لبعض امشوا ﴿واصبروا﴾ واثبتوا ﴿على آلهتكم﴾ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ﴿ان هذا لشيء يراد﴾ ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى

ويريده كل أحد أو إن دينكم يطلب ليؤخذ منكم. ﴿ما سمعنا بهذا﴾ بالذي يقوله
﴿في الملة الآخرة﴾ في الملة التي أدركنا عليها آباءنا أو في ملة عيسى التي هي آخر الملل فإن النصارى
يثلثون ويجوز أن يكون حالاً من هذا أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد
كائناً في الملة الآخرة المترقبة. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ كذب اختلقه. ﴿أأنزل عليه الذكر
من بيننا﴾ إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة
كقولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل على أن
مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي. ﴿بل هم في شك من ذكري﴾
من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب إن هذا إلا اختلاق. ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ بل لم يذوقوا
عذابي بعد فإذا ذاقوا زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم
إلى تصديقه. ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ بل أعندهم خزائن رحمته و
في تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فإنه العزيز
أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال
﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأن ليس
عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم
الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها. ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾
جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها
إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون و
هو غاية التهكم بهم والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السماوات لأنها أسباب
الحوادث السفلية. ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ أي هم جند ما من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية
أو فلا تكترث لما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيئاً ما وقيل للتعظيم على الهزء
وهو لا يلائم ما بعده وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك
القول. ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ ذو الملك الثابت بالأوتاد
كقوله: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الأوتاد. مأخوذ من ثبات البيت المطنب
بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء وقيل

نصب أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتاداً و
يتركه حتى يموت. ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ وأصحاب الغيضة وهم قوم
شعيب. ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم
منهم. ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ بيان لما أسند إليهم من التكذيب على الإبهام مشتمل على
أنواع من التأكيد ليكون تسجيلاً على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه ﴿فحق عقاب﴾
وهو إما مقابلة الجمع بالجمع أو جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم. ﴿وما ينظر هؤلاء﴾
وما ينتظر قومك أو الأحزاب فإنهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أو حضورهم في علم
الله. ﴿إلا صيحة واحدة﴾ هي النفخة. ﴿ما لها من فواق﴾ من توقف مقدار فواق وهو
ما بين الحلبتين أو رجوع وترداد فإنه فيه يرجع اللبن إلى الضرع وقرأ حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان. ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ قسطنا من العذاب الذي توعدنا به أو
الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها. ﴿قبل يوم الحساب﴾
استعجلوا ذلك استهزاء. ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ واذكر لهم قصته
تعظيماً للمعصية في أعينهم فإنه مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما أتى
صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب
فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أو تذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك ما لقيه
من المعاتبة على إهمال عنان نفسه أدنى إهمال. ﴿ذا الأيد﴾ ذا القوة يقال فلان
أيد وذو أيد وآد وأياد بمعنى. ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى مرضاة الله وهو تعليل
للأيد على أن المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل. ﴿إنا سخرنا
الجبال معه يسبحن﴾ قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال
الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال. ﴿بالعشي والإشراق﴾ ووقت الإشراق
وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها
فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى
وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية.
﴿والطير محشورة﴾ إليه من كل جانب وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين لأن الحشر جملة
أدل على القدرة منه مدرجاً وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر. ﴿كل له أواب﴾
كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله أنه

يدل على الموافقة في التسبيح وهذا هو للمداومة عليها اي كل منها ومن داود مرجع للتسبيح
وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل
ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال
صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة
النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن
الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل
والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها
وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل
هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف
كلام الرسول فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجب
والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا
المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق
بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود او بالخصم لما فيه
من معنى الفعل لا باتاك لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية في اذ دخلوا على
داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في
يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما
للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على
صورة انسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية
مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان
كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ
ولا تشطط ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة
الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين
او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى
بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع
وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب

قوله كقوله اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
اي اضربن فحذف النون الخفيفة وطارقها حال اي اضرب الهموم حال العشا
موضع ناصية الفرس

قوله وما مزيدة للابهام والتعجب فان ما الابهامية اذا اقتضت النقليل فيفيد انهم اقل من
القليل ويتولد من ذلك بمعاونة المقام التعجب

قوله ساجدا روى النسائي عن ابن عباس ان النبي عليه الصلوة والسلام سجد في ص
وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا

وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة
يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني
اي غالبني وعزني على التخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب
قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد
اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر
بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب
من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة
هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما
في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله
بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى
حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن
زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها
هزء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك
على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين
الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل
ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن
سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل
فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما

باطلا :: خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي
هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا :: ذلك ظن الذين كفروا ::
الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون :: فويل للذين كفروا من النار ::
بسبب هذا الظن :: ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا
ليدل على نفيه وكذا التي في قوله :: ام نجعل المتقين كالفجار :: كانه انكر التسوية اولا بين
المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا
للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل
على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس
ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها ::
كتاب انزلناه اليك مبارك :: نفاع وقرئ بالنصب على الحال :: ليدبروا آياته ::
ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ
لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك :: وليتذكر اولو الالباب ::
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط
تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع
وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ::
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد :: اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من
حاله :: انه اواب :: رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له :: اذ عرض عليه ::
ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور :: بالعشي :: بعد الظهر :: الصافنات ::
الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص :: الجياد :: جمع جواد او جود وهو الذي يسرع
في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد وروي انه عليه السلام غزا دمشق و
نصيبين فاصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها
فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما
فاته فاستردها فعقرها مقربا لله :: فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي :: اصل احببت

ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو
بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له
والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال
عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة :: حتى توارت بالحجاب ::
اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة
العشي عليه :: ردوها علي :: الضمير للصافنات :: فطفق مسحا :: فاخذ يمسح السيف مسحا ::
بالسوق والاعناق :: اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب
عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو
لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع
لامن الالباس :: ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب :: واظهر ما
قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل
ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر
الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون
من الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن
لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة
باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان
ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس
على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها
لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف
حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد
اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن
كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة
بغير علمه لا يضر :: قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي :: لا يتسهل

ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد
هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة
انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته
اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا
تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب
فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه
وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم
في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا
عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد
تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم
عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد
وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط
على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت
بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض
فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن
حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص اذ نادى ربه
بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني الشيطان بنصب
وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد
الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله
او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه
او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس
الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب
ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرئ

بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل
اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل
بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه
فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب
من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم
وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا
عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما
يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت
افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله
يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس
والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية
وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب
انه اواب مقبل بشراشره الى الله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف
بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال
لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مبادئها وفيه تعريض
بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا
بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الدار الآخرة دائما فان
خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله
والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا
معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص
فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم
المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
في جمع ميت وميت واذكر اسماعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس
على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا

وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع ﴿وذا الكفل﴾
ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فرّ اليه مائة نبي فآواهم وكفلهم
وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة ﴿وكل﴾ اي وكلهم ﴿من الاخيار﴾
﴿هذا﴾ اشارة الى ما تقدم من امورهم ﴿ذكر﴾ شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن
ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال ﴿وان للمتقين لحسن مآب﴾ ﴿مرجع جنات
عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده بالغيب وانتصب ﴿مفتحة لهم الابواب﴾ على الحال والعامل فيها ما في للمتقين
من معنى الفعل وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف ﴿متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير
في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال
من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل
ولا تحلل ثمة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ لا ينظرن الى غير ازواجهن ﴿اتراب﴾
لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهن في وقت واحد ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ﴿ان هذا لرزقنا ما له
من نفاد﴾ انقطاع ﴿هذا﴾ اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا ﴿وان للطاغين
لشر مآب جهنم﴾ اعرابه ما سبق ﴿يصلونها﴾ حال من جهنم ﴿فبئس المهاد﴾ المهد والمفترش
مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد ﴿هذا
فليذوقوه﴾ اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون
مبتدأ وخبره ﴿حميم وغساق﴾ وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق
ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي
غسّاق بتشديد السين ﴿وآخر﴾ اي مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر
اي ومذوقات او انواع عذاب اخر ﴿من شكله﴾ من مثل هذا المذوق او العذاب
في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ
بالكسر وهي لغة ﴿ازواج﴾ اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا
النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها ﴿لا مرحبا

٤٧

بهم﴾ دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال منه اي مقولا فيهم لا مرحبا
اي ما اتوا رحبا وسعة ﴿انهم صالوا النار﴾ داخلون النار باعمالهم مثلنا ﴿قالوا﴾
اي الاتباع لرؤسائهم ﴿بل انتم لا مرحبا بكم﴾ بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم
كما قالوا ﴿انتم قدمتموه لنا﴾ قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمناه
من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة ﴿فبئس القرار﴾ فبئس المقر جهنم ﴿قالوا﴾ اي الاتباع
ايضا ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾ مضاعفا اي ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴿وقالوا﴾
اي الطاغون ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم ﴿اتخذناهم سخريا﴾ صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن
عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ
نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ﴿ام زاغت عنهم الابصار﴾
﴿فلا نراهم﴾ وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا
ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم
الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم
على رثاثة حالهم ﴿ان ذلك﴾ الذي حكيناه عنهم ﴿لحق﴾ لابد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال
﴿تخاصم اهل النار﴾ وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك
﴿قل﴾ يا محمد للمشركين ﴿انما انا منذر﴾ انذركم عذاب الله ﴿وما من اله الا الله الواحد﴾
الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته ﴿القهار﴾ لكل شيء ﴿رب السموات والارض
وما بينهما﴾ منه خلقها واليه امرها ﴿العزيز﴾ الذي لا يغلب اذا عاقب ﴿الغفار﴾ الذي يغفر
ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين
والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار ﴿قل هو﴾ اي ما انبأتكم
به من اني نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم
﴿نبأ عظيم انتم عنه معرضون﴾ لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج
اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ﴿ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون﴾
فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع
ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ

الاعلى ﴿ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين﴾ اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بيّن
بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ
انما بالكسر على الحكاية ﴿اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين﴾ بدل من اذ يختصمون
مبين له فان القصة التي دخلت عليها اذ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق
آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا
على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عليه السلام بمثل ما حاق
بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة
ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة ﴿فاذا سويته﴾ عدلت خلقته
﴿ونفخت فيه من روحي﴾ واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته
﴿فقعوا له﴾ فخروا له ﴿ساجدين﴾ تكرمة وتبجيلا وقد مر الكلام فيه في البقرة
﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر﴾ تعظم ﴿وكان﴾ وصار ﴿من الكافرين﴾
باستكباره امر الله واستنكافه عن المطاوعة او كان منهم في علم الله ﴿قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي﴾ خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في
خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار
بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم
بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص ﴿استكبرت ام كنت من العالين﴾
تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم
تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار
﴿قال انا خير منه﴾ ابداء للمانع وقوله ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ دليل عليه و
قد سبق الكلام فيه ﴿قال فاخرج منها﴾ من الجنة او السماء او من الصورة الملكية ﴿فانك
رجيم﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة ﴿وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ مر بيانه في
الحجر ﴿قال فبعزتك﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾
الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف
القرائتين ﴿قال فالحق والحق اقول﴾ اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله
ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه ﴿لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة

تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي
او الخبر اي انا الحق وقرئا مجرورين على حذف القسم من الاول كقولك الله لاصنعن وجره
على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا
شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرناه والضمير في منهم
للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين و
اجمعين تاكيد له او للضميرين ﴿قل ما اسالكم عليه من اجر﴾ اي على القرآن او تبليغ
الوحي ﴿وما انا من المتكلفين﴾ المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل
النبوة واتقول القرآن ﴿ان هو الا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ للثقلين ﴿ولتعلمن
نبأه﴾ وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك ﴿بعد حين﴾ بعد الموت
او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية وآيها خمس او اثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تنزيل الكتاب﴾ خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره
﴿من الله العزيز الحكيم﴾ وهو على الاول صلة تنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب
على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم ﴿انا انزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ ملتبسا بالحق او بسبب
اثبات الحق واظهاره وتفصيله ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ ممحضا له الدين من الشرك
والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد
من اللام كما صرح به مؤكدا واجرائه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ﴿
الا لله الدين الخالص﴾ اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات
الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر ﴿والذين اتخذوا من دونه اولياء﴾ يحتمل المتخذين
من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من
غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى﴾ باضمار القول او ﴿ان الله يحكم بينهم﴾ وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول
المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم
وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا ﴿بينهم
فيما هم فيه يختلفون﴾ من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل

لهم وليعبدوهم ما نهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم :: إن الله لا يهدي :: لا يوفق
للاهتداء إلى الحق :: من هو كاذب كفار :: فإنهما فاقدا البصيرة :: لو أراد الله
أن يتخذ ولدا :: كما زعموا :: لاصطفى مما يخلق ما يشاء :: إذ لا موجود سواه إلا وهو
مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب
إليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله
سبحانه هو الله الواحد القهار :: فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة
الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التولد لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة
المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد
ثم استدل على ذلك بقوله :: خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل :: يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به
كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة ::
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى :: هو منتهى دوره أو منقطع حركته :: ألا هو العزيز
:: القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء :: الغفار :: حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب
ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة :: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها و
:: استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدوءا به من خلق الإنسان لأنه أقرب
وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم
ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف
هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها
أو على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فإن الأولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل
أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء :: وأنزل لكم :: وقضى أو قسم لكم فإن قضاياه
وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح أو أحدث لكم بأسباب نازلة
كأشعة الكواكب والأمطار :: من الأنعام ثمانية أزواج :: ذكرا وأنثى من الإبل والبقر
والضأن والمعز :: يخلقكم في بطون أمهاتكم :: بيان لكيفية خلق ما ذكر من الأناسي والأنعام
إظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولي العقل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون
خلقا من بعد خلق :: حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف :: في ظلمات ثلاث :: ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب
والرحم والبطن :: ذلكم :: الذي هذه أفعاله :: الله ربكم :: هو المستحق لعبادتكم والمالك

له الملك لا إله إلا هو :: إذ لا يشاركه في الخلق غيره :: فأنى تصرفون :: يعدل بكم عن عبادته
إلى الإشراك :: إن تكفروا فإن الله غني عنكم :: عن إيمانكم :: ولا يرضى لعباده الكفر ::
لاستضرارهم به رحمة عليهم :: وإن تشكروا يرضه لكم :: لأنه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير
ونافع في رواية وأبو عمرو والكسائي بإشباع ضمة الهاء لأنها صارت بحذف الألف موصولة
بمتحرك وعن أبي عمرو ويعقوب إسكانها وهو لغة فيها :: ولا تزر وازرة وزر أخرى
ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون :: بالمحاسبة والمجازاة :: إنه عليم بذات الصدور
:: فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم :: وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه :: لزوال
ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه :: ثم إذا خوله :: أعطاه من الخول وهو
التعهد أو الخول وهو الافتخار :: نعمة منه :: من الله :: نسي ما كان يدعو إليه :: أي الضر الذي
كان يدعو الله إلى كشفه أو ربه الذي كان يتضرع إليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والأنثى
:: من قبل :: من قبل النعمة :: وجعل لله أندادا ليضل :: وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس
بفتح الياء :: عن سبيله :: الضلال والإضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وإن لم يكونا غرضين ::
قل تمتع بكفرك قليلا :: أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشه لا سند له وإقناط للكافرين
من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله :: إنك من أصحاب النار :: على سبيل الاستئناف للمبالغة
:: أمن هو قانت :: قائم بوظائف الطاعات :: آناء الليل :: ساعاته وأم متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده
وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا :: ساجدا وقائما
:: حالان من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين :: يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه :: في موضع الحال أو الاستئناف للتعليل :: قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون :: نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة
العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون :: إنما يتذكر أولوا الألباب :: بأمثال هذه
البيانات وقرئ يذكر بالإدغام :: قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم :: بلزوم طاعته
:: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة :: أي للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة
في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان
لمكان حسنة :: وأرض الله واسعة :: فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه
فليهاجر إلى حيث تمكن منه :: إنما يوفى الصابرون :: على مشاق الطاعة من احتمال البلاء

ومهاجرة الاوطان لها: اجرهم بغير حساب: اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل: قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين: موحدا له: وامرت لان اكون اول المسلمين: وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا مقتضية لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به: قل اني اخاف ان عصيت ربي: بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء: عذاب يوم عظيم: لعظمة ما فيه: قل الله اعبد مخلصا له ديني: امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله: فاعبدوا ما شئتم من دونه: تهديدا وخذلانا لهم: قل ان الخاسرين: الكاملين في الخسران: الذين خسروا انفسهم: بالضلال: واهليهم: بالاضلال: يوم القيمة: حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده: الا ذلك هو الخسران المبين: مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين: لهم من فوقهم ظلل من النار: شرح لخسرانهم: ومن تحتهم ظلل: اطباق من النار هي ظلل للاخرين: ذلك يخوف الله به عباده: ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه: يا عباد فاتقون: ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي: والذين اجتنبوا الطاغوت: البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان: ان يعبدوها: بدل اشتمال منه: وانابوا الى الله: واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه: لهم البشرى: بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون

احسنه: وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل: اولئك الذين هديهم الله: لدينه: واولئك هم اولوا الالباب: العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها: افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار: جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف: لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف: علالي بعضها فوق بعض: مبنية: بنيت بناء المنازل على الارض: تجري من تحتها الانهار: اي من تحت تلك الغرف: وعد الله: مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد: لا يخلف الله الميعاد: لان الخلف نقص وهو على الله محال: الم تر ان الله انزل من السماء ماء: هو المطر: فسلكه: فادخله: ينابيع في الارض: هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال: ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه: اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما: ثم يهيج: يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته: فتريه مصفرا: من يبسه: ثم يجعله حطاما: فتاتا: ان في ذلك لذكرى: لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة فلا يغتر بها: لاولي الالباب: اذ لا يتذكر به غيرهم: افمن شرح الله صدره للاسلام: حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام: فهو على نور من ربه: يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه: فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله: من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن

مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه لسبب
آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر
واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه :: اولئك في ضلال مبين
:: يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وفي ابي لهب وولده :: الله
نزل احسن الحديث :: يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله عليه السلام ملوا ملة فقالوا
حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم
للمنزل واستشهاد على حسنه :: كتابا متشابها :: بدل من احسن او حال منه وتشابهه
تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة
:: مثاني :: جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك
القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب وجعل تمييزا من متشابها
كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل :: تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم :: تشمئز
خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من
حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من
القمط وهو الشد :: ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله :: بالرحمة وعموم المغفرة
والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية
بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من
عوارضها :: ذلك :: اي الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء :: هدى الله يهدي به
من يشاء :: هدايته :: ومن يضلل الله :: ومن يخذله :: فما له من هاد :: يخرجه من الضلال
:: افمن يتقي بوجهه :: يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه
فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه :: سوء العذاب يوم القيمة :: كمن هو آمن منه فحذف الخبر
كما حذف في نظائره :: وقيل للظالمين :: اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم
بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو :: ذوقوا ما كنتم تكسبون :: اي وباله
والواو للحال وقد مقدرة :: كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
:: من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها :: فاذاقهم الله الخزي :: الذل :: في
الحيوة الدنيا :: كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء :: ولعذاب الآخرة ::
المعد لهم :: اكبر :: لشدته ودوامه :: لو كانوا يعلمون :: لو كانوا من اهل العلم والنظر
لعلموا ذلك واعتبروا به :: ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل :: يحتاج اليه

الناظر في امر دينه :: لعلهم يتذكرون :: يتعظون به :: قرآنا عربيا :: حال من هذا والاعتماد
فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له :: غير ذي عوج :: لا اختلال فيه
بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد
اتاك يقينا غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وتخصيصه ببعض مدلوليه :: لعلهم
يتقون :: علة اخرى مرتبة على الاولى :: ضرب الله مثلا :: للمشرك والموحد :: رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل :: مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد
من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه
في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا
بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن
عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلثتها
مصادر وسلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص
الرجل لانه افطن للضر والنفع :: هل يستويان مثلا :: صفة وحالا ونصبه على التمييز
ولذلك وحد وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في
الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل :: الحمد لله ::
كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ::
بل اكثرهم لا يعلمون :: فيشركون به غيره من فرط جهلهم :: انك ميت وانهم ميتون
:: فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما
سيحدث :: ثم انكم :: على تغليب المخاطب على الغيب :: يوم القيمة عند ربكم
تختصمون :: فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في
التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا :: فمن اظلم ممن كذب
على الله :: باضافة الولد والشريك اليه :: وكذب بالصدق :: وهو ما جاء به
محمد عليه السلام :: اذ جاءه :: من غير توقف وتفكر في امره :: اليس في جهنم مثوى للكافرين
:: وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأه بما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب :: والذي جاء بالصدق وصدق به :: الجنس ليتناول الرسل والمؤمنين

أولئك هم المتقون • وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وذلك
يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدَق به بالتخفيف أي صدق به الناس
فأداه إليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصُدِّق به على
البناء للمفعول • لهم ما يشاؤون عند ربهم • في الجنة • ذلك جزاء المحسنين • على إحسانهم
• ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا • خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كُفّر كان غيره
بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وأن
ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص
والأشج أعدلا بني مروان وقرئ أسواء جمع سوء • ويجزيهم أجرهم • ويعطيهم ثوابهم
• بأحسن الذي كانوا يعملون • فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه
لفرط إخلاصهم فيها • أليس الله بكاف عبده • استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات
والعبد رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر
بالأنبياء • ويخوفونك بالذين من دونه • يعني قريشا فإنهم قالوا إنا نخاف أن يخبلك
آلهتنا لعيبك إياها وقيل إنه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذركها
فإن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لأنه الآمر بما
خوف عليه • ومن يضلل الله • حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر
• فما له من هاد • يهديه إلى الرشاد • ومن يهد الله فما له من مضل • إذ لا راد لفعله
كما قال • أليس الله بعزيز • غالب منيع • ذي انتقام • ينتقم من أعدائه • ولئن سألتهم من
خلق السماوات والأرض ليقولن الله • لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية • قل
أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره •
أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني
بضر هل يكشفنه • أو أرادني برحمة • بنفع • هل هن ممسكات رحمته • فيمسكنها
عني وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
• قل حسبي الله • كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر
الذي لا مانع لما يريده من خير أو شر روي أن النبي عليه السلام سألهم فسكتوا فنزل
ذلك وإنما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها
• عليه يتوكل المتوكلون • لعلمهم بأن الكل منه • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم • على حالكم

للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم • إني
عامل • أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا
تقف فإنه تعالى يزيده على الدوام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه
منصورا عليهم في الدارين فقال • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • فإن خزي
أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر • ويحل عليه عذاب مقيم • دائم وهو
عذاب النار • إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس • لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في
معاشهم ومعادهم • بالحق • ملتبسا به • فمن اهتدى فلنفسه • إذ نفع به
نفسه • ومن ضل فإنما يضل عليها • فإن وباله لا يتخطاها • وما أنت عليهم بوكيل
• وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت • الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها • أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع
تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا أو باطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو
في النوم • فيمسك التي قضى عليها الموت • ولا يردها إلى البدن وقرأ حمزة والكسائي
قُضي بضم القاف وكسر الضاد والموتُ بالرفع • ويرسل الأخرى • أي النائمة إلى بدنها
عند اليقظة • إلى أجل مسمى • هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال وما روي
عن ابن عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفَس والحركة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها
عند النوم قريب مما ذكرناه • إن في ذلك • من التوفي والإمساك والإرسال
لآيات • على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته • لقوم يتفكرون • في كيفية تعلقها بالأبدان
وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حينا بعد حين إلى توفي آجالها •
أم اتخذوا • بل اتخذ قريش • من دون الله شفعاء • تشفع لهم عند الله • قل أولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون • أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم • قل لله الشفاعة جميعا • لعله رد لما عسى يجيبون به وهو أن
الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة
إلا بإذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال • له ملك السماوات والأرض • فإنه مالك
الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه • ثم إليه ترجعون • يوم القيامة
فيكون الملك له أيضا حينئذ • وإذا ذكر الله وحده • دون آلهتهم • اشمأزت قلوب

الذين لا يؤمنون بالآخرة :: انقبضت ونفرت :: وإذا ذكر الذين من دونه :: يعني الأوثان
:: إذا هم يستبشرون :: لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الأمرين حتى
ذكر الغاية فيهما فإن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز
أن يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا المفاجأة :: قل اللهم فاطر السموات
والأرض عالم الغيب والشهادة :: التجئ إلى الله بالدعاء لما تحيرت في كفرهم وعجزت في
عنادهم وشدة شكيمتهم فإنه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال كلها :: أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون :: فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني وبينهم :: ولو أن للذين
ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة :: وعيد شديد
وإقناط كلي لهم من الخلاص :: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون :: زيادة مبالغة فيه
وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعيد :: وبدا لهم سيئات ما كسبوا :: سيئات
أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم :: وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون :: وأحاط بهم
جزاؤه :: فإذا مس الإنسان ضر دعانا :: إخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله
وإذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى أنهم يشمئزون من ذكر
الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون
من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم :: ثم إذا خولناه نعمة منا
:: أعطيناه إياها تفضلاً فإن التخويل مختص به :: قال إنما أوتيته على علم :: مني بوجوه كسبه
أو بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه أو من الله بي واستحقاقي والهاء فيه لما إن جعلت موصولة وإلا
فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها :: بل هي فتنة :: امتحان له أيشكر أم يكفر وهو
رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير :: ولكن أكثرهم لا يعلمون
:: ذلك وهو دليل على أن الإنسان للجنس :: قد قالها الذين من قبلهم :: الهاء لقوله إنما أوتيته
على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فإنه قاله ورضي
به قومه :: فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون :: من متاع الدنيا :: فأصابهم سيئات ما كسبوا :: جزاء
سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة رمزاً إلى أن جميع
أعمالهم كذلك :: والذين ظلموا :: بالعتو :: من هؤلاء :: المشركين ومن للبيان أو للتبعيض
:: سيصيبهم سيئات ما كسبوا :: كما أصاب أولئك وقد أصابهم فإنهم قحطوا سبع سنين
وقتل ببدر صناديدهم :: وما هم بمعجزين :: بفائتين :: أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر :: حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً :: إن في ذلك لآيات لقوم

يؤمنون :: بأن الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره :: قل يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم :: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على
ما هو عرف القرآن :: لا تقنطوا من رحمة الله :: لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً
:: إن الله يغفر الذنوب جميعاً :: عفواً ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على
إطلاقه فيما عدا الشرك قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله :: إنه هو الغفور
الرحيم :: على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم
المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف
بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله
يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق
والتأكيد بالجميع وما روي أنه عليه السلام قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل
يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وما روي
أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم
نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد
في جماعة فتنوا وعذبوا فافتتنوا أو في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله :: وأنيبوا إلى
ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون :: فإنها لا تدل على حصول المغفرة
لكل واحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص في العمل وتنافي الوعيد
بالتعذيب :: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم :: القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه
أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة و
المواظبة على الطاعة :: من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون :: بمجيئه فتتداركوا
:: أن تقول نفس :: كراهة أن تقول وتنكير نفس لأن القائل بعض الأنفس أو للتكثير
كقول الأعشى • ورب بقيع لو هتفت بجوه • أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا :: يا حسرتا
:: وقرئ بالياء على الأصل :: على ما فرطت :: بما قصرت :: في جنب الله :: في جانبه أي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري • أما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك
تقطع • وهو كناية فيها مبالغة كقوله • إن السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على ابن
الحشرج • وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب
وقرئ في ذكر الله :: وإن كنت لمن الساخرين :: المستهزئين بأهله ومحل إن كنت
نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر :: أو تقول لو أن الله هداني لكنت من

من المتقين: من الشرك والمعاصي. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين: في العقيدة والعمل، وأو للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الأقوال تحيرًا أو تعللًا بما لا طائل تحته. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين: رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هداني من معنى النفي، وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود، لأنه يتحير بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة، وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت، وتذكير الخطاب على المعنى، وقرئ بالتأنيث للنفس. ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله: بأن وصفوه بما لا يجوز عليه كاتخاذ الولد. وجوههم مسودة: بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل، والجملة حال إذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر، واكتفى فيها بالضمير عن الواو. أليس في جهنم مثوى للمتكبرين: عن الإيمان والطاعة، وهو تقرير لأنهم يرون كذلك. وينجي الله الذين اتقوا: وقرئ وينجي. بمفازتهم: بفلاحهم مفعلة من الفوز، وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها بأهم أقسامه، وبالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب، وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطابقًا للمضاف إليه، والباء فيها للسببية صلة لينجي أو لقوله: لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون: وهو حال أو استئناف لبيان المفازة. الله خالق كل شيء: من خير وشر وكفر وإيمان. وهو على كل شيء وكيل: يتولى التصرف فيه. له مقاليد السموات والأرض: لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها، وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها، وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا ألزمته، وقيل جمع إقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير، وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي عليه السلام عن المقاليد فقال تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه. والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون: متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن للعباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها، وتغيير النظم للإشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين أن خسروا أنفسهم، وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم، أو بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والأرض أو كلمات توحيده وتمجيده، وتخصيص الخسار بهم لأن غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب. قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون: أي أفغير

الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد، وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم، ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع كقوله: ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى. ويؤيده قراءة أعبد بالنصب، وقرأ ابن عامر تأمرونني بإظهار النونين على الأصل، ونافع بحذف الثانية فإنها تحذف كثيرًا. ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: أي من الرسل. لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين: كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل وإقناط الكفرة والإشعار على حكم الأمة، وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد، واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان للجواب، وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم أقبح، وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب. بل الله فاعبد: رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك. وكن من الشاكرين: إنعامه عليك، وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص. وما قدروا الله حق قدره: ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به، وقرئ بالتشديد. والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه: تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازًا كقولهم شابت لمة الليل، والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر، أو بتقدير ذات قبضة، وقرئ بالنصب على الظرف تشبيهًا للموقت بالمبهم، وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة، وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها. سبحانه وتعالى عما يشركون: ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو ما يضاف إليه من الشركاء. ونفخ في الصور: يعني المرة الأولى. فصعق من في السموات ومن في الأرض: خر ميتًا أو مغشيًا عليه. إلا من شاء الله: قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد، وقيل حملة العرش. ثم نفخ فيه أخرى: نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع، وأخرى يحتمل النصب والرفع. فإذا هم قيام: قائمون من قبورهم أو متوقفون، وقرئ بالنصب على أن الخبر: ينظرون: وهو حال من ضمير

والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم "وأشرقت
الأرض بنور ربها" بما أقام فيها من العدل سماه نورا لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك أضاف اسمه إلى الأرض
أو بنور خلق فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضافه إلى نفسه "ووضع الكتاب"
للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في
أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف
"وجيء بالنبيين والشهداء" للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون في
الغزوات "وقضي بينهم" بين العباد "بالحق وهم لا يظلمون" بنقص ثواب أو زيادة
عقاب على ما جرى به الوعد "ووفيت كل نفس ما عملت" جزاءه "وهو أعلم بما يفعلون"
فلا يفوته شيء من أفعالهم ثم فصل التوفية وقال "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا"
أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة وهي
الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم
شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة "حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها" ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء "وقال لهم خزنتها" تقريعا
وتوبيخا "ألم يأتكم رسل منكم" من جنسكم "يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا" وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع
من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب "قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين" كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من
الجنة والناس أجمعين "قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها" أبهم القائل لتهويل ما
يقال لهم "فبئس مثوى المتكبرين" اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي
إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لأن كلمة العذاب حقت
عليهم فإن تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام إن الله إذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار
"وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة" إسراعا بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا
يذهب بهم إلا راكبين "زمرا" على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة "حتى إذا جاءوها

وفتحت أبوابها" حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا
يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت
بالتخفيف "وقال لهم خزنتها سلام عليكم" لا يعتريكم بعد مكروه "طبتم" طهرتم من دنس
المعاصي "فادخلوها خالدين" مقدرين الخلود والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لأنه يطهره "وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده" بالبعث والثواب "وأورثنا الأرض" يريدون المكان الذي استقروا فيه
على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين
الوارث فيما يرثه "نتبوأ من الجنة حيث نشاء" أي يتبوأ كل منا في أي مقام أراده
من جنته الواسعة مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها "فنعم أجر العاملين"
الجنة "وترى الملائكة حافين" محدقين "من حول العرش" أي حوله ومن مزيدة
أو لابتداء الحفوف "يسبحون بحمد ربهم" ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة
للأولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن منتهى درجات
العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق "وقضي بينهم بالحق" أي بين
الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
"وقيل الحمد لله رب العالمين" أي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون
من المقضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة
الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة أنه كان يقرأ كل ليلة بني

سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم "حم" أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا
ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين
أو النصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل
وهابيل "تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم" لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن
من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة "غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول" صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث
على ما هو المقصود منه والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد
بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس
أو إبدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع

بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها :: لا اله الا هو :: فيجب الاقبال الكلي على عبادته :: اليه المصير :: فيجازي المطيع والعاصي :: ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا :: لا يخاصم فيها بالطعن فيها وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ بها وقطع مطاعنهم فيها فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة :: فلا يغررك تقلبهم في البلاد :: فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال :: كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم :: والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود :: وهمت كل امة :: من هؤلاء :: برسولهم :: وقرئ برسولها :: ليأخذوه :: ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر :: وجادلوا بالباطل :: بما لا حقيقة له :: ليدحضوا به الحق :: ليزيلوه به :: فأخذتهم :: بالاهلاك جزاء لهمهم :: فكيف كان عقاب :: فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب :: وكذلك حقت كلمة ربك :: وعيده او قضاؤه بالعذاب :: على الذين كفروا :: لكفرهم :: انهم اصحاب النار :: بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى :: الذين يحملون العرش ومن حوله :: الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره :: يسبحون بحمد ربهم :: يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح :: ويؤمنون به :: اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله :: ويستغفرون للذين آمنوا :: واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة :: ربنا :: اي يقولون ربنا وهو بيان ل

يستغفرون او حال :: وسعت كل شيء رحمة وعلما :: اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هاهنا :: فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك :: للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق :: وقهم عذاب الجحيم :: واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب :: ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم :: وعدتهم اياها :: ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم :: عطف على هم الاول اي ادخلهم ومن صلح ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد :: انك انت العزيز :: الذي لا يمتنع عليه مقدور :: الحكيم :: الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد :: وقهم السيئات :: العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله :: ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته :: اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب :: وذلك هو الفوز العظيم :: يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما :: ان الذين كفروا ينادون :: يوم القيامة فيقال لهم :: لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم :: اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء :: اذ تدعون الى الايمان فتكفرون :: ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه وقد فصل بينه وبينها بخبره ولا للثاني فان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد :: قالوا ربنا امتنا اثنتين :: اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير وصرف له عن الآخر :: واحييتنا اثنتين :: الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب لقوله :: فاعترفنا بذنوبنا :: فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث :: فهل الى خروج :: نوع خروج من النار :: من سبيل :: طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله :: ذلكم :: اي الذي انتم فيه :: بانه :: بسبب انه :: اذا دعي الله وحده :: متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل

واقبح مقامه في الحالة كونهم بالتوحيد :: وان يشرك به تؤمنوا :: بالاشراك فالحكم
لله :: المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد :: العلي الكبير :: من ان يشرك
به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة
بالعذاب السرمد :: هو الذي يريكم آياته :: الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم :: وينزل
لكم من السماء رزقا :: اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم :: وما يتذكر :: بالآيات التي
هي مركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى :: الا من
ينيب :: يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه
فادعوا الله مخلصين له الدين :: من الشرك :: ولو كره الكافرون :: اخلاصكم وشق
عليهم :: رفيع الدرجات ذو العرش :: خبران آخران للدلالة على علو صمديته من
حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجاته كمالا
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يمكن
ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات
او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح :: يلقي الروح من امره على من يشاء
من عباده :: خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها
وهو الوحي تمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير
او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية :: لينذر
غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني :: يوم
التلاق :: يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبود
والعباد والاعمال والعمال :: يوم هم بارزون :: خارجون من قبورهم او ظاهرون لا
يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم :: لا يخفى على الله
منهم شيء :: من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهمونه
في الدنيا :: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار :: حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب
به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال
فناطقة بذلك دائما :: اليوم تجزى كل نفس بما كسبت :: كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس
تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذاتها والامها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق
تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذاتها والامها :: لا ظلم اليوم ::
بنقص الثواب وزيادة العقاب :: ان الله سريع الحساب :: اذ لا يشغله شان عن شان

قوله او الخطة الآزفة عطف على القيامة فيكون من حذف الموصوف واقامة الوصف مقامه
واليوم على هذا يوم الخطة الآزفة ... الامور
الصعبة التي يستحق ان تكتب ...

فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا :: وانذرهم يوم الآزفة :: اي القيامة سميت بها لازوفها
اي قربها او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت :: اذ القلوب لدى الحناجر
:: فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا ::
كاظمين :: على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او من ضميرها في لدى
وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول
انذرهم على انه حال مقدرة :: ما للظالمين من حميم :: قريب مشفق :: ولا شفيع يطاع ::
ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم :: يعلم خائنة الاعين :: النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين :: وما تخفي الصدور :: من الضمائر
والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء :: والله يقضي بالحق ::
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه :: والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء :: تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء
على الالتفات او اضمار قل :: ان الله هو السميع البصير :: تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه :: اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم :: مآل حال الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود :: كانوا هم اشد منهم قوة :: قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل
وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ
ابن عامر اشد منكم بالكاف :: وآثارا في الارض :: مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل
المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا :: فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق :: يمنع العذاب عنهم :: ذلك :: الاخذ :: بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات :: بالمعجزات
والاحكام الواضحة :: فكفروا فأخذهم الله انه قوي :: متمكن مما يريده غاية التمكن :: شديد
العقاب :: لا يؤبه بعقاب دون عقابه :: ولقد ارسلنا موسى بآياتنا :: يعني المعجزات
:: وسلطان مبين :: وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات
كالعصا تفخيما لشانه :: الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب :: يعنون موسى
وهو تسلية لرسول الله عليه السلام وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا
واقربهم زمانا :: فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
:: اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى :: وما كيد

الكافرين إلا في ضلال: في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع المضمر لتعميم الحكم والدلالة
على العلة. وقال فرعون ذروني أقتل موسى: كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس
الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع
كونه سفاكا في أهون شيء دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله
لم يتيسر له ويؤيده قوله: وليدع ربه: فإنه تجلد وعدم مبالاة بدعائه. إني أخاف:
إن لم أقتله. أن يبدل دينكم: أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام لقوله
ويذرك وآلهتك. أو أن يظهر في الأرض الفساد: ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر
بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع
الفساد. وقال موسى: أي لقومه لما سمع كلامه. إني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب: صدّر الكلام بإن تأكيدا وإشعارا على أن السبب المؤكد في
دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية وإضافته
إليه وإليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول.
وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي عدت فيه وفي الدخان بالإدغام وعن نافع مثله.
وقال رجل مؤمن من آل فرعون: من أقاربه وقيل من متعلق بيوم. يكتم إيمانه: والرجل
إسرائيلي أو غريب موحد كان ينافقهم. أتقتلون رجلا: أتقصدون قتله. أن يقول:
لأن يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل في أمره. ربي الله: وحده وهو في
الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد. وقد جاءكم بالبينات: المتكثرة على صدقه من المعجزات
والاستدلالات. من ربكم: أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا
لهم إلى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال: وإن يك كاذبا فعليه كذبه:
لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله. وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم:
فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك
قدّم كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو
أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد: تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه. إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب: احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلى

البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم
إلى قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون
بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة. يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين: غالبين عالين. في الأرض: أرض مصر. فمن ينصرنا من بأس
الله إن جاءنا: أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم
يمنعنا منه أحد وإنما أدرج نفسه في الضميرين لأنه كان منهم في القرابة وليريهم أنه معهم
ومساهمهم فيما ينصح لهم. قال فرعون ما أريكم: ما أشير إليكم. إلا ما أرى: وأستصوبه
من قتله. وما أهديكم: وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان
عليه. إلا سبيل الرشاد: طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعّال للمبالغة
من رشد كعلّام أو من رشّد كعبّاد لا من أرشد كجبار لأنه مقصور على السماع أو للنسبة
إلى الرشد كعواج وبتات. وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم: في تكذيبه والتعرض له.
مثل يوم الأحزاب: مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير
أغنى عن جمع اليوم. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود: مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر
وإيذاء الرسل. والذين من بعدهم: كقوم لوط. وما الله يريد ظلما للعباد: فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من
حيث أن المنفي فيه نفي حدوث تعلق إرادته بالظلم. ويا قوم إني أخاف عليكم يوم
التناد: يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور
أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه. يوم تولون: عن الموقف. مدبرين: منصرفين
عنه إلى النار وقيل فارين عنها. ما لكم من الله من عاصم: يعصمكم من عذابه. ومن يضلل
الله فما له من هاد. ولقد جاءكم يوسف: يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى
أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف.
من قبل: من قبل موسى. بالبينات: بالمعجزات. فما زلتم في شك مما جاءكم به: من الدين.
حتى إذا هلك: مات. قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا: ضما إلى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث. كذلك: مثل ذلك الإضلال.
يضل الله: في العصيان. من هو مسرف مرتاب: شاك فيما تشهد به البينات لغلبة

الوهم ولا انهماك في التقليد :: الذين يجادلون في آيات الله :: بدل من الموصول الأول
لأنه بمعنى الجمع :: بغير سلطان :: بغير حجة بل إما بتقليد أو شبهة داحضة :: أتاهم
كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا :: فيه ضمير من وإفراده للفظ ويجوز أن يكون
الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو
بغير سلطان وفاعل كبر :: كذلك :: أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله :: يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار :: استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن
ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت أذني
أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر :: وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر :: لعلي أبلغ الأسباب :: الطرق :: أسباب
السموات :: بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها
:: فأطلع إلى إله موسى :: عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله
أراد أن يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب
سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه أو أن
يرى فساد قول موسى بأن إخباره من إله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله إليه
وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو مما لا يقوى عليه الإنسان وذلك لجهله بالله
وكيفية استنبائه :: وإني لأظنه كاذبا :: في دعوى الرسالة :: وكذلك :: ومثل ذلك
التزيين :: زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل :: سبيل الرشاد والفاعل
على الحقيقة هو الله ويدل عليه أنه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ
الحجازيان والشامي وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده :: وما كيد فرعون إلا في تباب :: أي خسار
:: وقال الذي آمن :: يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى :: يا قوم اتبعون أهدكم
:: بالدلالة :: سبيل الرشاد :: سبيلا يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن
ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي :: يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع :: تمتع يسير
لسرعة زوالها :: وإن الآخرة هي دار القرار :: لخلودها :: من عمل سيئة فلا يجزى
إلا مثلها :: عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها :: ومن عمل صالحا
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ::
بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل

وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الإشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة
وجعل العمل عمدة والإيمان حالا للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه
أعلى من ذلك :: ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار :: كرر نداءهم
إيقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الأول فإن
ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أو تعريضا أو على الأول :: تدعونني لأكفر بالله ::
بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بإلى واللام :: وأشرك به ما ليس لي به
:: بربوبيته :: علم :: والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان واعتقاده
لا يصح إلا عن إيقان :: وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار :: المستجمع لصفات الألوهية
من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران :: لا جرم :: لا رد لما دعوه إليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله :: أنما
تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة :: أي حق عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها
لأنها جمادات ليس لها ما يقتضي ألوهيتها أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة
لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء إليه أن لا دعوة له بمعنى ما
حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما أن بدا من لا بد
فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام أي لا ينقطع
وقتا ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد :: وأن
مردنا إلى الله :: بالموت :: وأن المسرفين :: في الضلال والطغيان كالإشراك وسفك
الدماء :: هم أصحاب النار :: ملازموها :: فستذكرون :: فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة
العذاب :: ما أقول لكم :: من النصيحة :: وأفوض أمري إلى الله :: ليعصمني من كل سوء :: إن الله
بصير بالعباد :: فيحرسهم قاله جوابا لتوعدهم المفهوم من قوله :: فوقاه الله سيئات ما
مكروا :: شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى :: وحاق بآل فرعون :: بفرعون وقومه واستغنى
بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فإنه فر إلى جبل فاتبعه طائفة
فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم :: سوء العذاب :: الغرق
أو القتل أو النار :: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا :: جملة مستأنفة أو النار خبر محذوف
ويعرضون استئناف للبيان أو بدل ويعرضون حال منها أو من الآل وقرئت منصوبة
على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار

احراقهم بها ثم قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى
ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة
وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر
ويوم تقوم الساعة :: اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا
آل فرعون :: يا آل فرعون :: اشد العذاب :: عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه
او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة
بادخالهم النار :: واذ يتحاجون في النار :: واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا
:: فيقول الضعفاء للذين استكبروا :: تفصيل له :: انا كنا لكم تبعا :: تباعا كخدم في جمع
خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز :: فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
:: بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون :: قال الذين استكبروا
انا كل فيها :: نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد
لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض من المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا
يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب :: ان الله قد حكم
بين العباد :: بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه :: وقال الذين
في النار لخزنة جهنم :: اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل
ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر :: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
:: قدر يوم :: من العذاب :: شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف
ومن العذاب بيانه :: قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات :: ارادوا به الزامهم الحجة
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة :: قالوا بلى قالوا فادعوا
:: فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة :: وما دعاء
الكافرين الا في ضلال :: في ضياع لا يجاب :: انا لننصر رسلنا والذين آمنوا :: بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة :: في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد :: اى في الدارين ولا ينتقض
ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب
واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم :: بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه
لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء :: ولهم اللعنة :: البعد من الرحمة

ولهم سوء الدار :: جهنم :: ولقد آتينا موسى الهدى :: ما يهتدى به في الدين من
المعجزات والصحف والشرائع :: واورثنا بني اسرائيل الكتاب :: وتركنا عليهم بعده
من ذلك التورية :: هدى وذكرى :: هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا :: لاولى
الالباب :: لذوى العقول السليمة :: فاصبر :: على اذى المشركين :: ان وعد الله حق
:: بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون :: واستغفر لذنبك :: واقبل على امر
دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك
في النصر واظهار الامر :: وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار :: ودم على التسبيح والتحميد لربك
وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا :: ان الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم :: عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي
مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر و
تسير معه الانهار :: ان في صدورهم الا كبر :: الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة
الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم :: ما هم ببالغيه :: ببالغي دفع الآيات او المراد :: فاستعذ
بالله :: فالتجئ اليه :: انه هو السميع البصير :: لاقوالكم وافعالكم :: لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس :: فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من
اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد :: ولكن اكثر الناس لا يعلمون ::
لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم :: وما يستوى الاعمى والبصير
:: الغافل والمستبصر :: والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء :: والمحسن والمسيء
ينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء
لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل :: قليلا ما يتذكرون :: اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار و
قرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة :: ان
الساعة لآتية لا ريب فيها :: في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد
بوقوعها :: ولكن اكثر الناس لا يؤمنون :: لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسونه
:: وقال ربكم ادعوني :: اعبدوني :: استجب لكم :: اثبكم لقوله :: ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين :: صاغرين فان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار
الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ

ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء ❁ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ❁
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس ❁ والنهار
مبصرا ❁ يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى
الحال ❁ ان الله لذو فضل على الناس ❁ لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ❁ ولكن اكثر
الناس لا يشكرون ❁ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ❁
ذلكم ❁ المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية ❁ الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا
هو ❁ اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون
لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة ❁ فانى تؤفكون ❁ فكيف ومن اي وجه تصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره ❁ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ❁ اي كما افكوا افك
عنه كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ❁ الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء ❁
استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة ❁ وصوركم فاحسن صوركم ❁ بان خلقكم منتصب القامة بادي
البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ❁ ورزقكم
من الطيبات ❁ اللذائذ ❁ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ❁ فان كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال ❁ هو الحي ❁ المتفرد بالحياة الذاتية ❁ لا اله الا هو ❁ اذ لا موجود
يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته ❁ فادعوه ❁ فاعبدوه ❁ مخلصين له الدين ❁ اي الطاعة
من الشرك والرياء ❁ الحمد لله رب العالمين ❁ قائلين له ❁ قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي ❁ من الحجج والآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها ❁
وامرت ان اسلم لرب العالمين ❁ ان انقاد له او اخلص له ديني ❁ هو الذي خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ❁ اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد
منكم ❁ ثم لتبلغوا اشدكم ❁ اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله
ثم لتكونوا شيوخا ❁ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم
الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ❁ ومنكم من يتوفى من قبل ❁ من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد
ولتبلغوا ❁ ويفعل ذلك لتبلغوا ❁ اجلا مسمى ❁ هو وقت الموت او يوم القيامة ❁ ولعلكم
تعقلون ❁ ما في ذلك من الحجج والعبر ❁ هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا ❁ فاذا اراده ❁
فانما يقول له كن فيكون ❁ فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان
ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ❁ الم تر الى
الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون ❁ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل

قوله عن التصديق به الظاهر ان الضمير له اي بالله وتوحيده والاولى ان يجعل لها بتعيين رجوع الى الآيات على ما هو المناسب لما بعده

او المجادل فيه او للتوكيد ❁ الذين كذبوا بالكتاب ❁ بالقرآن او بجنس الكتب السماوية
وبما ارسلنا به رسلنا ❁ من سائر الكتب او الوحي والشرائع ❁ فسوف يعلمون ❁ جزاء تكذيبهم
اذ الاغلال في اعناقهم ❁ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه
والسلاسل ❁ عطف على الاغلال او مبتدأ خبره ❁ يسحبون في الحميم ❁ والعائد محذوف
اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية
على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال
او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ❁ ثم في النار يسجرون ❁ يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ
والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ❁ ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا ❁ غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا
عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم ❁ بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ❁ اي بل تبين لنا انا لم نكن
نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن ❁ كذلك
يضل الله الكافرين ❁ مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة
او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ❁ ذلكم ❁ الاضلال ❁ بما كنتم تفرحون
في الارض ❁ تبطرون وتتكبرون ❁ بغير الحق ❁ وهو الشرك والطغيان ❁ وبما كنتم تمرحون ❁
تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ❁ ادخلوا ابواب جهنم ❁
الابواب السبعة المقسومة لكم ❁ خالدين فيها ❁ مقدرين الخلود ❁ فبئس مثوى المتكبرين ❁
عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد
بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى ❁ فاصبر ان وعد الله ❁ بهلاك الكفار ❁ حق ❁ كائن
لا محالة ❁ فاما نرينك ❁ فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل
ولا تلحق مع ان وحدها ❁ بعض الذي نعدهم ❁ وهو القتل والاسر ❁ او نتوفينك ❁
قبل ان تراه ❁ فالينا يرجعون ❁ يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في
حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار على ذكر
الرجوع في هذا المعرض ❁ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك ❁ اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور
قصتهم اشخاص معدودة ❁ وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ❁ فان المعجزات

عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها
ولا استبداد باتيان المقترح بها ❊ فاذا جاء امر الله ❊ بالعذاب في الدنيا والآخرة
❊ قضي بالحق ❊ بانجاء المحق وتعذيب المبطل ❊ وخسر هنالك المبطلون ❊ المعاندون
باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها ❊ الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون ❊ فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ❊ ولكم
فيها منافع ❊ كالالبان والجلود والاوبار ❊ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ❊ بالمسافرة
عليها ❊ وعليها ❊ في البر ❊ وعلى الفلك ❊ في البحر ❊ تحملون ❊ وانما قال على الفلك
ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به
التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية واجبة او
للفرق بين العين والمنفعة ❊ ويريكم آياته ❊ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط
رحمته ❊ فأي آيات الله ❊ اي فأي آية من تلك الآيات ❊ تنكرون ❊ فانها لظهورها لا تقبل
الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء
في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه ❊ افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ❊ بما بقي
منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم ❊ فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون ❊ ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة به ❊ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ❊ بالمعجزات او الآيات الواضحات
❊ فرحوا بما عندهم من العلم ❊ واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة
وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم و
الصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده
❊ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ❊ وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادي جهل
الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم ❊ فلما رأوا بأسنا ❊ شدة عذابنا ❊ قالوا آمنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ❊ يعنون الاصنام ❊ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
❊ لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان
قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله

فما اغنى والثالثة لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان
مسبب عن الرؤية ❊ سنة الله التي قد خلت في عباده ❊ اي سن الله ذلك
سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة ❊ وخسر هنالك الكافرون ❊
اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان قال النبي عليه السلام من قرأ
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

❊ سورة فصلت مكية وآيها ثلث او اربع وخمسون ❊

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ حم ❊ ان جعلته مبتدأ فخبره ❊ تنزيل من الرحمن الرحيم
❊ وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره
❊ كتاب ❊ وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح
هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم
والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية و
الدنيوية ❊ فصلت آياته ❊ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها
من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل ❊ قرآنا عربيا ❊
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه ❊ لقوم يعلمون ❊
لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او
لفصلت والاولى ان يكون صفة لوقوعه بين الصفات ❊ بشيرا ونذيرا ❊ للعاملين به والمخالفين له
وقرئا بالرفع على صفة الكتاب او خبر محذوف ❊ فاعرض اكثرهم ❊ عن تدبره وقبوله
❊ فهم لا يسمعون ❊ سماع تأمل وطاعة ❊ وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ❊ اغطية
جمع كنان ❊ وفي آذاننا وقر ❊ صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ❊ ومن بيننا و
بينك حجاب ❊ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه
بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن
ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول ❊ فاعمل ❊ على دينك او في ابطال امرنا ❊ اننا عاملون ❊ على ديننا او في
ابطال امرك ❊ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ❊ لست ملكا
ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم
الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دلت عليهما دلائل العقل وشواهد النقل ❊
فاستقيموا اليه ❊ فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد

قوله لبخلهم وعدم إشفاقهم إلخ لا يقال السورة مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة لأن المفروض بالمدينة هي الزكاة المقدرة وأما أصلها فبعض في مكة وقد مرت إليه الإشارة في تفسير قد أفلح وآتوا حقه يوم حصاده

والإخلاص في العمل «واستغفروه» مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال «وويل للمشركين» من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله «الذين لا يؤتون الزكاة» لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الإيمان والطاعة «وهم بالآخرة هم كافرون» حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وإنكارهم للآخرة «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون» لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل إذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون «قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين» في مقدار يومين أو بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد من الأرض ما في جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا وكفرهم به إلحادهم في ذاته وصفاته «وتجعلون له أندادا» ولا يصح أن يكون له ند «ذلك» الذي خلق الأرض في يومين «رب العالمين» خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها «وجعل فيها رواسي» استئناف وليس معطوفا على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة «من فوقها» مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب «وبارك فيها» وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات «وقدر فيها أقواتها» أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به أو أقواتا تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها «في أربعة أيام» في تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما لليومين الأولين والتصريح على الفذلكة «سواء» أي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في أقواتها أو في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء «للسائلين» متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الأقوات للطالبين لها «ثم استوى إلى السماء» قصد نحوها من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر أن ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والأرض بعد ذلك دحاها

قوله أو الأجزاء المتصغرة يعني التي لا تتجزى أصلا أو خارجا فقط وهي الأجزاء الديمقراطيسية وإطلاق الدخان عليها جز هلول المتنوع

قوله بما خلقت فيكما الباء للملابسة دون التعدية لاستلزامها حذف ما هو جزء الكلمة وفي بعض النسخ ما خلقت بلا باء وعلى هذا يكون المترتب في قوله فقضاهن جعلها سبعا ومعنون المجموع ... العادة وإلا فالأمر بالإتيان بهذا المعنى مترتب على خلقهما

ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها «وهي دخان» أمر ظلماني ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي ركبت منها «فقال لها وللأرض ائتيا» بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة أو الإخبار أو إتيان السماء حدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه أو ليأت كل منكما الأخرى في حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة أي ليوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما «طوعا أو كرها» شئتما ذلك أو أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال «قالتا أتينا طائعين» منقادين بالذات والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع كقوله كن فيكون وما قيل إنه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير وإنما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين «فقضاهن سبع سماوات» فخلقهن خلقا إبداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سماوات حال على الأول وتمييز على الثاني «في يومين» قيل خلق السماوات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة «وأوحى في كل سماء أمرها» شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى إلى أهلها بأوامره «وزينا السماء الدنيا بمصابيح» فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها «وحفظا» أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا «ذلك تقدير العزيز العليم» البالغ في القدرة والعلم «فإن أعرضوا» عن الإيمان بعد هذا البيان «فقل أنذرتكم صاعقة» فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة «مثل صاعقة عاد وثمود» وقرئ صعقة عاد وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا «إذ جاءتهم الرسل» حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى «من بين أيديهم ومن خلفهم» من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد

بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين الى الايمان بهم
اجمعين ويجوز ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
ألا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال
الرسل لانزل ملائكة برسالة فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها
على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل
كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر
عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها في ايام نحسات جمع نحسة من نحس
نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت
على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة
بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها
اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم و
ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف
بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل

المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي
وهو اول الجواب والنطق بدلالة الحال يعم الشيء عاما في الموجودات الممكنة
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون
عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم
عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة
الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان
يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به
في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم
من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا
وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على
البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم
ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره
وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله في اصحاب الجنة
قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم
وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او
ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي
يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا
عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلين او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي سيئات
اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوأ مبتدأ جزاء
اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار
الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها

ان المقصود وهو العمدة. جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر
الجحود الذي هو سبب اللغو. وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنّا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف
كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء. نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل. ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا. ان الذين قالوا
ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته. ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه
عن الاقرار في الرتبة من حيث ان مبدأ الاستقامة او لانها عسير قلّ ما تتبع الاقرار وما
روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء
الفرائض بيان لجزئياتها. تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن او عند الموت او الخروج من القبر. الا تخافوا ما تقدمون عليه. ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة. وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل. نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق
ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة. وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة
حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم. ولكم فيها في الآخرة. ما تشتهي انفسكم من اللذائذ
ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول. نزلا من
غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر
ببالهم كالنزل للضيف. ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته. وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه. وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا
من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي
عليه السلام وقيل في المؤذنين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي. ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بأحسن ما يمكن دفعها به
من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك
وضع احسن موضع الحسنة. فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم اي اذا
فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق. وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي
مقابلة الاساءة بالاحسان. الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام. وما يلقاها

الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة. واما ينزغنك
من الشيطان نزغ نخس شبّه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو
اسوأ وجعل نازغا على طريقة جدّ جدّه او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر.
فاستعذ بالله من شره ولا تطعه. انه هو السميع لاستعاذتك. العليم
بنيتك وبصلاحك. ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم. واسجدوا لله الذي خلقهن
الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بها اشعارا بانهن من عداد ما لا يعلم
ولا يختار. ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع
السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال. فالذين عند ربك من الملائكة. يسبحون له
بالليل والنهار اي دائما. وهم لا يسأمون اي لا يملون. ومن آياته
انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل.
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ
ربأت اي زادت. ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير
من الاحياء والاماتة. ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة. في آياتنا
بالطعن والتحريف والتأويل بالباطل والالغاء فيها. لا يخفون علينا فنجازيهم
على الحادهم. أفمن يلقى في النار خير أمّن يأتي آمنا يوم القيامة قابل الالقاء في
النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين. اعملوا ما شئتم تهديد شديد. انه بما
تعملون بصير وعيد بالمجازاة. ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله
ان الذين يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او
هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن. وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم
النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية.
تنزيل من حكيم اي حكيم. حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه. ما يقال لك
اي ما يقول لك كفار قومك. الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم
كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم. ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب أليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل

ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ❊ ولو جعلناه
قرآنا أعجميا ❊ جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ❊ لقالوا لولا فصلت
آياته ❊ بينت بلسان نفقهه ❊ ءأعجمي وعربي ❊ أكلام أعجمي ومخاطب عربي إنكار
مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وقرئ أعجمي وهو منسوب
إلى العجم وقرأ هشام أعجمي على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت
آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها عربيا لإفهام العرب والمقصود إبطال
مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات
كيف جاءت ❊ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ❊ لما في الصدور من الشك والشبهة
❊ والذين لا يؤمنون ❊ مبتدأ خبره ❊ في آذانهم وقر ❊ على تقدير هو في آذانهم وقر
لقوله ❊ وهو عليهم عمى ❊ وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن
جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى ❊ أولئك ينادون من
مكان بعيد ❊ أي هم مثل لهم في عدم قبولهم واستماعهم لمن يصيح به من مسافة
بعيدة ❊ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ❊ بالتصديق والتكذيب كما
اختلف في القرآن ❊ ولولا كلمة سبقت من ربك ❊ وهي العدة بالقيامة وفصل
الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال ❊ لقضي بينهم ❊ باستئصال المكذبين ❊ وإنهم ❊
وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون ❊ لفي شك منه ❊ من التوراة أو القرآن ❊ مريب
❊ موجب للاضطراب ❊ من عمل صالحا فلنفسه ❊ نفعه ❊ ومن أساء فعليها ❊ ضره
❊ وما ربك بظلام للعبيد ❊ فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله ❊ إليه يرد علم الساعة ❊
أي إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلا هو ❊ وما تخرج من ثمرة من أكمامها ❊ من أوعيتها جمع
كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ
بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله ❊ وما تحمل من أنثى ولا تضع ❊ بمكان
إلا بعلمه ❊ إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ❊ ويوم يناديهم أين شركائي
❊ بزعمكم ❊ قالوا آذناك ❊ أعلمناك ❊ ما منا من شهيد ❊ من أحد يشهد لهم بالشركة
إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لأنهم
ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين ❊ وضل
عنهم ما كانوا يدعون ❊ يعبدون ❊ من قبل ❊ لا ينفعهم أو لا يرونهم ❊ وظنوا

وأيقنوا ❊ ما لهم من محيص ❊ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي ❊ لا يسأم الإنسان
❊ لا يمل ❊ من دعاء الخير ❊ من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير ❊ وإن
مسه الشر ❊ الضيقة ❊ فيؤوس قنوط ❊ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر
لقوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة
البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس ❊ ولئن أذقناه رحمة منا من
بعد ضراء مسته ❊ بتفريجها عنه ❊ ليقولن هذا لي ❊ حقي أستحقه لما لي من الفضل والعمل
أو لي دائما لا يزول ❊ وما أظن الساعة قائمة ❊ تقوم ❊ ولئن رجعت إلى ربي إن
لي عنده للحسنى ❊ أي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من
الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاق لا ينفك عنه ❊
فلننبئن الذين كفروا ❊ فلنخبرنهم ❊ بما عملوا ❊ بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها ❊ ولنذيقنهم من عذاب غليظ ❊ لا يمكنهم التفصي عنه ❊ وإذا أنعمنا على الإنسان
أعرض ❊ عن الشكر ❊ ونأى بجانبه ❊ وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه
بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله ❊ وإذا مسه
الشر فذو دعاء عريض ❊ كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره
وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك
بطوله ❊ قل أرأيتم ❊ أخبروني ❊ إن كان ❊ القرآن ❊ من عند الله ثم كفرتم به ❊ من
غير نظر واتباع دليل ❊ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ❊ أي من أضل منكم
فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ❊ سنريهم آياتنا
في الآفاق ❊ يعني ما أخبرهم النبي عليه السلام ❊ من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق
للعادة ❊ وفي أنفسهم ❊ ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الإنسان من
عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة ❊ حتى يتبين لهم أنه الحق ❊ الضمير للقرآن أو
الرسول أو التوحيد أو الله ❊ أولم يكف بربك ❊ أي ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه
قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى ❊ أنه على كل شيء شهيد
❊ بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار
الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو
لم يكف الإنسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية ❊ ألا

الا انهم في مرية: شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية: من لقاء ربهم: بالبعث
والجزاء: الا انه بكل شيء محيط: عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته
شيء منها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم: حم عسق: لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا
آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق: كذلك يوحي
اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم: اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
او ايحاء مثل ايحائها اوحي اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح
على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك
والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به
كما مر في السورة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او
العزيز الحكيم صفتان وقوله: له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم:
خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته: تكاد السموات: وقرأ
نافع والكسائي بالياء: يتفطرن: يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد وقرأ
البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ
تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر: من فوقهن: اي يبتدئ الانفطار من
جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك
الجهة وعلى الثاني ليدل على ان الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض
فان المراد بها الجنس: والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض:
بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك
في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم
الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة: الا ان الله هو الغفور
الرحيم: اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته
وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك
الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته: والذين اتخذوا من دونه
اولياء: شركاء وانداداً: الله حفيظ عليهم: رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم

بها: وما انت: يا محمد: عليهم بوكيل: بموكل بهم او بموكول اليه امرهم: وكذلك
اوحينا اليك قرآنا عربيا: الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر
في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه: لتنذر ام
القرى: اهل ام القرى وهي مكة: ومن حولها: من العرب: وتنذر يوم الجمع:
يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني
مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل او ايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن: لا ريب فيه: لا محل له: فريق في الجنة وفريق في السعير: اي بعد
جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب: ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
: مهتدين او ضالين: ولكن يدخل من يشاء في رحمته: بالهداية والحمل على الطاعة:
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير: اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير
المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار: ام اتخذوا: بل اتخذوا: من دونه
اولياء: كالاصنام: فالله هو الولي: جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا
بحق فالله هو الولي بالحق: وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير: كالمقرر لكونه حقيقا
بالولاية: وما اختلفتم: انتم والكفار: فيه من شيء: من امر من امور الدين والدنيا
: فحكمه الى الله: مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل
وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله: ذلكم الله ربي عليه
توكلت: في مجامع الامور: واليه انيب: ارجع في المعضلات: فاطر السموات
والارض: خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم: وقرئ بالجر على البدل من الضمير
او الوصف لالى الله: من انفسكم: من جنسكم: ازواجا: نساء: ومن الانعام
ازواجا: اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا
واناثا: يذرؤكم: يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر: فيه
: في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير: ليس كمثله شيء: اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته
كما في قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد
مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: الا وفيهم

الطيب الطاهر لرابته وقيل الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله
كمثله الى ما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة ⁘ وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر ⁘ له مقاليد السموات والارض ⁘ خزائنها ⁘ يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر ⁘ يوسع ويضيق على وفق مشيئته ⁘ انه بكل شيء عليم ⁘ فيفعله
على ما ينبغي ⁘ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابرهيم وموسى وعيسى ⁘ اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن
بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله
ان اقيموا الدين ⁘ وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب
على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع
او الجر على البدل من هاء به ⁘ ولا تتفرقوا فيه ⁘ ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع
فمختلفة فيها كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ⁘ كبر على المشركين ⁘ عظم عليهم
ما تدعوهم اليه ⁘ من التوحيد ⁘ الله يجتبي اليه من يشاء ⁘ يجتلب اليه والضمير
لما تدعوهم او للدين ⁘ ويهدي اليه ⁘ بالارشاد والتوفيق ⁘ من ينيب ⁘ يقبل اليه
وما تفرقوا ⁘ يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب ⁘ الا من بعد ما جاءهم العلم ⁘ العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه والعلم
بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا اليها
بغيا بينهم ⁘ عداوة او طلبا للدنيا ⁘ ولولا كلمة سبقت من ربك ⁘ بالامهال
الى اجل مسمى ⁘ هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة ⁘ لقضي بينهم ⁘ باستيصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا ⁘ وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين الذين اورثوا القرآن
من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا و ورّثوا ⁘ لفي شك منه ⁘ من كتابهم لا يعلمونه
كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن ⁘ مريب ⁘ مقلق او مدخل في الريبة
فلذلك ⁘ فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته ⁘ فادع ⁘ الى الاتفاق
على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان تكون اللام في موضع الى لافادة
الصلة والتعليل ⁘ واستقم كما امرت ⁘ واستقم على الدعوة كما امرك الله ⁘ ولا تتبع
اهواءهم ⁘ الباطلة ⁘ وقل آمنت بما انزل الله من كتاب ⁘ يعني جميع الكتب المنزلة لا
كالذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ⁘ وامرت لاعدل بينكم ⁘ في تبليغ الشرائع والحكومات

قوله امرت بذلك لاعدل

قوله والثاني بقوله وامرت لاعدل بينكم

والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية ⁘ الله ربنا
وربكم ⁘ خالق الكل ومتولي امره ⁘ لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ⁘ وكل مجازى بعمله ⁘ لا حجة
بيننا وبينكم ⁘ لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف
مبدأ سوى العناد ⁘ الله يجمع بيننا ⁘ يوم القيمة ⁘ واليه المصير ⁘ مرجع الكل لفصل
القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال
⁘ والذين يحاجون في الله ⁘ في دينه ⁘ من بعد ما استجيب له ⁘ من بعد ما استجاب له
الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر
او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به ⁘ حجتهم داحضة
عند ربهم ⁘ زائلة باطلة ⁘ وعليهم غضب ⁘ بمعاندتهم ⁘ ولهم عذاب شديد ⁘
على كفرهم ⁘ الله الذي انزل الكتاب ⁘ جنس الكتاب ⁘ بالحق ⁘ ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام ⁘ والميزان ⁘ والشرع الذي يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها
⁘ وما يدريك لعل الساعة قريب ⁘ اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرائع وواظب
على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث ⁘ يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها ⁘ استهزاء ⁘ والذين آمنوا مشفقون منها ⁘ خائفون منها مع اعتناء بها
لتوقع الثواب ⁘ ويعلمون انها الحق ⁘ الكائن لا محالة ⁘ الا ان الذين يمارون في الساعة ⁘
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من
المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ⁘ لفي ضلال بعيد ⁘ عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه
⁘ الله لطيف بعباده ⁘ بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام ⁘ يرزق من يشاء ⁘
اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته ⁘ وهو القوي ⁘
الباهر القدرة ⁘ العزيز ⁘ المنيع الذي لا يغلب ⁘ من كان يريد حرث الآخرة ⁘ ثوابها
شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة
والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه ⁘ نزد له في حرثه ⁘
فنعطيه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ⁘ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ⁘
شيئا منها على ما قسمنا له ⁘ وما له في الآخرة من نصيب ⁘ اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى

قوله شيئا منها على انه يكون منها صفة موصوف محذوف ويجوز ان يكون منها للتبعيض اي بعضها وذلك المعنى واحد

قوله اذ الاعمال بالنيات ... على معنى الآية ... والحكم ... ودلالة عليه

ما نوى. أم لهم شركاء: بل ألهم شركاء، والهمزة للتقرير والتقريع، وشركاؤهم
شياطينهم. شرعوا لهم: بالتزيين. من الدين ما لم يأذن به الله: كالشرك
وإنكار البعث والعمل للدنيا. وقيل شركاؤهم أوثانهم، وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها
شركاء، وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالهم وافتتانهم بما تديّنوا به، أو صُوَر
من سنّه لهم. ولولا كلمة الفصل: أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء، أو العِدة بأن
الفصل يكون يوم القيامة. لقضي بينهم: بين الكافرين والمؤمنين، أو المشركين
وشركائهم. وإن الظالمين لهم عذاب أليم: وقرئ أنّ بالفتح عطفا على كلمة الفصل،
أي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فإن العذاب
الأليم غالب في عذاب الآخرة. ترى الظالمين: في القيامة. مشفقين: خائفين.
مما كسبوا: من السيئات. وهو واقع بهم: أي وباله لاحق بهم أشفقوا أو لم يشفقوا.
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات: في أطيب بقاعها وأنزهها.
لهم ما يشاءون عند ربهم: أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم. ذلك: إشارة
إلى ما للمؤمنين. هو الفضل الكبير: الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا. ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات: وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة
والكسائي يَبْشُر من بشره، وقرئ يُبْشِر من أبشره. قل لا أسألكم عليه: على ما أتعاطاه
من التبليغ والبشارة. أجرا: نفعا منكم. إلا المودة في القربى: أن تودوني لقرابتي
منكم، أو تودوا قرابتي. وقيل الاستثناء منقطع، والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن
أسألكم المودة. وفي القربى حال منها، أي إلا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في
أهلها، أو في حق القرابة ومن أجلها، كما جاء في الحديث: الحب في الله والبغض في الله.
روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.
وقيل القربى التقرب إلى الله، أي إلا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة
والعمل الصالح. وقرئ إلا مودة في القربى. ومن يقترف حسنة: ومن يكتسب
طاعة سيما حب آل الرسول، وقيل نزلت في أبي بكر ومودته لهم. نزد له فيها:
في الحسنة. حسنا: بمضاعفة الثواب. وقرئ يزد أي يزد الله. وحسنى. إن الله
غفور: لمن أذنب. شكور: لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة.
أم يقولون: بل أيقولون. افترى على الله كذبا: افترى محمد بدعوة النبوة أو
القرآن. فإن يشإ الله يختم على قلبك: استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه

إنما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه، فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا،
وكأنه قال إن يشإ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه. وقيل يختم على قلبك
يمسك القرآن والوحي عنه، أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أذاهم. ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور: استئناف لنفي الافتراء عما يقول
بأنه لو كان مفترى لمحقه، إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق بوحيه أو بقضائه، أو
بوعد لمحو باطلهم وإثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له. وسقوط الواو
في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الإنسان. وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده: بالتجاوز عما تابوا عنه، والقبول يعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه
معنى الأخذ والإبانة، وقد عرفت حقيقة التوبة. وعن علي رضي الله عنه: هو اسم يقع على ستة
معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة
النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة
المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. ويعفو عن السيئات: صغيرها وكبيرها لمن يشاء.
ويعلم ما يفعلون: فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص
تفعلون بالتاء. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات: أي يستجيب الله لهم فحذف
اللام كما حذف في وإذا كالوهم، والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة فإنها كدعاء
وطلب لما يترتب عليه، ومنه قوله عليه السلام: أفضل الدعاء الحمد لله. أو يستجيبون لله بالطاعة
إذا دعاهم إليها. ويزيدهم من فضله: على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة.
والكافرون لهم عذاب شديد: بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل. ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض: لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا، أو لبغى بعضهم
على بعض استيلاء واستعلاء، وهذا على الغالب، وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية
أو كيفية. ولكن ينزل بقدر: بتقدير. ما يشاء: ما اقتضته مشيئته. إنه بعباده
خبير بصير: يعلم خفايا أمرهم وجلاياها فيقدر لهم ما يناسب شأنهم. روي أن
أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت. وقيل في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا
أجدبوا انتجعوا. وهو الذي ينزل الغيث: المطر الذي يغيثهم من الجدب، ولذلك
خص بالنافع. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزّل بالتشديد. من بعد ما قنطوا:
أيسوا منه. وقرئ بكسر النون. وينشر رحمته: في كل شيء من السهل والجبل والنبات
والحيوان. وهو الولي: الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته. الحميد: المستحق

الحمد على ذلك ❊ ومن آياته خلق السموات والارض ❊ فانها بذاتها وصفاتها تدل على
وجود صانع قادر حكيم ❊ وما بث فيهما ❊ عطف على السموات او خلق ❊ من دابة ❊
من حي على اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين
يصدق انه فيهما في الجملة ❊ وهو على جمعهم اذا يشاء ❊ في اي وقت يشاء ❊ قدير ❊
متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع ❊ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ❊ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع
وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ❊ ويعفو عن كثير ❊ من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها
تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه ❊ وما انتم بمعجزين في الارض ❊ فائتين ما قضي عليكم
من المصائب ❊ وما لكم من دون الله من ولي ❊ يحرسكم عنها ❊ ولا نصير ❊ يدفعها
عنكم ❊ ومن آياته الجوار ❊ السفن الجارية ❊ في البحر كالاعلام ❊ كالجبال قالت الخنساء
وان صخرا لتأتم الهداة به ❊ كانه علم في رأسه نار ❊ ان يشأ يسكن الريح ❊ وقرئ
الرياح ❊ فيظللن رواكد على ظهره ❊ فيبقين ثوابت على ظهر البحر ❊ ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور ❊ لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله
والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ❊
او يوبقهن ❊ لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ❊ ويعف عن كثير ❊
او المعنى او يرسلها عاصفة فيوبقهن اسناده نوبهم وينجي ناسا على العفو عنهم وقرئ و
يعفو على الاستئناف ❊ ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ❊ عطف على علة مقدرة مثل
لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب
وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى
او يجمع بين اهلاك قوم وتحذير آخرين ❊ ما لهم من محيص ❊ محيد من العذاب والجملة معلق
عنها الفعل ❊ فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا ❊ تتمتعون به مدة حياتكم ❊ وما
عند الله ❊ من ثواب الآخرة ❊ خير وابقى ❊ لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة
تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا
فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رض تصدق ابو بكر رض بماله كله فلامه جمع
فنزلت ❊ للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون ❊ والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا ومدح منفصل

ومن وقوع ❊ واجبار يغفرون على ضميرهم جزاء للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال
الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم ❊ والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة ❊
نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له ❊ وامرهم شورى
بينهم ❊ ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط
تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ❊ ومما رزقناهم ينفقون ❊
في سبيل الخير ❊ والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون ❊ على ما جعله الله لهم
كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف
وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن معاودة الخصم والحلم عن
العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي عقب وصفهم بالانتصار
للمنع عن التعدي ❊ وجزاء سيئة سيئة مثلها ❊ وسمى الثانية سيئة للازدواج
او لانها تسوء من تنزل به ❊ فمن عفا واصلح ❊ بينه وبين عدوه ❊ فاجره على الله ❊
عدة مبهمة تدل على عظم الموعود ❊ انه لا يحب الظالمين ❊ المبتدئين بالسيئة و
المتجاوزين في الانتقام ❊ ولمن انتصر بعد ظلمه ❊ بعد ما ظلم وقد قرئ به ❊ فاولئك
ما عليهم من سبيل ❊ بالمعاتبة والمعاقبة ❊ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ❊
يبتدؤونهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ❊ ويبغون في الارض بغير الحق
اولئك لهم عذاب اليم ❊ على ظلمهم وبغيهم ❊ ولمن صبر ❊ على الاذى ❊ وغفر ❊ ولم ينتصر
ان ذلك لمن عزم الامور ❊ اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم
للعلم به ❊ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ❊ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه
❊ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ❊ حين يرونه وذكر بلفظ الماضي تحقيقا ❊ يقولون هل
الى مرد من سبيل ❊ اي الى رجعة الى الدنيا ❊ وتراهم يعرضون عليها ❊ على النار ويدل
عليها العذاب ❊ خاشعين من الذل ❊ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ❊ ينظرون
من طرف خفي ❊ اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر
الى السيف ❊ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم ❊
بالتعريض للعذاب المخلد ❊ يوم القيمة ❊ ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال
اي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال ❊ الا ان الظالمين في عذاب مقيم ❊ تمام كلام
او تصديق من الله لهم ❊ وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل
الله فما له من سبيل ❊ الى الهدى او النجاة ❊ استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له

من الله: لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده. ما لكم من ملجإ يومئذ: مفر. وما لكم من نكير: انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم يشهد عليه السنتكم وجوارحكم. فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا: رقيبا او محاسبا. ان عليك الا البلاغ: وقد بلغت. وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها: اراد بالانسان الجنس لقوله: وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور: بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانية للدلالة على ان الجنس موسوم بكفران النعمة. لله ملك السموات والارض: فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء. يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور: من غير لزوم ومجال اعتراض. او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما: بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة. انه عليم قدير: فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار. وما كان لبشر: وما صح له. ان يكلمه الله الا وحيا: كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله: او من وراء حجاب: عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله: او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء: او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا

او عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرف وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام. انه علي: عن صفات المخلوقين. حكيم: يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او من وراء حجاب. وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا: يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي. ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان: اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع. ولكن جعلناه: اي الروح او الكتاب او الايمان. نورا نهدي به من نشاء من عبادنا: بالتوفيق للقبول والنظر فيه. وانك لتهدي الى صراط مستقيم: هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله. صراط الله: بدل من الاول. الذي له ما في السموات وما في الارض: خلقا وملكا. الا الى الله تصير الامور: بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عليه السلام من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له.

سورة الزخرف مكية وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم. حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا: اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام: وثناياك انها اغريض. ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب ما يدل على انه تعالى صيره كذلك. لعلكم تعقلون: لكي تفهموا معانيه. وانه: عطف على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف. في ام الكتاب: في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائي ام الكتاب بالكسر. لدينا: محفوظا عندنا عن التغيير. لعلي: رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها. حكيم: ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب. افنضرب عنكم الذكر صفحا: افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة: اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس. والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين

واصلها ان تولى الشيء السوء عنك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا وتؤيده انه قرئ
صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون
الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ﴿ان كنتم قوما مسرفين﴾ اي لان
كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر
على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء
﴿وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون﴾ تسلية لرسول
الله عليه السلام عن استهزاء قومه ﴿فاهلكنا اشد منهم بطشا﴾ اي من القوم المسرفين
لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ﴿ومضى مثل الاولين﴾ وسلف في القرآن
قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ﴿ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ لعله لازم مقولهم او ما دل عليه
اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو
الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف
﴿الذي جعل لكم الارض مهدا﴾ فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف ﴿وجعل
لكم فيها سبلا﴾ تسلكونها ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع
بالنظر في ذلك ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار ينفع ولا يضر ﴿فانشرنا به
بلدة ميتا﴾ مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿كذلك﴾ مثل ذلك
الانشاء ﴿تخرجون﴾ تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون
بفتح التاء وضم الراء ﴿والذي خلق الازواج كلها﴾ اصناف المخلوقات ﴿وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون﴾ ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره
اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب
على النادر ولذلك قال ﴿لتستووا على ظهوره﴾ اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى
﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها
﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ مطيقين من اقرن الشيء
اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد
والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا الى قوله ﴿وانا الى ربنا
لمنقلبون﴾ اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب

الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى ﴿وجعلوا له
من عباده جزءا﴾ متصل بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من
عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من
الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ﴿ان
الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد اليه لانها
من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ﴿ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين﴾ معنى
الهمزة في ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا
له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم
بها اشتد غمه به كما قال ﴿واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ بالجنس الذي
جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ﴿ظل وجهه مسودا﴾ صار وجهه اسود
في الغاية لما يعتريه من الكآبة ﴿وهو كظيم﴾ مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد
ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة وقعت خبرا ﴿أومن ينشأ في الحلية﴾ اي او جعلوا له او اتخذ
من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وهو في الخصام﴾ في المجادلة ﴿غير مبين﴾
مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف
الخبر اي او من ينشأ هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنع
كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ
بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا﴾ كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم
على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب
عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع ﴿أشهدوا خلقهم﴾ احضروا خلق الله
اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وعن نافع
أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ﴿ستكتب
شهادتهم﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿ويسألون﴾ اي عنها يوم القيامة وهو وعيد
وقرئ سيكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهن
الملائكة ويساءلون من المساءلة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ اي لو شاء عدم
عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها

او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان
او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا
يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى
وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل
القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك
عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة
للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا
على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال
قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان
التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل او لو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية
امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص
قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير
من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف
تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من تقليد فانه اشرف
آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر
نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام
الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم
وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني
الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابراهيم او الله جل وعلا كلمة التوحيد
كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك

منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من
قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ
متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم
حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة
بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم
قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق
والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه
والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق
الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا
امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها
وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت
في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم
تآلف وتضام وينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه
لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك
يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار
في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون
يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك
وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ
سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او
ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة

او اللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية
وقرئ الا مع ان وما ❊ والآخرة عند ربك للمتقين ❊ الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان
العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع
الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل في الاغلب
من الآفات قل ما يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ❊ ومن يعش عن ذكر الرحمن ❊ يتعام
ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال
عشي اذا كان في بصره آفة وعشى اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من
موصولة ❊ نقيض له شيطانا فهو له قرين ❊ يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب يقيض
بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه ❊ وانهم ليصدونهم عن السبيل
❊ عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ❊ ويحسبون انهم مهتدون ❊ الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان
❊ حتى اذا جاءنا ❊ اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي
والشيطان ❊ قال ❊ العاشي للشيطان ❊ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ❊
اي بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما ❊ فبئس القرين ❊
انت ❊ ولن ينفعكم اليوم ❊ اي ما انتم عليه من التمني ❊ اذ ظلمتم ❊ اذ صح انكم ظلمتم
في الدنيا بدل من اليوم ❊ انكم في العذاب مشتركون ❊ لان حقكم ان تشتركوا انتم و
شياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن
ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم
لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول ❊ افانت
تسمع الصم او تهدي العمي ❊ انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم
على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله
عليه السلام يتعب في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ❊ ومن كان في ضلال
مبين ❊ عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك
تمكنهم في ضلال لا يخفى ❊ فاما نذهبن بك ❊ اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم و
ما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة ❊ فانا منهم منتقمون ❊
بعذاب في الدنيا والآخرة ❊ او نرينك الذي وعدناهم ❊ او ان اردنا ان نريك
ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك باسكان النون

وكذلك نذهبن ❊ فانا عليهم مقتدرون ❊ لا يفوتوننا ❊ فاستمسك بالذي اوحي اليك
❊ من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى ❊ ان
ك على صراط مستقيم ❊ لا عوج له ❊ وانه لذكر لك ❊ لشرف لك ❊ ولقومك وسوف
تسألون ❊ اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه ❊ واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
❊ اي واسأل اممهم وعلماء دينهم ❊ اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ❊ هل حكمنا
بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على
التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما
حملهم على التكذيب والمخالفة ❊ ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال
اني رسول رب العالمين ❊ يريد باقتصاصه تسلية الرسول عليه السلام ومناقضة
قولهم لولا انزل على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى الى التوحيد
❊ فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ❊ فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها
اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها ❊ وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها ❊ الا وهي بالغة
اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات
والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله ❊ من
تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ❊ مثل النجوم التي يسري بها الساري ❊ او الا وهي
مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار ❊ واخذناهم بالعذاب ❊ كالسنين
والطوفان والجراد ❊ لعلهم يرجعون ❊ على وجه يرجى رجوعهم ❊ وقالوا يا ايها الساحر
❊ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم يسمون العالم
الباهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء ❊ ادع لنا ربك ❊ يكشف عنا العذاب ❊
بما عهد عندك ❊ بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف
العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة ❊ اننا
لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ❊ فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء
❊ ونادى فرعون ❊ بنفسه او بمناديه ❊ في قومه ❊ في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف
العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم ❊ قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
❊ انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي ❊ تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه
الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها

أفلا تبصرون ذلك. أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو
مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة. ولا يكاد يبين
الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة، وأم إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير إذ قدم من
أسباب فضله أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم
تبصرون فتعلمون أني خير منه. فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب أي فهلا ألقي
إليه مقاليد الملك إن كان صادقا إذ كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه
بطوق من ذهب وأساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير
وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة
وألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى. أو جاء معه
الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من
اقترن بمعنى تقارن. فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم
فأطاعوه فيما أمرهم به. إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق
فلما آسفونا أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان منقول من أسف إذا اشتد
غضبه. انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم. فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم
من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم
وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف أو سالف كصبر أو سلف
كخشب وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة سلفت.
ومثلا للآخرين وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال فيقال مثلكم مثل قوم
فرعون. ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله
عليه السلام في قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال
النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله فالملائكة أولى به
أو على قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أو أن محمدا يريد أن نعبده كما
عبد المسيح. إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا
لظنهم أن الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود
أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف. وقالوا
أآلهتنا خير أم هو أي آلهتنا خير عندك أم عيسى فإن يكن في النار فلتكن آلهتنا معه
أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى فإذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك

أو آلهتنا خير أم محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين و
ألف بعدهما ويعقوب برواية روح. ما ضربوه لك إلا جدلا ما ضربوا هذا المثل
إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل. بل هم قوم خصمون شداد الخصومة
حراص على اللجاج. إن هو إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة. وجعلناه مثلا لبني إسرائيل
أمرا عجيبا كالمثل السائر لبني إسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة. ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب أو لجعلنا بدلكم. ملائكة في الأرض
يخلفون يخلفونكم في الأرض والمعنى أن حال عيسى وإن كانت عجيبة فإنه تعالى قادر على ما هو
أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث إنها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها
إبداعا فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه. وإنه وإن عيسى
لعلم للساعة لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لأن إحياءه الموتى
يدل على قدرة الله عليها وقرئ لعلم أي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية في الأرض المقدسة يقال لها أفيق وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي
بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها. فلا تمترن بها
فلا تشكن فيها. واتبعون واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول الرسول
أمر أن يقوله. هذا أي هذا الذي أدعوكم إليه. صراط مستقيم لا يضل سالكه.
ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة. إنه لكم عدو مبين ثابت عداوته إذ
أن أخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية. ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات أو بآيات
الإنجيل أو بالشرائع الواضحات. قال قد جئتكم بالحكمة بالإنجيل أو الشريعة.
ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر
الدنيا فإن الأنبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام أنتم أعلم بأمر دنياكم.
فاتقوا الله وأطيعون فيما أبلغه عنه. إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه
بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع. هذا
صراط مستقيم إشارة إلى مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى أو استئناف من
الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك. فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة
من بينهم من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث إليهم.

فويل للذين ظلموا :: من المتحزبين :: من عذاب يوم اليم :: هو يوم القيمة :: هل
ينظرون الا الساعة :: الضمير لقريش او للذين ظلموا :: ان تأتيهم :: بدل من الساعة
والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة :: بغتة :: فجاءة :: وهم لا يشعرون :: غافلون
عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها :: الاخلاء :: الاحباء :: يومئذ بعضهم
لبعض عدو :: اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له
سببا للعذاب :: الا المتقين :: فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد
يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون :: حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون
فى الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء :: الذين آمنوا
بآياتنا :: صفة للمنادى :: وكانوا مسلمين :: حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين
غير ان هذه العبارة آكد وابلغ :: ادخلوا الجنة انتم وازواجكم :: نساؤكم المؤمنات
تحبرون :: تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوههم او تزينون
من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما
وصف بجميل :: يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب :: الصحاف جمع صحفة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له :: وفيها :: وفى الجنة :: ما تشتهى الانفس :: وقرأ
نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل :: وتلذ الاعين :: بمشاهدته وذلك
تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ :: وانتم فيها خالدون :: فان
كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال ::
وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون :: وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث
لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى
اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتى خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعلى هذا
يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها :: لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون :: بعضها تأكلون
لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن و
هو حقير بالاضافة الى سائر نعيم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة :: ان المجرمين
الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص
بالكفار :: فى عذاب جهنم خالدون :: خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به
لا يفتر عنهم :: لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه :: فى العذاب :: مبلسون :: آيسون من النجاة :: وما ظلمناهم ولكن كانوا

هم الظالمين :: مر مثله غير مرة وهم فصل :: ونادوا يا مالك :: وقرئ يا مال على الترخيم
مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك
اختصروا فقالوا :: ليقض علينا ربك :: والمعنى سل ربك ان يقضى علينا من قضى عليه
اذا اماته وهو لا ينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة :: قال انكم ماكثون
لا خلاص لكم بموت ولا بغيره :: لقد جئناكم بالحق :: بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب
ان كان فى قال ضمير الله تعالى والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك
ولكن اكثركم للحق كارهون :: لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح :: ام ابرموا
امرا :: فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته :: فانا مبرمون :: امرا فى مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله :: ام يحسبون انا لا نسمع
سرهم :: حديث نفسهم بذلك :: ونجواهم :: وتناجيهم :: بلى :: نسمعهما :: ورسلنا ::
والحفظة مع ذلك :: لديهم :: ملازمة لهم :: يكتبون :: ذلك :: قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين :: منكم فان النبى يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب
تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له
اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هاهنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد
الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء لازمه الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره
للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به :: وقيل معناه ان كان له
ولد فى زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له
ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة
وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم وسكون اللام :: سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون :: عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات
استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها
فذرهم يخوضوا :: فى باطلهم :: ويلعبوا :: فى دنياهم :: حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون
اى يوم القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على
قلوبهم معذبون فى الآخرة :: وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله :: مستحق لان يعبد
فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا

نفس قراءة الله والراجع مبتدأ المحذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعل إله خبراً له لأنه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لأنه مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الألوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية ﴿وهو الحكيم العليم﴾ كالدليل عليه ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ كالهواء ﴿وعنده علم الساعة﴾ العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها ﴿وإليه ترجعون﴾ للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ بالتوحيد والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل إن خص بالأصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ سألت العابدين أو المعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿فأنى يؤفكون﴾ يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره ﴿وقيله﴾ وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم أو على محل الساعة أو لإضمار فعله أي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفاً على الساعة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ﴿يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ أو معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار أو مجرور بإضماره أو مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وإن هؤلاء جوابه ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم ﴿وقل سلام﴾ تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور به عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية وهي سبع أو تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم والكتاب المبين﴾ القرآن والواو للعطف إن كان حم مقسماً به وإلا فللقسم والجواب قوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ في ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح ثم أنزل على الرسول عليه السلام نجوماً وبركتها لذلك فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية ﴿إنا كنا منذرين﴾ استئناف يبين المقتضي للإنزال وكذلك قوله ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما

بينهما اعتراض وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لأنه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل أمر حكيم أي يفرقه الله ونفرق بالنون ﴿أمراً من عندنا﴾ أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للأمر ويجوز أن يكون حالاً من كل أو أمر أو ضميره المستكن في حكيم لأنه موصوف وأن يراد به مقابل النهي وقع مصدراً ليفرق أو لفعله المضمر من حيث إن الفرق به أو حالاً من أحد ضميري أنزلناه بمعنى آمرين أو مأموراً ﴿إنا كنا مرسلين رحمة من ربك﴾ بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للإشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فإنه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو أمراً ورحمة مفعول له أي يفصل فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وتصدر الأوامر الإلهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة ﴿إنه هو السميع العليم﴾ يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه صفاته ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ خبر آخر أو استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلاً من ربك ﴿إن كنتم موقنين﴾ أي إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿لا إله إلا هو﴾ إذ لا خالق سواه ﴿يحيي ويميت﴾ كما تشاهدون ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون﴾ رد لكونهم موقنين ﴿فارتقب﴾ فانتظر لهم ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخاناً وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها وإسناد الإتيان إلى السماء لأن ذلك يكفه عن الأمطار أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عليه السلام لما قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين ﴿يغشى الناس﴾ يحيط بهم صفة الدخان وقوله ﴿هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مقدر بقول وقع حالاً وإنا مؤمنون

وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم: أنى لهم الذكرى: من أين لهم وكيف يتذكرون
بهذه الحال: وقد جاءهم رسول مبين: بين لهم ما هو أعظم منه في إيجاب الادكار من الآيات
والمعجزات: ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون: قال بعضهم يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف
وقال آخرون إنه مجنون: إنا كاشفوا العذاب: بدعاء النبي فإنه دعا فرفع القحط:
قليلا: كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقي من أعمارهم: إنكم عائدون: إلى الكفر غب
الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار
بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الأربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة
أوله بالشرط والتقدير: يوم نبطش البطشة الكبرى: يوم القيامة أو يوم بدر
ظرف لفعل دل عليه: إنا منتقمون: لا لمنتقمون فإن إن تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتي
وقرئ نُبطش أي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة: ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون: امتحناهم بإرسال موسى إليهم أو أوقعناهم في
الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم
: وجاءهم رسول كريم: على الله أو على المؤمنين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه
: أن أدوا إلي عباد الله: بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي أو بأن أدوا إلي حق الله
من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لأن مجيء الرسول
يكون برسالة ودعوة: إني لكم رسول أمين: غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو
لائتمان الله إياه على وحيه وهو علة الأمر: وأن لا تعلوا على الله: ولا تتكبروا عليه
بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالأولى في وجهيها: إني آتيكم بسلطان مبين:
علة للنهي ولذكر الأمين مع الأداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى: وإني عذت
بربي وربكم: التجأت إليه وتوكلت عليه: أن ترجمون: أن تؤذوني ضربا أو شتما
أو أن تقتلوني وقرئ عت بالإدغام: وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون: فكونوا بمعزل مني
لا علي ولا لي ولا تتعرضوا إلي بسوء فإنه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم: فدعا ربه:
بعد ما كذبوه: أن هؤلاء: بأن هؤلاء: قوم مجرمون: وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما
استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على إضمار القول: فأسر بعبادي ليلا:
أي فقال أسر أو قال إن كان الأمر كذلك فأسر وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من سرى
: إنكم متبعون: يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم: واترك البحر رهوا: مفتوحا
ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره

ليدخله القبط: إنهم جند مغرقون: وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم: كم تركوا: كثيرا تركوا
: من جنات وعيون وزروع ومقام كريم: محافل مزينة ومنازل حسنة: ونعمة:
وتنعم: كانوا فيها فاكهين: متنعمين وقرئ فكهين: كذلك: مثل ذلك الإخراج
أخرجناهم منها أو الأمر كذلك: وأورثناها: عطف على الفعل المقدر أو على تركوا
: قوما آخرين: ليسوا منهم في شيء وهم بنو إسرائيل وقيل غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى
مصر: فما بكت عليهم السماء والأرض: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم
كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الأخبار أن
المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت
عليهم أهل السماء والأرض: وما كانوا منظرين: ممهلين إلى وقت آخر: ولقد
نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين: من استعباد فرعون وقتله أبناءهم:
من فرعون: بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا لإفراطه في التعذيب
أو حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما
كان عليه من الشيطنة: إنه كان عاليا: متكبرا: من المسرفين: في العتو والشرارة
وهو خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أي كان رفيع الطبقة من
بينهم: ولقد اخترناهم: اخترنا بني إسرائيل: على علم: عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم
منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال: على العالمين: لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي
زمانهم: وآتيناهم من الآيات: كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى
: ما فيه بلاء مبين: نعمة جلية أو اختبار ظاهر: إن هؤلاء: يعني كفار قريش لأن الكلام
فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والإنذار
عن مثل ما حل بهم: ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى: ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة
الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه إلى إثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الأولى
ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا
إن هي إلا موتتنا الأولى أي ما الموتة التي من شأنها كذلك إلا الموتة الأولى: وما نحن
بمنشرين: بمبعوثين: فأتوا بآبائنا: خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
: إن كنتم صادقين: في وعدكم ليدل عليه: أهم خير: في القوة والمنعة: أم قوم
تبع: تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا
وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي

وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون. ﴿والذين من قبلهم﴾
كعاد وثمود. ﴿أهلكناهم﴾ استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش
أو حال بإضمار قد أو خبر من الموصول إن استؤنف به. ﴿إنهم كانوا مجرمين﴾ بيان للجامع
المقتضي للإهلاك. ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾ وما بين الجنسين وقرئ
وما بينهن. ﴿لاعبين﴾ لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الأنبياء وغيرها. ﴿ما خلقناهما
إلا بالحق﴾ إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء.
﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ لقلة نظرهم. ﴿إن يوم الفصل﴾ فصل الحق عن الباطل والمحق من
المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه. ﴿ميقاتهم﴾ وقت موعدهم. ﴿أجمعين﴾
وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أي إن ميعاد جزائهم في يوم الفصل. ﴿يوم لا يغني﴾
بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل. ﴿مولى﴾ من
قرابة أو غيرها. ﴿عن مولى﴾ أي مولى كان. ﴿شيئاً﴾ شيئاً من الإغناء. ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير
لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام. ﴿إلا من رحم الله﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء. ﴿إنه هو العزيز﴾ لا ينصر منه
من أراد تعذيبه. ﴿الرحيم﴾ لمن أراد أن يرحمه. ﴿إن شجرة الزقوم﴾ وقرئ بكسر الشين.
ومعنى الزقوم سبق في الصافات. ﴿طعام الأثيم﴾ الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله
وما بعده عليه. ﴿كالمهل﴾ وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت. ﴿يغلي في
البطون﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل
إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما. ﴿كغلي الحميم﴾ غلياناً مثل غليه. ﴿خذوه﴾ على إرادة القول
والمقول له الزبانية. ﴿فاعتلوه﴾ فجروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان. ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسطه. ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الحميم﴾ كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم
للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض
هذا النوع. ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً
على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي أنك بالفتح أي ذق لأنك أو عذاب أنك. ﴿إن هذا﴾
إن هذا العذاب. ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون وتمارون فيه. ﴿إن المتقين في مقام﴾
في موضع إقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم. ﴿أمين﴾ يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال.
﴿في جنات وعيون﴾ بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على

يستلذ به من المآكل والمشارب. ﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ خبر ثان أو حال من
الضمير في الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب
أو مشتق من البراقة. ﴿متقابلين﴾ في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض. ﴿كذلك﴾ الأمر
كذلك أو آتيناهم مثل ذلك. ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء
والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها.
﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص
شيء منها بمكان ولا زمان. ﴿آمنين﴾ من الضرر. ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
بل يحيون فيها دائماً والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها
أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو الاستثناء للمبالغة في تعميم
النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى
في المستقبل. ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ وقرئ ووقّاهم على المبالغة. ﴿فضلاً من ربك﴾ أي أعطوا
كل ذلك عطاء وتفضلاً منه وقرئ بالرفع أي ذلك فضل. ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ لأنه
خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب. ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ سهلناه حيث أنزلناه
بلغتك وهو فذلكة للسورة. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا.
﴿فارتقب﴾ فانتظر ما يحل بهم. ﴿إنهم مرتقبون﴾ منتظرون ما يحل بك [illegible]

سورة الجاثية مكية اصبح مغفوراً له وهي سبع أو ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿حم تنزيل الكتاب﴾ إن جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت
إلى إضمار مثل تنزيل حم وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره. ﴿من الله العزيز
الحكيم﴾ وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم. ﴿إن في السماوات والأرض لآيات
للمؤمنين﴾ وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السماوات لقوله.
﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة﴾ ولا يحسن عطف ما يبث على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف
بأحد الاحتمالين فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه إلى غير ذلك دلائل على وجود الصانع
المختار. ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ محمول على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
بالنصب حملاً على الاسم. ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق﴾
من مطر وسماه رزقاً لأنه سببه. ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يبسها. ﴿وتصريف الرياح﴾
باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح. ﴿آيات لقوم يعقلون﴾
فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء أو إن إلا أن يضمر في أو ينصب

قوله ويلزمهما العطف على عاملين اي معمولي عاملين يعني وقد منعه سيبويه وان اجازه
الكسائي والفراء والأخفش والزجاج

آيات على الاختصاص أو ترفع بإضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات
في الدقة والظهور. تلك آيات الله: أي تلك الآيات دلائله. نتلوها عليك: حال عاملها
معنى الإشارة. بالحق: ملتبسين به أو ملتبسة به. فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
أي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد
حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوة أو القرآن
والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق
ما قبله. ويل لكل أفاك: كذاب. أثيم: كثير الآثام. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر: يقيم على
كفره. مستكبراً: عن الإيمان بالآيات وثم لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى
غمرات الموت ثم يزورها. كأن لم يسمعها: أي كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة في موقع
الحال أي يصر مثل غير السامع. فبشره بعذاب أليم: على إصراره والبشارة على الأصل أو
التهكم. وإذا علم من آياتنا شيئاً: وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها. اتخذها هزواً: لذلك
من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلاماً و
علم أنه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه أو لشيء لأنه بمعنى الآية.
أولئك لهم عذاب مهين. من ورائهم جهنم: من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه
بعد آجالهم. ولا يغني عنهم: ولا يدفع. ما كسبوا: من الأموال والأولاد. شيئاً: من عذاب
الله. ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء: أي الأصنام. ولهم عذاب عظيم: لا يتحملونه.
هذا هدى: الإشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله. والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب
من رجز أليم: وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب. الله الذي
سخر لكم البحر: بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه.
لتجري الفلك فيه بأمره: بتسخيره وأنتم راكبوها. ولتبتغوا من فضله: بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها. ولعلكم تشكرون: هذه النعم. وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً
منه: بأن خلقها نافعة لكم. ومنه حال من ما أي سخر هذه الأشياء كائنة منه أو خبر لمحذوف
أي هي جميعاً منه أو لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد أو لما في الأرض وقرئ منةً على
المفعول له ومنّهُ على أنه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو خبر محذوف. إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون: في صنائعه. قل للذين آمنوا يغفروا: حذف المقول لدلالة الجواب عليه
والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أي يعفوا ويصفحوا. للذين لا يرجون أيام الله: لا يتوقعون
وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر

المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم أن يبطش به
وقيل إنها منسوخة بآية القتال. ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون: علة للأمر والقوم هم المؤمنون
أو الكافرون أو كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو الشيوع والكسب المغفرة أو
الإساءة أو ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليُجزى قوم وليُجزى
قوماً أي ليجزي الخير أو الشر أو الجزاء أعني ما يجزى به لا المصدر فإن الإسناد إليه سيما
مع المفعول به ضعيف. من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها: إذ لها ثواب العمل وعليها
عقابه. ثم إلى ربكم ترجعون: فيجازيكم على أعمالكم. ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب:
التوراة. والحكم: والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات. والنبوة: إذ كثر فيهم الأنبياء
ما لم يكثر في غيرهم. ورزقناهم من الطيبات: مما أحل الله من اللذائذ. وفضلناهم على
العالمين: حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم. وآتيناهم بينات من الأمر: أدلة في أمر الدين
ويندرج فيه المعجزات وقيل آيات من أمر النبي مبينة لصدقه. فما اختلفوا: في ذلك الأمر
إلا من بعد ما جاءهم العلم: بحقيقة الحال. بغياً بينهم: عداوة وحسداً. إن ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون: بالمؤاخذة والمجازاة. ثم جعلناك على شريعة:
طريقة. من الأمر: أمر الدين. فاتبعها: فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج. ولا تتبع أهواء
الذين لا يعلمون: آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا ارجع إلى دين
آبائك. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً: مما أراد بك. وإن الظالمين بعضهم أولياء
بعض: إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم. والله ولي المتقين: فواله بالتقى
واتباع الشريعة. هذا: أي القرآن أو اتباع الشريعة. بصائر للناس: بينات تبصرهم وجه
الفلاح. وهدى: من الضلال. ورحمة: ونعمة من الله. لقوم يوقنون: يطلبون
اليقين. أم حسب الذين اجترحوا السيئات: أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة. أن نجعلهم: أن نصيرهم. كالذين آمنوا وعملوا الصالحات:
مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله: سواء محياهم ومماتهم: بدل منه إن كان الضمير للموصول
الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى إنكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة
كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواءً بالنصب على البدل أو الحال
من الضمير في الكاف أو المفعولية والكاف حال وإن كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين
المقتضي للإنكار وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الأول والمعنى إنكار أن يستووا
بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة أو استئناف

سواء لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم
ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك
وخلق الله السموات والارض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك
بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في
معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو
فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى
الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده
فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر
روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة
فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله
من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة او الحال
الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد
ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت
والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره
اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها
على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما
قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او
على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه
مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه
فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرره مرارا
والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة
اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور

نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى
كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم
تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة
ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان انا كنا
نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب
واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي
تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم
عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود
والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها
ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي
ما عداه كأنه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله
وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما
تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان
عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو
الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا
كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون
منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا
ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها
وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي

عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكّن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه
دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا وأجل مسمى وبتقدير
أجل مسمى ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له
والذين كفروا عما أنذروا من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية معرضون
لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا
خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها
هل يعقل أن يكون لها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب
من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق بالتوحيد أو أثارة من علم
أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الأمر به
إن كنتم صادقين في دعواكم وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد
إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ إثارة بالكسر أي مناظرة تثير المعاني وأثرة أي شيء
أوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر
الحديث إذا رواه والمكسورة بمعنى الأثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن أضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا
عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن
يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم إلى يوم القيامة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم
غافلون لأنهم إما جمادات وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم وإذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين
بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات أو مبينات قال الذين كفروا للحق لأجله
وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو
عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من
غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم

إياه سحرا إلى ذكر ما هو أشنع منه وإنكار له وتعجب قل إن افتريته على الفرض
فلا تملكون لي من الله شيئا أي إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء
منها فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
هو أعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالتكذيب والإنكار وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وهو
الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم
قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا
عليه وهو الإتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم
أو مقدر بمضاف أي ذا بدع وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل
إذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما إما موصولة منصوبة أو
استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أي يفعل الله إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا أتجاوزه
وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب أو استعجال المسلمين أن
يتخلصوا من أذى المشركين وما أنا إلا نذير من عقاب الله مبين بين الإنذار
بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل أرأيتم إن كان من عند الله أي القرآن
وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله
وشهد شاهد من بني إسرائيل إلا أنها تعطف ما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو
عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول عليه السلام
على مثله مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها أو مثل
ذلك وهو كونه من عند الله فآمن أي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم
عن الإيمان إن الله لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم
المسبب عن ظلمهم ودليل على جواب الشرط المحذوف مثل ألستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لأجلهم لو كان أي الإيمان أو ما أتى به محمد خيرا ما سبقونا إليه وهم
سقاط إذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وإنما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان و
أسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار أو اليهود حين أسلم ابن سلام
وأصحابه وإذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا
إفك قديم مسبب عنه وهو كقولهم أساطير الأولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر
لقوله كتاب موسى ناصب لقوله إماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب

موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به. لساناً عربياً حال من ضمير كتاب في مصدق أو منه
لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وفائدتها الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقاً للتوراة
كما دل على أنه حق دل على أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه، وقيل مفعول مصدق أي يصدق ذا
لسان عربي بإعجازه. لينذر الذين ظلموا علة مصدق، وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول
ويؤيد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء. وبشرى للمحسنين
عطف على محله. إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو
خلاصة العلم والاستقامة في الأمور التي هي منتهى العمل، وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل و
توقف اعتباره على التوحيد. فلا خوف عليهم من لحوق مكروه. ولا هم يحزنون
على فوات محبوب، والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط. أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية، وخالدين حال من المستكن
في أصحاب، وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء. ووصينا الإنسان بوالديه
حسناً وقرأ الكوفيون إحساناً وقرئ حسناً أي إيصاء حسناً. حملته أمه كرهاً ووضعته
كرهاً ذات كره أو حملاً ذا كره وهو المشقة، وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح وهما
لغتان كالفقر والفقر، وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر. وحمله وفصاله ومدة حمله
وفصاله والفصال الفطام، ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهي به، ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد عن المدة قال: كل حي مستكمل مدة العمر ومود
إذا انتهى أمده. ثلاثون شهراً كل ذلك بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها، وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه للفصال
حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك، وبه قال الأطباء، ولعل
تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع
بهما. حتى إذا بلغ أشده إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله. وبلغ أربعين سنة
قيل لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين. قال رب أوزعني ألهمني، وأصله أولعني من أوزعته بكذا.
أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها
وذلك يؤيد ما روي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من
المهاجرين والأنصار سواه. وأن أعمل صالحاً ترضاه نكره للتعظيم أو لأنه أراد
نوعاً من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل. وأصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح سارياً
في ذريتي راسخاً فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي. إني تبت إليك عما لا ترضاه أو يشغل

عنك. وإني من المسلمين المخلصين لك. أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا
يعني طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه. ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم، وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما. في أصحاب الجنة كائنين في عدادهم أو مثابين
أو معدودين فيهم. وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فإن يتقبل ويتجاوز وعد.
الذي كانوا يوعدون أي في الدنيا. والذي قال لوالديه أف لكما مبتدأ خبره
أولئك، والمراد به الجنس وإن صح نزولها في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه فإن خصوص
السبب لا يوجب التخصيص، وفي أف قراءات ذكرت في سورة بني إسرائيل. أتعدانني
أن أخرج أبعث، وقرأ هشام أتعداني بنون واحدة مشددة. وقد خلت القرون
من قبلي فلم يرجع واحد منهم. وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك، أو
أن يغيثه بالتوفيق للإيمان. ويلك آمن أي يقولان له ويلك، وهو دعاء عليه بالثبور
بالحث على ما يخاف على تركه. إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أباطيلهم
التي كتبوها. أولئك الذين حق عليهم القول بأنهم أهل النار، وهو يرد النزول في عبد
الرحمن لأنه يدل على أنه من أهلها لذلك، وقد جب عنه إن كان لإسلامه. في أمم قد خلت
من قبلهم من الجن والإنس بيان للأمم. إنهم كانوا خاسرين
تعليل للحكم على الاستئناف. ولكل من الفريقين. درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا
من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا، والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب.
وليوفيهم أعمالهم جزاءها، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون.
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب. ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها، وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض.
أذهبتم أي يقال لهم أذهبتم، وهو ناصب اليوم، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين.
طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها. واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء.
فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به. بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير
الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله، وقرئ
يفسقون بالكسر. واذكر أخا عاد يعني هوداً. إذ أنذر قومه بالأحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانوا يسكنون بين
رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن. وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه

بين هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا
تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل
بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به في وقته
وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون
لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا
سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية
وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو
ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها
عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها
اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته
الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون
العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء
مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا
مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم
وقرا عاصم وحمزة لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي
القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم
واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما
هنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة
الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة
كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر
واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل
اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث

ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما
قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ
قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد
بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد
وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون وافتراؤهم
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار
يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول
قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته
وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم
بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرا في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك
لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا امر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق
والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب
اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رح باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا
ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه
اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي
خلق السماوات والارض ولم يعي ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص
ولا تنقطع بالايجاد ابد الآبدين بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى في حيز الرفع لانه خبر ان ويدل
عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها
ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون
كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد

ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا بالحق
والإشارة إلى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بكفركم في الدنيا ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر أولو العزم من
الرسل أولو الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولو
العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه
كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له
قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في
وقته لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار استقصروا
من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة
بلاغ أي كفاية أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلّغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما
اعتراض أي لهم وقت يبلغون إليه كأنهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب أي بلغوا بلاغاً فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ
أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب
القوم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهي مدنية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول
في الإسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين
قريش أو المصرون من أهل الكتاب أو عام في جميع من كفر وصد أضل أعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر
أو مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالاً حيث لم يقصدوا به وجه الله
أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه
على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والأنصار والذين
آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب

الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه وأنه الأصل فيه ولذلك
أكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضاً على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخاً لا ينسخ
وقرئ نزّل على البناء للفاعل وأنزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم
سترها بالإيمان وعملهم الصالح وأصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق
والتأييد ذلك إشارة إلى ما مر من الإضلال والتكفير والإصلاح وهو مبتدأ
خبره بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم
بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو كالتصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك
سمي تفسيراً كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم أمثالهم
أحوال الفريقين أو أحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل
مثلاً لعمل الكفار والإضلال مثلاً لخيبتهم واتباع الحق مثلاً للمؤمنين وتكفير السيئات
مثلاً لفوزهم فإذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب أصله
فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول
ضماً إلى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل إشعار بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقبة
حيث أمكن وتصوير له بأشنع صورة حتى إذا أثخنتموهم أكثرتم قتلهم وأغلظتموه
من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق
بالفتح والكسر ما يوثق به فإما مناً بعد وإما فداء أي فإما تمنون مناً أو تفدون
فداء والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء
وهو ثابت عندنا فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق منسوخ عند أبي حنيفة رحمه الله أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا
يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب أوزارها
آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا
مسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو
غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو المجموع والمعنى أن هذه الأحكام جارية
فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك
أي الأمر ذلك أو افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستئصال
ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم

كي يرجع بعضهم عن الكفر «والذين قاتلوا في سبيل الله» اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قُتلوا اي استشهدوا «فلن يضل اعمالهم» فلن يضيعها وقرئ يُضَلّ على البناء للمفعول ويَضِلّ من ضل «سيهديهم» الى الثواب او سيثبت هدايتهم «ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم» وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بيّنها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة «يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله» ان تنصروا دينه ورسوله «ينصركم» على عدوكم «ويثبت اقدامكم» في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار «والذين كفروا فتعساً لهم» فعثوراً وانحطاطاً ونقيضه لعاً قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعاً والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه «واضل اعمالهم» عطف عليه «ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله» القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم «فاحبط اعمالهم» كرره اشعاراً بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال «افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم» استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم «وللكافرين» من وضع الظاهر موضع المضمر «امثالها» امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت «ذلك بان الله مولى الذين آمنوا» ناصرهم على اعدائهم «وان الكافرين لا مولى لهم» فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك «ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون» ينتفعون بمتاع الدنيا «ويأكلون كما تأكل الانعام» حريصين غافلين عن العاقبة «والنار مثوى لهم» منزل ومقام «وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك» على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب «اهلكناهم» بانواع العذاب «فلا ناصر لهم» يدفع عنهم وهو كالحال المحكية «افمن كان على بينة من ربه» حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين «كمن زين له سوء عمله» كالشرك والمعاصي «واتبعوا اهواءهم» في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجة «مثل الجنة التي وعد المتقون» اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن

قوله اي فيما قصصنا عليك هذا الاعراب هو مختار سيبويه في امثاله

هو خالد وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرّي عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويراً لمكابرة من سوّى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوّى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريراً لانكار المساواة «فيها انهار من ماء غير آسن» استئناف يشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن «وانهار من لبن لم يتغير طعمه» لم يصر قارصاً ولا حازراً «وانهار من خمر لذة للشاربين» لذيذة لا يكون فيها غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة «وانهار من عسل مصفى» لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها «ولهم فيها من كل الثمرات» صنف على هذا القياس «ومغفرة من ربهم» عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة «كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً» مكان تلك الاشربة «فقطع امعاءهم» من فرط الحرارة «ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك» يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه السلام ويسمعون كلامه فاذا خرجوا «قالوا للذين اوتوا العلم» اي لعلماء الصحابة «ماذا قال آنفاً» ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاماً اذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به وآنفاً من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتنفاً او حال من الضمير في قال وقرئ أنفاً «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم» فلذلك استهزؤوا وتهاونوا بكلامه «والذين اهتدوا زادهم» اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول «هدى وآتاهم تقواهم» بيّن لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها «فهل ينظرون الا الساعة» فهل ينتظرون غيرها «ان تأتيهم بغتة» بدل اشتمال من الساعة وقوله «فقد جاء اشراطها» كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه «فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم» والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر لهم اماراتها كمبعث النبي عليه السلام وانشقاق القمر فكيف لهم

قوله فكيف لهم جواب الشرط

ذكراهم أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفيد ولا ينفع :: فاعلم أنه لا إله إلا الله
واستغفر لذنبك :: أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما
أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار
لذنبك :: وللمؤمنين والمؤمنات :: ولذنوبهم بالدعاء والتحريض على ما يستدعي غفرانهم
وفي إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وأنها جنس
آخر فإن الذنب ما له تبعة ما بترك الأولى :: والله يعلم متقلبكم :: في الدنيا فإنها مراحل
لا بد من قطعها :: ومثواكم :: في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا
لمعادكم :: ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة :: أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد
:: فإذا أنزلت سورة محكمة :: مبينة لا تشابه فيها :: وذكر فيها القتال :: أي الأمر به ::
رأيت الذين في قلوبهم مرض :: ضعف في الدين وقيل نفاق :: ينظرون إليك نظر المغشي
عليه من الموت :: جبنا ومخافة :: فأولى لهم :: فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو
فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم :: طاعة وقول معروف
:: استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة
أبي يقولون طاعة :: فإذا عزم الأمر :: أي جد وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز
وعامل الظرف محذوف وقيل :: فلو صدقوا الله :: أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان
:: لكان خيرا لهم :: الصدق :: فهل عسيتم :: فهل يتوقع منكم :: إن توليتم :: أمور الناس
وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام :: أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم
:: تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة
مع الأقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك
منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فإن بني تميم لا يلحقون الضمير
وخبره أن تفسدوا وأن توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أي إن تولاكم
ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ
تقطعوا من التقطيع :: أولئك :: إشارة إلى المذكورين :: الذين لعنهم الله :: لإفسادهم
وقطع الأرحام :: فأصمهم :: عن استماع الحق :: وأعمى أبصارهم :: فلا يهتدون سبيله ::
أفلا يتدبرون القرآن :: يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
:: أم على قلوب أقفالها :: لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى
الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها

في القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة وإضافة الأقفال إليها
للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة وقرئ إقفالها
على المصدر :: إن الذين ارتدوا على أدبارهم :: إلى ما كانوا عليه من الكفر :: من بعد ما تبين
لهم الهدى :: بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة :: الشيطان سول لهم :: سهل لهم
اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو
التمني وفيه أن السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أي كيد الشيطان
سول لهم :: وأملى لهم :: ومد لهم في الآمال والأماني أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب وأملي لهم أي وأنا أملي لهم فتكون الواو للحال أو للاستئناف وقرأ أبو
عمرو وأملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم :: ذلك بأنهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله :: أي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين
أو المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين :: سنطيعكم في بعض الأمر :: في بعض
أموركم أو في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم إن أخرجوا
والتظافر على الرسول :: والله يعلم إسرارهم :: ومنها قولهم هذا الذي أفشاه الله عليهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص إسرارهم على المصدر :: فكيف إذا توفتهم الملائكة :: فكيف
يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف إحدى
تاءيه :: يضربون وجوههم وأدبارهم :: تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
:: ذلك :: إشارة إلى التوفي الموصوف :: بأنهم اتبعوا ما أسخط الله :: من الكفر وكتمان
نعت الرسول وعصيان الأمر :: وكرهوا رضوانه :: ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيره
من الطاعات :: فأحبط أعمالهم :: لذلك :: أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله ::
أن لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين :: أضغانهم :: أحقادهم :: ولو نشاء لأريناكهم ::
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم :: فلعرفتهم بسيماهم :: بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام
لام الجواب كررت في المعطوف :: ولتعرفنهم في لحن القول :: جواب قسم محذوف ولحن
القول أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام
عن الصواب :: والله يعلم أعمالكم :: على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات :: ولنبلونكم
:: بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة :: حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين :: على
مشاقها :: ونبلو أخباركم :: ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخبارهم عن إيمانهم

وهو الإيهام المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق
ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ۞ ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ۞ هم قريظة
والنضير او المطعمون يوم بدر ۞ لن يضروا الله شيئا ۞ بكفرهم وصدهم او لن
يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ۞ وسيحبط
اعمالهم ۞ ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون
بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم ۞ يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ۞ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق
والعجب والرياء والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ۞
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ۞ عام في
كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن
لم يمت على كفره سائر ذنوبه ۞ فلا تهنوا ۞ فلا تضعفوا ۞ وتدعوا الى السلم ۞ ولا تدعوا الى
الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ
ابو بكر وحمزة بكسر السين ۞ وانتم الاعلون ۞ الاغلبون ۞ والله معكم ۞ ناصركم ۞ ولن
يتركم اعمالكم ۞ ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم
فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه ۞ انما الحياة الدنيا لعب
ولهو ۞ لا ثبات لها ۞ وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ۞ ثواب ايمانكم وتقواكم
ولا يسألكم اموالكم ۞ جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ۞ ان
يسألكموها فيحفكم ۞ فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اذا استأصله ۞ تبخلوا ۞ فلا تعطوا ۞ ويخرج اضغانكم ۞ ويضغنكم على رسول الله والضمير
في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج بالتاء
والياء ورفع اضغانكم ۞ ها انتم هؤلاء ۞ اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله
تدعون لتنفقوا في سبيل الله ۞ استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين
وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرها ۞ فمنكم من يبخل ۞ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية
المتقدمة ۞ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ۞ فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل
يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق ۞ والله الغني وانتم الفقراء
فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم ۞ وان تتولوا ۞ عطف على

وان تؤمنوا ۞ يستبدل قوما غيركم ۞ يقم مكانكم قوما آخرين ۞ ثم لا يكونوا امثالكم ۞ في التولي
والزهد عن الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه
وقال هذا وقومه او الانصار او الملائكة عن النبي من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه
من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله عليه السلام من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ انا فتحنا لك فتحا مبينا ۞ وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه
او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه
كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية
عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان
معه او فتح الروم فانهم غلبوا الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول في سورة
الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ۞ ليغفر لك الله ۞
علة للفتح من حيث انه سبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل
النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ۞
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ۞ جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه ۞ ويتم نعمته عليك ۞ باعلاء
الدين وضم الملك الى النبوة ۞ ويهديك صراطا مستقيما ۞ في تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة ۞ وينصرك الله نصرا عزيزا ۞ نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به
مبالغة ۞ هو الذي انزل السكينة ۞ الثبات والطمأنينة ۞ في قلوب المؤمنين ۞ حتى يثبتوا حيث
تقلق النفوس وتدحض الاقدام ۞ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ۞ يقينا مع يقينهم برسوخ
العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا
ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ۞ ولله جنود السموات والارض ۞ يدبر امرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته ۞ وكان الله
عليما ۞ بالمصالح ۞ حكيما ۞ فيما يقدر ويدبر ۞ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ۞ علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير
اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب
الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل
انه بدل منه بدل الاشتمال ۞ ويكفر عنهم سيئاتهم ۞ يغطيها ولا يظهرها ۞ وكان ذلك ۞
اي الادخال والتكفير ۞ عند الله فوزا عظيما ۞ لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر

حال من الفوز. ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف
على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل منه. الظانين بالله ظن السوء
ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين. عليهم دائرة السوء دائرة ما
يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم. وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء
بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى
مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر. وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف
لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع
الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار
السببية. وساءت مصيرا جهنم. ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما. انا ارسلناك شاهدا على امتك. ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية.
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم.
وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله. وتوقروه وتعظموه. وتسبحوه
وتنزهوه او تصلوا له. بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما. وقرأ ابن كثير وابو
عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم
الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره. ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته. يد الله فوق ايديهم حال او استئناف
مؤكد له على سبيل التخييل. فمن نكث نقض العهد. فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر
نكثه الا عليه. ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته. فسيؤتيه اجرا عظيما
هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان. سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم
وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله عليه السلام عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا
بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش
ان صدوهم. شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ
بالتشديد للتكثير. فاستغفر لنا من الله على التخلف. يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار. قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من
مشيئته وقضائه. ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة
على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم. او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد

بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه. بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان ظننتم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل
وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال.
وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان.
وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون
بالله ورسوله من الامور الزائغة. وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم. ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع
الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير
بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة. ولله ملك السموات والارض
يدبره كيف يشاء. يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه. وكان الله
غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض
ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي. سيقول المخلفون يعني المذكورين
اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر. ذرونا نتبعكم فانه عليه السلام
رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم
غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم. يريدون ان يبدلوا
كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر
وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكلم غلب في الجملة المفيدة
وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة. قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي. كذلكم قال
الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر. فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ بالكسر. بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون. الا قليلا الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين. قل للمخلفين من
الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف. ستدعون
الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام
لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على
امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك

كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تخلفهم
الجزية «فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً» هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة
«وإن تتولوا كما توليتم من قبل» عن الحديبية «يعذبكم عذاباً أليماً» لتضاعف جرمكم «ليس على
الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج» لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن
هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار» فصّل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر
ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال «ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً» إذ الترهيب ههنا
أنفع من الترغيب «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» روي أنه
عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فأرجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام أصحابه
وكانوا ألفاً وثلاثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة وبايعهم أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا عنهم وكان
جالساً تحت سمرة أو سدرة «فعلم ما في قلوبهم» من الإخلاص «فأنزل السكينة عليهم»
الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح «وأثابهم فتحاً قريباً» فتح خيبر غب انصرافهم
وقيل مكة أو هجر «ومغانم كثيرة يأخذونها» وهي مغانم خيبر «وكان الله عزيزاً حكيماً» «وعدكم الله
مغانم كثيرة تأخذونها» وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة «فعجل لكم
هذه» يعني مغانم خيبر «وكف أيدي الناس عنكم» يعني أهل خيبر وحلفاءهم من بني أسد
وغطفان أو أيدي قريش بالصلح «ولتكون» هذه الكفة أو الغنيمة «آية للمؤمنين»
أمارة يعرفون بها أنهم بمكان من الله أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعهم
عن الحديبية أو وعد المغانم أو عنواناً لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف أو لعجل
مثل لتسلموا أو لتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك «ويهديكم صراطاً مستقيماً»
هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه «وأخرى» ومغانم أخرى معطوفة على هذه أو منصوبة
بفعل يفسره «قد أحاط الله بها» مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لأنها موصوفة وجرها
بإضمار رب «لم تقدروا عليها» بعد لما كان فيها من الجولة «قد أحاط الله بها» استولى
فأظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس «وكان الله على كل شيء قديراً» لأن قدرته
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء «ولو قاتلكم الذين كفروا» من أهل مكة ولم يصالحوا
«لولوا الأدبار» لانهزموا «ثم لا يجدون ولياً» يحرسهم «ولا نصيراً» ينصرهم «سنة الله التي قد خلت
من قبل» أي سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم كما قال «لأغلبن أنا ورسلي»
«ولن تجد لسنة الله تبديلاً» تغييراً «وهو الذي كف أيديهم عنكم» أيدي كفار مكة «وأيديهم عنهم

ببطن مكة» في داخل مكة «من بعد أن أظفركم عليهم» أظهركم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل
خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى
أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة
وهو ضعيف إذ السورة نزلت قبله «وكان الله بما تعملون» من مقاتلتهم أولاً طاعة لرسوله
وكفهم ثانياً لتعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء «بصيراً» فيجازيهم عليه «هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله» يدل على أن ذلك كان عام الحديبية
والهدي ما يهدى إلى مكة وقرئ الهديّ وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره
والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره وإلا لما نحره الرسول عليه السلام
حيث أحصر فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم «ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم» لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين «أن تطؤوهم» أن توقعوا
بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطئاً على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام
إن آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي عليه السلام بها
وأصل الوطء الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم «فتصيبكم
منهم» من جهتهم «معرة» مكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه «بغير علم» متعلق بأن
تطؤوهم أي تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين
بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم «ليدخل الله في رحمته»
علة لما دل عليه كف الأيدي من أهل مكة صوناً لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك ليدخل
الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير أو للإسلام «من يشاء» من مؤمنيهم أو مشركيهم
«لو تزيلوا» لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا «لعذبنا الذين كفروا منهم
عذاباً أليماً» بالقتل والسبي «إذ جعل الذين كفروا» مقدر باذكر أو ظرف لعذبنا أو صدوكم
«في قلوبهم الحمية» الأنفة «حمية الجاهلية» التي تمنع إذعان الحق «فأنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين» فأنزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم
بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه أن
يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال
عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم
قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

في البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام
اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة
عليهم فتوقروا وتحلموا ❊ وألزمهم كلمة التقوى ❊ كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها
سببها او كلمة اهلها ❊ وكانوا احق بها ❊ من غيرهم ❊ واهلها ❊ والمستأهل لها ❊ وكان
الله بكل شيء عليما ❊ فيعلم اهل كل شيء وييسره له ❊ لقد صدق الله رسوله الرؤيا ❊
رأى عليه السلام واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا او قصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا
رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه ملتبسا ❊ بالحق ❊ فان ما رآه كائن لا محالة
في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا
ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما
اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله ❊ لتدخلن المسجد الحرام ❊ جوابه وعلى الاولين جواب
قسم محذوف ❊ ان شاء الله ❊ تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم
لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه ❊ آمنين ❊ حال من
الواو والشرط معترض ❊ محلقين رؤسكم ومقصرين ❊ اي محلقا بعضهم ومقصرا آخرون
❊ لا تخافون ❊ حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك ❊ فعلم ما لم تعلموا ❊ من الحكمة
في تأخير ذلك ❊ فجعل من دون ذلك ❊ من دون دخولكم المسجد او فتح مكة ❊ فتحا قريبا ❊ هو فتح خيبر لتستروح
اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود ❊ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ❊ ملتبسا به
او بسببه او لاجله ❊ ودين الحق ❊ وبدين الاسلام ❊ ليظهره على الدين كله ❊ ليغلبه على جنس
الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من
اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعد من الفتح ❊ وكفى بالله شهيدا ❊ على ان ما
وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات ❊ محمد رسول الله ❊ جملة مبينة للمشهود به ويجوز
ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ ❊ والذين معه ❊ معطوف عليه و
خبرهما ❊ اشداء على الكفار رحماء بينهم ❊ واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم
يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين ❊ تراهم ركعا سجدا ❊ لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم ❊ يبتغون فضلا من
الله ورضوانا ❊ الثواب والرضا ❊ سيماهم في وجوههم من اثر السجود ❊ يريد السمة التي تحدث

في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ من اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار ❊ ذلك ❊ اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة
يفسرها كزرع ❊ مثلهم في التوراة ❊ صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها ❊ ومثلهم في الانجيل
❊ عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله ❊ كزرع ❊ تمثيل مستأنف او تفسير او مثلهم
في الانجيل مبتدأ وكزرع خبره ❊ اخرج شطأه ❊ فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ
وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه
بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا ❊
فآزره ❊ فقواه من المؤازرة وهي المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر
فأزره كأجر في آجر ❊ فاستغلظ ❊ فصار من الدقة الى الغلظ ❊ فاستوى على سوقه ❊ فاستقام
على قصبه جمع ساق وقرأ ابن كثير سؤقه بالهمزة ❊ يعجب الزراع ❊ بكثافته وقوته وغلظه و
حسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم
بحيث اعجب الناس ❊ ليغيظ بهم الكفار ❊ علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او
لقوله ❊ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ❊ فان الكفار لما
سمعوا غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

❊ سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة ❊

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا ❊ اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول
ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه
القدوم ❊ بين يدي الله ورسوله ❊ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول
الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله ❊ واتقوا الله ❊
في التقديم او مخالفة الحكم ❊ ان الله سميع ❊ لاقوالكم ❊ عليم ❊ بافعالكم ❊ يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ❊ اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ❊ ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ❊ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم
اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه
وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد
الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام
❊ ان تحبط اعمالكم ❊ كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل

باعتبار التأدية لأن في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة وقد روي أن ثابت بن قيس كان في أذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد أنزلت هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة «وأنتم لا تشعرون» أنها محبطة «إن الذين يغضون أصواتهم» يخفضونها «عند رسول الله» مراعاة للأدب أو مخافة عن مخالفة النهي قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك كان يسرانه حتى يستفهمهما «أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه «لهم مغفرة» لذنوبهم «وأجر عظيم» لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لإن أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين إحمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الإشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وأن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات» من خارجها خلفها أو قدامها ومن ابتدائية فإن المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة إذ لا بد وأن يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فأسند فعل الأبعاض إلى الكل وقيل إن الذي ناداه عيينة بن حصين والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله عليه الصلاة والسلام في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند إلى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم «أكثرهم لا يعقلون» إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب «ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم» أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب

إضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه فإن حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم «لكان خيرا لهم» لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول عليه السلام الموجبين للثناء والثواب والإسعاف بالمسئول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف «والله غفور رحيم» حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب التاركين تعظيم رسول الله «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا» فتعرفوا وتفحصوا روي أنه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث إليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين للصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الأمر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول الخبر من العدل من حيث إن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه وإن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق إذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا أي فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال «أن تصيبوا» كراهة إصابتكم «قوما بجهالة» جاهلين بحالهم «فتصبحوا» فتصيروا «على ما فعلتم نادمين» مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الأحرف الثلاثة دائرة مع الدوام «واعلموا أن فيكم رسول الله» أن بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله «لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم» فإنه حال من أحد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للأمر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب عليكم تغييرها وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه إشعار بأن بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق «ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان» استدراك ببيان عذرهم وهو أنهم من فرط حبهم الإيمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم إحمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله «أولئك هم الراشدون» أي أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوي وكره معدى بنفسه إلى مفعول واحد فإذا شدد

زاد او آخر لكنه لما تضمن من التبغيض نزل كره منزلة بغّض فعدي الى آخر بالى والكفر تغطية
نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد ؛ فضلا من الله
ونعمة ؛ تعليل لكرّه او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد
وان كان مسببا عنه مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد
فضل من الله وانعام ؛ والله عليم ؛ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل ؛ حكيم ؛ حين
يفضل وينعم بالتوفيق عليهم ؛ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ؛ تقاتلوا والجمع باعتبار
المعنى فان كل طائفة جمع ؛ فاصلحوا بينهما ؛ بالنصح والدعاء الى حكم الله ؛ فان بغت احديهما
على الاخرى ؛ تعدت عليها ؛ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ؛ ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق
الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين ؛ فان فاءت
فاصلحوا بينهما بالعدل ؛ بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف
من حيث انه بعد المقاتلة ؛ واقسطوا ؛ واعدلوا في كل الامور ؛ ان الله يحب المقسطين ؛
يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام
بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في
الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
؛ انما المؤمنون اخوة ؛ من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة
الابدية وهو تعليل وتقرير للاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال ؛ فاصلحوا بين
اخويكم ؛ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم ؛ واتقوا الله ؛ في مخالفة حكمه والاهمال فيه ؛ لعلكم ترحمون
على تقواكم ؛ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ؛ اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد
يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع
في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال
قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا
وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ؛ ولا تلمزوا انفسكم ؛ اي ولا يعب بعضكم بعضا

من المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ؛ ولا تنابزوا بالالقاب ؛ ولا يدع
بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا ؛ بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان ؛ اي بئس الذكر المرتفع ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي بان الآية نزلت
في صفية بنت حيي اتت رسول الله عليه الصلوة والسلام فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان
التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ؛ ومن لم يتب ؛ عما نهي عنه ؛ فاولئك هم الظالمون
؛ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب ؛ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ؛ كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه
من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين
وما يباح كالظن في الامور المعاشية ؛ ان بعض الظن اثم ؛ تعليل مستأنف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ؛ ولا تجسسوا
؛ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء
من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ؛ ولا يغتب
بعضكم بعضا ؛ ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال
ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ؛ ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا ؛ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله
فكرهتموه ؛ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع ؛
واتقوا الله ان الله تواب رحيم ؛ لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب
عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله عليه السلام

يبغي لهما إداماً وكان أسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى
بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا
لحماً فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ من آدم وحواء أو خلقنا
كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريراً
للأخوة المانعة عن الاغتياب ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى
أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ
والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لتعارفوا﴾ ليعرف بعضكم بعضاً
لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالإدغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ﴿إن أكرمكم عند الله
أتقاكم﴾ فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص فمن أراد شرفاً فليلتمس منها
كما قال عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا أيها الناس
إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ﴿إن الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾
ببواطنكم ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا
الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون ﴿قل لم تؤمنوا﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة
قلب ولم يحصل لكم وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة
﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك
المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام أن يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا
ولكن أسلمتم فعدل منه إلى هذا النظم احترازاً من النهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم
وقد فقد شرط اعتباره شرعاً ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ توقيت لقولوا فإنه حال
من ضميره أي ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد ﴿وإن تطيعوا الله و
رسوله﴾ بالإخلاص وترك النفاق ﴿لا يلتكم من أعمالكم﴾ لا ينقصكم من أجورها ﴿شيئاً﴾
من لات ليتاً إذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان ﴿إن
الله غفور﴾ لما فرط من المطيعين ﴿رحيم﴾ بالتفضل عليهم ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك
مع التهمة وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب
في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا ﴿وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ في طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية بأسرها ﴿أولئك هم الصادقون﴾ الذين صدقوا في ادعاء الإيمان ﴿قل
أتعلمون الله بدينكم﴾ أتخبرونه به بقولكم آمنا ﴿والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله
بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاءوا
وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ يعدون إسلامهم
عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب مولاها ممن يزلها إليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود
بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ أي بإسلامكم فنصب بنزع
الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ على ما زعمتم مع
أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم بالكسر وإذ هداكم ﴿إن كنتم صادقين﴾
في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف
وهو أنهم لما سموا ما صدر عنهم إيماناً ومنوا به فنفى أنه إيمان وسماه إسلاماً فقال يمنون عليك
بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير أن يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم
بالهداية له لا لهم ﴿إن الله يعلم غيب السماوات والأرض﴾ ما غاب فيهما ﴿والله بصير بما تعملون﴾
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية وعن
النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ق والقرآن المجيد﴾ الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد
ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد
﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم
أو من أبناء جلدتهم ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ حكاية لتعجبهم وهذا إشارة إلى اختيار الله
محمداً للرسالة وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف
لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم
مبهماً إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره ما بعده أو مجملاً إن كانت الإشارة إلى محذوف
دل عليه منذر ثم تفسيره أو تفصيله لأنه أدخل في الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل عليهم
مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه ﴿أإذا متنا
وكنا تراباً﴾ أي أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً ويدل على المحذوف قوله ﴿ذلك رجع بعيد﴾
أي بعيد عن الوهم أو العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض

منهم ما تأكل من أجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل فيه وقيل إنه
جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء
كلها أو محفوظ عن التغيير والمراد إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ
يطالعه أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة
الثابتة بالمعجزات أو النبي أو القرآن لما جاءهم وقرئ بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب
من مرج الخاتم في إصبعه إذا خرج وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه
كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله في خلق العالم
كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بأن
خلقها ملساء متلاصقة الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للأفعال المذكورة معنى
وإن انتصبتا عن الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات
أشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر والشعير
والنخل باسقات طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل
وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف لها طلع نضيد
منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد
علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات رزق وأحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا أرضا
جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم
كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون أراد بفرعون
إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط إخوانه لأنهم كانوا أصهاره
وأصحاب الأيكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد أو قوم
منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه
تسلية للرسول وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة
من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد
أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه
من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا
معتاد ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال

والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة
والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن
أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت
أدنى لي من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا
لأن الروح ترده إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أي هو أعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى أي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه غني
عن استحفاظ الملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه
من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام
الحجة يوم يقوم الأشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد أي عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد أي مقاعد كالجليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله فإني وقيار بها لغريب
وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من
قول ما يرمي به من فيه إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله
يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات
فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم
البعث والجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم ملاقو ذلك عن قريب عند
الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة
الأمر أو الموعود أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له أو مثل
الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها لشدتها اقتضت الزهوق
أو لاستعقابها له فكأنها جاءت به أو على أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها
إليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك أي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر
والخطاب للإنسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي وقت
ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه والإشارة إلى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق

كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه
او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة: لقد كنت
في غفلة من هذا: على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة
او للكافر: فكشفنا عنك غطاءك: الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
في المحسوسات وقصور النظر عليها والالف بها: فبصرك اليوم حديد: نافذ لزوال المانع
للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول
قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس: وقال قرينه: قال الملك الموكل عليه
هذا ما لدي عتيد: هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا
ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد
صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف: القيا في جهنم
كل كفار: خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية
الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني
احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه
قرئ القين بالنون الخفيفة: عنيد: معاند للحق: مناع للخير: كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة
وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه:
معتد: متعد: مريب: شاك في الله وفي دينه: الذي جعل مع الله الها آخر:
مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره: فالقياه في العذاب الشديد: او بدل من كل كفار فيكون
فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه: قال قرينه: اي الشيطان المقيض
له وانما استؤنف كما استؤنفت الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه
ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة
العطف عليها للدلالة على الجمع بين مفهوميها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقوله
قرينه: ولكن كان في ضلال بعيد: فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان
مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي:
قال: اي الله جل وعلا: لا تختصموا لدي: اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف
مثل الاول: وقد قدمت اليكم بالوعيد: على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم
حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على

ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله:
ما يبدل القول لدي: اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض
المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد:
وما انا بظلام للعبيد: فاعذب من ليس لي تعذيبه: يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد: سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها وتباعد
اقطارها فيها الناس فوجا فوجا حتى تمتلئ كقوله لاملأن جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم
والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول
كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف:
وازلفت الجنة للمتقين: قربت لهم: غير بعيد: مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا و
تذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان:
هذا ما توعدون: على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ
ابن كثير بالياء: لكل اواب: رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار: حفيظ: حافظ
لحدوده: من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب: بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره: ادخلوها: على تأويل
يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او
غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه
او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه
الى الله: بسلام: سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله
وملائكته: ذلك يوم الخلود: يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين: لهم ما يشاؤون
فيها ولدينا مزيد: وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر: وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا: قوة كعاد وثمود
وفرعون: فنقبوا في البلاد: فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال
حذر الموت والفاء على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن
الشيء والبحث عنه: هل من محيص: اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي
ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده

أنه قرئ فنقبوا على الأمر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم ﴿إن في ذلك﴾ فيما ذكر في هذه السورة ﴿لذكرى﴾ لتذكرة ﴿لمن كان له قلب﴾ أي قلب واع يتفكر في حقائقه ﴿أو ألقى السمع﴾ أو أصغى لاستماعه ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ مر تفسيره مرارا ﴿وما مسنا من لغوب﴾ من تعب وإعياء وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على خلق العالم بلا إعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما أنعم عليك من إصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ﴿ومن الليل فسبحه﴾ فسبحه بعض الليل ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء ﴿واستمع﴾ لما أخبرك به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به ﴿يوم يناد المنادي﴾ إسرافيل أو جبرائيل فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء ولعله في الإعادة نظير كن في الإبداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل منه والصيحة النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد ﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾ في الدنيا ﴿وإلينا المصير﴾ للجزاء في الآخرة ﴿يوم تشقق﴾ تتشقق وقرأ الكوفيون وأبو عمرو بالتخفيف ﴿الأرض عنهم سراعا﴾ مسرعين ﴿ذلك حشر﴾ بعث وجمع ﴿علينا يسير﴾ هين وتقديم الظرف للاختصاص فإن ذلك لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ تسلية لرسول الله وتهديد لهم ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل

بهم ما تريد وإنما أنت داع ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ فإنه لا ينتفع به غيره عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والذاريات ذروا﴾ يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو بكر وحمزة بإدغام التاء في الذال ﴿فالحاملات وقرا﴾ فالسحب الحاملة للأمطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿فالجاريات يسرا﴾ فالسفن الجارية في البحر سهلا أو الرياح الجارية في مهابها أو الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أي جريا ذا يسر ﴿فالمقسمات أمرا﴾ الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب فإن حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا فالفاء لترتيب الأفعال إذ الريح مثلا تذرو الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له إلى حيث أمرت به فتقسم المطر ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ جواب للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل ﴿والسماء ذات الحبك﴾ ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها إلى المعارف أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالإبل والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالسلك والحبك كالإبرق ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ في الرسول وهو قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه مجنون أو في القرآن أو في القيامة أو الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يصرف عنه والضمير للرسول أو القرآن أو الإيمان من صرف إذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر إفك من أفك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن أكل

وعن سبب اي يصدر تناهيهم عنها وسببها وقرئ افك بالفتح اي من افك
الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان ❊ قتل الخراصون ❊ الكذابون
من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن ❊ الذين هم في غمرة
في جهل يغمرهم ❊ ساهون ❊ غافلون عما امروا به ❊ يسألون ايان يوم الدين ❊ اي
فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر ❊ يوم هم على النار يفتنون ❊
يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ❊ ذوقوا فتنتكم ❊ اي مقولا لهم
هذا القول ❊ هذا الذي كنتم به تستعجلون ❊ هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ❊ ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم ❊ قابلين
لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول ❊ انهم كانوا قبل
ذلك محسنين ❊ قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك ❊ كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون ❊ تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا
او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون
نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما ❊ وبالاسحار هم
يستغفرون ❊ اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كأنهم
اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم
وخشيتهم منه ❊ وفي اموالهم حق ❊ نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على
الناس ❊ للسائل والمحروم ❊ للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة ❊ وفي
الارض آيات للموقنين ❊ اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها على الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص
والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته ❊
وفي انفسكم ❊ اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته
مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة
واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ❊ افلا تبصرون ❊ تنظرون نظر من
يعتبر ❊ وفي السماء رزقكم ❊ اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات ❊ وما توعدون ❊ من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال

وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره ❊ فورب السماء والارض
انه لحق ❊ هو على هذا الضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات
والرزق والوعيد ❊ مثل ما انكم تنطقون ❊ اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف
لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير
متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه
صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع ❊ هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم ❊ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك
يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف ❊ المكرمين ❊ اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم
اذ خدمهم بنفسه وزوجته ❊ اذ دخلوا عليه ❊ ظرف للحديث او الضيف او المكرمين ❊
فقالوا سلاما ❊ اي نسلم عليكم سلاما ❊ قال سلام ❊ اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء
لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم
وقرئ منصوبا والمعنى واحد ❊ قوم منكرون ❊ اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم
ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم ❊ فراغ الى اهله ❊
فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه
الضيف او يصير منتظرا ❊ فجاء بعجل سمين ❊ لانه كان عامة ماله البقر ❊ فقربه اليهم ❊ بان وضعه
بين ايديهم ❊ قال الا تأكلون ❊ اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض و
الحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث
رأى اعراضهم ❊ فاوجس منهم خيفة ❊ فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه
انهم جاؤوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب ❊ قالوا لا تخف ❊
انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم
❊ وبشروه بغلام ❊ هو اسحق ❊ عليم ❊ يكمل علمه اذا بلغ ❊ فاقبلت امرأته ❊ سارة
الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم ❊ في صرة ❊ في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال
او المفعول ان اول فاقبلت باخذت ❊ فصكت وجهها ❊ فلطمت باطراف الاصابع
جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء ❊ وقالت
عجوز عقيم ❊ اي انا عجوز عاقر فكيف الد ❊ قالوا كذلك ❊ مثل ذلك الذي بشرنا به ❊ قال

ربك فانا نخبرك به عنه ﴿انه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقا وفعله محكما ﴿قال فما
خطبكم ايها المرسلون﴾ لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل
عنهم ﴿قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة
من طين﴾ يريد السجيل فانه طين متحجر ﴿مسومة﴾ مرسلة من اسمت الماشية او معلمة
من السومة وهي العلامة ﴿عند ربك للمسرفين﴾ المجاوزين الحد في الفجور ﴿فاخرجنا
من كان فيها﴾ في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة ﴿من المؤمنين﴾
ممن آمن بلوط ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ غير اهل بيت من المسلمين واستدل
به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على
من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
﴿وتركنا فيها آية﴾ علامة ﴿للذين يخافون العذاب الاليم﴾ فانهم المعتبرون بها وهي تلك
الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن ﴿وفي موسى﴾ عطف على وفي الارض او
فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا ﴿اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين﴾ وهو معجزاته كاليد والعصا ﴿فتولى بركنه﴾ فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى
بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ
بضم الكاف ﴿وقال ساحر﴾ اي هو ساحر ﴿او مجنون﴾ كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرها ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم﴾ فاغرقناهم في البحر ﴿وهو مليم﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من
الضمير في فاخذناه ﴿وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم﴾ سماها عقيما لانها اهلكتهم
وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء
﴿ما تذر من شيء اتت عليه﴾ مرت عليه ﴿الا جعلته كالرميم﴾ كالرماد من الرم وهو البلى و
التفتت ﴿وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
﴿فعتوا عن امر ربهم﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فاخذتهم الصاعقة﴾ العذاب بعد الثلث
وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق ﴿وهم ينظرون﴾ اليها فانها جاءتهم معاينة
بالنهار ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما
يقوم به اذا عجز عن دفعه ﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين منه ﴿وقوم نوح﴾ اي واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة
ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر ﴿من قبل﴾ اي من قبل هؤلاء المذكورين ﴿انهم كانوا قوما

فاسقين﴾ خارجين عن الاستصلاح بالكفر والعصيان ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ بقوة
﴿وانا لموسعون﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون
السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق ﴿والارض فرشناها﴾ مهدناها لتستقروا
عليها ﴿فنعم الماهدون﴾ اي نحن ﴿ومن كل شيء﴾ من الاجناس ﴿خلقنا زوجين﴾
نوعين ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات
لا يقبل التعدد والانقسام ﴿ففروا الى الله﴾ من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
﴿اني لكم منه﴾ اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى ﴿نذير مبين﴾ بين كونه منذرا
من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ﴿ولا تجعلوا مع الله الها آخر﴾ افراد لما
يجب ان يفر منه ﴿اني لكم منه نذير مبين﴾ تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان
والطاعة والثاني على الاشراك ﴿كذلك﴾ اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول
وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ﴿ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون﴾
كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او بما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها
﴿اتواصوا به﴾ اي كأن الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه
جميعا ﴿بل هم قوم طاغون﴾ اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع
لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه ﴿فتول عنهم﴾ فاعرض عن مجادلتهم بعد ما
كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد ﴿فما انت بملوم﴾ على الاعراض بعد ما
بذلت جهدك في البلاغ ﴿وذكر﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾
من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزيد بصيرة ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾
لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك
ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ﴿ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون﴾ اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما هم كالمخلوقين له والمأمورين
والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم
ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه
اجرا ﴿ان الله هو الرزاق﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه
عنه وقرئ اني انا الرزاق ﴿ذو القوة المتين﴾ شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة
للقوة ﴿فان للذين ظلموا ذنوبا﴾ اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب

مثل ذنوب أصحابهم: مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة
الماء بالدلاء فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء. فلا يستعجلون: جواب لقولهم متى هذا
الوعد إن كنتم صادقين. فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون: من يوم القيامة
أو يوم بدر. عن النبي عليه السلام من قرأ والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت

سورة الطور مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم. والطور: يريد طور سينا، وهو جبل بمدين سمع فيه موسى
عليه السلام كلام الله تعالى، والطور الجبل بالسريانية، أو ما طار من أوج الإيجاد إلى حضيض المواد
أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. وكتاب مسطور: مكتوب، والسطر ترتيب الحروف
المكتوبة، والمراد به القرآن، أو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، أو ألواح موسى، أو في قلوب
أوليائه من المعارف والحكم، أو ما تكتبه الحفظة. في رق منشور: الرق الجلد الذي
يكتب فيه، استعير لما كتب فيه الكتاب، وتنكيرهما للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف
فيما بين الناس. والبيت المعمور: يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين، أو الضراح
وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة، أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة
والإخلاص. والسقف المرفوع: يعني السماء. والبحر المسجور: أي المملوء وهو المحيط
أو الموقد من قوله وإذا البحار سجرت، وروي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا
يسجر بها جهنم، أو المختلط من السجير وهو الخليط. إن عذاب ربك لواقع: لنازل. ما له
من دافع: يدفعه، ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال
قدرة الله تعالى وحكمته وصدق إخباره وضبط أعمال العباد للمجازاة. يوم تمور السماء
مورا: تضطرب اضطرابا، والمور تردد في المجيء والذهاب، وقيل تحرك في تموج، ويوم ظرف
لواقع. وتسير الجبال سيرا: أي تسير عن وجه الأرض فتصير هباء. فويل يومئذ للمكذبين:
أي إذا وقع ذلك فويل لهم. الذين هم في خوض يلعبون: أي في خوض في الباطل.
يوم يدعون إلى نار جهنم دعا: يدفعون إليها بعنف، وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم
وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار، وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا
بمعنى مدعوعين، ويوم بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر محكيه: هذه النار التي كنتم بها
تكذبون: أي فيقال لهم ذلك. أفسحر هذا: أي كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفهذا المصداق
أيضا سحر، وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ. أم أنتم لا تبصرون: هذا
أيضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه، وهو تقريع وتهكم، أم سدت أبصاركم كما

سدت في الدنيا على زعمكم حيث قلتم إنما سكرت أبصارنا. اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا:
أي ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا محيص لكم عنها. سواء عليكم:
أي الأمران الصبر وعدمه. إنما تجزون ما كنتم تعملون: تعليل للاستواء فإنه لما كان
الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع. إن المتقين في جنات
ونعيم: أي في أية جنات وأي نعيم، أو في جنات ونعيم مخصوصة بهم. فاكهين: ناعمين
متلذذين. بما آتاهم ربهم: وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو. ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم: عطف على آتاهم إن جعل ما مصدرية، أو في جنات، أو حال بإضمار قد
من المستكن في الظرف أو الحال أو من فاعل آتى أو مفعوله أو منهما. كلوا واشربوا
هنيئا: أي أكلا وشربا هنيئا، أو طعاما وشرابا هنيئا، وهو الذي لا تنغيص فيه. بما كنتم
تعملون: بسببه أو بدله، وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون
أي جزاؤه. متكئين على سرر مصفوفة: مصطفة. وزوجناهم بحور عين: الباء لما في التزويج
من معنى الوصل والإلصاق، أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن، أو لما في التزويج
من معنى الإلصاق والقرن، ولذلك عطف. والذين آمنوا: على حور أي قرناهم بأزواج
حور ورفقاء مؤمنين، وقيل إنه مبتدأ خبره ألحقنا بهم. واتبعتهم ذريتهم بإيمان:
اعتراض للتعليل، وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح
فإن الذرية تقع على الواحد والكثير، وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين
لهم في الإيمان، وقيل بإيمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما، وتنكيره للتعظيم أو الإشعار
بأنه يكفي للإلحاق المتابعة في أصل الإيمان. ألحقنا بهم ذريتهم: في دخول الجنة أو في الدرجة
لما روي أنه عليه السلام قال إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية، وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم. وما ألتناهم:
وما نقصناهم. من عملهم من شيء: بهذا الإلحاق فإنه كما يحتمل أن يكون بنقص مرتبة
الآباء أو بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم يحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال
لطفه، وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت، وعنه لتناهم من لات يليت، وآلتناهم
من آلت يؤلت، وولتناهم من ولت يلت، والمعنى واحد. كل امرئ بما كسب رهين:
بعمله مرهون عند الله فإن عمل صالحا فكها وإلا أهلكها. وأمددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون: أي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من أنواع التنعم. يتنازعون فيها كأسا:
يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب. كأسا: خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير

في نوز لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما
ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك
مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون
في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين
من عصيان الله معتنين بطاعة الله او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة
او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم
وقرئ ووقّانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده
او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بالفتح انه الرحيم
الكثير الرحمة فذكّر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك
بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم
احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر و
المجنون مغطى عقله والشاعر ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون
وأمر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ
بل هم ام يقولون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن
لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم
اذ فيهم كثير ممن تحدّى والقول رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان
سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث
ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام
في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن
خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها

من اختارته الحكمة ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا
ام لهم سلّم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم
من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من
العقلاء فضلا عن ان يكون ممن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم
اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك
زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات
فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله عليه السلام
فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة
على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال
كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله
يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب
مركوم سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر و
عاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا
يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر
او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم
ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك
وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي
مكان قمت او من منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على
النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا
ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه
عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه

او غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط
وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او بالنبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله :: ما ضل صاحبكم :: ما عدل محمد عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش :: وما غوى :: وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه
وما ينطق عن الهوى :: وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى :: ان هو :: ما القرآن او الذي
ينطق به :: الا وحي يوحى :: الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له و
اجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر
لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي :: علمه شديد القوى :: ملك شديد قواه وهو جبريل
فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين :: ذو مرة :: حصافة في عقله ورأيه :: فاستوى ::
فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته
غير محمد عليه السلام فانه رآه مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته
على ما جعل من الامر :: وهو بالافق الاعلى :: افق السماء والضمير لجبريل :: ثم دنى :: من
النبي :: فتدلى :: فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا
من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدلو
الثمر المعلق :: فكان :: جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما :: قاب قوسين ::
مقدار قوسين :: او ادنى :: على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس :: فاوحى :: جبريل :: الى عبده :: عبد الله
واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها :: ما اوحى :: جبريل وفيه تفخيم للموحى به
او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
:: ما كذب الفؤاد ما رأى :: ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله اي ما كذب بصره
بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال
فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما
رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال
رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه :: افتمارونه على ما يرى :: افتجادلونه

عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند
صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته
او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد
يقصدان بفعلهما غلبة الخصم :: ولقد رآه نزلة اخرى :: مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام
في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد
نفي الريبة عن المرة الاخيرة :: عند سدرة المنتهى :: التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم
او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم
يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة :: عندها جنة المأوى :: الجنة
التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء :: اذ يغشى السدرة ما يغشى :: تعظيم وتكثير لما
يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
عندها :: ما زاغ البصر :: ما مال بصر رسول الله عما رآه :: وما طغى :: وما تجاوزه بل اثبته
اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها :: لقد رأى ::
اي والله لقد رأى :: من آيات ربه الكبرى :: اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه
الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة
للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة :: افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى :: هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف
او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله
عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت
السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول
الله عليه السلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها
وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة ::
الكم الذكر وله الانثى :: انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات
هي بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم :: تلك اذا قسمة ضيزى
:: جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه

لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من
ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ❊ ان هي الا اسماء ❊ الضمير للاصنام اي ما
هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها
شيء من معنى الالوهية او للصفة التي يصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء
او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على
عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين
❊ سميتموها انتم ❊ سميتم بها ❊ وآباؤكم ❊ بهواكم وشهوتكم ❊ ما انزل الله بها من
سلطان ❊ برهان يتعلقون به ❊ ان يتبعون ❊ وقرئ بالتاء ❊ الا الظن ❊ الا توهم
ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا ❊ وما تهوى الانفس ❊ وما تشتهيه انفسهم ❊ ولقد
جاءهم من ربهم الهدى ❊ الرسول او الكتاب فتركوه ❊ ام للانسان ما تمنى ❊
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في
شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها ❊ فلله الآخرة والاولى ❊ يعطي منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما ❊ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا ❊ وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع ❊ الا من بعد ان يأذن الله ❊
في الشفاعة ❊ لمن يشاء ❊ من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ❊ ويرضى ❊
ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ❊ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة ❊ اي كل واحد منهم ❊ تسمية الانثى ❊ بان سموهم بنات ❊ وما لهم به من علم
❊ اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ❊ ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا ❊ فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا
اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها ❊
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ❊ فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت
منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ❊ ذلك ❊
اي امر الدنيا او كونها شهية ❊ مبلغهم من العلم ❊ لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر
لقصور همهم بالدنيا وقوله ❊ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
❊ تعليل الامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك

في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ❊ ولله ما في السموات وما في الارض ❊
خلقا وملكا ❊ ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ❊ بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب
ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال
عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ❊ ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ❊ بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة او بما حسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى ❊ الذين يجتنبون كبائر الاثم
❊ ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد
وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك ❊ والفواحش ❊ ما فحش
من الكبائر خصوصا ❊ الا اللمم ❊ الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء
منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ❊ ان ربك
واسع المغفرة ❊ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب
صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب
الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله ❊ هو اعلم بكم ❊ باحوالكم منكم ❊ اذ
انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ❊ علم احوالكم ومصارف اموركم
حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام ❊ فلا تزكوا انفسكم
❊ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل ❊ هو اعلم
بمن اتقى ❊ فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم ❊ افرايت الذي
تولى ❊ عن اتباع الحق والثبات عليه ❊ واعطى قليلا واكدى ❊ وقطع العطاء من قولهم
اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت
في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال تركت
دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطى
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي ❊ اعنده علم الغيب فهو يرى ❊
يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ❊ ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ❊
وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة
فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التوراة كانت اشهر واكثر
❊ الا تزر وازرة وزر اخرى ❊ ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا

ما في صحف موسى او التزم ما التزم وهو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره. وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه. وان سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله. وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم اليه وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده. وانه هو اضحك وابكى. وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة. وانه خلق الزوجين الذكر والانثى. من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر. وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ. وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية. وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها. وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرئ عادا لولى بادغام التنوين في اللام. وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف. فما ابقى الفريقين. وقوم نوح ايضا معطوف عليه. من قبل من قبل عاد وثمود. انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك. والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط. اهوى بعد ان رفعها فقلبها. فغشاها ما غشى

فيه تهويل وتعميم لما اصابهم. فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين. هذا نذير من النذر الاولى اي هذا الانذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين. ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة. ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية. افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا. وتضحكون استهزاء. ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم. وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء. فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة.

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم. اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر وقوله. وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها. ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى. وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة. وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى الاستقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة. ولقد جاءهم في القرآن. من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة. ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها. حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر المحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال

عنها. فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير
بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار. فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني
فيهم. يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط
الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر. الى شيء نكر
فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ
نكر بمعنى انكر. خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا
ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ
خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك
ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على
الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا. كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه. يقول الكافرون هذا
يوم عسر صعب. كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك. فكذبوا عبدنا نوحا
وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن
تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل. وقالوا مجنون هو مجنون. وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن و
تخبطته. فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول. مغلوب غلبني قومي
فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر
مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون. ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب
ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب. وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون
متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة. فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ
الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا. على امر قد قدر على حال قدرها
الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء
على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.
وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة. ودسر ومسامير جمع دسار
من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح
لها يؤدي مؤداها. تجري باعيننا بمرأى منا محفوظة بحفظنا. جزاء لمن كان كفر فعلنا

ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين. ولقد تركناها
اي السفينة او الفعلة. آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر. فهل من مدكر معتبر وقرئ
مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها. فكيف كان عذابي ونذر استفهام
تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع. ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه
من يسر ناقته للسفر اذا رحلها. للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ. فهل من مدكر متعظ. كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم
في تعذيبهم. انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت. في يوم نحس
شؤم. مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم صغيرهم وكبيرهم
فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر. تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها
وصرعتهم موتى. كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على
اللفظ والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى. فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل
وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر. كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل. فقالوا ابشرا منا
من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام. واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم.
نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على
ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة. أألقي الذكر الكتاب والوحي
عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك. بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع
علينا بادعائه. سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة. من الكذاب
الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه
وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير

إنا مرسلو الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم
وتبصر ما يصنعون واصطبر على أذاهم ونبئهم أن الماء قسمة بينهم مقسوم لها
يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
أو يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ
على تعاطي قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف
فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم
المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس
الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا
عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر
الليل أو مسحرين نعمة من عندنا إنعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر
نعمتنا بالإيمان والطاعة ولقد أنذرهم لوط بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا
بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم
فطمسنا أعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة
صفقهم جبريل صفقة فأعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة
أو ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد أول نهار معين
عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم إلى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة إشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض
لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والإيقاظ
لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما
ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها
يعني الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم
يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة أو مكانة ودينا عند الله
أم لكم براءة في الزبر أم نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب
أم يقولون نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء لا نغلب
أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر أي الأدبار
وإفراده لإرادة الجنس أو لأن كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من

دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لما نزلت لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول
الله عليه الصلاة والسلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم
موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة أدهى أشد
والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه وأمر مذاقا من عذاب الدنيا إن المجرمين
في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار
على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر أي يقال لهم ذوقوا حر النار
وألمها فإن مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار
وصقرته إذا لوحته إنا كل شيء خلقناه بقدر أي إنا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا
على مقتضى الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا
ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا
مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما أمرنا إلا واحدة إلا فعلة واحدة
وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر
والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياعكم
أشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب
في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال مستطر مسطور في اللوح إن المتقين في
جنات ونهر أنهار واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء
وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى أمره في
الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الأفهام عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ
سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر صدق الرسول

سورة الرحمن عز وجل مكية أو مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد
النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو أصل النعم الدينية وأجلها
وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي
وأعز الكتب إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه
قوله خلق الإنسان علمه البيان إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان

ه البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه ليتلقى الوحي ويتعرف
الحق ويتعلم الشرع وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف
لمجيئها على نهج التعديد :: الشمس والقمر بحسبان :: يجريان بحساب معلوم مقدر
في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول و
الأوقات ويعلم السنون والحساب :: والنجم :: النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض
ولا ساق له :: والشجر :: والذي له ساق :: يسجدان :: ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا
انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين أن يقال وأجرى الشمس
والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا
ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال إشعارا بأن
وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به
من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره :: والسماء رفعها :: خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على
الابتداء :: ووضع الميزان :: العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق
حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والأرض
أو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة
التي هي من حيث إنها مصدر القضايا والأقدار أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب :: ألا تطغوا في الميزان :: لئلا تطغوا
فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول :: وأقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان :: ولا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف
الجار وأوصل الفعل :: والأرض وضعها :: خفضها مدحوة :: للأنام :: للخلق وقيل الأنام
كل ذي روح :: فيها فاكهة :: ضروب مما يتفكه به :: والنخل ذات الأكمام :: أوعية التمر جمع
كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم كالجذع والثمر ::
والحب :: والثمرة :: ذو العصف :: كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف
ورق النبات اليابس كالتبن :: والريحان :: يعني المشموم أو الرزق من قولهم خرجت
أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب

والريحان

والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة و
الكسائي والريحان بالخفض وما عداه بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو
ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف :: فبأي آلاء ربكما تكذبان
:: الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للأنام وقوله أيها الثقلان :: خلق الإنسان
من صلصال كالفخار :: الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله
خلقه من تراب ونحوه :: وخلق الجان :: الجن أو أبا الجن :: من مارج :: من صاف من
الدخان :: من نار :: بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب ::
فبأي آلاء ربكما تكذبان :: مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات
وخلاصة الكائنات :: رب المشرقين ورب المغربين :: مشرقي الشتاء والصيف و
مغربيهما :: فبأي آلاء ربكما تكذبان :: مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك :: مرج البحرين
:: أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ::
يلتقيان :: يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط
لأنهما خليجان يتشعبان منه :: بينهما برزخ :: حاجز من قدرة الله أو من الأرض :: لا يبغيان
:: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق
ما بينهما :: فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان :: كبار الدر وصغاره وقيل
المرجان الخرز الأحمر وإن صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال منهما لأنه يخرج من
مجتمع الملح والعذب أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج
منهما وقرأ نافع ويعقوب وأبو عمرو يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان ::
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار :: أي السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان :: المنشآت :: المرفوعات الشرع أو
المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن
الأمواج أو السير :: في البحر كالأعلام :: كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل :: فبأي
آلاء ربكما تكذبان :: من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها
في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره :: كل من عليها فان :: من على الأرض من الحيوان
أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين :: ويبقى وجه ربك :: ذاته ولو استقريت

الجهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله
أي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والإكرام ذو الاستغناء والفضل العام فبأي آلاء
ربكما تكذبان أي مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وإبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة
وفضلاً ومما رتب على إفناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله
من في السموات والأرض فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم
ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء نطقاً كان أو غيره كل يوم
هو في شأن كل وقت يحدث أشخاصاً ويجدد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث
من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود إن الله
لا يقضي يوم السبت شيئاً فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج
لكما من مكمن العدم حيناً فحيناً سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك
يوم القيامة فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ
لك فإن المتجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ
إليكم أي سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة رأيهم
وقدرهم أو لأنهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات
والأرض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون
على النفوذ إلا بسلطان إلا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا
ما في السموات والأرض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله
فتعرجون عليها بأفكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان أي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها
إلى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان
قال: يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً أو صفر مذاب يصب على
رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفاً على نار ووافقه فيه
أبو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان
فبأي آلاء ربكما تكذبان فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام
من الكفار من عداد الآلاء فإذا انشقت السماء فكانت وردة أي حمراء كالوردة وقرئ وردة
بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله: فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي

الغنائم أو يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم ما يدهن به كالحزام أو
جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما يكون بعد ذلك
فيومئذ أي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان لأنهم يعرفون بسيماهم
وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف
مراتبهم وأما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للإنس باعتبار
اللفظ فإنه وإن تأخر لفظاً تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما أنعم على عباده المؤمنين
في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والأقدام مجموعاً بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار
التي يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم أو يسقون
منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام
ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو مقام
الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضاف إلى الرب تفخيماً وتهويلاً أو ربه ومقام
مقحم للمبالغة كقوله: ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين
جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين
منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي
أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد
فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان أنواع من الأشجار والثمار جمع فن أو أغصان
جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر
وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاءوا في الأعالي والأسافل
قيل إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنك
بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين
دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهن في الجنان فإن جنتان تدل على جنان هي للخائفين أو فيما فيهما من الأماكن
والقصور أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات

الطرف :: نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن :: لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ
الكسائي بضم الميم :: فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان :: اي في حمرة الوجه
وبياض البشرة وصفائهما :: فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان :: في العمل :: الا
الاحسان :: في الثواب :: فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان :: ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين :: فباي الاء
ربكما تكذبان مدهامتان :: خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار
بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت :: فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده :: فباي الاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان :: عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة و
غذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رح على ان من حلف لا ياكل فاكهة
فاكل رطبا او رمانا لم يحنث :: فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات :: اي خيرات فخففت
لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل :: حسان :: حسان الخلق والخلق :: فباي
الاء ربكما تكذبان حور مقصورات :: قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي
مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن :: في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان :: كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم :: فباي الاء
ربكما تكذبان متكئين على رفرف :: وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب
من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض :: خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما
تكذبان :: العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى :: تبارك اسم ربك :: تعالى اسمه من حيث انه
مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم
السلام عليكما :: ذي الجلال والاكرام :: وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عليه السلام

سورة الواقعة من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم عليه مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم :: اذا وقعت الواقعة :: اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق
وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت :: ليس لوقعتها كاذبة
اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها

٣٧٦

في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس
لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت
فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه :: خافضة رافعة ::
تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان
لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله تعالى ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر
الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال :: اذا رجت الارض رجا ::
حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل
من اذا وقعت :: وبست الجبال بسا :: اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت
من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها :: فكانت هباء
:: غبارا :: منبثا :: منتشرا :: وكنتم ازواجا :: اصنافا :: ثلاثة :: وكل صنف يكون او يذكر
مع صنف آخر زوج :: فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة
:: فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل
او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء
مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير
ومعناهما التعجب من حال الفريقين :: والسابقون السابقون :: والذين سبقوا الى الايمان
والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
او الانبياء فانهم مقدمو اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي
النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة :: اولئك المقربون في جنات النعيم ::
الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم :: ثلة من الاولين وقليل من الآخرين
:: اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من
الآخرين يعني امة محمد ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم
لجواز ان يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعو هذه اكثر من تابعيهم
ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي
اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع :: على سرر
موضونة :: خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع :: متكئين عليها متقابلين :: حالان من الضمير في على

قوله والكوب اناء الخ وفي القاموس الكوب بالضم كوز لا عروة له او لا خرطوم له

يطوف عليهم: للخدمة. ولدان مخلدون: مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم. باكواب واباريق: حال الشرب وغيره، والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له، والابريق اناء له ذلك. وكأس من معين: من خمر. لا يصدعون عنها: بخمار. ولا ينزفون: ولا ينزف عقولهم، او لا ينفد شرابهم، وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون، ولا ينزفون بكسر الزاي. وفاكهة مما يتخيرون: اي يختارون. ولحم طير مما يشتهون: يتمنون. وحور عين: عطف على ولدان، او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور، وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور، او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب، وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا. كامثال اللؤلؤ المكنون: المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء. جزاء بما كانوا يعملون: اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم. لا يسمعون فيها لغوا: باطلا. ولا تأثيما: ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم. الا قيلا: الا قولا. سلاما سلاما: بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما، او صفته، او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما، او مصدر، والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم، وقرئ سلام سلام على الحكاية. واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود: لا شوك له، من خضد الشوك اذا قطعه، او مثني اغصانه من كثرة حمله، من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب. وطلح: وشجر موز، او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة، وقرئ بالعين. منضود: نضد حمله من اسفله الى اعلاه. وظل ممدود: منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت. وماء مسكوب: يسكب لهم اينما شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب، او مصبوب سائل، كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين. وفاكهة كثيرة: كثيرة الاجناس. لا مقطوعة: لا تنقطع في وقت. ولا ممنوعة: لا تمنع عن متناولها بوجه. وفرش مرفوعة: رفيعة القدر، او منضدة مرتفعة، وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك، ويدل عليه قوله: انا انشأناهن انشاء: اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة، ابداء او اعادة، وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا. فجعلناهن ابكارا عربا: متحببات الى ازواجهن، جمع عروب، وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله. اترابا: فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن. لاصحاب اليمين: متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا

او خبر لمحذوف مثل هم او يعلون. ثلة من الاولين وثلة من الاخرين: وهي على الوجه الاول خبر محذوف. واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم: في حر نار ينفذ في المسام. وحميم: وماء متناه في الحرارة. وظل من يحموم: من دخان اسود، يفعول من الحممة. لا بارد: كسائر الظل. ولا كريم: ولا نافع، نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح. انهم كانوا قبل ذلك مترفين: منهمكين في الشهوات. وكانوا يصرون على الحنث العظيم: الذنب العظيم يعني الشرك، ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب، وحنث في يمينه خلاف بر فيها، وتحنث اذا تأثم. وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون: كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله: او آباؤنا الاولون: للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم، وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون، وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون، وقد سبق مثله، والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة. قل ان الاولين والاخرين لمجموعون، وقرئ لمجمعون. الى ميقات يوم معلوم: الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له. ثم انكم ايها الضالون المكذبون: اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم. لآكلون من شجر من زقوم: من الاولى للابتداء والثانية للبيان. فمالئون منها البطون: من شدة الجوع. فشاربون عليه من الحميم: لغلبة العطش، وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه حملا على المعنى واللفظ، وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها. فشاربون شرب الهيم: الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء، جمع اهيم وهيماء، قال ذو الرمة: فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها. وقيل الرمال، على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض، وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد، وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين. هذا نزلهم يوم الدين: يوم الجزاء، فاذا كان ذلك ما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم، ففيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم، لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له، وقرئ نزلهم بالتخفيف. نحن خلقناكم فلولا تصدقون: بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه، او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة. أفرأيتم ما تمنون: اي ما تقذفونه في الارحام من النطف، وقرئ بفتح التاء من منى بمعنى امنى. أأنتم تخلقونه: تجعلونه بشرا سويا. ام نحن الخالقون. نحن قدرنا بينكم الموت: قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين، وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال. وما نحن

بمسبوقين: لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته، أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه. على أن نبدل أمثالكم: على الأول حال أو علة لقدرنا، وعلى الثاني صلة، والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم، أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل. وننشئكم فيما لا تعلمون: في خلق أو صفات لا تعلمونها. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون: أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال، وفيه دليل على صحة القياس. أفرأيتم ما تحرثون: تبذرون حبه. أأنتم تزرعونه: تنبتونه. أم نحن الزارعون: المنبتون. لو نشاء لجعلناه حطاما: هشيما. فظلتم تفكهون: تعجبون، أو تندمون على اجتهادكم فيه، أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه، والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث، وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الأصل. إنا لمغرمون: لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام، وقرأ أبو بكر أئنا على الاستفهام. بل نحن محرومون: حرموا رزقنا، أو محدودون لا مجدودون. أفرأيتم الماء الذي تشربون: أي العذب الصالح للشراب. أأنتم أنزلتموه من المزن: من السحاب، واحده مزنة، وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب. أم نحن المنزلون: بقدرتنا، والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام. لو نشاء جعلناه أجاجا: ملحا، أو من الأجيج فإنه يحرق الفم، وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه، أو الاكتفاء بسبق ذكره، أو تخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب لمزيد التأكيد. فلولا تشكرون: أمثال هذه النعم الضرورية. أفرأيتم النار التي تورون: تقدحون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون: يعني الشجرة التي منها الزناد. نحن جعلناها: جعلنا نار الزناد. تذكرة: تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس، أو في الظلام، أو تذكيرا أو أنموذجا لنار جهنم. ومتاعا: ومنفعة. للمقوين: للذين ينزلون القواء وهي القفر، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها. فسبح باسم ربك العظيم: فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره، فإن إطلاق اسم الشيء ذكره، والعظيم صفة للاسم أو الرب، وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته، أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه، أو للشكر على ما عدها من النعم. فلا أقسم: إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم

أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم، أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء، ويدل عليه أنه قرئ فلأقسم، أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه. بمواقع النجوم: بمساقطها، وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره، أو بمنازلها ومجاريها، وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم: لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى، وهو اعتراض في اعتراض، فإنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه، ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة. إنه لقرآن كريم: كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد، أو حسن مرضي في جنسه. في كتاب مكنون: مصون وهو اللوح. لا يمسه إلا المطهرون: لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى نهي، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر، وقرئ المتطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره، والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام. تنزيل من رب العالمين: صفة ثالثة أو رابعة للقرآن، وهو مصدر نعت به، وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا. أفبهذا الحديث: يعني القرآن. أنتم مدهنون: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به. وتجعلون رزقكم: أي شكر رزقكم. أنكم تكذبون: أي بمانحه حيث تنسبونه إلى الأنواء، وقرئ شكركم أي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به، وتكذبون أي بقولكم في القرآن إنه سحر وشعر، أو في المطر إنه من الأنواء. فلولا إذا بلغت الحلقوم: أي النفس. وأنتم حينئذ تنظرون: حالكم، والخطاب لمن حول المحتضر، والواو للحال. ونحن أقرب إليه: ونحن أعلم به، أي المحتضر. منكم: عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع. ولكن لا تبصرون: لا تدركون كنه ما يجري عليه. فلولا إن كنتم غير مدينين: أي مجزيين يوم القيامة، أو مملوكين مقهورين، من دانه إذا أذله واستعبده، وأصل التركيب للذل والانقياد. ترجعونها: ترجعون النفس إلى مقرها، وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى، والثانية تكرير للتوكيد، وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط، والمعنى إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته. إن كنتم صادقين: في تعطيلكم، فلولا ترجعون الأرواح إلى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم. فأما إن كان من المقربين: أي إن كان المتوفى من السابقين. فروح: فله استراحة، وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم و

بالجنة الدائمة «وريحان» ورزق طيب «وجنة نعيم» ذات تنعم «وأما إن كان
من أصحاب اليمين فسلام لك» يا صاحب اليمين «من أصحاب اليمين» أي من
إخوانك يسلمون عليك «وأما إن كان من المكذبين الضالين» يعني أصحاب الشمال
وإنما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها وإشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به «فنزل من حميم
وتصلية جحيم» وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها «إن هذا» أي الذي ذكر في
السورة أو في شأن الفرق «لهو حق اليقين» أي حق الخبر اليقين «فسبح باسم ربك
العظيم» فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه. عن النبي من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة

سورة الحديد مدنية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم «سبح لله ما في السموات والأرض» ذكر ههنا وفي الحشر
والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع إشعارا بأن من شأن ما
أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات
ومجيء المصدر مطلقا في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح
من كل شيء وفي كل حال وإنما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته
إشعارا بأن إيقاع الفعل لأجل الله وخالصا لوجهه «وهو العزيز الحكيم» حال يشعر بما هو
المبدأ للتسبيح «له ملك السموات والأرض» فإنه الموجد لها والمتصرف فيها «يحيي ويميت»
استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور في له «وهو على كل شيء» من الإحياء والإماتة
وغيرهما «قدير» تام القدرة «هو الأول» السابق على سائر الموجودات من حيث إنه
موجدها ومحدثها «والآخر» الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو
الأول الذي تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجا والآخر ذهنا
«والظاهر والباطن» الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول
أو الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة
للجمع بين المجموعين «وهو بكل شيء عليم» يستوي عنده الظاهر والخفي «هو الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض» كالبذور
«وما يخرج منها» كالزروع «وما ينزل من السماء» كالأمطار «وما يعرج فيها» كالأبخرة
«وهو معكم أينما كنتم» لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال «والله بما تعملون بصير»
فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه «له ملك السموات والأرض»
ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما «وإلى الله ترجع الأمور» يولج

الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور» بمكنوناتها «
آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» من الأموال التي جعلكم الله
خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها
والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس «فالذين آمنوا منكم
وأنفقوا لهم أجر كبير» وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبر «وما لكم لا تؤمنون بالله» أي وما تصنعون
غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما «والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم» حال من ضمير لا تؤمنون
والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات «وقد أخذ
ميثاقكم» أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين من
النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول «إن كنتم مؤمنين»
لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد عليه «هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم»
أي الله أو العبد «من الظلمات إلى النور» من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان «وإن الله بكم
لرؤوف رحيم» حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية
«وما لكم ألا تنفقوا» وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا «في سبيل الله» فيما يكون قربة إليه
«ولله ميراث السموات والأرض» يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال وإذا كان كذلك
فإنفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى «لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة» بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة
اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق وذكر القتال للاستطراد
وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة إذ عز الإسلام به
وكثر أهله وقلت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق «من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا» أي من
بعد الفتح «وكلا وعد الله الحسنى» أي وعد الله كلا من المنفقين وعدا المثوبة الحسنى
وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه
«والله بما تعملون خبير» عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في أبي بكر فإنه
أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك
«من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوضه فإنه
كمن يقرضه وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات له «فيضاعفه
له» أي يعطي أجره أضعافا «وله أجر كريم» أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف

كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ
عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكأنه قال أيقرض الله
احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعّفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعّفه منصوبا
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى
نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون
صحائف اعمالهم من بين ايديهم ومن قبل ايمانهم بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا
فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة أنظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم
امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه
من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم
وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور
بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي
الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم ألم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله
وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم
النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة
خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي
مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير
النار ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ألم يأت وقته يقال أنى الامر
يأني أنيا وأنا وإنى اذا جاء إناه وقرئ ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن

يئين بمعنى أنى وألمّا يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو
عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل عطف على ان تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما
حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم
وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الأمدّ وهو الوقت الاطول
وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او
لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ
ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا
حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه ان الذين اصّدقوا او صدقوا وهو
على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر
كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى
ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم
اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم
آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم
القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان
لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل
ببيان انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم
جدا مثل اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم

كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد
والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى
واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا
راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به
فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة
بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة
السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله
فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان
الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل
به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم
قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة
الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة
او للارض او الانفس ان ذلك اي ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن
العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا
ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ
ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا
خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد نفي
الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حال الضراء والسراء الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ
خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن
يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع

وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى
الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليتبين الحق ويميز صواب
العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل
لتقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان
آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله
من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه
ما قبله حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن
في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما
امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب
الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على
ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا
بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون
من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او ورهبانية مبتدعة على انها من
المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان
وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان
جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم
بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود
منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا
او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر
بمحمد عليه الصلوة والسلام ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وحافظوا

حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عليه السلام ﴿منهم﴾ من المنتسبين باتباعه ﴿اجرهم وكثير﴾
﴿منهم فاسقون﴾ خارجون عن الاتباع ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ بالرسل المتقدمة ﴿اتقوا﴾
﴿الله﴾ فيما نهيكم عنه ﴿وآمنوا برسوله﴾ محمد عليه السلام ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين
﴿من رحمته﴾ لايمانكم بمحمد عليه السلام وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق
وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ﴿ويجعل لكم﴾
﴿نورا تمشون به﴾ يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس
﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم﴾ اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي
يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء ﴿اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل﴾
﴿الله﴾ ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم
يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضل الله فضلا ان يتصرفوا
في اعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن ارادوا ويؤيده قوله ﴿وان الفضل بيد الله يؤتيه من﴾
﴿يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر
النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم
وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان
الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب في الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله﴾ روي
ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله عليه السلام
فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله
فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها
وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها
في السين ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿ان الله سميع﴾
﴿بصير﴾ للاقوال والاحوال ﴿الذين يظهرون منكم من نسائهم﴾ الظهار ان يقول الرجل لامرأته
انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين
لعادتهم فيه فانه من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة و
الكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ﴿ما هن امهاتهم﴾ اي على الحقيقة
﴿ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم﴾ فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقهن الله بهن كالمرضعات

وازواج الرسول وقرأ عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا
على لغة من ينصب ﴿وانهم ليقولون منكرا من القول﴾ اذ الشرع انكره ﴿وزورا﴾
محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام ﴿وان الله لعفو غفور﴾ لما سلف منهم مطلقا
او اذا تيب عنه ﴿والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اي الى
قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك
عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه
يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار
في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار وكانوا يظاهرون في الجاهلية
وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معناه بان يحلف على ما قال
وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها ﴿فتحرير﴾
﴿رقبة﴾ اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر
وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل ﴿من قبل﴾
﴿ان يتماسا﴾ ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه
او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ﴿ذلكم﴾ اي ذلكم الحكم بالكفارة ﴿توعظون به﴾
لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى
عليه خافية ﴿فمن لم يجد﴾ اي الرقبة والذي غاب عنه ماله واجد ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾
﴿من قبل ان يتماسا﴾ فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان
جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك ﴿فمن لم يستطع﴾
اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي ان يعدل لاجله
﴿فاطعام ستين مسكينا﴾ ستين مدا بمد رسول الله عليه السلام وهو رطل وثلث لانه
اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره فانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين
او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ﴿ذلك﴾ اي ذلك البيان او التعليم للاحكام
ومحله النصب بفعل معلل يدل عليه قوله ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ اي فرض ذلك لتصدقوا بالله
ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وتلك حدود الله﴾ لا يجوز
تعديها ﴿وللكافرين﴾ اي الذين لا يقبلونها ﴿عذاب اليم﴾ وهو نظير قوله ومن كفر فان الله

عنى عن العالمين ❊ إن الذين يحادون الله ورسوله ❊ يعادونهما فإن كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما ❊ كبتوا ❊ أخزوا أو أهلكوا وأصل الكبت الكب ❊ كما كبت الذين من قبلهم ❊ يعني كفار الأمم الماضية ❊ وقد أنزلنا آيات بينات ❊ تدل على صدق الرسول وما جاء به ❊ وللكافرين عذاب مهين ❊ يذهب عزهم وتكبرهم ❊ يوم يبعثهم الله ❊ منصوب بمهين أو بإضمار اذكر ❊ جميعا ❊ كلهم لا يدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين ❊ فينبئهم بما عملوا ❊ أي على رؤوس الأشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم ❊ أحصاه الله ❊ أحاط به عددا لم يغب منه شيء ❊ ونسوه ❊ لكثرته أو تهاونهم به ❊ والله على كل شيء شهيد ❊ لا يغيب عنه شيء ❊ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ❊ كليا وجزئيا ❊ ما يكون من نجوى ❊ ما يقع من تناجي ثلاثة ❊ ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه ❊ إلا هو رابعهم ❊ إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الأحوال ❊ ولا خمسة ❊ ولا نجوى خمسة ❊ إلا هو سادسهم ❊ وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين ❊ ولا أدنى من ذلك ❊ ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين ❊ ولا أكثر إلا هو معهم ❊ يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعلت لا لنفي الجنس ❊ أينما كانوا ❊ فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ❊ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ❊ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ❊ إن الله بكل شيء عليم ❊ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على السواء ❊ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ❊ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم ❊ ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ❊ أي بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى ❊ وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ❊ فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ❊ ويقولون

قوله بما يعذبنا الله بذلك وفي الكشاف كانوا يقولون ما له إن كان نبيا فلما لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول لم يذكره القاضي

في أنفسهم ❊ فيما بينهم ❊ لولا يعذبنا الله بما نقول ❊ هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا ❊ حسبهم جهنم ❊ عذابا ❊ يصلونها ❊ يدخلونها ❊ فبئس المصير ❊ جهنم ❊ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ❊ كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا ❊ وتناجوا بالبر والتقوى ❊ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول ❊ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ❊ فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه ❊ إنما النجوى ❊ أي النجوى بالإثم والعدوان ❊ من الشيطان ❊ فإنه المزين لها والحامل عليها ❊ ليحزن الذين آمنوا ❊ بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم ❊ وليس ❊ أي الشيطان أو التناجي ❊ بضارهم ❊ بضار المؤمنين ❊ شيئا إلا بإذن الله ❊ إلا بمشيئته ❊ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ❊ ولا يبالوا بنجواهم ❊ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ❊ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله عليه السلام فإنهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه ❊ فافسحوا يفسح الله لكم ❊ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها ❊ وإذا قيل انشزوا ❊ انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد أو ارتفعوا في المجلس ❊ فانشزوا ❊ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما ❊ يرفع الله الذين آمنوا منكم ❊ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة ❊ والذين أوتوا العلم درجات ❊ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ❊ والله بما تعملون خبير ❊ تهديد لمن لم يمتثل الأمر أو استكرهه ❊ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ❊ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول وإنفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشرا وقيل إلا ساعة ❊ ذلك ❊ أي ذلك التصدق ❊ خير لكم وأطهر ❊ أي لأنفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله ❊ فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ❊ أي لمن لم يجد حيث

قوله وهو يشعر بالندبية لكن قوله لم يجز دليل عليه لأن الواجب أيضا يجوز أن يوصف به فإن المفضل عليه ترك التصدق وهو المندوب فظاهر أن الواجب خير منه والطهر وإن كان الواجبات توصف بذلك وارد على المبالغة فيبنى على التأويل بالوجوب والتقدير فإنه خير مستو والله أعلم

قوله أأشفقتم ان تقدموا لما كان بعضهم ترك المناجاة للاشفاق وكان الاشفاق فيه للامر كما نبهت عليه

رخص له في المناجاة بلا تصدق اول على الوجوب :: ءأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات :: أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي :: فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم :: بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان :: فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة :: فلا تفرطوا في ادائهما :: واطيعوا الله ورسوله :: في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك :: والله خبير بما تعملون :: ظاهرا وباطنا :: الم تر الى الذين تولوا :: والوا :: قوما غضب الله عليهم :: يعني اليهود :: ما هم منكم ولا منهم :: لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك :: ويحلفون على الكذب :: وهو ادعاء الاسلام :: وهم يعلمون :: ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت :: اعد الله لهم عذابا شديدا :: نوعا من العذاب متفاقما :: انهم ساء ما كانوا يعملون :: فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه :: اتخذوا ايمانهم :: اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه :: جنة :: وقاية دون دمائهم واموالهم :: فصدوا عن سبيل الله :: فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط :: فلهم عذاب مهين :: وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة :: لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون :: قد سبق مثله :: يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له :: اي لله على انهم مسلمون :: ويقولون :: كما يحلفون لكم :: في الدنيا انهم لمنكم :: ويحسبون انهم على شيء :: لان تمكن الكذب والنفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا :: الا انهم هم الكاذبون :: البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه :: استحوذ عليهم الشيطان :: استولى عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل :: فانساهم ذكر الله :: لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم :: اولئك حزب الشيطان :: جنوده واتباعه :: الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون :: لانهم فوتوا على انفسهم

النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد :: ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين :: في جملة من هو اذل خلق الله :: كتب الله :: في اللوح :: لاغلبن انا ورسلي :: اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء :: ان الله قوي :: على نصر انبيائه :: عزيز :: لا يغلب عليه في مراده :: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله :: اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم :: ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم :: ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم :: اولئك :: اي الذين لم يوادوهم :: كتب في قلوبهم الايمان :: اي اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه :: وايدهم بروح منه :: اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب :: ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم :: بطاعتهم :: ورضوا عنه :: بقضائه او بما وعدهم من الثواب :: اولئك حزب الله :: جنده وانصار دينه :: الا ان حزب الله هم المفلحون :: الفائزون بخير الدارين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم :: سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم :: روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله عليه السلام اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شيء قدير :: هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر :: اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او للجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر :: ما ظننتم ان يخرجوا :: لشدة بأسهم ومنعتهم :: وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله :: اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة

على حرز ومنعتهم بحصانتهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز أن يكون حصونهم فاعلًا لمانعتهم. فأتاهم الله أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء، وقيل الضمير للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله، وقرئ فآتاهم أي العذاب أو النصر. من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم. وقذف في قلوبهم الرعب وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها. يخربون بيوتهم بأيديهم ضنًا بها على المسلمين وإخراجًا لما استحسنوا من آلاتها. وأيدي المؤمنين فإنهم أيضًا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعًا لمجال القتال، وعطفها على أيديهم من حيث إن تخريب المؤمنين مسبب عن بغيهم فكأنهم استعملوهم فيه، والجملة حال أو تفسير للرعب. وقرأ أبو عمرو يخرّبون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير، وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابًا والتخريب الهدم. فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله. واستدل به على أن القياس حجة من حيث إنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الأصولية. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء الخروج من أوطانهم. لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة. ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب الإشارة إلى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم أو إلى الأخير. ما قطعتم من لينة أي شيء قطعتم من نخلة، فعلة من اللون وتجمع على ألوان، وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ليان. أو تركتموها الضمير لما وتأنيثه لأنه مفسر باللينة. قائمة على أصولها وقرئ أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو، أو على أنه كرهن. فبإذن الله فبأمره. وليخزي الفاسقين علة لمحذوف أي وفعلتم أو وأذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه. روي أنه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت. واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم. وما أفاء الله على رسوله وما أعاده عليه بمعنى صيره له أو رده عليه فإنه كان حقيقًا بأن يكون له لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين. منهم من بني النضير أو من الكفرة. فما أوجفتم عليه فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير. من خيل ولا ركاب ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه. وذلك إن كان المراد فيء بني النضير فإن قريتهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها

رجالًا غير رسول الله عليه السلام فإنه ركب جملًا أو حمارًا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئًا إلا ثلاثة كانت بهم حاجة. ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم. والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى بيان للأول ولذلك لم يعطف عليه. فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول، وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور. كيلا يكون أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء. دولة بين الأغنياء منكم الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية، وقرئ دُولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم، وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أي كيلا يقع دولة جاهلية. وما آتاكم الرسول وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة. وما نهاكم عنه عن أخذه منه أو عن إتيانه فانتهوا عنه. واتقوا الله في مخالفة الرسول إن الله شديد العقاب لمن خالفه. للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فإن الرسول لا يسمى فقيرًا ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده، أو الفيء بفيء بني النضير. الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم. يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم. وينصرون الله ورسوله بأنفسهم وأموالهم. أولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في إيمانهم. والذين تبوؤا الدار والإيمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما، وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام، أو تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبنًا وماءً باردًا. وقيل سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره. من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين، وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والإيمان. يحبون من هاجر إليهم ولا يثقل عليهم. ولا يجدون في صدورهم في أنفسهم. حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ. مما أوتوا مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره. ويؤثرون على أنفسهم ويقدمون

المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها
من احدهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ﴿ومن يوق
شح نفسه﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿فاولئك هم
المفلحون﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل ﴿والذين جاؤا من بعدهم﴾ هم
الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد
الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾ اي لاخواننا في الدين ﴿ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ حقدا لهم ﴿ربنا انك رؤف رحيم﴾ فحقيق بان تجيب دعانا
﴿الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب﴾ يريد الذين بينهم
وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة ﴿لئن اخرجتم﴾ من دياركم ﴿لنخرجن معكم﴾
في قتالكم او خذلانكم ﴿ولا نطيع فيكم احدا ابدا﴾ اي من رسول الله والمسلمين ﴿وان قوتلتم
لننصرنكم﴾ لنعاونكم ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال
﴿لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه
راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ﴿ولئن
نصروهم﴾ على الفرض والتقدير ﴿ليولن الادبار﴾ انهزاما ﴿ثم لا ينصرون﴾ بعد بل يخذلهم
ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين
﴿لانتم اشد رهبة﴾ اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول ﴿في صدورهم﴾ فانهم
كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿من الله﴾ على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم
سبب لاظهار رهبة الله ﴿ذلك بانهم قوم لا يفقهون﴾ لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق
خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى ﴿لا يقاتلونكم﴾ اليهود والمنافقون ﴿جميعا﴾ مجتمعين
﴿الا في قرى محصنة﴾ بالدروب والخنادق ﴿او من وراء جدر﴾ لفرط رهبتهم وقرأ ابن
كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ اي وليس ذلك
لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم
ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين متفقين
﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذلك بانهم قوم لا يعقلون﴾
ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ اي مثل اليهود
كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية

﴿قريبا﴾ في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ﴿ذاقوا وبال امرهم﴾
سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿ولهم عذاب اليم﴾ في الآخرة ﴿كمثل الشيطان﴾ اي مثل
المنافقين في اغراء اليهود كمثل الشيطان ﴿اذ قال للانسان اكفر﴾ اغراه على الكفر اغراء
الآمر المأمور ﴿فلما كفر قال اني بريء منك﴾ تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم
ينفعه ذلك كما قال ﴿اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين﴾ والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على
انها الخبر لكان وخالدان على انه الخبر وفي النار لغو ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و
لتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده
وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه
مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ وهو كالوعيد
على المعاصي ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ نسوا حقه ﴿فانساهم انفسهم﴾ فجعلهم ناسين
لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم
انفسهم ﴿اولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسوق ﴿لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار و
احتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر ﴿اصحاب الجنة هم الفائزون﴾ بالنعيم
المقيم ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ تمثيل وتخييل
كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله ﴿وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون﴾ فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند
تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام
﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ ما غاب عن
الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم
الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر
والعلانية ﴿هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس﴾ البليغ في النزاهة عما
يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة
مصدر وصف به للمبالغة ﴿المؤمن﴾ واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على

حذف الجار. المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته
ياء. العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر حالهم بمعنى أصلحه. المتكبر
الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا. سبحان الله عما يشركون إذ لا يشاركه
شيء في ذلك. هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته. البارئ الموجد لها
بريئا من التفاوت. المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد. ومن أراد الإطناب
في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى. له الأسماء الحسنى
لأنها دالة على محاسن المعاني. يسبح له ما في السموات والأرض لتنزهه عن النقائص
كلها. وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.
نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله عليه السلام يغزو أهل مكة كتب
إليهم أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل
جبريل فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا
مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل
مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل علي السيف
فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ
أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم
من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله عليه السلام وعذره. تلقون إليهم بالمودة تفضون إليهم المودة بالمكاتبة
والباء مزيدة أو أخبار رسول الله عليه السلام بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا
أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في
الاسم دون الفعل. وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل أحد الفعلين. يخرجون
الرسول وإياكم أي من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه. أن تؤمنوا بالله ربكم
بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب
الإيمان. إن كنتم خرجتم عن أوطانكم. جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة
للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا. تسرون إليهم بالمودة بدل من تلقون

أو استئناف معناه أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة
وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي منكم وقيل أعلم مصدر والباء مزيدة وما موصولة
أو مصدرية. ومن يفعله منكم أي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل أخطأه. إن
يثقفوكم يظفروا بكم. يكونوا لكم أعداء ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم. ويبسطوا إليكم أيديهم
وألسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم. وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم
ومجيء وده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء وأن ودادهم حاصل وإن
لم يثقفوكم. لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم. ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم.
يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون حق
الله لمن يفر عنكم غدا. وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم
يفصل وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم. والله بما تعملون بصير
فيجازيكم عليه. قد كانت لكم أسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به. في إبراهيم والذين
معه صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة لأنها
وصفت. إذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان. إنا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء.
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم و
آلهتكم. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة
والبغضاء ألفة ومحبة. إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك استثناء من قوله أسوة حسنة
فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن تأتسوا به فإنه كان قبل النهي أو لموعدة وعدها
إياه. وما أملك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع
استثناء جميع أجزائه. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير متصل بما قبل الاستثناء
أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار. ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله. واغفر لنا ما فرط
منا. ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي.
لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل
قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي
بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد
فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة. عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل
لا تتخذوا عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ

الكريم وصاروا لهم اولياء ﴿والله قدير﴾ على ذلك ﴿والله غفور رحيم﴾ لما فرط منكم في موالاتهم
من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم﴾ اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ﴿ان تبروهم﴾ بدل من الذين ﴿وتقسطوا اليهم﴾
وتفضوا اليهم بالقسط اي بالعدل ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ العادلين روي ان قتيلة بنت
عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول
فنزلت ﴿انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم﴾
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ﴿ان تولوهم﴾
بدل من الذين بدل الاشتمال ﴿ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون﴾ لوضعهم الولاية في غير
موضعها ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان ﴿الله اعلم بايمانهن﴾ فانه المطلع على ما في
قلوبهن ﴿فان علمتموهن مؤمنات﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف
وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به ﴿فلا ترجعوهن الى
الكفار﴾ اي الى ازواجهن الكفرة لقوله ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ والتكرير للمطابقة
والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف ﴿وآتوهم ما انفقوا﴾
ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما
تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام كان بعد
بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا
لها فنزلت فاستحلفها رسول الله عليه السلام فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر
﴿ولا جناح عليكم ان تنكحوهن﴾ فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار ﴿اذا آتيتموهن
اجورهن﴾ شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر
﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد ﴿واسألوا ما انفقتم﴾
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألوا ما انفقوا﴾ من مهور ازواجهم المهاجرات
﴿ذلكم حكم الله﴾ يعني جميع ما ذكر في الآية ﴿يحكم بينكم﴾ استيناف او حال من الحكم على حذف الضمير
او جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿والله عليم حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه حكمته ﴿وان فاتكم﴾ وان
سبقكم وانفلت منكم ﴿شيء من ازواجكم﴾ احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه
للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن ﴿الى الكفار فعاقبتم﴾ فجاءت عقبتكم اي نوبتكم

من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور
نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقبون في الركوب وغيره ﴿فآتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه
لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة ﴿واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون﴾ فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه ﴿يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا﴾ نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام
لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ﴿ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن﴾
يريد وأد البنات ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
في معروف﴾ في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به تنبيه
على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق ﴿فبايعهن﴾ اذا بايعنك بضمان الثواب على
الوفاء بهذه الاشياء ﴿واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم﴾ يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ لكفرهم بها او لعلمهم بانه
لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات ﴿كما يئس الكفار
من اصحاب القبور﴾ ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم﴾
سبق تفسيره ﴿يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ روي ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر
حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه ﴿كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت
خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا﴾ مصطفين مصدر وصف به ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ في تراصهم من غير فرجة
حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه ﴿واذ قال

موسى لقومه: مقدر باذكر او كان كذا. يا قوم لم تؤذونني: بالعصيان والرمي بالادرة
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم: بما جئتكم من المعجزات، والجملة حال مقررة للانكار فان
العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه، وقد لتحقيق العلم. فلما زاغوا: عن الحق. ازاغ
الله قلوبهم: صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب. والله لا يهدي القوم الفاسقين:
هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة. واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل: ولعله
لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم. اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة ومبشرا: في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول
يأتي من بعدي. والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا اليكم
لانه صلة للرسول فلا يعمل. اسمه احمد: يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، والمعنى ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي
الذي هو خاتم النبيين. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين: الاشارة الى ما جاء
به او اليه، وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة
الى عيسى. ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام: اي لا احد
اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته
الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت.
وقرئ يدّعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه. والله لا يهدي القوم الظالمين:
لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم. يريدون ليطفئوا: اي يريدون ان يطفئوا، واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك
او يريدون الافتراء ليطفئوا. نور الله: يعني دينه او كتابه او حجته. بافواههم:
بطعنهم فيه. والله متم نوره: مبلغ غايته بنشره واعلائه. وقرأ ابن كثير وحمزة و
الكسائي وحفص بالاضافة. ولو كره الكافرون: ارغاما لهم. هو الذي ارسل
رسوله بالهدى: بالقرآن او المعجزة. ودين الحق: والملة الحنيفية. ليظهره على الدين كله:
ليغلبه على الاديان كلها. ولو كره المشركون: لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك.
يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم: وقرأ ابن عامر تنجّيكم بالتشديد.
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم: استئناف مبين
للتجارة، وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم، والمراد به الامر وانما جيء بلفظ
الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك. ذلكم خير لكم: يعني ما ذكر من الايمان والجهاد. ان كنتم تعلمون:

٥٤٧

ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله. يغفر لكم ذنوبكم: جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم، ويبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة.
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم: الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة. واخرى تحبونها: ولكم الى هذه
النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل
على الآجل. وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره. نصر من الله:
وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف، وقد قرئ بما عطف عليه
بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر. وفتح قريب: عاجل. وبشر المؤمنين:
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر، او على تؤمنون فانه في معنى
الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنين وبشرهم يا رسول بما وعدتهم عليهما
آجلا وعاجلا. يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله: وقرأ الحجازيان وابو عمرو
بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله. كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من
انصاري الى الله: اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله. قال الحواريون نحن
انصار الله: والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول، والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال
او كونوا انصارا كما كان الحواريون انصارا حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله
والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر
رجلا. فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة: اي بعيسى. فايدنا الذين
آمنوا على عدوهم: بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى. فاصبحوا ظاهرين: فصاروا
غالبين. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه.

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس
العزيز الحكيم: وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح. هو الذي بعث في الاميين:
اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون. رسولا منهم: من جملتهم اميا مثلهم.
يتلو عليهم آياته: مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم. ويزكيهم: من خبائث العقائد
والاعمال. ويعلمهم الكتاب والحكمة: القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول

قوله لكفاه قال البوصيري كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

قوله وإزاحة إلخ فيه تأمل فإن الأنسبة الكونه في الضلال إلى الجميع من باب التغليب وخلافه كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم فمنهم كان منهم رسول الله قبل بعث الله وحده

ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ من الشرك
وخبث الجاهلية، وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم وإزاحة لما يتوهم
أن الرسول تعلم ذلك من معلم، وإن هي المخففة واللام تدل عليها ﴿وآخرين منهم﴾
عطف على الأميين أو المنصوب في يعلمهم، وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم
الدين فإن دعوته وتعليمه يعم الجميع ﴿لما يلحقوا بهم﴾ لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
﴿وهو العزيز﴾ في تمكينه من هذا الأمر الخارق للعادة ﴿الحكيم﴾ في اختياره وتعليمه ﴿ذلك
فضل الله﴾ ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلاً وعطية
﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ﴿مثل الذين حملوا
التوراة﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها ﴿كمثل الحمار يحمل
أسفاراً﴾ كتباً من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها، ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة
إذ ليس المراد من الحمار معيناً ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي مثل الذين كذبوا
وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام، ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم
والمخصوص بالذم محذوفاً ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم
أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ إذ كانوا يقولون نحن أولياء الله وأحباؤه ﴿فتمنوا
الموت﴾ فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى محل الكرامة ﴿إن كنتم صادقين﴾
في زعمكم ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي ﴿والله عليم
بالظالمين﴾ فيجازيهم على أعمالهم ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ وتخافون أن تتمنوه بلسانكم
مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فإنه ملاقيكم﴾ لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز أن يكون
الموصول خبراً والفاء عاطفة ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾
بأن يجازيكم عليه ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة﴾ أي أذن لها ﴿من يوم الجمعة﴾
بيان لإذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل
سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه وأول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام أنه
لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم
بن عوف ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ فامضوا إليه مسرعين قصداً فإن السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلاة والأمر بالسعي إليها يدل على وجوبها ﴿وذروا البيع﴾ واتركوا
المعاملة ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقى

﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم من أهل العلم ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾
أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ إطلاق لما حظر عليهم
واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا
وإنما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة أخ في الله ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ واذكروه
في مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة ﴿لعلكم تفلحون﴾ بخير الدارين ﴿وإذا رأوا تجارة
أو لهواً انفضوا إليها﴾ روي أنه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج
إليهم الناس إلا اثني عشر فنزلت وإفراد التجارة برد الكناية لأنها المقصودة فإن المراد
باللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد
سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع
بها إذا كان مذموماً كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك وقيل تقديره إذا رأوا
تجارة انفضوا إليها وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه ﴿وتركوك قائماً﴾ أي على المنبر ﴿قل ما
عند الله﴾ من الثواب ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون
من نفعهما ﴿والله خير الرازقين﴾ فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه، عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ الشهادة
إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة
بقوله ﴿والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ لأنهم لم يعتقدوا
ذلك ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد
﴿جنة﴾ وقاية عن القتل والسبي ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ صداً أو صدوداً
﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من نفاقهم وصدهم ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من الكلام
أي ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو إلى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان
بالأيمان ﴿بأنهم آمنوا﴾ بسبب أنهم آمنوا ظاهراً ﴿ثم كفروا﴾ سراً أو آمنوا إذا رأوا آية
ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا
فيه ﴿فهم لا يفقهون﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾
لضخامتها وصباحتها ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبي
جسيماً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله في جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغي إلى كلامهم ﴿كأنهم

قوله حال من الضمير المجرور ورد بأن الزمخشري جعله جملة خبر مبتدأ محذوف اى هم كانهم خشب او الاستئناف

خشب مسندة حال من الضمير المجرور في قولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكا الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ لنخرجن بفتح الباء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت اى دلائله

فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء حملا على المعنى والمعنى ان اخرتني اكن بعده وقرأ ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق حبيب الستار عليه السلام

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة

بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيها باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اى المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى لمفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اى بلى تبعثون وربي

قال ابلى لايجاب النفي

لتبعثن قسم أكده به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك
على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد
والنور الذي أنزلنا يعني القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه
وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر
ليوم الجمع لأجل ما فيه من الحساب والجزاء وقرأ يعقوب نجمعكم والجمع جمع الملائكة والثقلين
ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا
سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن
في أمور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا أي عملا صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون
فيهما ذلك الإشارة إلى مجموع الأمرين ولذلك جعله الفوز العظيم لأنه جامع للمصالح من
دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما أصاب من مصيبة إلا بإذن
الله إلا بتقديره وإرادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها
وقرئ يهد قلبه بالرفع على إقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز
أي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب وأحوالها وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين أي فإن توليتم فلا بأس عليه إذ وظيفته التبليغ
وقد بلغ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لأن إيمانهم بأن الكل منه يقتضي
ذلك يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله
أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وإن تعفوا عن
ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب عليها وتغفروا بإخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فإن الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم إنما أموالكم
وأولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده أجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة
الأموال والأولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم
واسمعوا مواعظه وأطيعوا أوامره وأنفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لأنفسكم
أي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر ويجوز أن يكون صفة مصدر
محذوف أي إنفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للأوامر ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون سبق تفسيره إن تقرضوا الله بصرف الأموال فيما أمره قرضا حسنا

مقرونا بالإخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا إلى سبعمائة
وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه ويغفر لكم ببركة الإنفاق والله
شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى
عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب
بالحكم لأنه إمام أمته فنداؤه كندائهم أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى إذا أردتم
تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن أي وقتها
وهو الطهر فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق
اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة
بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر وأنه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي
عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه إذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر
لما طلق امرأته حائضا أمره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله وأحصوا العدة
واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والإضرار بهن
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن
باستبدادهن أما لو اتفقا على الانتقال جاز إذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة
على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة مستثنى من الأول والمعنى إلا أن يبذون على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها
أو إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن
خروجها فاحشة وتلك حدود الله الإشارة إلى الأحكام المذكورة ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه بأن عرضها للعقاب لا تدري أي النفس أو أنت أيها
النبي أو المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف
فإذا بلغن أجلهن شارفن آخر عدتهن فأمسكوهن فراجعوهن بمعروف
بحسن عشرة وإنفاق مناسب أو فارقوهن بمعروف بإيفاء الحق واتقاء الضرار
مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها وأشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة أو
الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعن الشافعي
وجوبه في الرجعة وأقيموا الشهادة لله أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم

يريد الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فإنه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا
أو ضمنا من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن وتعدي حدود
الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على إقامتها بأن يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج
من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين
بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد
عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام إني أعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا
أبوه إلى رسول الله عليه السلام فقال اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل
فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها وفي
رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه إن الله
بالغ أمره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ
وبالغا على أنه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا
يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة
والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
لكبرهن إن ارتبتم شككتم في عدتهن أي جهلتم فعدتهن ثلاثة أشهر روي أنه لما نزل
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم
يحضن بعد كذلك وأولات الأحمال أجلهن منتهى عدتهن أن يضعن حملهن وهو
حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لأن عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجا
بالعرض والحكم معلل بها بخلافه ثمة ولأنه صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجي ولأنه متأخر النزول
فتقديمه في العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق عليه ومن
يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يجعل له من أمره يسرا يسهل عليه أمره ويوفقه للخير
ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأحكام أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقه
يكفر عنه سيئاته فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرا بالمضاعفة أسكنوهن

من حيث سكنتم أي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم أي مما تطيقونه وهو
عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن
فتلجئوهن إلى الخروج وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن
من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث
تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن أجورهن على الإرضاع
وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الإرضاع والأجر وإن تعاسرتم
تضايقتم فسترضع له أخرى امرأة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله أي لينفق كل من
الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها فإنه تعالى لا يكلف نفسا
إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر
يسرا أي عاجلا أو آجلا وكأين من قرية أهل قرية عتت عن أمر ربها ورسله
أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق
فذاقت وبال أمرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة أمرها خسرا لا ربح فيه
أصلا أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به
في قوله فاتقوا الله يا أولي الألباب ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
وإثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم
ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لأنه مذكور
في السموات أو ذا ذكر أي شرف أو محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن
أو تبليغه وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحا أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل
منه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرا والرسول
مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله أو صفة
رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد
إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن
من الظلمات إلى النور من الضلالة إلى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد أحسن
الله له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر

سورة التحريم ويسمى سورة النبي عليه السلام

ومن الأرض مثلهن أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر. يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن.
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما علة لخلق أو يتنزل
أو مضمر يعمهما فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه. عن النبي عم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك روي أنه عليه السلام خلا
بمارية في يوم عائشة أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت
وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له إنا نشم منك
ريح المغافير فحرم العسل فنزلت. تبتغي مرضاة أزواجك تفسير لتحرم أو حال من فاعله
أو استئناف لبيان الداعي إليه. والله غفور لك هذه الزلة فإنه لا يجوز تحريم ما أحل الله
رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك. قد فرض الله لكم تحلة
أيمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا
تحنث من قولهم حلل في يمينه إذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا وتحريم المرأة
يمينا وهو ضعيف إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال أنه عليه السلام أتى
بلفظ اليمين كما قيل. والله مولاكم متولي أمركم. وهو العليم بما يصلحكم. الحكيم المتقن
في أفعاله وأحكامه. وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه يعني حفصة. حديثا تحريم مارية أو
العسل أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر رض. فلما نبأت به أي فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث
وأظهره الله عليه وأطلع النبي عليه السلام على الحديث أي على إفشائه. عرف بعضه
عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت. وأعرض عن بعض عن إعلام بعض تكرما أو جازى
على بعضه بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فإنه لا يحتمل ههنا غير
المجازاة لكن المشدد من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الأول قوله
فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فإنه أوفق للإعلام. إن تتوبا إلى الله
خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة. فقد صغت قلوبكما فقد وجد
منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه. وإن تظاهرا عليه وإن تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله و
الملائكة وصلحاء المؤمنين فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين

أتباعه وأعوانه. والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد
بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة وبعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره
الله به. عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن على التغليب أو تعميم الخطاب
وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لأن تعليق طلاق
الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله
بالتشديد. مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات. قانتات
مصليات أو مواظبات على الطاعة. تائبات عن الذنوب. عابدات متعبدات
أو متذللات لأمر الرسول. سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح بالنهار
بلا زاد أو مهاجرات. ثيبات وأبكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة
واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار. يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات. وأهليكم بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا
فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين. نارا وقودها الناس والحجارة
نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب. عليها ملائكة تلي أمرها وهم الزبانية. غلاظ شداد
غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة.
لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى. ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل أو لا يمتنعون
عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به. يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار
لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم. يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا بالغة
في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة
أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر
بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح
نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم. وسئل علي رض عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن
لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية. عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا
بأنه تفضل والتوبة غير موجب وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء. يوم لا يخزي
الله النبي ظرف ليدخلكم. والذين آمنوا معه عطف على النبي إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم

وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي على الصراط يقولون
إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل
تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً يا أيها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم إذا بلغ
الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلاً للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم
وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به
تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً فلم يغن النبيان عنهما
بحق الزواج إغناءً ما وقيل ادخلا النار أي لهما عند موتهما أو يوم القيامة مع الداخلين
مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلاً للذين
آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها
عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب
ابن لي عندك بيتاً في الجنة قريباً من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله
من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم
ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا
فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم أو الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت
بكلمات ربها بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتابه وما كتب في اللوح أو جنس الكتب
المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى والإنجيل وكانت
من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر
عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً

سورة الملك مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك أي تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده
الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على كل شيء على كل ما يشاء
قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما أو أوجد الحيوة وأزال الحيوة حسبما قدره وقدم الموت
لقوله وكنتم أمواتاً فأحياكم ولأنه أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر بالتكليف أيها المكلفون أيكم أحسن عملاً أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعاً أحسنكم
عقلاً وأورعكم عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله والجملة موقع مفعول ثان لفعل
البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً فلا يعلق
الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه
من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقاً مطابقة بعضها
فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به أو طوبقت طباقاً
أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو
الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر
والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأنه تعالى
يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً وأن في إبداعها نعماً جليلة لا تحصى والخطاب
فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على
معنى التسبب أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاين ما
أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد
الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل
والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله
ينقلب إليك البصر خاسئاً بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا أقرب
السموات إلى الأرض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك
كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها عليها والتنكير للتعظيم
وجعلناها رجوماً للشياطين وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض
الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم
المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين
وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب
على عذاب السعير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً صوتاً كصوت الحمير وهي تفور

تغلي بهم غليان المرجل بما فيه. تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة
اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية. كلما ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم
خزنتها ألم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت. قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل
وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال
والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به
للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام
الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم
ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا
عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه. وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة
من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات. او نعقل فنتفكر في حكمه
ومعانيه تفكر المستبصرين. ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم. فاعترفوا
بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر
او المراد به الكفر. فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله
والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل. إن الذين يخشون ربهم
بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس
او بالمخفي منهم وهو قلوبهم. لهم مغفرة لذنوبهم. وأجر كبير تصغر دونه لذائذ
الدنيا. وأسروا قولكم او اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر
عنها سرا او جهرا. ألا يعلم من خلق ألا يعلم السر والجهر من أوجد الاشياء
حسبما قدرته حكمته. وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او
ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم
مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم. هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها. فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل
لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل
الارض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل. وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله. وإليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم. أأمنتم

من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله على تأويل من في السماء
امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب
الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وأمنتم بقلب الثانية الفا وهو رواية قنبل
عن ورش. أن يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من
بدل الاشتمال. فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب. أم
أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء. فستعلمون كيف
نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ. ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول و
تهديد لقومه. أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها. ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين
الاصيل في الطيران والطارئ عليه. ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع إلا الرحمن
الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء
إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب. أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن عديل لقوله أو لم يروا على معنى أو لم ينظروا في امثال هذه
الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم
من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج
مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على اللفظ. إن الكافرون
إلا في غرور لا معتمد لهم. أمن هذا الذي يرزقكم أم من يشار اليه ويقال هذا الذي
يرزقكم. إن أمسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم
بل لجوا تمادوا. في عتو عناد. ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه. أفمن
يمشي مكبا على وجهه أهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب
فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب
وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه
لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله. أمن يمشي سويا قائما سالما
من العثار. على صراط مستقيم مستوي الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد

الذي بينا بالمسلكين، ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو، وقيل المراد بالمكب الأعمى وبالسوي البصير، وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة. قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والأبصار لتنظروا صنائعه والأفئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لأجلها. قل هو الذي ذرأكم في الأرض للجزاء وإليه تحشرون. ويقولون متى هذا الوعد أي الحشر أو ما وعدوا من الخسف والحاصب إن كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين. قل إنما العلم أي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وإنما أنا نذير مبين والإنذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه. فلما رأوه أي الوعد فإنه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة أي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث فهو من الدعوى. قل أرأيتم إن أهلكني الله أماتني ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون. قل هو الرحمن الذي أدعوكم إليه مولي النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به. فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء. قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا غائرا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ. عن النبي من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر.

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم. ن من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الأول سكونه وكتبه بصورة الحرف. والقلم هو الذي خط اللوح أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم إذا اتصلت وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد. وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الأول للتعظيم أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس وإسناد الفعل إلى الآلة

وإجرائه مجرى أولي العلم لإقامته مقامهم أو لأصحابه أو للحفظة وما مصدرية أو موصولة. ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى. وإن لك لأجرا على الاحتمال والإبلاغ غير ممنون مقطوع أو ممنون عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط. وإنك لعلى خلق عظيم إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون. فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو أعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل. فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم. ودوا لو تدهن تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن أو للسببية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعا وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني. ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة. هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية. مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام. عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الأخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة. أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي قال ذلك حين لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة لا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان ذا مال. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أأن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أي ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال. وقرئ إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل

الاولاد او ان شرط للمخاطب اي لا تطع شارطا ليساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرط
في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم
بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا
اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل
صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد
من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل
ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ
اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون
ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج
بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او
يستثنون حصة للمساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف
من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث
لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها
من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين
ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه
معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء ان كنتم
صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد
بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها
على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولك
لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة
اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على
المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان
مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق
بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله
يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها
وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها

بل نحن اي بعدما تاملوا وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا
قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه
من خبث نيتكم وقد قاله حين عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا
انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه
عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان
منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة
التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع
كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص
افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما
يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف
تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج
راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما
تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم
ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التاكيد وقرئت بالنصب على
الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا
الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك
اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم
ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا
القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد
نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه
استحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له
وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية

من الله نفي بهذا ان يكون ما يشركون الله به. يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال. ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود في الدنيا ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع. فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه. خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة. وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة. وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه. فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه. سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة. من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين. واملي لهم وامهلهم. ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته. ام تسألهم اجرا على الارشاد. فهم من مغرم من غرامة. مثقلون بحملها فيعرضون عنك. ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات. فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك. فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ولا تكن كصاحب الحوت يونس. اذ نادى في بطن الحوت. وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلي ببلائه. لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه. لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار. وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ. فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة. فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين. وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله عليه السلام فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل

القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك. لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم. ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه. وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم. الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها. ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها. وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره. كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها. فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله. واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر. عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها. سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهي استئناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب. سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها. فترى القوم ان كنت حاضرهم. فيها في مهابها او في الليالي والايام. صرعى موتى جمع صريع. كانهم اعجاز نخل اصول نخل. خاوية متآكلة الاجواف. فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء. وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده

[illegible]

من اتباعه ويدل عليه قراءة ومن معه :: والمؤتفكات :: قرى قوم لوط والمراد اهلها
بالخاطئة :: بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ :: فعصوا رسول ربهم :: اي عصى
كل امة رسولها :: فأخذهم اخذة رابية :: زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح
انا لما طغى الماء :: جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله
حملناكم :: اي آباءكم وانتم في اصلابهم :: في الجارية :: في سفينة نوح :: لنجعلها لكم :: لنجعل
الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين :: تذكرة :: عبرة ودلالة على قدرة الصانع
وحكمته وكمال قهره ورحمته :: وتعيها :: وتحفظها وقرأ ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها
بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك :: اذن واعية
من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة
على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته سبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذنا
بالتخفيف :: فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة :: لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها
تفخيما لشأنها وتنبيها على مكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد
بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم :: وحملت الارض والجبال :: رفعت من اماكنها بمجرد
القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة :: فدكتا دكة واحدة :: فضربت الجملتان
بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج
ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة
المستوية :: فيومئذ :: فحينئذ :: وقعت الواقعة :: قامت القيامة :: وانشقت السماء :: لنزول الملائكة
فهي يومئذ واهية :: ضعيفة مسترخية :: والملك :: والجنس المتعارف بالملك :: على ارجائها :: جوانبها
جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافه وحواليه وان
كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك :: ويحمل عرش ربك فوقهم :: فوق الملائكة الذين هم على
الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم :: يومئذ ثمانية :: ثمانية املاك لما روي مرفوعا
انهم اليوم اربعة واذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس لقضاء العام وعلى هذا قال :: يومئذ تعرضون :: تشبيها للمحاسبة
بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم
اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة

واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل :: لا تخفى منكم خافية :: سريرة على الله حتى يكون
العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل :: فاما من اوتي كتابه بيمينه ::
تفصيل للعرض :: فيقول :: تبجحا :: هاؤم اقرؤا كتابيه :: هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها
هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول
هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه
للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ
باثباتها في الوصل :: اني ظننت اني ملاق حسابيه :: اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه
لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا ::
فهو في عيشة راضية :: ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك
لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم :: في جنة عالية :: مرتفعة المكان لانها في
السماء او الدرجات او الابنية والاشجار :: قطوفها :: جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف
بالفتح المصدر :: دانية :: يتناولها القاعد :: كلوا واشربوا :: باضمار القول وجمع الضمير للمعنى
هنيئا :: اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا :: بما اسلفتم :: بما قدمتم من الاعمال الصالحة ::
في الايام الخالية :: الماضية من ايام الدنيا :: واما من اوتي كتابه بشماله فيقول :: لما يرى من قبح العمل
وسوء العاقبة :: يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه :: يا ليتها :: يا ليت الموتة التي متها
كانت القاضية :: القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي
قضيت علي لانها صارت عنده امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا :: ما اغنى عني ماليه :: مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام
انكار مفعول لاغنى :: هلك عني سلطانيه :: ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في
الدنيا :: خذوه :: يقوله الله لخزنة النار :: فغلوه ثم الجحيم صلوه :: ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار
العظمى لانه كان يتعظم على الناس :: ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا :: اي طويلة
:: فاسلكوه :: فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت
ما بينها في الشدة :: انه كان لا يؤمن بالله العظيم :: تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر
العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك :: ولا يحض على طعام المسكين

[illegible]

قوله او اطعامه على ان يكون الطعام اسما وضع موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء

اى ولا يحث على بذل طعامه او اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض
للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع
ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم هاهنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار
وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد
الذنب لا من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها
فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم
البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك
يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان
الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عم وما هو بقول شاعر
كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم
ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا ولذلك
يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة
القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته الكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال
الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب
بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا
بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها
كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
اى لاخذنا بيمينه ثم لضربنا عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه
وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما
منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب
للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه
لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له
عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك
عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق فامطر علينا
حجارة او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او رسول الله عليه السلام
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت
هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه
قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي
الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين
صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا و
الباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به
ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او
يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة
يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف
لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها
في زمان لكان مقداره خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه
في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان
فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من
السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة
يريد زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل
من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات
والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل افرده لفضله او خلق اعظم من الملائكة
فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان
عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل
او سال سيل ومعناه قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة
بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف
لقريبا اى يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب
في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا
لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح

قوله كالفلزات الفلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء ... جوهر الارض كلها او ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها وهذا هو المراد هاهنا

ارتج ۞ ولا يسأل حميم حميما ۞ ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يُسأل على بناء
المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله ۞ يبصرونهم ۞ استئناف او حال يدل
على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ۞ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه ۞ حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه
بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ
بتنوين عذاب ونصب يومئذ وفتحه لانه بمعنى تعذيب ۞ وفصيلته ۞ وعشيرته الذين فصل
عنهم ۞ التي تؤويه ۞ تضمه في النسب وعند الشدائد ۞ ومن في الارض جميعا ۞ من الثقلين او
الخلائق ۞ ثم ينجيه ۞ عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد ۞ كلا ۞ ردع للمجرم عن
الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه ۞ انها ۞ الضمير للنار او مبهم يفسره ۞ لظى ۞ وهو
خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره ۞ نزاعة للشوى ۞ وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار
منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس
۞ تدعو ۞ تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن
فرعنها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه ۞ من ادبر ۞ عن الحق ۞ وتولى ۞ عن
الطاعة ۞ وجمع فاوعى ۞ وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ۞ ان الانسان خلق
هلوعا ۞ شديد الحرص قليل الصبر ۞ اذا مسه الشر ۞ الضر ۞ جزوعا ۞ يكثر الجزع ۞
واذا مسه الخير ۞ السعة ۞ منوعا ۞ يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة
او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا ۞ الا
المصلين ۞ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة
قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل
وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها ۞ الذين هم على صلاتهم
دائمون ۞ لا يشغلهم عنها شاغل ۞ والذين في اموالهم حق معلوم ۞ كالزكاة والصدقات
الموظفة ۞ للسائل ۞ للذي يسأل ۞ والمحروم ۞ الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم ۞ والذين
يصدقون بيوم الدين ۞ تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا
في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين ۞ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ۞ خائفون

على انفسهم ۞ ان عذاب ربهم غير مأمون ۞ اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن
عذاب الله وان بالغ في طاعته ۞ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين ۞ سبق في سورة المؤمنين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون ۞ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۞
حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم اي لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق
الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع ۞ والذين هم
على صلاتهم يحافظون ۞ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة
ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه
الصلات مبالغة لا تخفى ۞ اولئك في جنات مكرمون ۞ بثواب الله ۞ فمال الذين كفروا قبلك
حولك ۞ مهطعين ۞ مسرعين ۞ عن اليمين وعن الشمال عزين ۞ فرقا شتى جمع عزة و
اصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون
يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ۞ ايطمع كل امرئ منهم ان
يدخل جنة نعيم ۞ بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا كما في
الدنيا ۞ كلا ۞ ردع لهم عن هذا الطمع ۞ انا خلقناهم مما يعلمون ۞ تعليل له والمعنى انكم مخلوقون
من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق
بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة
الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد رده
عنه ۞ فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ۞ اي نهلكهم
ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلهم وهو خير منهم وهم الانصار ۞ وما نحن بمسبوقين ۞ بمغلوبين
ان اردنا ان نهلكهم ۞ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ۞ يوم
يخرجون من الاجداث سراعا ۞ مسرعين جمع سريع ۞ كأنهم الى نصب ۞ منصوب للعبادة
او علم ۞ يوفضون ۞ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد والباقون
نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على انه تخفيف نصب او جمع ۞ خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة ۞ مر تفسيره ۞ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ۞ في الدنيا ۞ عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ۞

سورة نوح عليه السلام مكية وآياتها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم: انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر: بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ان على ارادة القول: قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم: عذاب الآخرة او الطوفان. قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون: مر في الشعراء نظيره وان يحتمل الوجهين: يغفر لكم من ذنوبكم: بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يواخذكم به في الآخرة: ويؤخركم الى اجل مسمى: هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة: ان اجل الله: ان الاجل الذي قدره: اذا جاء: على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول: لا يؤخر: فبادروا في اوقات الامهال والتاخير: لو كنتم تعلمون: لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت: قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا: اي دائما: فلم يزدهم دعائي الا فرارا: عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا: واني كلما دعوتهم: الى الايمان: لتغفر لهم: بسببه: جعلوا اصابعهم في آذانهم: سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة: واستغشوا ثيابهم: تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة: واصروا: اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها: واستكبروا: عن اتباعي: استكبارا: عظيما: ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا: اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا: فقلت استغفروا ربكم: بالتوبة عن الكفر: انه كان غفارا: للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا: ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث

والمراد بالجنات البساتين: ما لكم لا ترجون لله وقارا: لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة: وقد خلقكم اطوارا: حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا: اي في السماوات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة: وجعل الشمس سراجا: مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله: والله انبتكم من الارض نباتا: انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية: ثم يعيدكم فيها: مقبورين: ويخرجكم اخراجا: بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة: والله جعل لكم الارض بساطا: تتقلبون عليها: لتسلكوا منها سبلا فجاجا: واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ: قال نوح رب انهم عصوني: فيما امرتهم به: واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا: واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم ادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد: ومكروا: عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى: مكرا كبارا: كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح: وقالوا لا تذرن آلهتكم: اي عبادتها: ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا: ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة: وقد اضلوا كثيرا: الضمير للرؤساء او للاصنام

أو لأن المراد نوع من النيران ... وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا عطف على رب إنهم عصوني، ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم، أو الضياع والهلاك كقوله إن المجرمين في ضلال وسعر. مما خطيئاتهم من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم، وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم. أغرقوا بالطوفان فأدخلوا نارا المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة، والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع، وتنكير النار للتعظيم، أو لأن المراد نوع من النيران. فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تعريض باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم. وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا أي أحدا، وهو مما يستعمل في النفي العام، فيعال من الدار أو الدور، وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد، لا فعّال وإلا لكان دوّارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرأ أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم. رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين. ولمن دخل بيتي منزلي أو مسجدي أو سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة. ولا تزد الظالمين إلا تبارا هلاكا. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام.

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم. قل أوحي إلي وقرئ أحي، وأصله وحي من وحى إليه فقلبت الواو همزة لضمها، ووحى على الأصل، وفاعله أنه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة، والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية، وقيل نوع من الأرواح المجردة، وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها. وفيه دلالة على أنه عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم، وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله. فقالوا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه، وهو مصدر وصف به للمبالغة. يهدي إلى الرشد إلى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا أحدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد. وأنه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول، وكذا ما بعده إلا قوله وأن لو استقاموا وأن المساجد وأنه لما قام فإنها من جملة الموحى به، ووافقهم نافع وأبو بكر إلا في قوله وإنه لما قام على أنه استئناف أو مقول، وفتح الباقون الكل إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي عظمته، من جد فلان في عيني إذا عظم، أو سلطانه أو غناه، مستعار من الجد الذي هو البخت، والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه، وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك، وقرئ جدا بالتمييز، وجد بالكسر أي صدق ربوبيته، كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد. وأنه كان يقول سفيهنا إبليس أو مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد، أو هو شطط لفرط ما أشط فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه. وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك لظنهم أن أحدا لا يكذب على الله، وكذبا نصب على المصدر لأنه نوع من القول، أو الوصف المحذوف أي قولا مكذوبا فيه، ومن قرأ أن لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لأن التقول لا يكون إلا كذبا. وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فإن الرجل كان إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا، أو فزاد الجن الإنس غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم، والرهق في الأصل غشيان الشيء. وأنهم وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، أو بالعكس، والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض، أو استئناف كلام من الله، ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحى به. أن لن يبعث الله أحدا ساد مسد مفعولي ظنوا. وأنا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء أو خبرها، واللمس مستعار من المس للطلب كالجس، يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه. فوجدناها ملئت حرسا حراسا، اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع، وللسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد. فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي شهابا راصدا له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم، أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد، وقد مر بيان ذلك في الصافات. وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بحراسة السماء أم أراد بهم ربهم رشدا خيرا. وأنا منا الصالحون المؤمنون الأبرار ومنا دون ذلك أي قوم دون ذلك، فحذف الموصوف وهم المقتصدون. كنا طرائق ذوي طرائق أي مذاهب، أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال، أو كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد إذا قطع. وأنا ظننا علمنا أن لن نعجز الله في الأرض

لا يعجزه في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه
في الارض اذا اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن
آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق
نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة
او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب
ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان
والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار
الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان
لو استقاموا اي ان الشأن لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير لانه
اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين
لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته
او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به
وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة
باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا
وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه
السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع
فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا
كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا
من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما
تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ
لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس
ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي
ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر
عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني
من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله

استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة
او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا
ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها
ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية
لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له
وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى
اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته
عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب
المخصوص به علمه الا من ارتضى يعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن و
استدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط
الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا
من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي
الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء
بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عليه السلام من قرأ سورة
الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة صدق النبي عليه السلام

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها
فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل بتخفيف الزاي مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي
زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما
او مرتعدا لما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه عليه السلام كان
يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن
بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل
اي قم الى الصلاة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا

نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة
الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص منه كالثلث او نصفه
بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير
بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل
على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام
والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه
على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا
كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض
يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر و
تجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها
رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا و
على هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على الاوجه الاخر للتعليل مستأنف فان التهجد
يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى
العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق
منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من
نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن
عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع
والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو
الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك
بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا
ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة القرآن
ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه و
لهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف

او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ الكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل
من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن
التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون
من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى
الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا
ان لدينا انكالا وجحيما تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وطعاما ذا غصة طعاما ينشب
في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه
الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس
العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات
متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فسر
العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف
لما في لدينا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا
يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون
رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق
ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر
العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان
شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى
وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر به منشق و
التذكير على تأويل السقف او اضمار شيء لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا
عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول
ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
اي تقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون
ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك
جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله

فان تقديم اسم الله مبتدأ عليه مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله
علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات
فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر
من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها
بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم
نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون
منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر
الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب
في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا
الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخيرات او باداء الزكوة على
احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند
الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل
كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا
الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي عليه
السلام من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي
انه عليه الصلوة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا
فنظرت فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت
ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل
هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء
كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به
قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل
عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا

ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي
انه لما نزل كبر رسول الله وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء
فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او للدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول
ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به
وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك
بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض
العادات المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا
باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة
عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على
هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم
وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان
يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر
يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او ولا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا
اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون
للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار
ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي واحضر الوغى
بالرفع ولربك لوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم
زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك
اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير
ذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من
وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد
ابن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي
خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته فردا لا مال له

ولا ولداً أو ذم فإنه كان ملقباً به فسماه الله به تهكماً أو أراده أنه وحيد ولكن في
الشرارة أو عن أبيه لأنه كان زنيماً. وجعلت له مالاً ممدوداً مبسوطاً كثيراً أو ممدوداً
بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة. وبنين شهوداً حضوراً معه بمكة يتمتع
بلقائهم لا يحتاجون إلى السفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج هو أن يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة
بنين أو أكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام. ومهدت له تمهيداً
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أي باستحقاق
الرياسة والتقدم. ثم يطمع أن أزيد على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه إما لأنه لا مزيد على
ما أوتي أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال. كلا
إنه كان لآياتنا عنيداً. فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة
آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان
ماله حتى هلك. سأرهقه صعوداً. سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد
وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً.
إنه فكر وقدر. تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعناً في القرآن وقدر
في نفسه ما يقوله. فقتل كيف قدر. تعجيب من تقديره استهزاء به أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن
أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعه أي بلغ في الشجاعة مبلغاً يحق بأن يحسد ويدعو عليه
حاسده وبذلك روي أنه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه فقال لقد سمعت
من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه
لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه
أنا أكفيكموه فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون
فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر
فهل رأيتموه يتعاطى شعراً فقالوا لا فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل
وأهله وولده ومواليه ففرحوا بهذا القول وتفرقوا متعجبين منه. ثم قتل كيف قدر. تكرير
للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها. ثم نظر. أي في أمر
القرآن مرة بعد أخرى. ثم عبس. قطب وجهه لما لم يجد فيه طعناً ولم يدر ما يقول أو
نظر إلى رسول الله وقطب في وجهه. وبسر. اتباع لعبس. ثم أدبر. عن الحق أو
الرسول. واستكبر. عن اتباعه. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. يروى ويتعلم والفاء

لما أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر. وقوله إن هذا إلا
قول البشر. كالتأكيد للجملة الأولى ولذلك لم يعطف عليها. سأصليه سقر. بدل من
سأرهقه صعوداً. وما أدراك ما سقر. تفخيم لشأنها. وقوله لا تبقي ولا تذر. بيان
لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا
تدعه حتى يهلكه. لواحة للبشر. مسودة لأعالي الجلد أو لائحة للناس وقرئت بالنصب على
الاختصاص. عليها تسعة عشر. ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها والمخصص
لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية
الاثني عشر والطبيعة السبع أو أن جهنم سبع دركات ستة منها لأصناف الكفار فكل
صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب تناسبها
وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك
العمل نوعاً يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو أن الساعات أربعة وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع العذاب
يتولاه الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم
واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
أو جمع عشر فيكون تسعين. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة. ليخالفوا جنس
المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا إليهم ولأنهم أقوى الخلق بأساً وأشدهم
غضباً لله روي أن أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة
منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت. وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا.
وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن
المؤثر تنبيهاً على أنه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به و
استبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ولعل المراد
الجعل بالقول ليحسن تعليلاً بقوله. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب. أي ليكتسبوا
اليقين بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما
في كتابهم. ويزداد الذين آمنوا إيماناً. بالإيمان به أو بتصديق أهل الكتاب له.
ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون. أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان
وزيادة الإيمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة. وليقول الذين
في قلوبهم مرض. شك أو نفاق فيكون إخباراً بمكة عما سيكون في المدينة بعد

البجرة. والكافرون المجازمون في التكذيب. ماذا أراد الله بهذا مثلاً أي
شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل، وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه
مثل مضروب. كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور
من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين. وما يعلم جنود ربك
جموع خلقه على ما هم عليه. إلا هو إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة.
وما هي وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة. إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم.
كلا ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها. والقمر والليل إذ أدبر أي أدبر
كقبل بمعنى أقبل، وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إذ أدبر على المضي. والصبح
إذا أسفر أضاء. إنها لإحدى الكبر لإحدى البلايا الكبر أي البلايا الكبر كثيرة وسقر
واحدة منها، وإنما جمع كبرى على كبر إلحاقاً لها بفعلة تنزيلاً للألف منزلة التاء، كما ألحقت
قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع، والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا، والقسم معترض للتأكيد.
نذيراً للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذاراً، أو حال مما دلت عليه الجملة أي كبرت
منذرة، وقرئ بالرفع خبراً ثانياً أو خبر المحذوف. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر
بدل من للبشر أي نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه، أو لمن شاء
خبر لأن يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله، مصدر كالشتيمة أطلق للمفعول كالرهن، ولو كانت
صفة لقيل رهين. إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم
وقيل هم الملائكة أو الأطفال. في جنات لا يكتنه وصفها، وهي حال من أصحاب اليمين
أو ضمير هم في قوله يتساءلون عن المجرمين أي يسأل بعضهم بعضاً، أو يسألون المجرمين
عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعوناه. وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما
جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها. قالوا لم نك من المصلين الصلاة
الواجبة. ولم نك نطعم المسكين ما يجب إعطاؤهم، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون
بالفروع. وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه. وكنا
نكذب بيوم الدين أخره لتعظيمه أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة. حتى أتانا
اليقين الموت ومقدماته. فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعاً. فما لهم
عن التذكرة معرضين أي عن التذكير يعني القرآن أو ما يعمه، ومعرضين حال

كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر
بحمر نافرة فرت من قسورة أي أسد من القسر وهو القهر. بل يريد كل امرئ منهم
أن يؤتى صحفاً منشرة قراطيس تنشر وتقرأ، وذلك أنهم قالوا للنبي لن نتبعك
حتى تأتي كلاً منا بكتاب من السماء فيها من الله إلى فلان اتبع محمداً. كلا ردع عن اقتراحهم
الآيات. بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.
كلا ردع عن إعراضهم. إنه تذكرة وأي تذكرة. فمن شاء ذكره فمن شاء أن يذكره
وما يذكرون إلا أن يشاء الله ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله
وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله، وقرأ نافع تذكرون بالتاء، وقرئ بهما مشدداً. هو
أهل التقوى حقيق بأن يتقى عقابه. وأهل المغفرة حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين
منهم. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة.

سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم. لا أقسم بيوم القيامة إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد
شائع في كلامهم كما قال امرؤ القيس: لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر
وقد مر الكلام فيه في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم. ولا أقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها، أو التي تلوم نفسها أبداً
وإن اجتهدت في الطاعة، أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة، أو بالجنس لما روي أنه عليه السلام
قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت كيف
لم أزدد، وإن عملت شراً قالت ليتني كنت قصرت، أو نفس آدم فإنها لم تزل تلوم
على ما خرجت به من الجنة، وضمها إلى القيامة لأن المقصود من إقامتها مجازاتها. أيحسب الإنسان
يعني الجنس، وإسناد الفعل إليه لأن فيهم من يحسب، أو الذي نزل فيه وهو عدي بن
ربيعة سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أمر القيامة فأخبره به فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام. أن لن نجمع عظامه بعد تفرقها، وقرئ أن لن
يجمع على البناء للمفعول. بلى نجمعها. قادرين على أن نسوي بنانه نجمع سلاماها ونضم بعضها
إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام، أو على أن نسوي بنانه الذي
هو أطرافه فكيف بغيرها، وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى، وقرئ بالرفع على نحن قادرون.
بل يريد الإنسان عطف على أيحسب، فيجوز أن يكون استفهاماً، وأن يكون إيجاباً لجواز
أن يكون الإضراب عن المستفهم وعن الاستفهام. ليفجر أمامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل

من الزمان. يسأل أيان يوم القيامة متى يكون استبعادا أو استهزاء. فإذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب إذا انفتح. وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول. وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب الضوء عن البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف. يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان. كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل. إلى ربك يومئذ المستقر إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار. ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه أو بأول عمله وآخره. بل الإنسان على نفسه بصيرة حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء. ولو ألقى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر. لا تحرك به لسانك بالقرآن لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك. إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي. فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك. ثم إن علينا بيانه بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار والتأمل فيه ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه. كلا ردع

للرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن اغتراره بالعاجل. بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب للإنسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما. وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة. إلى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بإلى وقول الشاعر: وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فإن الانتظار لا يستعقب العطاء. ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه. تظن تتوقع أربابها أن يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار. كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة. إذا بلغت التراقي إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها. وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقي. وظن أنه الفراق وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها. والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكهما أو شدة فراق الدنيا بخوف الآخرة. إلى ربك يومئذ المساق سوقه إلى الله وحكمه. فلا صدق ما يجب تصديقه أو فلا صدق ماله يعني فلا زكاه. ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في أيحسب الإنسان. ولكن كذب وتولى عن الطاعة. ثم ذهب إلى أهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه. أولى لك فأولى ويل لك من الولي وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من أدون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار. ثم أولى لك فأولى أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى. أيحسب الإنسان أن يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة. ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله. فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والأنثى وهو استدلال آخر بالإبداء

على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله: اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى * وعن النبي ع م انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه
الصلوة والسلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم * هل اتى على الانسان * استفهام تقرير وتقريب ولذلك
فسر بقد واصله أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم * حين من الدهر *
طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود * لم يكن شيئا مذكورا * بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف
لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله * انا خلقنا الانسان من نطفة * او
آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه * امشاج * اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء
اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة
الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منه مادة عضو وقيل
مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا
اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة * نبتليه *
في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له
الابتلاء * فجعلناه سميعا بصيرا * ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو
كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله *
انا هديناه السبيل * اي بنصب الدلائل وانزال الآيات * اما شاكرا واما كفورا *
حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم
شاكر بالاهتداء والاخذ به وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر
والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كفورا ليطابق قسيمه محافظة
على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه
* انا اعتدنا للكافرين سلاسل * بها يقادون * واغلالا * بها يقيدون * وسعيرا *
بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير
الكلام وختمه بالمؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة *
ان الابرار * جمع بر كارباب او بار كاشهاد * يشربون من كاس * خمر وهي في الاصل
للقدح تكون فيه * كان مزاجها * ما يمزج بها * كافورا * لبرودته وعذوبته وطيب عرفه وقيل

اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور
فيكون كالممزوج به * عينا * بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير
مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده
* يشرب بها عباد الله * اي ملتذا او ممزوجا وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان
الشرب مبتدأ منها كما هو * يفجرونها تفجيرا * يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا *
يوفون بالنذر * استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه واجيب بذلك
وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه
كان اوفى بما اوجبه الله عليه * ويخافون يوما كان شره * شدائده * مستطيرا *
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن
عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي * ويطعمون الطعام على حبه * حب الله او الطعام او الاطعام
* مسكينا ويتيما واسيرا * يعني اسارى الكفار فانه كان عليه السلام يؤتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك * انما نطعمكم لوجه الله * على ارادة القول
بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة
رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله * لا نريد منكم جزاء ولا شكورا *
اي شكرا * انا نخاف من ربنا * فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم * يوما *
عذاب يوم * عبوسا * يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته
* قمطريرا * شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة * فوقيهم الله شر ذلك اليوم *
بسبب خوفهم وتحفظهم عنه * ولقيهم نضرة وسرورا * بدل عبوس الفجار وحزنهم
* وجزاهم بما صبروا * بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال
* جنة * بستانا يأكلون منه * وحريرا * يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله عليه السلام في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو
نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برءا صوم ثلث ان برئا فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت
فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل

فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل
بهذه السورة فقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك :: متكئين فيها على الارائك
حال من هم في جزاهم او صفة لجنة :: لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا :: يحتملهما وان
يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى ان هواءها معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل
الزمهرير القمر في لغة طي قال : وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى
ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر :: ودانية عليهم ظلالها :: حال او صفة اخرى
معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين
كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال
او صفة :: وذللت قطوفها تذليلا :: معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل
القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا :: ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب :: واباريق بلا عروة :: كانت قواريرا قوارير من فضة ::
اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون
قوارير من نون سلاسل وابن كثير الاول لانه رأس الآية وقرئ قوارير من
فضة على هي قوارير :: قدروها تقديرا :: اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها و
اشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون
بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا
قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء :: ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا :: ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به :: عينا
فيها تسمى سلسبيلا :: لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفي عنها لذع الزنجبيل و
يصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها
الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح :: ويطوف عليهم ولدان مخلدون :: دائمون
اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا :: من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس
شعاع بعضهم الى بعض :: واذا رأيت ثم :: ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه
ان بصرك اينما وقع :: رأيت نعيما وملكا كبيرا :: واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر

من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستغني بانوار قدس
الجبروت :: عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق :: يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها
وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل
ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر
بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ
ابن عامر وابو عمرو بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الحرير
وحلوا اساور من فضة :: عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض
عليهم جزاء لما عملوا بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال
من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين ::
وسقاهم ربهم شرابا طهورا :: يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك
اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية
والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار :: ان هذا كان لكم جزاء :: على اضمار القول
والاشارة الى ما عد من ثوابهم :: وكان سعيكم مشكورا :: مجازى عليه غير مضيع ::
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا :: مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مزيد لاختصاص
التنزيل به :: فاصبر لحكم ربك :: بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم :: ولا تطع منهم آثما او
كفورا :: اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو
للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه
اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة
في الاثم او الكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور :: واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا :: وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما
وقتيهما :: ومن الليل فاسجد له :: وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء
وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من الكلفة والخلوص :: وسبحه ليلا طويلا :: وتهجد له طائفة
طويلة من الليل :: ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم :: امامهم او خلف
ظهورهم :: يوما ثقيلا :: شديد مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما

أمره ونهيه عنه. ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب
﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة
وشدة الأسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء بإذا، أو بدلنا غيرهم ممن يطيع و
إذا لتحقق القدرة وقوة الداعية. ﴿إن هذه تذكرة﴾ الإشارة إلى السورة أو الآيات
القريبة. ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ تقرب إليه بالطاعة. ﴿وما تشاؤون إلا أن
يشاء الله﴾ وما تشاؤون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم. وقرأ ابن كثير وأبو
عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء. ﴿إن الله كان عليما﴾ بما يستأهل كل أحد. ﴿حكيما﴾
أي لا يشاء إلا ما يقتضيه حكمته. ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة.
﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد
أو كافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها، وقرئ بالرفع على الابتداء. عن النبي عليه
الصلاة والسلام: من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا.

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا﴾ أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض أو نشرن
النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء
ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد عليه السلام
فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب
وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين، أو بالنفوس الكاملة
المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الله ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء
ففرقن بين الحق بذاته والباطل بنفسه فيرون كل شيء هالكا إلا وجهه فألقين ذكرا
بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله تعالى، أو برياح عذاب أرسلن فعصفن
ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فألقين ذكرا فتسبب له فإن العاقل إذا
شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته، وعرفا إما نقيض النكر وانتصابه
على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس و
انتصابه على الحال. ﴿عذرا أو نذرا﴾ مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر
إذا خوف، أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر

ونصبهما على الأولين بالعلية أي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين، أو البدلية من ذكرا
على أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر، وعلى الثالث
بالحالية. وقرأ نذرا أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف. ﴿إنما توعدون لواقع﴾
جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة. ﴿فإذا النجوم
طمست﴾ محقت أو ذهب نورها. ﴿وإذا السماء فرجت﴾ صدعت. ﴿وإذا
الجبال نسفت﴾ كالحب ينسف بالمنسف. ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ عين لها وقتها الذي
يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فإنه لا يتعين لهم قبله، أو بلغت ميقاتها الذي
كانت تنتظره. وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل. ﴿لأي يوم أجلت﴾ أي يقال لأي يوم
أخرت، وضرب الأجل للجمع، وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله، ويجوز أن يكون ثاني مفعولي
أقتت على أنه بمعنى أعلمت. ﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل. ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾
ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله. ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي بذلك، وويل في الأصل مصدر
بإضمار فعله عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه، ويومئذ ظرفه أو صفته.
﴿ألم نهلك الأولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود، وقرئ نَهلِك من هلكه بمعنى أهلكه. ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾
أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة، وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين عبارة
عن المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام. ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نفعل
بالمجرمين﴾ بكل من أجرم. ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بآيات الله وأنبيائه، فليس تكريرا وكذا
إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا
للإهلاك في الدنيا، مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب. ﴿ألم نخلقكم من ماء
مهين﴾ نطفة قذرة ذليلة. ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ هو الرحم. ﴿إلى قدر معلوم﴾ إلى مقدار
معلوم من الوقت قدره الله للولادة. ﴿فقدرنا﴾ فقدرنا على ذلك أو فقدرناه، ويدل عليه
قراءة نافع والكسائي بالتشديد. ﴿فنعم القادرون﴾ نحن. ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا
على ذلك أو على الإعادة. ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ كافتة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع، أو مصدر نعت به، أو جمع كافت كصائم وصيام، أو كفت وهو الوعاء
أجري على الأرض باعتبار أقطارها. ﴿أحياء وأمواتا﴾ منتصبان على المفعولية، وتنكيرهما
للتفخيم، أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات، أو الحالية من مفعوله المحذوف
للعلم به وهو الإنس، أو بجعل على المفعولية وكفاتا حال أو بالحال فيكون المعنى بالأحياء
ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت. ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالا ثوابت طوالا و

التشبيه للتعظيم او اشعاراً بان ترابها لم يخرب ولم يزل. واسقيناكم ماء فراتاً: بخلق الانهار والمنابع فيها. ويل يومئذ للمكذبين: بامثال هذه النعم. انطلقوا: اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون: من العذاب. انطلقوا: خصوصاً وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطراراً. الى ظل: يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم. ذي ثلث شعب: يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره. لا ظليل: تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل. ولا يغني من اللهب: وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئاً. انها ترمي بشرر كالقصر: اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب. كانه جمالات: جمع جمال او جمالة جمع جمل. صفر: فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه. ويل يومئذ للمكذبين. هذا يوم لا ينطقون: اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ. ولا يؤذن لهم فيعتذرون: عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقاً ولو جعله جواباً لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذراً لكن لم يؤذن لهم فيه. ويل يومئذ للمكذبين. هذا يوم الفصل: بين المحق والمبطل. جمعناكم والاولين: تقرير وبيان للفصل. فان كان لكم كيد فكيدون: تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم. ويل يومئذ للمكذبين: اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب. ان المتقين: من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين. في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون: مستقرون في انواع الترفه. كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون: اي مقولاً لهم ذلك. انا كذلك نجزي المحسنين: في العقيدة. ويل يومئذ للمكذبين: يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد. كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون: حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال

يقال لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم. ويل يومئذ للمكذبين: حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل. واذا قيل لهم اركعوا: اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله عليه الصلوة والسلام ثقيفاً بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون. لا يركعون: لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع. ويل يومئذ للمكذبين. فبأي حديث بعده: بعد القرآن. يؤمنون: اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة. قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم. عم يتساءلون: اصله عن ما فحذف الالف كما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس. عن النبأ العظيم: بيان للشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر يفسره ويدل عليه قراءة يعقوب عمه. الذي هم فيه مختلفون: بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار. كلا سيعلمون: ردع عن التساؤل ووعيد عليه. ثم كلا سيعلمون: تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون. الم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً: تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مراراً وقرئ مهداً اي انها لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه. وخلقناكم ازواجاً: ذكراً وانثى. وجعلنا نومكم سباتاً: قطعاً عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتاً لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضاً. وجعلنا الليل لباساً: غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء. وجعلنا النهار معاشاً: وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حيوة تبعثون فيه عن نومكم. وبنينا فوقكم سبعاً شداداً: سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور. وجعلنا سراجاً وهاجاً: متلألئاً وقاداً من وهجت النار اذا اضاءت او بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحر و

المراد الشمس. وأنزلنا من المعصرات: السحائب إذا أعصرت أي شارفت
أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت
الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو الرياح ذوات
الأعاصير وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه، ويؤيده أنه قرئ
بالمعصرات. ماء ثجاجا: منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج
والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي، وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه.
لنخرج به حبا ونباتا: ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش. وجنات ألفافا:
ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال: جنة لف وعيش مغدق. أو لفيف كشريف
أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد. إن يوم الفصل كان
في علم الله أو في حكمه. ميقاتا: حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حدا للخلائق ينتهون
إليه. يوم ينفخ في الصور: بدل أو بيان ليوم الفصل. فتأتون أفواجا: جماعات من
القبور إلى المحشر. روي أنه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتي
بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على
وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم
يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم
مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم، ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين
في الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين
بالناس إلى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء.
وفتحت السماء: وشققت، وقرأ الكوفيون بالتخفيف. فكانت أبوابا: فصارت من كثرة
الشقوق كأن الكل أبواب، أو فصارت ذات أبواب. وسيرت الجبال: في الهواء كالهباء.
فكانت سرابا: مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت
أجزائها وانبثاثها. إن جهنم كانت مرصادا: موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار
أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه الموضع الذي تضمر فيه
الخيل، أو مجدة في ترصد الكفرة كيلا يشذ منها واحد كالمطعان، وقرئ أن بالفتح على التعليل
لقيام الساعة. للطاغين مآبا: مرجعا ومأوى. لابثين فيها: وقرأ حمزة وروح لبثين
وهو أبلغ. أحقابا: دهورا متتابعة، وليس فيه ما يدل على خروجهم منها إذ لو صح أن الحقب

ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون
المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر، وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق
الدال على خلود الكفار. ولو جعل قوله: لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا: حالا من المستكن
في لابثين أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين: إلا حميما
وغساقا: ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب، ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل إذا
أخطأه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين، وقوله
لا يذوقون تفسير له، والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار أو النوم، وبالغساق
ما يغسق أي يسيل من صديدهم، وقيل الزمهرير، وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق
رؤوس الآي، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد. جزاء وفاقا: أي جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا، وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا.
إنهم كانوا لا يرجون حسابا: بيان لما وافقه هذا الجزاء. وكذبوا بآياتنا كذابا: تكذيبا،
وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء، وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله:
فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه. وإنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم
أو المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان
بينهم مكاذبة، أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه، وعلى المعنيين يجوز
أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده أنه قرئ كذابا وهو جمع كاذب، ويجوز
أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أي تكذيبا مفرطا كذبه. وكل شيء أحصيناه: وقرئ
بالرفع على الابتداء. كتابا: مصدر لأحصيناه فإن الإحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط،
أو لفعله المقدر، أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة، والجملة اعتراض، وقوله:
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا: مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، ومجيئه على
طريق الالتفات للمبالغة، وفي الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار. إن للمتقين
مفازا: فوزا أو موضع فوز. حدائق وأعنابا: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة بدل من
مفازا بدل الاشتمال أو البعض. وكواعب: نساء فلكت ثديهن. أترابا: لداة. وكأسا
دهاقا: ملآنا، وأدهق الحوض ملأه. لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا: وقرأ الكسائي بالتخفيف
أي كذبا أو مكاذبة إذ لا يكذب بعضهم بعضا. جزاء من ربك: بمقتضى وعده. عطاء:
تفضلا منه إذ لا يجب عليه شيء، وهو بدل من جزاء، وقيل منتصب به نصب المفعول به. حسابا:
كافيا من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي، أو على حسب أعمالهم، وقرئ حسّابا أي محسبا

كالدراك بمعنى المدرك. رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه
الحجازيان وابو عمرو على الابتداء. الرحمن صفته وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب
وجره ومنهم حمزة والكسائي بجر رب ورفع الرحمن على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره.
لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض
عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك
لا ينافي الشفاعة باذنه. يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم
من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه
غيرهم ويوم ظرف لا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او
جبريل او خلق اعظم من الملائكة. ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة. فمن شاء اتخذ الى ربه
مآبا بالايمان والطاعة. انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه
لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
يرى ما قدمت من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة
بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه. ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد
ترابا فيود الكافر حالها. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم. والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار
من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد
وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون
في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لها
من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي
يسرعون فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق
الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج

اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها في السير
لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت
العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركتها من برج الى برج ملائمة
سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها
تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم
الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال
سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق
الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق
السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون
امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج
من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله
بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه. يوم ترجف الراجفة وهو منصوب
به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله
يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى
تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية و
الجملة في موقع الحال. قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة
القلوب والخبر. ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها
الى القلوب. يقولون أإنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد
الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه
على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة
يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة. أإذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
اذا كنا على الخبر. عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح
نخرة وهي ابلغ. قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم. فانما هي زجرة
واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية.
فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة

التي يجري ماؤها وفي صدد بابها او لان سالكها يتهدى خوفاً وقيل اسم جهنم: هل
أتاك حديث موسى: أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم
عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم: إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى:
وقد مر بيانه في سورة طه: اذهب الى فرعون انه طغى: على ارادة القول وقرئ ان اذهب
لما في النداء من معنى القول: فقل هل لك الى ان تزكى: هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر
والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد: وأهديك الى ربك: وارشدك الى
معرفته: فتخشى: باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله فقولا له قولا لينا: فأراه الآية الكبرى: اي فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب
العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموعه فانها باعتبار الدلالة كالآية الواحدة:
فكذب وعصى: فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر: ثم ادبر: عن الطاعة
يسعى: ساعياً في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوباً مسرعاً في مشيه: فحشر:
فجمع السحرة او جنوده: فنادى: في المجمع بنفسه او بمناد: فقال انا ربكم الاعلى: اعلى كل
من يلي امركم: فأخذه الله نكال الآخرة والاولى: اخذاً منكلاً لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق
وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من
اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدراً مؤكداً مقدراً بفعله: ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى: لمن كان من شأنه الخشية: ءأنتم اشد خلقاً: اصعب خلقاً: ام السماء:
ثم بين كيف خلقها فقال: بناها: ثم بين البناء فقال: رفع سمكها: اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعاً: فسواها: فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها
بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه
وأغطش ليلها: اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها
وأخرج ضحاها: وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار: والارض
بعد ذلك دحاها: بسطها ومهدها للسكنى: اخرج منها ماءها: بتفجير العيون: ومرعاها:
ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان
للدحو: والجبال ارساها: اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح
لان العطف على فعلية: متاعاً لكم ولانعامكم: تمتيعاً لكم ولمواشيكم: فاذا جاءت الطامة:
الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي: الكبرى: التي هي اكبر الطامات وهي القيامة
او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار: يوم يتذكر

الانسان ما سعى: بان يراه مدوناً في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة او طول المدة
وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية: وبرزت الجحيم: واظهرت: لمن يرى:
لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت وقرئ لمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله
اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت
محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل: فأما من طغى: حتى كفر: وآثر الحياة الدنيا:
فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس: فان الجحيم هي المأوى: هي مأواه
واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ
واما من خاف مقام ربه: مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد: ونهى النفس عن الهوى:
لعلمه بانه مرد: فان الجنة هي المأوى: ليس له سواها مأوى: يسألونك عن الساعة ايان
مرساها: متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث
تنتهي اليه وتستقر فيه: فيم انت من ذكراها: في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي
ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غياً ووقتها مما استأثره
الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكرها
اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتماً للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم
والجواب: الى ربك منتهاها: اي منتهى علمها: انما انت منذر من يخشاها: انما بعثت لانذار
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي
عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا:
في الدنيا او في القبور: الا عشية او ضحاها: اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من
نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول الله عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في يوم القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى: روي ان ابن ام مكتوم اتى
رسول الله عليه السلام وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله
علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عليه السلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحباً
بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد وان جاءه علة
لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه

الاعمى فضل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول والقوم والدلالة
على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في
وما يدريك لعله يزكى: اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف
منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره: او يذكر فتنفعه الذكرى: او يتعظ فتنفعه
موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة
ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل
اما من استغنى فانت له تصدى: تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير
ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي: وما عليك
الا يزكى: وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض
عمن اسلم ان عليك الا البلاغ: واما من جاءك يسعى: يسرع طالبا للخير: وهو يخشى:
الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له: فانت عنه تلهى: تتشاغل
يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمامه
بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك: كلا: ردع عن المعاتب او معاودة مثله
انها تذكرة فمن شاء ذكره: حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث
الاول لتأنيث خبره: في صحف: صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف: مكرمة: عند الله
مرفوعة: مرفوعة القدر: مطهرة: منزهة عن ايدي الشياطين: بايدي سفرة: كتبة من
الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله
او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت
وجهها: كرام: اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم:
بررة: اتقياء: قتل الانسان ما اكفره: دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه
في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ: من اي شيء خلقه: بيان لما
انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله: من نطفة
خلقه فقدره: فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه
ثم السبيل يسره: ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس
او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير
وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان
الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله: ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره:

وفي عد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين
في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى: كلا: ردع للانسان عما هو عليه: لما يقض ما امره
لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما:
فلينظر الانسان الى طعامه: اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية: انا صببنا الماء صبا: استئناف
مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال: ثم شققنا
الارض شقا: اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب
فانبتنا فيها حبا: كالحنطة والشعير: وعنبا وقضبا: يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا
قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى: وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا: عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب: وفاكهة
وابا: ومرعى من أب اذا أم لانه يؤم وينتجع او من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيأ للرعي
او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء: متاعا لكم ولانعامكم: فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف: فاذا جاءت الصاخة: اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها:
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه: لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا يغنون عنه او
للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفر من اخيه بل من
ابويه بل من صاحبته وبنيه: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه: يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه
اي يهمه: وجوه يومئذ مسفرة: مضيئة من اسفار الصبح: ضاحكة مستبشرة: بما يرى من
النعيم: ووجوه يومئذ عليها غبرة: غبار وكدورة: ترهقها قترة: يغشاها سواد وظلمة:
اولئك هم الكفرة الفجرة: الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة
قال عليه السلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر صدق حبيب المختار

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم: اذا الشمس كورت: لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى
رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره
او القيت من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل: واذا النجوم انكدرت:
انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر: او اظلمت من كدرت الماء فانكدر: واذا الجبال
سيرت: عن وجه الارض او في الجو: واذا العشار: النوق اللاتي اتى على حملهن عشر اشهر

أو عشراء أي عطلت: تركت مهملة أو السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف: وإذا
الوحوش حشرت: جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت
من قولهم إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد: وإذا البحار سجرت: أحميت
أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف: وإذا النفوس زوجت: قرنت بالأبدان أو كل منها
بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين: وإذا
الموءودة: المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من
أجلهن: سئلت بأي ذنب قتلت: تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وقتلت على الإخبار عنها وقرئ قتلت بالتشديد
: وإذا الصحف نشرت: يعني صحائف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب
وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة
أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير: وإذا السماء كشطت: قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب
عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير: وإذا الجحيم سعرت: أوقدت
إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد: وإذا الجنة أزلفت
: قربت من المؤمنين: علمت نفس ما أحضرت: جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها ثنتا
عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان
متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من
جرادة: فلا أقسم بالخنس: بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من
السيارات ولذلك وصفها بقوله: الجوار الكنس: أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من
كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر: والليل إذا عسعس
: أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر: والصبح إذا
تنفس: أي أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم: إنه: أي القرآن: لقول رسول كريم: يعني
جبريل فإنه قاله عن الله تعالى: ذي قوة: كقوله شديد القوى: عند ذي العرش مكين: عند الله
ذي مكانة: مطاع: في ملائكته: ثم أمين: على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم
تعظيما للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات: وما صاحبكم بمجنون: كما تبهته الكفرة واستدل
بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي عليه السلام
وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما

والموازنة بينهما: ولقد رآه: ولقد رأى رسول الله جبريل: بالأفق المبين:
بمطلع الشمس الأعلى: وما هو: وما محمد: على الغيب: على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من
الغيوب: بظنين: بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين
من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها
من الأضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا
: وما هو بقول شيطان رجيم: بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم إنه لكهانة وسحر
: فأين تذهبون: استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك
الجادة أين تذهب: إن هو إلا ذكر للعالمين: تذكير لمن يعلم: لمن شاء منكم أن يستقيم
: بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير: وما تشاؤون
: الاستقامة يا من يشاؤها: إلا أن يشاء الله: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل
والحق عليكم باستقامتكم: رب العالمين: مالك الخلق كله: قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته صدق رسول الله

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم: إذا السماء انفطرت: انشقت: وإذا الكواكب انتثرت
: تساقطت متفرقة: وإذا البحار فجرت: فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحرا واحدا:
وإذا القبور بعثرت: قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل إنه مركب من بعث وراء
الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى: علمت نفس ما قدمت: من عمل أو صدقة:
وأخرت: من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب إذا:
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم: أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم
للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي
والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به
يغره الشيطان فإنه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة
والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه
: الذي خلقك فسواك فعدلك: صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة
على أن من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة
معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء أو معدلة بما تستعد له
من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت

أو قصر بك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات: في أي صورة
ما شاء ركبك: أي ركبك في أي صورة شاءها، وما مزيدة وقيل شرطية وركبك
جوابها والظرف صلة عدلك، وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك: كلا
ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى: بل تكذبون بالدين: إضراب إلى بيان ما هو السبب
الأصلي في الاغترار، والمراد بالدين الجزاء أو الإسلام: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون: تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والإهمال، وتعظيم
الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء: إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم: بيان
لما يكتبون لأجله: يصلونها: يقاسون حرها: يوم الدين وما هم عنها بغائبين:
لخلودهم فيها، وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها في القبور
وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين: تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أي كنه
أمره بحيث لا تدركه دراية دار: يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله:
تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالا، ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم
الدين أو الخبر لمحذوف. عن النبي ﷺ من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد [illegible]

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم: ويل للمطففين: التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما
يبخس طفيف أي حقير. روي أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوه
وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما
أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا
الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر:
الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون: أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها
وافية، وإنما أبدل على بمن للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل
فيه عليهم: وإذا كالوهم أو وزنوهم: أي إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم: يخسرون فحذف
الجار وأوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك، أو
كالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا
للمتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع
لا في المباشرة وعدمها، ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في
نظائره: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون: فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال

هذه القبائح فكيف بمن تيقنه، وفيه إنكار وتعجيب من حالهم: ليوم عظيم: عظمه لعظم ما يكون فيه
يوم يقوم الناس: نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور، ويؤيده القراءة بالجر: لرب
العالمين: لحكمه، وفي هذا الإنكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس
فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه: كلا ردع
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب: إن كتاب الفجار: ما يكتب من أعمالهم أو كتابة
أعمالهم: لفي سجين: كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال: وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم: أي مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، فعيل من السجن لقب به الكتاب
لأنه سبب الحبس أو لأنه مطروح كما قيل تحت الأرضين في مكان وحش، وقيل هو اسم المكان
والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف: ويل يومئذ للمكذبين:
بالحق أو بذلك: الذين يكذبون بيوم الدين: صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة: وما
يكذب به إلا كل معتد: متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال
منه الإعادة: أثيم: منهمك في الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الإنكار
لما عداها: إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين: من فرط جهله وإعراضه عن الحق فلا تنفعه
شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل: كلا: ردع عن هذا القول: بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون: رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي
بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل، فإن كثرة
الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه
نكتة سوداء حتى يسود قلبه، والرين الصدأ، وقرأ حفص بل ران بإظهار اللام: كلا
ردع عن الكسب الرائن: إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون: فلا يرونه بخلاف المؤمنين، ومن أنكر
الرؤية جعله تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا مثل رحمة ربهم
أو قرب ربهم: ثم إنهم لصالوا الجحيم: ليدخلون النار ويصلون بها: ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون: تقوله لهم الزبانية: كلا: تكرير للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد
الفجار إشعارا بأن التطفيف فجور والإيفاء بر، أو ردع عن التكذيب: إن كتاب الأبرار
لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم: الكلام فيه ما مر في نظيره: يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة: إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك
على الأسرة في الحجال: ينظرون: إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات: تعرف في وجوههم
نضرة النعيم: بهجة التنعم وبريقه، وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع

يسقون من رحيق: شراب خالص. مختوم ختامه مسك: اي مختوم اوانيه بالمسك
مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ
الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع. وفي ذلك: يعني الرحيق او النعيم. فليتنافس
المتنافسون: فليرتغب المرتغبون. ومزاجه من تسنيم: علم لعين بعينها سميت تسنيما
لارتفاع مكانها او رفعة شرابها. عينا يشرب بها المقربون: فانهم يشربونها صرفا
لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم
والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله. ان الذين اجرموا: يعني رؤساء قريش
كانوا من الذين آمنوا يضحكون: كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين. واذا مروا بهم يتغامزون
: يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم. واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين: ملتذين
بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين. واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون: واذا رأوا
المؤمنين نسبوهم الى الضلال. وما ارسلوا عليهم: على المؤمنين. حافظين: يحفظون
عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون:
حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا
اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم. على الارائك ينظرون: حال
من يضحكون. هل ثوب الكفار: اي هل اثيبوا. ما كانوا يفعلون: وقرأ حمزة والكسائي
بادغام اللام في الثاء. قال عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم. اذا السماء انشقت: بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة. واذنت لربها: واستمعت له اي انقادت
لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له. وحقت
وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق. واذا الارض
مدت: بسطت بان تزال جبالها وآكامها. والقت ما فيها: ما في جوفها من الكنوز والاموات
وتخلت: وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها. واذنت لربها: في
الالقاء والتخلية. وحقت: للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة
وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او لدلالة
قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه: عليه وتقديره لاقى الانسان
كدحه اي جهد يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك

كادح الى ربك اي جاهد والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه. فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا: سهلا لا يناقش فيه. وينقلب الى اهله مسرورا:
الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور. واما من اوتي
كتابه وراء ظهره: اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل
يسراه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا: يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو
الهلاك. ويصلى سعيرا: وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله وتصلية
جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصله جهنم. انه كان في اهله: في الدنيا. مسرورا:
بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة. انه ظن ان لن يحور: لن يرجع الى الله. بلى:
ايجاب لما بعد لن. ان ربه كان به بصيرا: عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه. فلا اقسم
بالشفق: الحمرة التي ترى في الافق بعد الغروب وعن ابي حنيفة رضي الله عنه البياض الذي
يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة. والليل وما وسق: وما جمعه وستره من الدواب
وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا. او طرده
الى اماكنه من الوسيقة. والقمر اذا اتسق: اجتمع وتم بدرا. لتركبن طبقا عن طبق:
حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او
مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما
قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على
خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية
بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة. وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق
او مجاوزين له. فما لهم لا يؤمنون: بيوم القيمة. واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
: لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام قرأ واسجد واقترب فسجد
هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه
على وجوب السجدة فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال
ما سجدت فيها الا بعد ما رأيت رسول الله عليه الصلوة والسلام يسجد فيها. بل الذين
كفروا يكذبون: اي بالقرآن. والله اعلم بما يوعون: بما يضمرون في صدورهم من الكفر
والعداوة. فبشرهم بعذاب اليم: استهزاء بهم. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
: استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم. لهم اجر غير ممنون: مقطوع

قوله يعني البروج الاثني عشر التي في الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك على المشهور في لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز ان يراد الفلك الاقرب ايضا فانه بكواكبه زينة السماء الدنيا فتصح

قوله شبهت بروج السماء ومقصوده بهذه العبارة الاشارة الى ان اطلاق البروج عليها استعارة تصريحية وهذا هو المراد من قول صاحب الكشاف على التشبيه لا كما ظن الطيبي ان المراد تشبيه السماء بسور المدينة فانه ذو ابراج

او مسنونا به عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والسماء ذات البروج﴾ يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيمة ﴿وشاهد ومشهود﴾ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلائق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه فهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله ﴿قتل اصحاب الاخدود﴾ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلس سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد

قوله بدل الاشتمال لان الاخدود مشتمل على النار والتقدير النار فيه او اقيم ال مقام الضمير على اختلاف مذهبي اهل البصرة والكوفة

﴿النار﴾ بدل من الاخدود بدل الاشتمال ﴿ذات الوقود﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس ﴿اذ هم عليها﴾ على حافة النار ﴿قعود﴾ ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امره به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم ﴿وما نقموا﴾ وما انكروا ﴿منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله ﴿الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد﴾ للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ بلوهم بالاذى ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف ﴿انه هو يبدئ ويعيد﴾ يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب ﴿الودود﴾ المحب لمن اطاع ﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك ﴿المجيد﴾ العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمه ﴿فعال لما يريد﴾ لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره ﴿هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم ﴿والله من ورائهم محيط﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد ﴿في لوح محفوظ﴾ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ والسماء والطارق ❁ والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه ❁ وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ❁ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ❁ ان كل نفس لما عليها ❁ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ ❁ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم ❁ فلينظر الانسان مم خلق ❁ لما ذكر ان كل نفس عليها حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ❁ خلق من ماء دافق ❁ جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله ❁ يخرج من بين الصلب والترائب ❁ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب ❁ انه على رجعه لقادر ❁ والضمير للخالق ويدل عليه خلق ❁ يوم تبلى السرائر ❁ تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه ❁ فما له ❁ فما للانسان ❁ من قوة ❁ من منعة في نفسه يمتنع بها ❁ ولا ناصر ❁ يمنعه ❁ والسماء ذات الرجع ❁ ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب ❁ والارض ذات الصدع ❁ ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون ❁ انه ❁ ان القرآن ❁ لقول فصل ❁ فاصل بين الحق والباطل ❁ وما هو بالهزل ❁ فانه جد كله ❁ انهم ❁ يعني اهل مكة ❁ يكيدون كيدا ❁ في ابطاله واطفاء نوره ❁ واكيد كيدا ❁ واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم

بحيث لا يحتسبون ❁ فمهل الكافرين ❁ فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم ❁ امهلهم رويدا ❁ امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ سبح اسم ربك الاعلى ❁ نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت ❁ الذي خلق فسوى ❁ خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه ❁ والذي قدر ❁ اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف ❁ فهدى ❁ فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ❁ والذي اخرج المرعى ❁ انبت ما ترعاه الدواب ❁ فجعله ❁ بعد خضرته ❁ غثاء احوى ❁ يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته ❁ سنقرئك ❁ على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة ❁ فلا تنسى ❁ اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا ❁ الا ما شاء الله ❁ نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفي ❁ انه يعلم الجهر وما يخفى ❁ ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ❁ ونيسرك لليسرى ❁ ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض ❁ فذكر ❁ بعد ما استتب لك الامر ❁ ان نفعت الذكرى ❁ لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى ❁ سيذكر من يخشى ❁ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله

فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب
الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر
الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او
تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله اقم الصلوة
لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم
العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب
للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو
بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذة بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له
ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة
الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس
بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة
ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في
الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ
تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى
بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر
ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل
شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد
طعامهم ما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها
راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع
يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء
نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم

فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او القدر وأكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم
ونمارق مسانيد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي
وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل
كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد
النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء
بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف
المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب
على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا
تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل
المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما
عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام
الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة
وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر
وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ
بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه
الاولى ياء كديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر
للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته
وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان
الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام
والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق كقوله ومن كل شيء خلقناه زوجين

قوله وقد روي مرفوعاً يعني الوجه الأخير روى أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العشر عشر الأضحى والشفع يوم الأضحى والوتر يوم عرفة

الشيء وبالخالق لأنه فرد ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك أو البروج والسيارات
أو شفع الصلوات ووترها أو بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعاً أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر
من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلاً في الدين أو مناسبة لما
قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر والليل إذا يسر إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر والتقييد بذلك لما
في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى
المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة
الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلاً وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف
الإطلاق هل في ذلك القسم أو المقسم به قسم حلف أو محلوف به لذي حجر
يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية و
حصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
ألم تر كيف فعل ربك بعاد يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح قوم
هود وتسمى باسم أبيهم كما تسمى بنو هاشم باسمه إرم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل سمي أوائلهم وهم عاد الأولى
باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال
أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص
الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى
عدن جنة وسماها إرم فلما تم سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث
الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعل اسم القبيلة أو البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتاً
بالواد وادي القرى وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا
يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد
وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب
عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وإنما سمي به الجلد المضفور
الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما حل بهم في الدنيا إشعاراً
بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف إن ربك

لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو
تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب فأما الإنسان متصل بقوله إن ربك لبالمرصاد
كأنه قيل إنه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا
ولذاتها إذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فأكرمه ونعمه بالجاه والمال
فيقول ربي أكرمن فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما
من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني
وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه إذ التقدير وأما الإنسان
إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيميه فيقول ربي أهانن لقصور نظره وسوء
فكره فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تؤدي إلى قصد الأعداء
والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع أن قوله الأول
مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لأن التوسعة تفضل والإخلال به
لا يكون إهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف
وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو
أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلاً عن غيرهم
وقرأ الكوفيون ولا تحاضون وتأكلون التراث الميراث وأصله وراث أكلاً لماً
ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم
أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حباً جماً كثيراً
مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو لا يكرمون إلى يحبون بالياء والباقون بالتاء كلا
ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه إذا دكت الأرض دكاً دكاً دكاً بعد دك
حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثاً وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته
وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك
صفاً صفاً بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها يومئذ
بدل من إذا دكت والعامل فيهما يتذكر الإنسان أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لأنه يعلم
قبحها فيندم عليها وأنى له الذكرى أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به
على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي

قوله فإن هذا التذكر توبة ولا وجوب قبولها لا يوفق بين الدارين وقد يمنع كونه توبة مستنداً بأنه لترتب العقاب على أفعاله لا لقبحها والتوبة هو الندم على معصية من حيث أنها معصية

أي لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة وليس في هذا التمني دلالة
على استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن الشيء قد يتمنى أن كان ممكناً منه فيومئذ لا يعذب
عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة
سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما
الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا أيتها النفس المطمئنة على إرادة القول وهي التي
اطمأنت بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته
فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة
التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي إلى ربك إلى أمره أو موعده
بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس
أو بالبعث راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي
الصالحين وادخلي جنتي معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية
كالمرايا المتقابلة أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعدت
لك عن النبي عم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد أقسم سبحانه
بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه إظهاراً لمزيد فضله وإشعاراً بأن شرف المكان
بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك
تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح ووالد عطف على هذا
البلد والوالد آدم أو إبراهيم وما ولد ذريته أو محمد عليه الصلوة والسلام والتنكير
للتعظيم وإيثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت لقد خلقنا الإنسان
في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان
لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية الرسول
عليه السلام مما يكابده من قريش والضمير في أيحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو
بقوته كأبي الأشد فإنه كان يبسط تحت قدمه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع
ولا تزل قدماه أو لكل أحد منهم أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه
يقول في ذلك الوقت أهلكت مالاً لبداً كثيراً من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد
ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفقه

أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك
بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولساناً يترجم به عن ضميره وشفتين يستر بهما
فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي
الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي
باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به
من الفك والإطعام في قوله وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة
يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع
لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك
ما العقبة اعتراض معناه إنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف
على اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر
الطاعات به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله أولئك أصحاب الميمنة اليمين أو اليمن والذين
كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحاب المشأمة الشمال
أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة
مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته
عن النبي عم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة صدق الرسول

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها وضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع
النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر
إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة
وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تنجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو
الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي
ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية
الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرور
والظرف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرواً

وبكر خالداً على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين * والسماء وما بناها *
ومن بناها وإنما أوثرت ما على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر
الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله
والأرض وما طحاها ونفس وما سواها * وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل
ويخل بنظم قوله * فألهمها فجورها وتقواها * بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم
وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام الفجور و
التقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما * قد أفلح من زكاها * أنماها
بالعلم والعمل جواب للقسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس
والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته
الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر
نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض أحوال النفس و
الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود
لتكذيبهم صالحاً * وقد خاب من دساها * نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى
دسس كتقضى وتقضض * كذبت ثمود بطغواها * بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها
ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وأصله طغيا وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم
والصفة وقرئ بالضم كالرجعى * إذ انبعث * حين قام ظرف لكذبت أو طغوى * أشقاها *
أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن والاه على عقر الناقة فإن أفعل التفضيل إذا
أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر * فقال لهم رسول الله ناقة الله *
أي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها * وسقياها * فلا تذودوها عنها * فكذبوه * فيما حذرهم
منه من حلول العذاب إن فعلوا * فعقروها فدمدم عليهم ربهم * فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير
قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم * بذنبهم * بسببه * فسواها * فسوى الدمدمة بينهم
أو عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير أو ثمود بالإهلاك * ولا يخاف عقباها * أي عاقبة الدمدمة
أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الإبقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على
العطف عن النبي من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم * والليل إذا يغشى * أي يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه
بظلامه * والنهار إذا تجلى * ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس * وما خلق الذكر

قوله جمع شتيت في القاموس الشتيت المتفرق كالمشتت

والأنثى * والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع ذي توالد أو آدم وحواء
وقيل ما مصدرية * إن سعيكم لشتى * إن مساعيكم لأشتات مختلفة جمع شتيت * فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى * تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من أعطى الطاعة
واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد * فسنيسره
لليسرى * فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس إذا هيأه للركوب
بالسرج واللجام * وأما من بخل * بما أمر به * واستغنى * بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
* وكذب بالحسنى * بإنكار مدلولها * فسنيسره للعسرى * للخلة المؤدية إلى العسر
والشدة كدخول النار * وما يغني عنه ماله * نفي أو استفهام إنكار * إذا تردى * هلك
تفعل من الردى أو تردى في حفرة القبر أو قعر جهنم * إن علينا للهدى * للإرشاد إلى الحق
بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا أو إن علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل *
وإن لنا للآخرة والأولى * فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء أو ثواب الهداية للمهتدين
أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء * فأنذرتكم ناراً تلظى * تتلهب * لا يصلاها * لا يلزمها مقاسياً
شدتها * إلا الأشقى * إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لا يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه
بقوله * الذي كذب وتولى * أي كذب الحق وأعرض عن الطاعة * وسيجنبها الأتقى *
الذي اتقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلا عن أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك أن من
اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق * الذي
يؤتي ماله * يصرفه في مصارف الخير لقوله * يتزكى * فإنه بدل من يؤتي أو حال من فاعله *
وما لأحد عنده من نعمة تجزى * فيقصد بإيتائه مجازاتها * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى *
استثناء منقطع أو متصل عن محذوف مثل لا يؤتي إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة *
ولسوف يرضى * وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين اشترى
بلالاً في جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم ولذلك قيل المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن
خلف عن النبي من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم * والضحى * ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار
يقوى فيه أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقي السحرة سجداً أو النهار ويؤيده
قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى * مقابل بياتاً * والليل إذا سجى * سكن أهله أو ركد ظلامه
من سجى البحر سجواً إذا سكنت أمواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل

وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف. ما ودعك ربك: ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم. وما قلى: وما أبغضك وحذف المفعول استغناء
بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي أن الوحي تأخر عنه أياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف
أو لزجره سائلا ملحا أو لأن جروا ميتا كان تحت سريره أو لغيره فقال المشركون إن محمدا
ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم. وللآخرة خير لك من الأولى: فإنها باقية خالصة من الشوائب
وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه سبحانه لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده
ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة أو لنهاية أمرك خير من بدايته فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة
والكمال. ولسوف يعطيك ربك فترضى: وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر
وإعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ
والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة
وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة. ألم يجدك يتيما فآوى
تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني أو المصادفة ويتيما حال. ووجدك ضالا: عن علم الحكم
والأحكام. فهدى: فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق
حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت لتردك على جدك
فأزال ضلالك عن عمك أو جدك. ووجدك عائلا: فقيرا ذا عيال. فأغنى: بما حصل لك
من ربح التجارة. فأما اليتيم فلا تقهر: فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر أي فلا تعبس
في وجهه. وأما السائل فلا تنهر: فلا تزجره. وأما بنعمة ربك فحدث: فإن التحدث
بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم. ألم نشرح لك صدرك: ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة
الخلق فكان غائبا حاضرا أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما
يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل إنه إشارة إلى ما روي أن جبريل أتى
رسول الله عليه السلام في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانا و
علما ولعله إشارة إلى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك
عطف عليه. ووضعنا عنك وزرك: عبأك الثقيل. الذي أنقض ظهرك: الذي حمله على

النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل
البعثة أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته أو تلقي الوحي أو ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز
عن إرشادهم أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان. ورفعنا لك
ذكرك: بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته
وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب وإنما زاد لك ليكون إبهاما
قبل إيضاح فيفيد مبالغة. فإن مع العسر: كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم
وإيذائهم. يسرا: كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله
إذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في إن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر
للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين. إن مع العسر يسرا: تكرير للتأكيد أو استئناف وعده بأن العسر
مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحة إن للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار
وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فإن العسر معرف فلا يتعدد
سواء كان للعهد أو للجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأول. فإذا فرغت
من التبليغ. فانصب: فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم
الآتية وقيل إذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة أو فإذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء
وإلى ربك فارغب: بالسؤال ولا ترغب إلى غيره فإنه القادر وحده على إسعافه وقرئ فرغب
أي رغب الناس إلى طلب ثوابه. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

سورة التين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم. والتين والزيتون: خصهما من الثمار بالقسم لأن التين فاكهة طيبة
لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر
الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث
إنه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن لطيف
كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة أو
طور تيناء وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون من الأرض المقدسة أو مسجدا دمشق
وبيت المقدس أو البلدان. وطور سينين: يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين
وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه. وهذا البلد الأمين: أي الآمن من أمن الرجل أمانة
فهو أمين أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة. لقد خلقنا الإنسان: يريد به
الجنس. في أحسن تقويم: تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع

خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ بأن جعلناه من
أهل النار، أو إلى أسفل السافلين وهو النار، وقيل أرذل العمر فيكون ﴿إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات﴾ منقطعاً ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ لا ينقطع أو لا يمن به عليهم، وهو على الأول
حكم مرتب على الاستثناء مقرر له ﴿فما يكذبك﴾ أي فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقاً ﴿بعد
بالدين﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل، وقيل ما بمعنى من، وقيل الخطاب للإنسان على الالتفات
والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ تحقيق لما سبق، والمعنى أليس الذي
فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة
والجزاء على ما مر مراراً. عن النبي عليه الصلاة والسلام: من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية
واليقين ما دام حياً، فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها ست عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه أو مستعيناً به ﴿الذي
خلق﴾ أي الذي له الخلق، أو الذي خلق كل شيء، ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعاً وتدبيراً وأدل على
وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال ﴿خلق الإنسان﴾ أو الذي خلق الإنسان فأبهم أولاً
ثم فسر تفخيماً لخلقه ودلالة على عجيب فطرته ﴿من علق﴾ جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع، ولما كان
أول الواجبات معرفة الله تعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته
﴿اقرأ﴾ تكرير للمبالغة، أو الأول مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلاة، ولعله لما قيل له اقرأ
باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ ﴿وربك الأكرم﴾ الزائد في الكرم على كل كريم فإنه
ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف، بل هو الكريم وحده على الحقيقة ﴿الذي علم بالقلم﴾ أي الخط بالقلم
وقد قرئ به، لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ بخلق القوى ونصب
الدلائل وإنزال الآيات، فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئاً، وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الإنسان
ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً
لأكرميته، وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل عليه سمعاً ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة
الله بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ أي رأى
نفسه، واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد
﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيان، والرجعى
مصدر كالبشرى ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ نزلت في أبي جهل قال لو رأيت محمداً ساجداً
لوطئت عنقه، فجاء ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة

فنزلت، ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ﴿أرأيت
إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ أرأيت تكرير للأول، وكذا الذي في قوله ﴿أرأيت إن كذب
وتولى ألم يعلم بأن الله يرى﴾ والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب
الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له، والمعنى أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان
ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أو آمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده، أو إن
كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله
من هداه وضلاله، وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما أعجب من ذا، وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان
يخاطب هذا مرة والآخر أخرى، وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله
أمراً بالتقوى أتنهاه، ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لأن النهي
كان عن الصلاة والأمر بها فاقتصر على ذكر الصلاة لأنه دعوة بالفعل، أو لأن نهي العبد إذا صلى
يحتمل أن يكون لها ولغيرها، وعامة أحوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة ﴿كلا﴾
ردع للناهي ﴿لئن لم ينته﴾ عما هو فيه ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه إلى
النار، والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة، وقرئ لنسفعن بنون مشددة، ولأسفعن، و
كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف، والاكتفاء باللام عن الإضافة للعلم بأن المراد ناصية المذكور
﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية، وإنما جاز لوصفها، وقرئت بالرفع على هي ناصية، وبالنصب
على الذم، ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة ﴿فليدع نادية﴾
أي أهل ناديه ليعينوه، وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم، روي أن أبا جهل مر برسول الله عليه السلام
وهو يصلي فقال ألم أنهك، فأغلظ له رسول الله عليه السلام، فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي
نادياً، فنزلت ﴿سندع الزبانية﴾ ليجروه إلى النار، وهو في الأصل الشرط واحدها زبنية كعفرية
من الزبن وهو الدفع، أو زبني على النسب وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء ﴿كلا﴾ ردع أيضاً
للناهي ﴿لا تطعه﴾ واثبت أنت على طاعتك ﴿واسجد﴾ ودم على سجودك ﴿واقترب﴾
وتقرب إلى ربك، وفي الحديث: أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد. عن النبي صلى الله عليه
وسلم: من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله، صدق حبيب الرحمن

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر
شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه

بقوله: وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر: وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله عليه السلام نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه السلام ذكر إسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم: بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين: من كل أمر: من أجل كل أمر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان: سلام هي: ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين: حتى مطلع الفجر: أي وقت مطلعه أي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة لم يكن [illegible] ليلة القدر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب: اليهود والنصارى فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات الله وقرئ لم يكن الذين: والمشركين: وعبدة الأصنام: منفكين: عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول: حتى تأتيهم البينة: الرسول أو القرآن فإنه مبين للحق أو معجزة الرسول بأخلاقه والقرآن بإفحامه من تحدى به: رسول من الله: بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أو مبتدأ: يتلو صحفا مطهرة: صفته أو خبره والرسول وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة أن الباطل لا يأتي ما فيها أو أنها لا يمسها إلا المطهرون: فيها كتب قيمة: مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق: وما تفرق الذين أوتوا الكتاب: عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم أو تردد في دينه أو عن وعدهم بإصرارهم على الكفر: إلا من بعد ما جاءتهم البينة: فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى: وما أمروا: أي في كتبهم بما فيها: إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين: لا يشركون به: حنفاء: مائلين عن العقائد

إلى الإسلام: ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة: ولكنهم حرفوه وعصوا: وذلك دين القيمة: دين الملة القيمة: إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها: أي يوم القيامة أو في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه ولعله يختلف لتفاوت كفرهما: أولئك هم شر البرية: أي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الأصل: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا: فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بأنه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها إضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد: رضي الله عنهم: استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم: ورضوا عنه: لأنه بلغهم أقصى أمانيهم: ذلك: أي المذكور من الجزاء والرضوان: لمن خشي ربه: فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا:

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم: إذا زلزلت الأرض زلزالها: اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم للحركة وليس في الأبنية فعلال إلا في المضاعف: وأخرجت الأرض أثقالها: ما في جوفها من الدفائن والأموات جمع ثقل وهو متاع البيت: وقال الإنسان ما لها: لما يبهرهم من الأمر الفظيع وقيل المراد بالإنسان الكافر فإن المؤمن يعلم ما لها: يومئذ تحدث أخبارها: تحدث الخلق بلسان الحال أخبارها بما لأجله زلزالها وإخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث أو أصل وإذا منتصب بمضمر: بأن ربك أوحى لها: أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها بأن أحدث فيها ما دلت على الأخبار أو أنطقها بها ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها إذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى إلى أو على أصلها إذ لها في ذلك تشفي من العصاة: يومئذ يصدر الناس: من مخارجهم من القبور إلى الموقف: أشتاتا: متفرقين بحسب مراتبهم: ليروا أعمالهم: جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره: تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة أو من الأولى

مخصوصة بالسعداء والثانية بالأشقياء لقوله أشتاتا والذرة النملة الصغيرة أو الهباء.
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وآيها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ والعاديات ضبحا ❊ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فإنها تدل بالالتزام على الضابحات أو ضبحا حال بمعنى ضابحة ❊ فالموريات قدحا ❊ فالتي تورى النار والإيراء إخراج النار يقال قدح الزند فأورى ❊ فالمغيرات ❊ يغير أهلها على العدو ❊ صبحا ❊ أي في وقته ❊ فأثرن به ❊ فهيجن بذلك الوقت ❊ نقعا ❊ غبارا أو صياحا ❊ فوسطن به ❊ فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أي ملتبسات به ❊ جمعا ❊ من جموع الأعداء روي أنه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالها الموريات بأفكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات إذا ظهر مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ❊ إن الإنسان لربه لكنود ❊ لكفور من كند النعمة كنودا ولعاص بلغة كندة أو لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم ❊ وإنه على ذلك ❊ وإن الإنسان على كنوده ❊ لشهيد ❊ يشهد على نفسه لظهور أثره عليه أو إن الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا ❊ وإنه لحب الخير ❊ المال من قوله إن ترك خيرا ❊ لشديد ❊ لبخيل أو لقوي مبالغ فيه ❊ أفلا يعلم إذا بعثر ❊ بعث ❊ ما في القبور ❊ من الموتى وقرئ بحثر وبحث ❊ وحصل ❊ جمع محصلا في الصحف أو ميز ❊ ما في الصدور ❊ من خير أو شر وتخصيصه لأنه الأصل ❊ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ❊ عالم بما أعلنوا وبما أسروا فيجازيهم عليه وإنما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم في الحالين وقرئ أن وخبير بلا لام عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا صدق حبيب الرحمن

سورة القارعة مكية وآيها عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ❊ سبق بيانه في الحاقة ❊ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ❊ في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة ❊ وتكون الجبال كالعهن ❊ كالصوف ذي الألوان ❊ المنفوش ❊ المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو

❊ فأما من ثقلت موازينه ❊ بأن ترجحت مقاديرها أنواع حسناته ❊ فهو في عيشة راضية ❊ ذات رضا أي مرضية ❊ وأما من خفت موازينه ❊ بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ❊ فأمه هاوية ❊ فمأواه النار والهاوية من أسمائها ولذلك قال ❊ وما أدراك ماهيه نار حامية ❊ ذات حمى عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة ❊

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ ألهاكم ❊ شغلكم وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لها إذا غفل ❊ التكاثر ❊ التباهي بالكثرة ❊ حتى زرتم المقابر ❊ إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة القبور روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم وإنما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت ❊ كلا ❊ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة ❊ سوف تعلمون ❊ خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا ويتنبهوا عن غفلتهم ❊ ثم كلا سوف تعلمون ❊ تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور ❊ كلا لو تعلمون علم اليقين ❊ أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله ❊ لترون الجحيم ❊ جوابا لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيما ❊ ثم لترونها ❊ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية الإبصار ❊ عين اليقين ❊ أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين ❊ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ❊ أي الذي ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان إذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله

بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف آية صدق نبينا

سورة العصر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم. والعصر. اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران. ان الانسان لفي خسر. ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية. وتواصوا بالحق. بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل. وتواصوا بالصبر. عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى الخسر ونقص الحظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم. عن النبي عليه السلام من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم. ويل لكل همزة لمزة. الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله عليه السلام. الذي جمع مالا. بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير. وعدده. وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام. يحسب ان ماله اخلده. تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة. كلا. ردع له عن حسبانه. لينبذن. ليطرحن. في الحطمة. في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها. وما ادراك ما الحطمة. ما النار التي لها هذه الخاصية. نار الله. تفسير لها. الموقدة. التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفيه. التي تطلع على الافئدة. تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد

الزائغة ومنشا الاعمال القبيحة. انها عليهم مؤصدة. مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة. في عمد ممددة. اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا الكوفيون غير حفص بضمتين. عن النبي عليه السلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم. الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل. الخطاب للرسول عليه السلام وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وحكمته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه السلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام. الم يجعل كيدهم. في تعطيل الكعبة وتخريبها. في تضليل. في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها. وارسل عليهم طيرا ابابيل. جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط. ترميهم بحجارة. وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك. من سجيل. من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون. فجعلهم كعصف ماكول. كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته. عن النبي عليه السلام من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ صدق النبي المختار

سورة قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم. لايلاف قريش. متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت

او الكفار بما فعلنا بهم ومعنى الشرط ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمتعلق بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همز الحاقا ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيره على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ارأيت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك اي من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم العيد

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد نعبد آلهتك سنة وتعبد آلهتنا سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا

اذا اشير بالمباركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرأ نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اذا جاء نصر الله﴾ اظهاره اياك على اعدائك ﴿والفتح﴾ وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا﴾ جماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿واستغفره﴾ هضما لنفسه واستقصارا لعمله واستدراكا لما فرط منه بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ﴿انه كان توابا﴾ لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله عليه السلام لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم ولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه السلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تبت﴾ هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك ﴿يدا ابي لهب﴾ نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته وانما

كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق لحاله او ليجانس ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرأ ابن كثير باسكان الهاء ﴿وتب﴾ اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ﴿ما اغنى عنه ماله﴾ نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار ومحلها النصب ﴿وما كسب﴾ وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وفي جيدها خبره وهي ام جميل اخت ابي سفيان ﴿حمالة الحطب﴾ يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول وقرأ عاصم بالنصب على الشتم ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عليه السلام من قرأ تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله احد﴾ الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة

للمقتضية للالوهية وقرئ هو الله احد بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه في قل يا ايها
الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول او
موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذه فتوحيد يقول به
تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى ۞ الله الصمد ۞ السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد
اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه
محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار
بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل
عليها ۞ لم يلد ۞ لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء
عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح
ابن الله او ليطابق قوله ۞ ولم يولد ۞ وذلك لانه لم يفتقر الى شيء ولم يسبقه عدم
۞ ولم يكن له كفوا احد ۞ اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان
يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما بالاهم ويجوز
ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا او يكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث
بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال وهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة و
يعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث
انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص
ومن عدها بجملتها اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعنه النبي عليه السلام سمع رجلا يقرأها فقال
وجبت فقيل يا رسول الله وما وجبت قال عليه السلام وجبت له الجنة صدق نبي المختار

۞ سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس بلا خلاف ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ قل اعوذ برب الفلق ۞ ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل
بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل
كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه
لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة
والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ
ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية ۞ من شر
ما خلق ۞ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره

اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ۞ ومن
شر غاسق ۞ ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين
اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان
دمعه ۞ اذا وقب ۞ دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في
الكسوف ۞ ومن شر النفاثات في العقد ۞ ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي
يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا
سحر النبي عليه السلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت
المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية
انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا
انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار
من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة
بخلاف كل غاسق وحاسد ۞ ومن شر حاسد اذا حسد ۞ اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه
فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة
في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه
كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها
وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا
فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي عليه السلام
لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى

۞ سورة الناس عند الله منها يعني المعوذتين مختلف فيها وآيها ست ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ قل اعوذ ۞ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها
الى اللام ۞ برب الناس ۞ لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية
وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس
البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس
الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ۞ ملك الناس ۞ اله الناس ۞ عطفا
بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق
بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما عليه

اللهم يا قاضي الحاجات اجعل سعيي وكدي في تحرير هذه النسخة الشريفة خالصا لوجهك الكريم
وسببا لرحمتك وفضلك العظيم وبها تنجيني يوم يؤخذ العصاة بالنواصي
آمين يا ارحم الراحمين

من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل
وذات كل شيء له ومصارف اموره منه وهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق
للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد
البيان والاشعار بشرف الانسان ۝ من شر الوسواس ۝ اي الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله
مبالغة ۝ الخناس ۝ الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ۝ الذي
يوسوس في صدور الناس ۝ اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها
تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه و
تشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم ۝ من الجنة والناس
۝ بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة
الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان
يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي عليه السلام
من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى صدق النبي المختار

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى جميع الانبياء
والمرسلين وعلى الملائكة المقربين وعلى
اهل الطاعة اجمعين انه هو الغفور
الرحيم اللهم احشرنا وجميع
المؤمنين معهم برحمتك
يا ارحم الراحمين

قد وقع الفراغ من تنميق تفسير القاضي البيضاوي على يد العبد الضعيف مصطفى
ابن الشيخ محمد ابن الشيخ احمد قدس الله سرهما المنزوين في خانقاه سلطان سليمان خان
الشهير باوده حكيم چلبي عفا الله لهم ولسائر المؤمنين والمؤمنات اجمعين حررت واتممت في
اليوم العاشر من شهر رجب المرجب من شهور سنة ست وخمسين والف وارجو ممن نظر او قرأ او
طالع ان يستر قصوري ولا ينظر عيوبي ويذكرني بخير ولا ينسوني من الدعاء بحرمة قرآن الكريم واستغفر الله
من زلات اعمالي فان زلاتي لا تحصى ولطفه لا يعد فاني اتوسل بهذا العمل ان يرحمني
بفضله واحسانه مستغنيا بسعة رحمته وغفرانه

76

76

تفسیر انوار التنزیل واسرار التأویل
لعبد الله القاضی البیضاوی
علیه الرحمه ۵
م

سورة فاتحة الكتاب
٢

سورة البقره ٤	سورة آل عمران ٦٩	سورة النساء ٩٦	سورة المائده ١٢٤	سورة الانعام ١٤٥	سورة الاعراف ١٦٥	سورة الانفال ١٨٦
سورة التوبة ١٩٨	سورة يونس ٢١٦	سورة هود ٢٢٨	سورة يوسف ٢٤٣	سورة الرعد ٢٥٦	سورة ابرهيم ٢٦٣	سورة الحجر ٢٧٠
سورة النحل ٢٧٦	سورة بني اسرائيل ٢٩١	سورة الكهف ٣٠٤	سورة مريم ٣١٨	سورة طه ٣٢٧	سورة الانبياء ٣٤٠	سورة الحج ٣٤٩
سورة المؤمنين ٣٥٩	سورة النور ٣٦٧	سورة الفرقان ٣٧٩	سورة الشعراء ٣٨٨	سورة النمل ٣٩٧	سورة القصص ٤٠٥	سورة العنكبوت ٤١٣
سورة الروم ٤١٩	سورة لقمان ٤٢٤	سورة السجده ٤٢٦	سورة الاحزاب ٤٣٠	سورة السباء ٤٣٦	سورة الملائكة ٤٤٥	سورة يس ٤٥٠
سورة الصافات ٤٥٦	سورة ص ٤٦٤	سورة الزمر ٤٧١	سورة المؤمن ٤٧٨	سورة فصلت ٤٨٥	سورة الشورى ٤٨٩	سورة الزخرف ٤٩٤
سورة الدخان ٤٩٩	سورة الجاثية ٥٠٢	سورة الاحقاف ٥٠٤	سورة محمد عليه السلام ٥٠٧	سورة الفتح ٥١٠	سورة الحجرات ٥١٣	سورة ق ٥١٤
سورة الذاريات ٥١٩	سورة الطور ٥٢١	سورة النجم ٥٢٣	سورة القمر ٥٢٦	سورة الرحمن ٥٢٨	سورة الواقعة ٥٣٠	سورة الحديد ٥٣٥
سورة المجادلة ٥٣٨	سورة الحشر ٥٤١	سورة الممتحنة ٥٤٥	سورة الصف ٥٤٧	سورة الجمعة ٥٤٨	سورة المنافقين ٥٤٩	سورة التغابن ٥٥٠
سورة الطلاق ٥٥١	سورة التحريم ٥٥٢	سورة الملك ٥٥٣	سورة النون ٥٥٥	سورة الحاقة ٥٥٨	سورة المعارج ٥٥٩	سورة نوح ٥٦١
سورة الجن ٥٦٢	سورة المزمل ٥٦٤	سورة المدثر ٥٦٥	سورة القيمة ٥٦٨	سورة الانسان ٥٦٩	سورة المرسلات ٥٧١	سورة النبأ ٥٧٢
سورة النازعات ٥٧٤	سورة عبس ٥٧٦	سورة التكوير ٥٧٧	سورة انفطرت ٥٧٨	سورة المطففين ٥٧٨	سورة الانشقاق ٥٧٩	سورة البروج ٥٨٠
سورة الطارق ٥٨١	سورة الاعلى ٥٨٢	سورة الغاشية ٥٨٢	سورة الفجر ٥٨٣	سورة البلد ٥٨٤	سورة الشمس ٥٨٥	سورة الليل ٥٨٥
سورة الضحى ٥٨٦	سورة الم نشرح ٥٧٦	سورة التين ٥٨٧	سورة العلق ٥٨٧	سورة القدر ٥٨٨	سورة لم يكن ٥٨٨	سورة الزلزال ٥٨٩
سورة العاديات ٥٨٩	سورة القارعة ٥٨٩	سورة التكاثر ٥٩٠	سورة العصر ٥٩٠	سورة الهمزة ٥٩٠	سورة الفيل ٥٩١	سورة قريش ٥٩١
سورة الماعون ٥٩١	سورة الكوثر ٥٩٢	سورة الكافرون ٥٩٢	سورة النصر ٥٩٢	سورة تبت ٥٩٢	سورة الاخلاص ٥٩٣	سورة الفلق ٥٩٣

سورة الناس
٥٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره
مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام
وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه
يعش في الدنيا جهولا ويصلى في الآخرة سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك
مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا
ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق
لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على
صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على
نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب
عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا
أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة
ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممته
بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق

لكل خير والمعطي لكل مسؤول **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه
فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد
بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك
الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية
لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها
أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها
سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة
أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح
أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص **بسم الله الرحمن الرحيم**
هي آية من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص فيه أبو حنيفة بشيء فظن أنها
ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا أحاديث
كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول أم سلمة قرأ رسول الله عليه السلام الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية
ومن أجلها اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى
والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة
بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية
مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه
وتقديم المعمول هاهنا أوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها وقوله تعالى إياك نعبد لأنه أهم
وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه عز وجل مقدم على القراءة كيف وقد
جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي
بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده
إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وإنما
كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة
داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء التي حذفت
أعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من
دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت ومجيء سمى

لهدى لغة فيه قال: والله أسماك سمى مباركا آثرك الله به إيثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه
من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين وأصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة
الوصل ليقل إعلاله ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال: باسم
الذي في كل سورة سمه والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الأمم والأعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء
فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته
وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب أو الاسم فيه
مقحم كما في قول الشاعر: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما وإن أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري
انقسم انقسام الصفة عنده إلى ما هو نفس المسمى وإلى ما هو غيره وإلى ما ليس هو ولا غيره وإنما قال باسم
الله ولم يقل بالله لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه تعالى أو للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب
الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله أصله إله فحذفت الهمزة و
عوض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع إلا أنه يختص بالمعبود بالحق والإله في الأصل يقع
على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من أله إلاهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد ومنه تأله
واستأله وقيل من أله إذا تحير إذ العقول تتحير في معرفته جل جلاله أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه
لأن القلوب تطمئن بذكره تعالى والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره
أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه إذ العباد يولعون
بالتضرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل إلاه كإعاء وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه
مصدر لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كل شيء وعما
لا يليق به ويشهد له قول الشاعر: كحلفة من أبي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف
ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان وصفا لم
يكن قول لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع الشركة والأظهر أنه وصف في أصله لكنه لما غلب
عليه بحيث لا يستعمل في غيره تعالى صار كالعلم مثل الثريا والصعق أجري مجراه في إجراء الوصف عليه وامتناع الوصف
به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر
فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات وفي الأرض معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى
والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف

الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه
لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء في ضرورة الشعر: ألا لا بارك الله في سهيل
إذا ما الله بارك في الرجال ۞ الرحمن الرحيم ۞ اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن
أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك إنما يؤخذ تارة
باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الأول قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة
لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام
وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدم والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا
ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق
على غيره تعالى لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو يزيح رقة الجنسية
أو حب المال عن القلب ثم إنه كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة على إيصالها
والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه تعالى
لا يقدر عليها أحد غيره ولأن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة على رؤوس الآي والأظهر أنه غير منصرف وإن حظر اختصاصه بالله
أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة إلحاقا له بما هو الغالب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف
أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها
جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره إلى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به
عن غيره ۞ الحمد لله ۞ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة
قولا وعملا واعتقادا قال: أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو أعم منهما من وجه وأخص
من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من
الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام: الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد
والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ به وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل
على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد تستعمل
معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرف كل أحد أن الحمد ما هو وقيل للاستغراق إذ الحمد
في الحقيقة كله له تعالى إذ ما من خير إلا وهو موليه بتوسط أو بغير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله

فيه إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه وقرئ الحمدِ لله بإتباع
الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما من حيث إنهما يستعملان معاً منزلة كلمة واحدة ۞ رب العالمين ۞ الرب
في الأصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل
هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره إلا
مقيداً كقوله تعالى ارجع إلى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو
كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وإنما
جمع ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم
وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا
فإن كل واحد منهم عالم من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع
كما يعلم بما أبدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرئ
رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات
كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها ۞ الرحمن الرحيم ۞ كرره للتعليل على
ما سنذكره ۞ مالك يوم الدين ۞ قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله
لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك
والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملْك بالتخفيف وملَك بلفظ الفعل
ومالكاً بالنصب على المدح أو الحال ومالكٌ بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف وملكُ مضافاً
بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراءً له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة أهل الدار ومعناه مالك الأمور يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في
هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين
الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى
بنفوذ الأمر فيه وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجداً لهم منعماً عليهم بالنعم
كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق
بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللإشعار
بطريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد فضلاً عن أن يعبد ليكون دليلاً على
ما بعده فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه

متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال
حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين ۞ إياك نعبد وإياك نستعين ۞ ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أي يا من هذا شأنه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من
الغيبة إلى الشهود وكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً بنى أول الكلام على
ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم
شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه
عياناً ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب
التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع فيعدل من الخطاب إلى الغيبة
ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي أرسل
الرياح فتثير سحاباً فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات
وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الأسود وإيا ضمير منصوب منفصل
وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من
الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها واحتج بما حكاه عن بعض
العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وإيا
عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به وقيل الضمير هو
المجموع وقرئ إياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع
لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح أن يوصف الرجل
بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد
طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه
من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط
حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود

والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولاً وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث
انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما
يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا
من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه الله تعالى عن حبيبه حين قال لا تحزن
ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه عليه السلام حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه
عز وجل هو المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي وليعلم منه ان تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا
منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب الا بمعونة
منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم
يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞ بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك
تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق
والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال تعالى وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر
ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى
به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك
بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط
من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت
في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد طريق الحق

وقيل هو ملة الاسلام ۞ صراط الذين انعمت عليهم ۞ بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود
عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه
ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء عليهم السلام وقيل
اصحاب موسى وعيسى من قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال
النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين
ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي
واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة
من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه
ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون
وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر ۞ غير المغضوب عليهم
ولا الضالين ۞ بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة
مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال
وذلك انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه
اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال
من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب
ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم
ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين
النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال
المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه

لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ﴿آمين﴾ اسم الفعل الذي هو
استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله عليه السلام عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن اتفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرائيل آمين عند فراغي من
قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر ان النبي عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل
وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة
تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى
يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال
بينا رسول الله عليه السلام اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب فيسمعه الله
فيرفع عنهم بذلك اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم﴾ وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركب منها
الكلام لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها
وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي
اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة
مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه و
مقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين
ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها
افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما
ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان

بمثله وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص
بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الادباء الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في
هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في
تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي
ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف
ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة
يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء
والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج
نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في
الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن
البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني و
يجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى
وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء
في ثروغ الدلو والباء في بامسك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها ستة الستة المذكورة واللام
والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين
والصاد والطاء والثاء والميم والباء والحاء والغين والضاد والظاء والشين والزاي والواو
نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء
والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يجاورها
ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي
يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين
والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز من السباعية ذكر
من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم
وتراكيبها وجدت الحروف المتروك من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدي به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة
الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف

كلعل وفي الاسم بعض حروف كمن وربه كديم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة
اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال كقل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من
جربها وثلث مثنيات تنبيها على ان الاقسام الثلثة وفي ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية
المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل
منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول
القران العظيم لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به
مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا
بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه
بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره
بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القاب
لها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك
او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم
لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن عباس
انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم
معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي القران العظيم منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل
كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله عليه السلام فقالوا فهل غيره فقال المص
والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم
على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى
العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها
لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها
الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد
مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السورة ولا يقتضي
ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم واما الشعر فشاذ

واما قول ابن عباس رضي الله عنهما فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة
حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا
مخصص لفظا ومعنى والى حساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم و
مقتضاها وان كان غير ممتنع لكنه تحكم الا اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع
اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية
سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل
انها اسماء الله عز وجل ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص ويا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما
وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو
آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر
استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار
بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى
او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك
ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان
في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين
في الله لافعلن فتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة
منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها
وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم
فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا
توقيف لا مجال للقياس فيه ﴿ذلك الكتاب﴾ ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف
او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا
البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب
فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب

المنقولة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة
قبل أن تكتب لأنه مما يكتب وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة ﴿لا ريب فيه﴾ معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه
بحيث لا يرتاب فيه العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الإعجاز لا أن أحدا لا يرتاب فيه ألا ترى
إلى قوله تعالى ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ الآية فإنه ما أبعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له
وهو أن يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه
الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه ﴿هدى للمتقين﴾ يهديهم إلى الحق
والهدى في الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جعل
مقابل الضلال في قوله تعالى ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ ولأنه لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى
إلى المطلوب واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وإن كانت دلالته عامة لكل
ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى ﴿هدى للناس﴾ أو لأنه لا ينتفع بالتأمل فيه إلا من صقل العقل واستعمله
في تدبر الدلائل والآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لأنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فإنه
لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وإليه أشار بقوله تعالى ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين إلا خسارا﴾ ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد
منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه
عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله
﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ والثالثة أن يتنزه عما يشغل
سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾
وقد فسر قوله هدى للمتقين على الأوجه الثلاثة واعلم أن الآية تحتمل أوجها من الإعراب أن يكون الم
مبتدأ على أنه اسم للقرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وإن كان أخص من المؤلف
مطلقا والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم لأن المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا
أو بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على أنه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل إن لأنها نقيضتها ولازمة للأسماء لزومها وفي قراءة أبي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس

وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى ﴿لا فيها غول﴾ لأنه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة أو صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال أو الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك
وقف على لا ريب على أن فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وأن يكون
ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا أو صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم أو يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفته والأولى
أن يقال إنها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة
دلت على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة
التحدي بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل عليه بكماله بنفي الريب فيه لأنه لا كمال أعلى مما للحق واليقين
وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله أو تستتبع السابقة
منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه أنه لما نبه أولا على إعجاز المتحدى به من حيث إنه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه أنه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك أن لا يتشبث
الريب بأطرافه إذ لا أنقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى المقصود مع التعليل وفي الثانية
فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن إيهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وإيراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا إيجازا وتفخيما لشأنه ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ إما موصول بالمتقين على أنه صفة
مجرورة مقيدة له إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على
التصقيل أو موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال
وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر﴾ وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مسوقة للمدح بما
تضمنه المتقون وتخصيص الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر إظهار لفضلها على سائر
ما يدخل تحت اسم التقوى أو على أنه مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين وإما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء وخبره أولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والإيمان في اللغة عبارة
عن التصديق مأخوذ من الأمن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء
لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث إن الواثق صار ذا أمن ومنه ما
آمنت أن أجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب وأما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة

انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق و
الاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية
اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود
ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع
ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل
والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله
وهو المراد به في هذه الآية الكريمة هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا
على تقدير ملتبسين بالغيب كان الغيب بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي
عن ابن مسعود رض قال والذي لا اله غيره ما آمن احد ايمانا افضل من الايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية
وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالثة للآلة ﴿ويقيمون الصلوة﴾ اي يعدلون
اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من
قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين
حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح
والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها
الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون
الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل

للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل
المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي
الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ الرزق في اللغة
الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من
الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق هاهنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان
انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل
الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في
حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل
من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه
نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير
من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها
وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده
قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار
المعرفة يفيضون ﴿والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك﴾ هم مؤمنو اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان
تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا
من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية
والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين
او طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة

تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأمثالهم. والإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل وهو إنما يلحق المعاني بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها، ولعل نزول الكتب الإلهية على الرسل بأن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه. والمراد بما أنزل إليك القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، وإنما عبّر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع، ونظيره قوله تعالى: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، فإن الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلاً حينئذ. وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السابقة، والإيمان بها جملة فرض عين، وبالأول دون الثاني تفصيلاً من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية، لأن وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وتشويش المعاش. ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ أي يوقنون إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره، وفي دوامه وانقطاعه. وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب، فإن اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن إيقان. واليقين إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال، ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية. والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى: تلك الدار الآخرة، فغلبت كالدنيا. وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام. وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها إجراء لها مجرى المضمومة في وُجوه ووُقتت، ونظيره:

لحُبُّ المؤقدان إليَّ مؤسى وجعدةُ إذ أضاءهما الوقودُ

﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له، فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك، فأجيب بقوله الذين يؤمنون إلى آخر الآيات، وإلا فاستئناف لا محل لها، فكأنه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة، أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى، ونظيره: أحسنت إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان، فإن اسم الإشارة ههنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة، وهو أبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه، فإن ترتب الحكم على الوصف إيذان بأنه الموجب له. ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه، وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى، وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل. ونكّر هدى للتعظيم، فكأنه أريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره، ونظيره قول الهذلي: فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم. وأكد تعظيمه بأن الله مانحه والموفق له، وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة. ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ كرر فيه اسم الإشارة تنبيهاً على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة

من الأثرتين، وأن كلاً منها كاف في تمييزهم بها عن غيرهم، ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله: أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون، فإن التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية مقررة للأولى فلا تناسب العطف. وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة، ويؤكد النسبة، ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، أو مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك. والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر، وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح. وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة، أو الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم.

تنبيه: تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى: بناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز، وتكريره، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم. وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب، ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح، ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأساً.

﴿إن الذين كفروا﴾ لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر، ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله: إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم، لتباينهما في الغرض، فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه، والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال. وإنّ من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه، والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين، ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذاناً بأنه فرع في العمل دخيل فيه. وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية، وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب، فلا يرفعه الحرف. وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان، وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف. وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها، ولذلك يتلقى بها القسم، وتصدر بها الأجوبة، وتذكر في معرض الشك، مثل: ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً، إنا مكنا له في الأرض. وقال: يا فرعون إني رسول من رب العالمين. قال المبرد: قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه، وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه. وتعريف الموصول إما للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود، أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم، فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه. ﴿سواء عليهم﴾ والكفر لغة ستر النعمة، وأصله الكفر بالفتح وهو الستر، ومنه قيل للزارع والليل كافر، ومنه كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ولكمام الثمرة كافور. وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به، وإنما عد

وشد الزنار ونحوها كفراً لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهراً
لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن العظيم بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقة مخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى
قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين
كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول
عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا يوم
ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل هاهنا عن المصدر إلى
الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما
جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم
اغفر لنا أيتها العصابة والإنذار التخويف أريد به التخويف من عذاب الله وإنما اقتصر عليه لأنه أوقع
في القلب وأشد تأثيراً في النفس من حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفاً وهو لحن لأن
المتحرك لا يقلب ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط ألف بينهما محققتين وبتوسطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة
مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبر إن والجملة قبلها
اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون
وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذباً وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق
أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً من حيث إن الأحكام لا تستدعي غرضاً سيما الامتثال لكنه
غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو
العبد باختياره وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وحيازة الرسول فضل الإبلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون
وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من
الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه والغشاوة فعالة
من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما

المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق
وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة
لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار
وسماها على الاستعارة ختماً وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها
وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالإغفال في قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالإقساء
في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى واقعة بقدرته
أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك
بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم و
اضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل الأول أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في
قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب
البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا
هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن
لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض
التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم وفيه إشعار على تماديهم في الغي وتناهي انهماكهم في
الضلال والبغي الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا
إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكماً واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس
أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عمياً وبكماً وصماً السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما
وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف
عليه ولأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من
جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع
للأمن من اللبس واعتبار الأصل فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى

سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو
وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم
وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز
امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء
عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة و
بالفتح مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة ۝ ولهم عذاب عظيم ۝ وعيد وبيان لما
يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا
امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع
فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل
اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه
قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاء ليس مما
يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
۝ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ۝ لما افتتح سبحانه كتابه بشرح حال الكتاب
العظيم وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم و
ثنى باضدادهم وهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى
الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون
ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن
الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه

ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف
فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا
وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم
وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء
الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
۝ وما هم بمؤمنين ۝ انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم
في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم
من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان
من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ
القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم
۝ يخادعون الله والذين آمنوا ۝ الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما
هو فيه او عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش
اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في
العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم
لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسول الله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول
معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم
باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم
وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل

منهم صورة صنع المخادعين، ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف
بذكر ما هو الغرض منه، إلا أنه أخرج في زنة فاعل للمبالغة، فإن الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى
غولب فيه فاعله كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار، استصحبت ذلك ويعضده قراءة
من قرأ يخدعون، وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة، وأن
يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء، وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم
ويذيعوها إلى منابذيهم، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد. ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ وما
يخادعون قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو، والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم
أو أنهم بذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك، وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني الفارغة و
حملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية. وقرأ الباقون وما يخدعون لأن المخادعة لا تتصور إلا بين اثنين
وقرئ ويخدّعون من خدّع ويخدعون بمعنى يختدعون ويُخدعون ويُخادعون على البناء للمفعول ونصب
أنفسهم بنزع الخافض. والنفس ذات الشيء وحقيقته، ثم قيل للروح لأن نفس الحي به، وللقلب لأنه محل الروح
أو متعلقه، وللدم لأن قوامها به، وللماء لفرط حاجتها إليه، وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث
عنه أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه. والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم، ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم
﴿وما يشعرون﴾ لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم، جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور
كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس. والشعور الإحساس، ومشاعر الإنسان حواسه، وأصله الشعر
ومنه الشعار. ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به، ويوجب الخلل في أفعاله، ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة
والحسد والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية، والآية
تحتملهما، فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول
واستعلاء شأنه يوما فيوما، فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره، ونفوسهم كانت مؤوفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها، فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر، وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنها مسبب من فعله، وإسنادها
إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا. ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور
حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم، وبزيادته تضعيفه بما
زاد لرسوله نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد. ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي مؤلم، يقال ألم فهو أليم
كوجع فهو وجيع، وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع، على طريقة قولهم جد جده
﴿بما كانوا يكذبون﴾ قرأها عاصم وحمزة والكسائي، والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم، وهو قولهم آمنا

وقرأ الباقون يكذّبون من كذّبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول في قلوبهم، وإذا خلوا إلى شياطينهم
أو من كذّب الذي هو للمبالغة أو التكثير مثل بيّن الشيء وموّتت البهائم، أو من كذّب الوحشي إذا جرى
شوطا ووقف لينظر ما وراءه، فإن المنافق متحير متردد. والكذب هو الخبر عن الشيء بخلاف ما هو به، وهو حرام
كله لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه، وما روي أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات
فالمراد التعريض، ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به. ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ عطف على
يكذبون أو يقول، وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين
كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم، لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها. والفساد خروج
الشيء عن الاعتدال، والصلاح ضده، وكلاهما يعمان كل ضار ونافع، وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم، فإن ذلك يؤدي إلى فساد
ما في الأرض من الناس والدواب والحرث، ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين، فإن الإخلال بالشرائع
والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم، والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض
المؤمنين. ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ جواب لإذا ورد للناصح على سبيل المبالغة، والمعنى أنه لا يصح
مخاطبتنا بذلك، فإن شأننا ليس إلا الإصلاح، وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد، لأن إنما
تفيد قصر ما دخل عليه على ما بعده مثل إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد، وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض، كما قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ رد لما ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره
بحرفي التأكيد: ألا المنبهة على تحقق ما بعدها، فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي
أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر، ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم
وأختها أما التي هي من طلائع القسم، وإن المقررة للنسبة، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل لرد ما في
قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين، والاستدراك بلا يشعرون. ﴿وإذا قيل لهم
آمنوا﴾ من تمام النصح والإرشاد، فإن كمال الإيمان بمجموع الأمرين: الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا، والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا. ﴿كما آمن الناس﴾ في حيز
المصدر، وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما، واللام في الناس للجنس، والمراد به الكاملون في الإنسانية
العاملون بقضية العقل، فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة
والمقصودة منه، ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان، ومن هذا الباب قوله تعالى صم
بكم ونحوه، وقد جمعهما الشاعر في قوله: إذ الناس ناس والزمان زمان، أو للعهد والمراد به الرسول
عليه السلام ومن معه، أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه، والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص

متمحضاً في شوائب النفاق مخلّاً لإيمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الإقرار باللسان
إيمان وإلا لم يفد التقييد ۝ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ۝ الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها إلى
الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وإنما سفّهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو
لتحقير شأنهم فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالٍ كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم إن فُسّر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم تقابله ۝ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ۝ رد ومبالغة في تجهيلهم فإن الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فإنه ربما يعذر و
تنفعه الآيات والنذر وإنما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقاً لذكر
السفه ولأن الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر إلى نظر وتفكر وأما النفاق
وما فيه من الفتن والفساد فإنما يدرك بأدنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم ۝
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ۝ بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدّرت به
القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي أن ابن أبيّ وأصحابه استقبلهم نفر من
الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر وقال مرحباً بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال
مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحباً
بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت هذه الآية واللقاء المصادفة
يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته إذا طرحته فإنك بطرحه جعلته بحيث
يلقى ۝ وإذا خلوا إلى شياطينهم ۝ من خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه أو من خلاك ذم أي
عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به إذا سخرت منه وعدي بإلى لتضمين معنى
الإنهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم وإضافتهم إليهم
للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن
إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل
ومن أسمائه الباطل ۝ قالوا إنا معكم ۝ أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بإن لأنهم قصدوا بالأولى دعوى إحداث الإيمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين
ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بخلاف ما قالوا مع
الكفار ۝ إنما نحن مستهزءون ۝ تأكيد لما قبله لأن المستهزئ بالشيء المستخف به مصرّ على خلافه أو بدل

لأن من حقّر الإسلام فقد عظّم الكفر أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا إنا معكم إن
صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدّعون الإيمان فأجابوا بذلك والاستهزاء السخرية
والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع
يقال هزأ فلان إذا مات على مكانه وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف ۝ الله يستهزئ بهم ۝ يجازيهم على
استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلاً له
في القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم
الاستهزاء أو الغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم
بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً
إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سُدّ عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى يتولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قولهم إيذاناً بأن الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ۝ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ۝
من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وقوّاه ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت
والسماد لا من المد في العمر فإنه يعدّى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويُمدّهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم
بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً أو مكّن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً أسند ذلك إلى الله
إسناد الفعل إلى المسبب وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة و
مصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي وقال وإخوانهم يمدونهم في الغي
أو كان أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا طغياناً
وعمهاً فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحاً
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في
العصيان والعتو والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لا منار بها قال
أعمى الهدى بالجاهلين العمّه ۝ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ۝ اختاروها عليه
واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان فإن كان أحد العوضين ناضاً تعيّن

من حيث إنه لا يطلب بعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن
فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا
به غيره سواء كان من المعاني أو الأعيان ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في
غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة
التي ذهبوا إليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز
لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال
ولذلك سمي شفا وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه
من حيث إنها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس
المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما
اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء
بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد
لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء
والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة
أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الأعلى والمعنى
حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا أو الذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا إن
جعل مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لأنه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بالجملة ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا
يجمع كما لا يجمع أخواته ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل النون زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق
التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد
جنس المستوقدين أو الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا
فلما أضاءت ما حوله أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن يكون مسندة

إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على
الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ذهب الله
بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم
لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد
انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس وإسناد الذهاب إلى الله تعالى
إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف
قرر ذلك وأكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح
وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد
البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد أو ظلمة شديدة كأنها
ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل
ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا
لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من
الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو
ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق
عليه من نور الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره
بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم
عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما
أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم
أذنوا وكقوله أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد وإطلاقها عليهم على

طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه
لولا القرينة كقول زهير ❊ لدى اسد شاكي السلاح مقذف ❊ له لبد اظفاره لم تقلم ❊ ومن ثم ترى
المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ❊ ويصعد حتى يظن الجهول ❊ بان له حاجة
في السماء ❊ وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره ❊ اسد علي وفي الحروب
نعامة ❊ فتخاء تنفر من صفير الصافر ❊ هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل و
نتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على
الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة
سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتمل على هواء
يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة
● فهم لا يرجعون ● لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او
فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء
للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم ● او كصيب من السماء ●
عطف على الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في آذانهم واو في الاصل
للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى
ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى
او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما
وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال
الشماخ ❊ واسحم دان صادق الرعد صيب ❊ وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد
وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل
طبقة منها سماء قال ❊ ومن بعد ارض بيننا وسماء ❊ امد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير
وقيل المراد من السماء السحاب فاللام لتعريف الماهية ● فيه ظلمات ورعد وبرق ● ان اريد بالصيب المطر
فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه
ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا
لانه معتمد على الموصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب
واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر
في الاصل ولذلك لم يجمعا ● يجعلون اصابعهم في آذانهم ● الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه

واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله ❊ يسقون من ورد
البريص عليهم ❊ بردى يصفق بالرحيق السلسل ❊ حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف
فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع
موضع الانامل للمبالغة ● من الصواعق ● متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاهم من
العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت
وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع
الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء
للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة ● حذر الموت ● نصب على العلة كقوله ❊ واغفر
عوراء الكريم ادخاره ❊ واعرض عن شتم اللئيم تكرما ❊ والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله
خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ● والله محيط بالكافرين ●
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها
● يكاد البرق يخطف ابصارهم ● استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق
وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط
او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط
فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال
وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبر عسى لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت
في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف ● كلما اضاء لهم مشوا
فيه واذا اظلم عليهم قاموا ● استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته
فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما
لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة
اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام ❊ هما اظلما حالي ثمت اجليا ❊ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ❊
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال
مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ● ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم ● اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض